حميد حلمي زاده

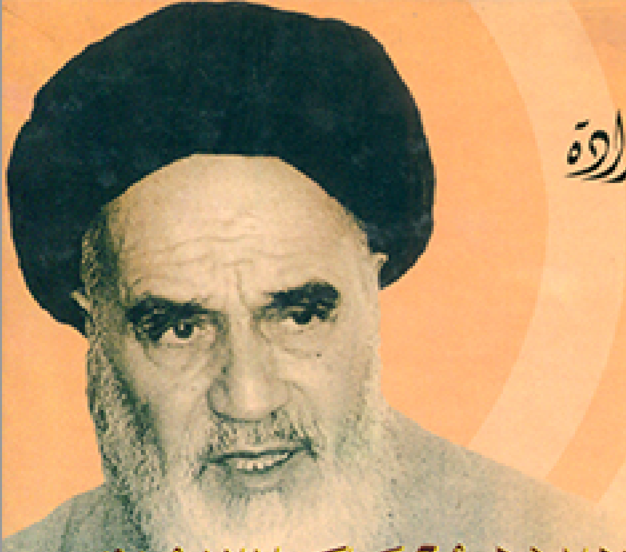

الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة

الإمام الخميني ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود وتجارب معاصرة لوعي التحديات والأولويات

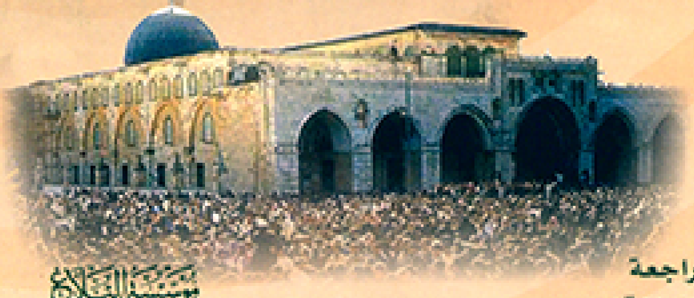

مراجعة
د. سعيد يعقوب

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة

هدية
مكتبة الجوادين العامة
المرحوم
الحاج محمد علي الاعسم

حميد حلمي زادة

الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة

الإمام الخميني (رض) ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود وتجارب معاصرة لوعي التحديات والأولويات

مراجعة
الدكتور سعيد يعقوب

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

مكتبة الجواد
مؤسسة الجواد

هوية الكتاب:

اسم الكتاب: .... الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة..
الإمام الخميني ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود

تأليف: .... حميد حلمي زاده

مراجعة وتقديم: .... الدكتور سعيد يعقوب

تصحيح طباعي: .... تامر سفر

تصميم الغلاف: .... سرور علواني

تنضيد وإخراج: .... مركز الأمل للخدمات الطباعية

الناشر: .... مؤسسة البلاغ

عدد النسخ: .... (٢٠٠٠ نسخة)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط ٢ - المستودع، حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف: (٠١/٥٤١٨٥٤) - (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ - لبنان
التوزيع في سوريا: دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف: ٦٤٧٠٦٥١
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح مولانا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع)

إلى أرواح العلماء الأعلام الذين ضحوا في سبيل النهج الصحيح للإسلام وبخاصة الإمام الخميني قدس سره.

إلى أبناء العراق علماء ومفكرين ومجاهدين ومواطنين أبرياء من الذين أزهقت أرواحهم ظلماً على يد طاغية العصر، ودفنوا في مقابر جماعية. تقشعر لها الأبدان ومنهم أخي الشهيد محمود.

إلى شهداء الأمة الإسلامية في أنحاء العالم الذين قدموا أرواحهم قرابين في سبيل الله دفاعاً عن الأوطان والحرمات والمقدسات ولا سيما في فلسطين ولبنان.

إلى ذكرى والديّ الكريمين.

إلى ذكرى حافظ يعقوب والسيدة شفيقة شرف الدين والديَ زميلي الدكتور سعيد الذي أشكره على مساهمته الطيبة في إعداد هذا الكتاب.

حميد حلمي زادة

دمشق- أيلول- ٢٠٠٢

رجب ١٤٢٤هـ

الكاتب والكتاب

الأستاذ حميد حلمي زاده، صحفي وباحث ولد في بغداد عام ١٩٥٦م وقد هجَر إلى إيران بعد الثورة الإسلامية. وذلك في عام ١٩٨٠م. وبعد سقوط نظام الطاغية صدام عاد إلى مسقط رأسه لممارسة دوره في مسيرة البناء والتطوير في العراق. وفي نطاق عمله الصحفي سبق للمؤلف أن قام بالعديد من المقابلات مع أهم الشخصيات العربية والإسلامية والعالمية حول مواضيع تلامس قضايا الأمة في مختلف الاتجاهات.

هذا الكتاب: الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة- الإمام الخميني وإزالة إسرائيل من الوجود وتجارب معاصرة لوعي التحديات- والأولويات الذي جاء على ثمانية ملفات أو أبواب وحمل عناوين مهمة جمعها المؤلف بعد لقاءات واتصالات أجراها مع مشاهير الفكر والجهاد والسياسة في مختلف أرجاء العالم كما وعقد عدة ندوات وحوارات مثمرة مفيدة جمعها في هذا الكتاب من أجل فهم أعمق للإسلام ودور المسلمين في القرن الحادي والعشرين بعد أن أصبح الإسلام يعتبر ظلماً العدو الأول للحضارة الغربية وأنه راعي الإرهاب وأصبح المسلمون مطالبين ليس فقط بقبول إسرائيل كامر واقع وإنما بالتعاون معها وتسليم الضحية رقبته للجزار طائعاً مختاراً وكان الإمام الخميني (قدس) قد نبه إلى هذا الخطر قبل استفحاله ودعا إلى إزالة هذه الغدة السرطانية من جسم الأمة الإسلامية...

الناشر

تقديم:

للدكتور سعيد يعقوب

إن طريق الله والشعب طريق واحد وإن الله دون الناس رهبانية وصوفية وليس إسلاما حقيقيا على حد قول كاتب إيراني وأقول أن عظمة الإسلام تكمن هنا في هذه القوة الخفية التي يحملها بأن كل مسلم مسؤول ولو كان وحده ومثالنا على ذلك دوما أبو الشهداء الإمام الحسين (ع) فقد وجد وحيدا في ظروف عصيبة إذ كان كل شيء في طريقه يمضي إلى التدهور وكانت القوى الغاشمة تريد طمس الحقيقة ونسف القيم ومحو معالم قوى الإسلام ورسالته وكانت الهجمة الوثنية تشتد أكثر فأكثر وتتمثل بالتجويع والاستعباد والإيذاء والسياط والقتل الجماعي والاغتيالات والنفي والتمييز الطبقي وبيع العقائد وشراء الضمائر والتجهيل الديني والجاهلية المترددة.. تماما كما نجد في أيامنا هذه.

ولم يكن الحسين قادرا على المواجهة المسلحة والثورة العارمة.. ولا هو قادر على الخنوع والاستسلام..

كان الحسين وحده في مواقع الحقيقة والوعي والعدل.. وحده أمام قوى الظلم والطغيان والقيم المزيفة الزائفة.. وحده وسط ضوضاء الترف والملذات والجيوش المعبأة للغنيمة والسلب لا لنشر الرسالة ومبادئ الدعوة الكريمة.. وحده كان عليه أن يثور.. لأن المسؤولية تدعوه.

لأن الإنسان في مدرسة الإسلام مسؤول ولو كان وحده ذلك أن المسؤولية في الإسلام يحددها الوعي والإيمان لا القوى والإمكان.. كما قال الشهيد مطهري.

قلت أن عظمة الإسلام تكمن هنا في أن كل فرد هو مسؤول لذلك فإن موضوع فصل الدين عن الدولة عجيب مستغرب في الإسلام، ثم إن هذه القوى الخفية أي الإحساس بالمسؤولية لدى كل فرد مسلم هي التي تخيف الغرب وعلى حد قول كاردنر:

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا[1]، إذن إن ما يخيف أوروبا هو نظام الإسلام وحيوية الإسلام حسب تعبير لورانس براون[2].

لقد كان الإسلام رحمة للعالمين إذ حمل أروع عقيدة ألا وهي عقيدة التوحيد ورفع راية العدل والحق والدين وأنشأ حضارة أضاءت على أوروبا كلها العلم والمعرفة والتسامح وأيقظتها

---

(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، فروخ وخالدي، ص ٣١.

(2) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، فروخ وخالدي، ص١٨٧.

من سُباتها وجهلها وحركت الإحساس بالحرية والديمقراطية في نفوس المقهورين من أبنائها وقدمت لهم أبهى مظاهر الحب والخير والجمال وأسمى وأرفع النظم الفكرية كما وقدمت للبشرية قاطبة أفضل النظم الإدارية وأنبل الخدمات الاجتماعية وقد انتبه حكامهم وخاصتهم إلى ذلك فنبهوا إلى ضرورة محاربة الإسلام وحضّوا الناس على ذلك، فقد صرح على سبيل المثال لا الحصر السيد "لورنس براون" "إن اتحاد المسلمين في دولة واحدة يمكن أن يصبح لعنة على العالم كله" وكلنا يعرف أو يسمع كيف أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) عام ١٨٩٥ وقف بين زملائه في مجلس الوزراء البريطاني وقد أمسك قرآنا كريماً يلوح به إليهم ويقول: "لن تحقق بريطانيا شيئاً من غاياتها في العرب والمسلمين إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب أولاً، اخرجوا سر هذا الكتاب مما بينهم تتحطم أمامكم جميع السدود"[٣].

أما المنصفون منهم والمقسطون من الناس فقد اعترفوا بالحقيقة فهذا روجيه غارودي يقول:

"لقد خلق الفتح العربي الشروط اللازمة لتجديد الحضارة والانطلاقة شابة جديدة للعالم، لقد خلق الشروط الاقتصادية والاجتماعية للحضارة الجديدة وذلك بإزالة فوضى الإقطاع وتدرجاته الطفيلية، إن العامل الحاسم للنصر هو أن الفاتح العربي كان يجلب معه إلى عالم عبودي منحل للغاية أو عالم إقطاعي متحجر ومقطع الأوصال أشكالاً راقية من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي تلتزم بها الجماهير العريضة لأنها تتفق مع احتياجاتها ومن القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر نشأت أغنى وأجمل حضارة مزدهرة وذلك في العصور الوسطى حيث كانت شعوب الشمال (أي أوروبا) تتناحر في حروب دينية وتتصرف كقبائل همجية.

كان شعب إسبانيا إبان الحكم الإسلامي قد وصل عدده إلى ثلاثين مليوناً وتمت فيه اكتشافات جديدة وطاقات خلاقة جديدة".

وقد جاء في قصة الحضارة لول ديورانت المجلد الأول، ص٧، إن شعوب أوروبا كانوا يأكلون لحوم البشر في القرن الحادي عشر، ووجدت هذه الظاهرة عند سكان ايرلندة بل بين أهل الدنمارك إذ ثبت أنه في ذلك القرن (الحادي عشر) كان اللحم البشري من لوازم العيش بين قبائل كثيرة ولم يكن الناس يعرفون الجنائز. وأما في جزيرة بريطانيا الجديدة فقد كان اللحم البشري يباع في دكاكين كما يبيع القصابون اللحم الحيواني اليوم"[٤].

وأخيرا نذكر أن بلاسكو أبانيز يقول:

"في إسبانيا لم تأت النهضة من الشمال مع الجحافل البربرية وإنما أتت من الجنوب مع

---

(٣) الغارة على العالم الإسلامي: شاتلييه.

(٤) الغارة، ول ديورانت، مجلد ١، ص٦، مصدر سابق الذكر.

الفاتحين العرب، لقد كانت حملة حضارية.. ومن هنا أتت إلينا هذه الثقافة الشابة القوية سريعة التقدم بطريقة مذهلة والتي ما تكاد تولد حتى تتفوق.. كان الشرق هو الذي يقتحم أوروبا"[٥].. لكن ورغم كل ذلك، فما كادت أوروبا تصحو حتى تآمرت على الإسلام والمسلمين وبدأوا يقولون ان الله قد اختار العنصر الأنجلو سكسوني لتحضير العالم.

ثم بدأ التخطيط الشامل المبني على الدراسات العلمية وبدأ تطبيق هذه الدراسات من قبل هيئات رسمية وإرساليات تبشيرية يتم تمويلها من الدول الأوروبية والأمريكية من أجل رد المسلمين عن دينهم وإدخالهم إلى عالم الوثنية الغربية وتركهم يعيشون بعيدين عن نور التوحيد.. ونذكر هنا كنموذج واحد أن شاتلييه في كتابه "الغارة على العالم الإسلامي" يقول: "ومن هذا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث الأفكار الأوروبية أو ما أسميته بالوثنية الغربية، وغني عن القول أنهم لا يفعلون ذلك حبا بالمسيح عليه السلام وانما من أجل السيطرة على هذه الأمة ومقدراتها وعلى أراضيها أيضا. ومن أجل زعزعة المسلمين عن عقيدتهم وإبعاد الإسلام وأهله عن مواكبة التطور ومشاركته في نمو العالم وسعادته، كان من أولى مهام الاستعمار متمثلا في بريطانيا إيجاد أفراد من المسلمين يتلقون منه الأوامر بعد أن قدم لهم الوعود والتسهيلات والأموال والدعم والمساندة مشيرا إليهم بادعاء النبوة من أجل تعطيل العقيدة الإسلامية وإفسادها وإفراغها من محتواها الفكري، ومن ثم إلغاء ركن الجهاد الذي يعد الحجر الأساس في وجه أطماع الاستعمار لإبطال الشريعة حتى لا يعود المسلمون إليها وحتى يميت الاستعمار في نفوس المسلمين الجذوة الدافعة والمحركة لإثارة حب التضحية وروح الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الوطن والأرض والعقيدة وذلك حتى يتمكن الاستعمار من احتلال البلاد العربية والإسلامية دون مقاومة ولا دفاع ولا عمليات استشهادية أو كما يسمونها هم "الانتحارية" وقد تمثلت هذه الحركات وهذه البدع في بداية القرن التاسع عشر، أما الحركات فقد ظهر منها في تلك الفترة في العالم الغربي ثلاثة هي:

١- حركة شهود يهوه: في الولايات المتحدة الأمريكية وأسسها رومل عام ١٨٧٢ حيث راح يبشر بقرب مجيء المسيح المنتظر وبدء عصره الألفي الجديد، ولا زالت منتشرة كثيرا في أمريكا اليوم.

٢- حركة دين الإنسانية وقد أبتدعها وأسسها أوغست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧).

٣- الحركة الأصولية الإنجيلية: وأسسها جون نلسون داربي ١٨٠٠ — ١٨٨٢ وقال: إن إسرائيل هي مملكة الله على الأرض وأن الكنيسة كانت مملكة الله في السماء وأكدت تعاليمه على

---

(٥) الصهيونية بداية ونهاية، ص ٤٤.

الفكر الصهيوني المسيحي، ويذكر أنه كان قسيسا في وقت ما في كنيسة بإنكلترا. واعتنق نظرية داربي هذه سايروس سكوفيلد في الولايات المتحدة الأمريكية وطورها وأصبحت أساسا للحركات الأصولية الإنجيلية هناك وكانت بؤرة للنشاط الصهيوني.

أما البدع التي ظهرت في الديانة الإسلامية إبان الحكم العثماني فنذكر منها وباختصار حتى لا نخرج عن موضوعنا:

١-حركة السيد أحمد خان (١٨٠٠ – ١٨٩٨) وكان من آرائه أن ما أصاب أوروبا من تقدم لم يكن إلا نتيجة لنبذ الأديان والرجوع إلى الطبيعة، وقام بتفسير القرآن وأنكر المعجزات والخوارق وجعل النبوة غاية يمكن تحصيلها واكتسابها بالترويض النفسي، واضعف من قيمة الجهاد ونادى بإنسانية الأديان، وأسس كلية عليكرة في الهند لنشر آرائه ومذهبه كما وأنشأ مجلة تهذيب الأخلاق ودعا إلى النظر في روح القرآن أكثر من النظر في حرفيته ونادى بالتفسير على ضوء العقل والضمير كما أنه قال ان الوحي كان بالمعنى لا باللفظ ونادى بالإقبال على العلم والتطور وكان له إيجابيات وسلبيات واختلفت الآراء فيه كثيرا.

٢- البابية وظهرت في إيران عام ١٨٤٤ على يد علي محمد الشيرازي الذي لقب نفسه بالباب وظهر بعدها البهائية على يد حسن علي المازندراني (بهاء الله) وأعدم الباب في إيران ونفي بهاء الله إلى العراق.. ثم استقر في فلسطين ووجدت فيه الصهيونية نصيرا معقولا فاستفادت من جهوده بطريقة ما ولا زال له مراكز في فلسطين المحتلة حتى اليوم.

٣- القاديانية في الهند في القرن التاسع عشر على يد الميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود في آن واحد وحض على إلغاء الجهاد وطاعة الإنجليز باعتبارهم أولي الأمر هناك.

كما حاول الاستعمار أيضا أن يوجد له عملاء في العالم الإسلامي نفسه من خلال تدريس اللغات الأوروبية وفتح المدارس والإرساليات والمعاهد والجامعات إضافة إلى تشجيعه لبعض الحركات والأحزاب والدعوات الدينية الهدامة وبالطبع ظهرت هذه الحركات والدعوات في أماكن متباعدة جغرافيا في العالم الإسلامي.

ثم وفي عام ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في بال بسويسرا ونظرا لتوغل الصهيونية في المملكة المتحدة (بريطانيا) في الإدارة والكنائس والحكومات المتعاقبة وكذلك في الصحف والبنوك، لذا فإن بريطانيا كانت هي الداعم الأول للحركة الصهيونية.. وكان أن أعلن كرومويل أن الوجود الصهيوني في فلسطين هو الذي سيمهد للمجيء الثاني للمسيح[٦]، وقبل ذلك كان قد بدأ هذا النشاط الصهيوني الهدام في روسيا القيصرية وتوغل الصهاينة في

---

(٦) النبوءة والسياسة، هالسل، ترجمة محمد السماك.

الأجهزة الروسية القيصرية في بداية القرن التاسع عشر وحاولوا بث عقيدة مشابهة لليهودية بين المسيحيين الروس ونشروا بينهم بدعة أنه قد آن الأوان للرجوع إلى العهد القديم للمحافظة على إيمان الآباء اليهود.. وقاوم القيصر ذلك فدس اليهود له السم عام ١٨٢٥ وكذلك القيصر نقولا الأول عام ١٨٥٥ ثم تم اغتيال القيصر اسكندر الثاني عام ١٨٨١ وتبين بعد فترة طويلة أن ذلك النشاط الهدام داخل روسيا كان بتوجيه من الاتحاد الإسرائيلي العالمي الذي تأسس في باريس عام ١٨٤٠ برعاية المليونير اليهودي روتشيلد الذي بدأ نشاطه الهدام عام ١٨٦٠ في كل من روسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.. حتى أن هذا النشاط قد غطى كافة دول أوروبا في ذلك الحين، كما وظهر أيضاً ضابط المخابرات الروسي(كنياز دالكوركي) الذي كان يعمل مترجماً في السفارة الروسية في طهران ثم أصبح سفيرا بعد ذلك.. وكل هذا حديث يطول، لذا فسوف ننتقل إلى منتصف القرن العشرين حيث ظهرت مئات من الصحف اليومية والمجلات وألفت عشرات الكتب وكلها تهدف إلى نصرة مبادئ الاستعمار ومعاداة الإسلام ومحاولة إقتلاعه من قلوب الناس. كما وأخذ الاستعمار بعد ذلك بالسيطرة على الجيل الجديد وتوجيه التربية والتعليم توجيهاً خاصاً ونشرت الكتب الإباحية والمجلات الفاسدة والمفسدة والأفلام السينمائية الداعرة والبرامج الإذاعية والتلفزيونية المائعة.. وإضعاف سلطان الإسلام في نفوس الناس وتشويه التاريخ الإسلامي والدس فيه وإثارة الشبه حول مبادئ الإسلام ثم التحكم الاقتصادي بالبلاد الإسلامية وإثارة النعرات الطائفية والعنصرية والإقليمية بين أبنائه ونشر الإلحاد وإحلال القوانين الوضعية ونشر الفلسفات المادية وغير ذلك كثير، وقد أكد كثيرون أنَ الغرب قد أقام إسرائيل في قلب العالم الإسلامي لتكون عائقاً أمام أية نهضة إسلامية.. لكن لعلّنا نلاحظ الآن أن الأذى الذي أصاب الغرب من جراء ذلك أكبر مما أصاب الشرق فهو قد ساعد الصهيونية على إحتلال عقول الغربيين وأفئدتهم وعلى تخريب عقائدهم في حين هب المسلمون بسبب جرائمه يعتصمون بدينهم.

وفي حديث للإمام الخميني (قدس سره) مفنداً كذب إسرائيل ودعاتها يقول في حديث له في ١٩٨٣/١٢/٢٢:

"إن إذاعة إسرائيل تنقل نصائح موسى (ع) كثيرا ولكن ما هو حال إسرائيل: ما هو وصفها؟ فموسى كان راعياً لم يمتلك غير عصاه، مارس مهنته وعاش حياته بالأسلوب الذي نقله التاريخ ورغم ذلك فقد نهض وراح يعارض أكبر قوة كانت موجودة في عصره ودون أن يكون لديه من حطام الدنيا أو الاهتمام بها أي مقدار بينما نحن نرى مدى تعلق أولئك المدعين أنهم أتباعه في الدنيا فهم يسيطرون على الرساميل الأمريكية الكبرى ويتمتعون بالقوة المادية الأمريكية ثم يدعون أنهم يعتقدون بشريعة موسى عليه السلام".

إن هذه القوة التي يتميز بها الإسلام لم تكن في عهود الإسلام المختلفة مدعومة بأي نوع من أنواع الدعم فقد كانت قوة في الإسلام نفسه، في نفسية المسلم ولم تكن قوة في الممارسة والحكم والإدارة مع الأسف ولو كان المسلمون يعيشون كما أراده لهم المشروع الإلهي المتمثل بالإسلام لاختلفت الأمور اختلافا جذريا.

فقد سعى الإسلام إلى إلغاء تسلط الأقوياء الذي كان سائدا في المجتمع الجاهلي وكان هذا هو المدخل لخطة التغيير الاجتماعي والاقتصادي للدعوة الإسلامية التي تهدف إلى إقامة مجتمع جديد مبني على أسس العدل والمساواة والمسؤولية الجماعية.. وتنبه سادة المجتمع الجاهلي لأهداف الدعوة الإسلامية فقاموا بمعارضتها وبدأت المعارضة في أول الأمر بسيطة مثل النقد بالكلام والاستهزاء بالرسول واتهامه بمختلف التهم ثم لجأوا إلى الإرهاب والتعذيب والمقاطعة الاقتصادية والمؤامرات والقتل والاغتيال.. ثم لجأوا إلى الحروب.. وقد فعل سادة المجتمع الجاهلي كل ذلك لأنهم يزدرون القيم ويبيحون لأنفسهم كل شيء على حد تعبير "طه حسين"[٧]، أي أن محاربتهم لمحمد (ص) وللإسلام ليس من باب تمسكهم بمعتقداتهم السابقة فقد كان سادة قريش ينظرون إلى الدين على أنه وسيلة وللأوثان على أنها وسائل أيضا لكسب الثروات ولبسط النفوذ نفس الكلام الذي ذكرناه ينطبق على جهابذة الاستعمار الغربي الحديث حيث أنهم لا يبشرون بين المسلمين حبا بالسيد المسيح بل لأغراض أخرى مصلحية.. لذلك حين جاء النبي (ص) ظنوا أن أهدافه كأهدافهم وهي اكتساب القوة والنفوذ والمال والمكانة الاجتماعية لذلك عرضوا عليه الملك أو المال أو.. فأجابهم كما هو معروف أنه لن يترك هذا الأمر،ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره. إنه موقف مستغرب بالنسبة لعقلياتهم وتفكيرهم.

المهم فقد فشلت كل محاولاتهم من التكذيب والاتهام بالجنون وتعذيب اتباعه والحصار الاقتصادي وما إلى ذلك كما فشلوا في محاولة اغتياله وسافر مهاجرا إلى يثرب أو المدينة المنورة كما سميت فيما بعد..

وفي المدينة أقام الرسول حكومة جديدة على أساس مبادئ الإسلام وقيمه.. الشورى العدالة والمساواة والتصدي للظلم.. وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.. وذلك لأن عدم التصدي للحاكم الظالم وإيقافه عند حده.. يعني تماديه في غيه وتكريس هذا الظلم واستمراره في من يجيء بعده.

كما وآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار فأقام علاقات جديدة بين المسلمين تختلف عن العصبية القبلية المعروفة.

وتآمر القرشيون مع يهود المدينة (مع أن الرسول قرر أن علاقات المسلمين مع غيرهم يجب

---

(٧) الفتنة الكبرى، ١-عثمان، القاهرة، دار المعارف ١٩٩٦، ط١، ص٨١.

أن تقوم على قواعد متينة من السلم والألفة والتعاون وكان يعامل اليهود قبل غدرهم على هذا الأساس) وفي معركة بدر هزم المشركون.. وتوالت انتصارات المسلمين حتى تم لهم فتح مكة وتم تأمين شروط الاستقرار والدعوة للمجتمع المسلم وأصبح بامكاننا أن نقول أنه تشكلت أمة إسلامية وحكم إسلامي وصار من الضرورة تحقيق ما يسمى بالأمن الإسلامي لكن الأمن الإسلامي واجه عوائق كثيرة كان أولها: النفاق وغدر اليهود إذ أن بعض سادة قريش وكثير من أبنائها العاديين قرروا بعد أن يئسوا تماما من إمكانية القضاء على الإسلام قرروا أن يركبوا موجته ويلتحقوا به ليكونوا سادة في هذا المجتمع الجديد وهذا يعيق تحقيق الأمن الإسلامي وربما قرر بعضهم هذا القرار قبل فتح مكة، ولا يستبعد أن بعضهم عمل كطابور خامس لسادة قريش في مكة منذ بداية العهد اليثربي.. من يدري؟ لكن واقع الحال ومنطق الحروب والمكائد المعروفة منذ قديم الزمان لا يستبعد حدوث ذلك بل ويتوقعه.. ان الحرب خدعة والدهاء مطلوب في الحرب والسياسة في ان معا.. فقد جاهد الرسول وهو الحاكم في المجتمع الإسلامي الأول من أجل إزالة القيم والعادات السلبية الموروثة من عهد الجاهلية.. لكن ذلك ليس سهلا فهاهم ومنذ معركة أحد ينسون تعاليم الرسول ويبادرون لأخذ الغنائم وهذه عادة جاهلية معروفة.. وكم مرة اختلف مهاجر وانصاري فعادوا فجأة إلى قبليتهم واستدعاء جماعتهم لولا أن تدارك الرسول ذلك وكم مرة بدرت من احدهم بادرة احتقار لمن هو أضعف أو أفقر أو من طبقة أدنى فوبخه الرسول على ذلك وكم مرة حذرهم الرسول من استغلال المناصب للحصول على الأموال أو المكانة الشخصية (فقصة هذا لكم وهذا أهدى لي وقول الرسول الا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا: والذي نفس محمد بيده لا ينال احدكم منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه..) معروفة وقبيل وفاة الرسول الكريم اعترض الصحابة على تأمير زيد بن حارثة نظرا لصغر سنه، وضعف مكانته الاجتماعية وهذا أيضا موروث جاهلي بقي عند الصحابة موجودا في لا شعورهم أو شعورهم.

وبعد وفاة الرسول اختلف المهاجرون والأنصار، في السقيفة أي أنهم أيضا عادوا لعادات جاهلية قبلية واقترح أحدهم: منا أمير ومنكم أمير وهذه ايضا عادة جاهلية.. المهم كان الامر قبليا أو موروثا جاهليا كما أسلفنا.. أي أنهم تنافسوا على المنصب مع ان الإسلام وضع شروطا صعبة على ممارسة السلطة بحيث كان من المتوقع أن يهاب المسلمون قبول المناصب لا اللهاث وراءها لكنها عادات جاهلية مغروسة لم يستطع الإسلام الوليد ازالتها من نفوس الناس بسهولة.. وتم اختيار خليفة للرسول لكنها لم تكن طريقة دائمة ثابتة ولم ترسخ هذه الطريقة وانما كانت احدى طرق تداول السلطة ليس إلا..

أما من ناحية ضرورة التصدي للحاكم الظالم فقد بقيت هذه الفكرة أيام الخلفاء الراشدين إذ أن أبا بكر (رض) في خطاب تسلم المنصب قال وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني.. أو إن عصيت فلا طاعة لي عليكم.. وكذلك في عهد عمر (رض) أيضا بقيت قاعدة التصدي للسلطة الظالمة ثابتة ومعترف بها إذ حين قال الناس لعمر والله لو أخطأت لقومناك بسيوفنا.. وحين اعترض عليه أحدهم لأنه أعطى ابنه من العطاء ثوبا أكثر من بقية الناس لأن ابن عمر كان طويل القامة فأوضح له عمر الأمر وقال إنه أعطاه نصيبه منها ليضيفه إلى نصيبه فرضي الناس عندئذ..

وحين قام الناس على عثمان لمحاباته أقرباءه في المناصب والعطاءات كان هذا الأمر أي مبدأ الاعتراض على عدم العدل لدى السلطة ما زال أمرا مقبولا متعارفا بغض النظر عما أثير بعد هذا الأمر من إشكالات. لكن الصحابة لم يكونوا سواء في العدل والاستقامة حين تسلمهم المناصب إذ أن إغراءات السلطة والثروة كانت قوية فقد استدعى عمر واليه على البحرين (أبا هريرة) وفرض عليه تقديم نصف ماله الخاص إلى بيت المال بعد أن شك أنه جمع المال بغير حق، وأساء كثير من الصحابة معاملة الأسرى خلافا لما يأمر به الإسلام حتى أنه في إحدى الحالات ونتيجة للظلم الشديد قام الأسرى على سيدهم فقتلوه ثم انتحروا انتحارا جماعيا[*]..

وبالتالي يمكن القول ودون المزيد من التفاصيل أن إدارة الحكم في الإسلام لم تكن كما أرادها الله والرسول وبالتالي فلم يتحقق الأمن الإسلامي كما يجب، والآن وبعد مرور هذه القرون والأحداث التي يعرفها الجميع جاء القرن الحادي والعشرون وصار الإسلام بعد انهيار الكتلة الشيوعية هو العدو رقم واحد في نظر الغرب الذي يبحث عن عدو دوما حتى تبقى الشعوب مشدودة نحو حكامها ونحو الشركات الاقتصادية ونحو المستفيدين الكبار.. أما وقد اعتبر الإسلام هو العدو وهو الإرهاب وهو التخلف... وما إلى ذلك فما هو واجب المسلمين اليوم ؟...

أقول إن أول واجباتهم هو التضامن والتآخي والحوار البناء ونبذ الفرقة والخلاف وما قد يؤدي إليهما وقد جاء هذا الكتاب الأمن الإسلامي لمؤلفه الصحفي الإيراني الأستاذ حميد حلمي زادة.

والذي كان لي شرف مراجعته وتدقيقه وكتابة هذا التصدير له كتاب يتألف من ثمانية ملفات أو أبواب تبحث في:

١- رؤية الإمام الخميني لمفهوم إزالة إسرائيل من الوجود.

[*] المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، شكري فيصل، بيروت، دار العلم للملايين، ص ١٩٨١، ص ٢٠٠.

٢- الأمن الإسلامي: المرتكزات وآليات التعزيز.

٣- الأمن الإسلامي في منظور إيران الثورة والدولة.

٤- مجلس التعاون للبلدان الإسلامية.

٥- المشروع الإسلامي بين مقومات النهوض وتحديات المواجهة.

٦- الاتفاقيات المستحيلة.

٧- الإرهاب الدولي وأساليب المواجهة.

٨- أولويات الأمة للقرن الحادي والعشرين.

أبحاث عديدة تهدف جميعها إلى إذكاء حرارة الحوار وفهم الذات والآخر لتحصين المجتمع المسلم وحمايته وتحضيره وإعداد الأمة إعدادا يناسب هذا القرن الذي يتوقع فيه الكثير الكثير فهل نكون على مستوى المرحلة؟... إنها قضية الأمة أو اندثارها إنها قضية أمن المجتمع المسلم وأمانه وسلامه الداخلي.

ولاشك أن قضية أو مشكلة الدولة الإسرائيلية لا تزال هي الدمل المؤلم في خاصرة الأمة الإسلامية وإن الصهيونية هي القوة التي قادت إلى خلق إسرائيل والإيمان بأن دعوة اليهود من الشتات سوف تنقذهم من خطر حكم الوثنيين ومن معاداة السامية ومن الاندماج وإنها سوف تتيح لهم الفرصة للمرة الأولى منذ ألفي عام لخلق مجتمع يهودي كامل. وتكملة لحديثنا عن الأوضاع في روسيا نذكر أنه نزح ثلاثة ملايين يهودي نحو الغرب خلال سنوات ١٨٨٢-١٩١٤ وذهب معظمهم إلى أمريكا وقسم إلى أوروبا وأقل من ذلك بكثير إلى فلسطين... وسبب نزوحهم هو السياسة المعادية للسامية (كما أطلقوا عليها هم) التي أنتجها الحكم القيصري بعد المحاولات التي قام اليهود بها كما ذكرنا وان اليهود الأوائل في فلسطين (اليشوف) كانوا من العلمانيين ولم تكن اليهودية هي التي حركتهم بل مناخ القرن التاسع عشر في أوروبا والنزعة القومية لتحقيق مطلب التقرير الذاتي للمصير والتحرر في ظل الشروط الجديدة من العلمنة والليبرالية(*) وأكدت الصهيونية منذ البداية على اهمية خلق أكثرية يهودية في فلسطين لأن بقاء اليهود كأقلية يجعلهم اقلية بين العرب ولا تحقق لهم الأمن برأيهم وقال موسى شاريت ان تأسيس جالية لليهود كبيرة بما فيه الكفاية يعطي العرب شعورا دائما بالاحترام (أي يحققوا أمنهم الداخلي حسب تصورهم) وقد تابع اليهود تدفقهم إلى فلسطين إلى أن حدثت هجرة كبيرة واسعة من الاتحاد السوفييتي السابق واثيوبيا في عام ٩٠- ١٩٩١ وكان كثير من الصهاينة يعتقدون أن أولئك الذين أخفقوا في المجيء إلى إسرائيل (يسمونها Alia أي الصعود) تبقى يهوديتهم غير مكتملة... وكان الصراع حول الهوية اليهودية حادا وشديدا.

(*) الشرق الأوسط البريد- أسعد صقر- طلاس للطباعة والنشر ١٩٩٧.

إن البعد الروحي يدفع بإسرائيل نحو حكم رجال الدين أو من هم نحوهم... ففي عام ١٩٨٨ ذهبت خمسون ٥٠٪ من الأصوات إلى الليكود وأحزاب اليمين كما ارتفع عدد الأصوات التي انتخبت الأحزاب الدينية واستمر ذلك بالارتفاع في عهد اريئيل شارون.

وإن قيام إسرائيل على هذا الأساس الديني والانتصار المتتالي للأحزاب اليمينية والدينية فيها يدعونا للتأمل... لأننا في مرحلة جديدة هي مرحلة القرن الحادي والعشرين، هذه المرحلة التي تسعى أمريكا إلى جعلها محض أمريكية وهذا يجعلها أولاً في تناقض مع إسرائيل وعدوانيتها وشوفينيتها وعنصريتها كما أنها من جهة أخرى يجعل إسرائيل ليست ضرورية لأمريكا في هذا القرن الجديد..

ولا يخفى أنه وحتى هذه اللحظة لم تتردد أمريكا بتقديم كل أنواع الدعم العسكري واللوجستي والسياسي والمعنوي والبشري والمادي للكيان الصهيوني الذي غرس في خاصرة الوطن العربي غير آبهة بحقوق الشعوب أو للقرارات الدولية التي تدعي أنها تدافع عنها وهي تمارس علانية سياسة الكيل بمكيالين للدفاع عن النظرية الإسرائيلية واحتلال أراضي الآخرين بالقوة كما أنها احتلت العراق دون قرار دولي.. لكنها الآن يتوقع أن تبدأ بالاستغناء تدريجيا عن إسرائيل.. وهذا مما سيزيد الأمن الإسلامي قوة. أما عن الإرهاب الذي تدعي أمريكا أنها تتصدى له وتبحث عنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والذي أصبح برأيها هو الإسلام والمسلمين فهو الآن قضية هامة لم يغفل باحثونا في هذا الكتاب عن مناقشتها مناقشة مستفيضة بدأوا بما حدث في أفغانستان ومنهم من تحدث عن ظروف العراق وإن كانت هذه الحوارات سبقت السقوط الدراماتيكي لهذا البلد في قبضة الاحتلال الامريكي بعد أن خرج من نير الديكتاتورية، إنه الانتقال من الاستبداد إلى الاستعباد أو من رق الدكتاتور إلى أسر الاستعمار. وأصبح الأمر: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وإن هذا الكتاب يدعو المسلمين خاصة والشعوب كلها عامة الى الصحوة لما يجري حولهم والى الوعي والتمسك بحرياتهم وجذورهم وأصولهم لأنهم مهددون بالاندثار لو انقطعت عن أعماقها ودخلت في هذه السطحية التي تقود إليها الأمركة هذه ويدعو كثير من المفكرين في هذا الكتاب الذين تم الحوار معهم الامريكيين لمراجعة الذات [illegible] الآخرين واحترام حرية الشعوب وحقوقها واستقلالها ويدعون الى مثاقفة حقيقية أي بناء [illegible] الثقافات وليس هدم هذه الجسور وإغراق الناس بالفيضان الأمريكي الهائج [illegible] في عراقنا اليوم.. وبالتالي فإن كل كتابنا ينادون بضرورة تحقيق الأمن الإسلامي

فما هو الأمن الإسلامي وما هي مرتكزاته ومقوماته وآليات تعزيزه، هذا ما ناقشه باحثونا في هذا الكتاب، وأدلوا فيه بآرائهم.

وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من

كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٨].

إذن إن الأمن المقصود عكسه هو لباس الجوع والخوف أي الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الفردي والأمن على المال والنفس والعرض والحالة الآمنة عموما بين الناس.. وقال الرسول (ص): "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده" أي من حقق الأمن للناس جميعا.

وفي هذا السياق أؤكد على أن يكون أيضا للفرد المسلم أمن روحي ومعنوي، يعزز معاني الثقة والعزم والإرادة في نفسه وهي عملية ينبغي أن يسعى الإنسان ذاته لتحقيقها بالعبادة والمسارعة في الخيرات والإخلاص وتزكية النفس.

وباختصار فإن مثل هذا الأمن لا بد أن يبدأ من الفرد ثم المجتمع ثم الأمة وأن يصار إلى صيغة تشترك فيها البلدان الإسلامية والكيانات الإسلامية الموزعة في أنحاء الأرض للعمل ضمن الممكن والمتاح الآن لوقف اختراقات الآخر واستنزافاته التي باتت تشكل وضعا خطيرا يهدد الأمن الإسلامي برمته.. وقد ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا..﴾[٩].

.. ونحن كلنا مدعوون إلى بذل وتحشيد وتحفيز كل ما لدينا من طاقات وإمكانيات موجودة بالقوة أو بالفعل للوصول بأمتنا شيئا فشيئا إلى بر الأمن والطمأنينة..

إذن جاء الإسلام منذ البدء ولا يزال حتى هذا اليوم كطريق نحو عالم جديد مقرون بحياة سعيدة تتضمن كل ما يتطلبه صلاح الإنسان وفلاحه وتخليصه من الفقر والجهل والتمييز والنزاعات وانعدام الأمن والأمان فالإسلام دين الإنسانية والاعتدال والتعقل وضد الظلم والفساد والشرور والعدوان وعليه أن يحقق أمنه الذاتي والنفسي وأن يعرف نفسه وأن يواجه ما في نفسه من جموح الذات والأنانية واستفحال الأهواء.

وعليه تحقيق أمن الإسلام والمسلمين في العدالة الاجتماعية والحريات المختلفة والسلام العادل والعلاقات بين الجنسين وحقوق المرأة وحقوق كل أفراد المجتمع والعلاقات بين أفراد المجتمع وبينهم وبين المجتمعات الأخرى.. وتزكية النفس كما يقول تعالى ﴿قد أفلح من زكاها﴾.

واليوم نجد أن البشرية كلها تعاني من الأمراض التي كان يعاني منها المجتمع الجاهلي من سيطرة الأقلية الغنية على الأكثرية الفقيرة وأكثر الشعوب محرومة من الثروات والتقدم العلمي ومن الأمن، حيث الحروب تستعر في بقاع كثيرة والفساد شار مستفحل ومادية الغرب تكتسح الناس

---

(٨) سورة النحل: ١١٢.
(٩) سورة النور: ٥٥.

وأمـريكا تـزيد مـن تفـوق ثقافـتها (الـتي هـي في المحصـلة الأخـيرة لا ثقافـة "عـلى حـد تعـبير د. يوسـف سـلامة") وعولـتها وحضـارتها عـلى بقـية الأمم والشعوب والقارات بدلا من الحوار الثقافي والانفتاح المعرفي والتبادل العلمي والأدبي والحضاري..

والإسـلام يطـرح نفسـه الـيوم لـيقدم للـناس قاطـبة الخـير والأمـن والسـلام دون أن يفرض اعتـناقه عـلى أحـد.. وكمـا أسـلفنا فإنـه مطالـب أول الأمـر بـأن يحقـق الأمن الداخلي والعلاقات الحمـيمة بـين أفـراده وشـعوبه وسـائر فـئاته.. فـإلى هـذا الكـتاب المهم أدعوكـم مسـتبشرا متفائلا بالخير العمـيم الذي يقـدمه الإسلام لو أتيـح له ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سعيد يعقوب(*)

دمشق/ أيلول/ ٢٠٠٣

رجب ١٤٢٤هـ

(*) طبيـــب فلســـطيني دكتوراه فلسفة من جامعة كاليفورنيا (أمريكا)- عضو اتحاد الكتاب العرب في ســـوريا مـــن مؤلفاته: ١- آفاق النفس البشرية (دراسة في علوم الباراسيكولوجي وطاقات النفس وإبداعاتها، دار الجليل- دمشق). ٢- معراج الهداية (دراسة في الإمام علي ومنهجه في الإمامة، دار الهادي ببيروت). ٣- السهروردي حياته وشعره، علم النفس والطب النفسي عند العرب. ٤- جدلـــية النفس والشعر عند العرب. ٥- سيرة الحضارة العربية وعدد من الكتب المتخصصة في الطب النفسي والعصبي.

كلمة المؤلف

ليس مفهوم الأمن ومنه الأمن الإسلامي محض دلالة عسكرية وحسب، إنه تلك المنظومة من الأفكار والممارسات والأدوات التي تجعل المسلمين بعيدين عن المخاطر الداخلية والخارجية؛ سيان أكان ذلك في إطار الدولة ومرتكزاتها أم في دائرة الأمة ومكوناتها، انطلاقا من التجارب الأصيلة والسليمة التي مر بها المسلمون منذ نزول الوحي وحتى يومنا هذا. وفي مثل هذه المنظومة تتساوى الحقوق والواجبات للجميع، ويكون الهدف هو تحكيم التعاليم الإلهية التي تنشد الأمن والخلاص للبشرية جمعاء في الدنيا والآخرة.

وفي هذه المنظومة تتحدد أيضا طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم بحيث يشعر ولي الأمر، وهو على تمام اليقين، أن المسؤولية الملقاة على كاهله مسؤولية عظيمة جسيمة أمام الله أولا وأمام الناس الذين سيسأل عنهم أمام الله تعالى، فيدرك لذلك أنه مسؤول عما يتعرض له أي فرد من أبناء الأمة، وأن عليه الحفاظ على أرواح الناس وممتلكاتهم وأمنهم وسلامهم... ومن ثم فإنه مسؤول ضمنا عن منع الانحرافات درءا للمخاطر التي تهدد أو تطال المجتمع بأي حال من الأحوال، والتي يمكن أن تطال أصول الدين ومبادئه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾[1].

وكما قال الإمام علي بن أبي طالب (ع): "اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك"[2].

ولم يفت الإمام الخميني (ره) مفهوم الأمن الإسلامي، وكان له في ذلك الكثير من المواقف والأفكار التي تستحق الإشارة إليها ومن ذلك على سبيل المثال:

١- إن الحكومة أقلية ينبغي أن تكون في خدمة الشعب... الحكومة ينبغي أن تكون خادمة للشعب لا مهيمنة عليه.

٢- إن وعي الجماهير ومشاركتها في أداءات حكوماتها المنتخبة ومراقبتها لها وتفاعلها معها، كل ذلك يعد ضمانة لحفظ الأمن في المجتمع.

---

(١) القرآن الكريم- سورة ص- الآية ٢٦.

(٢) نهج البلاغة- شرح محمد عبده- مؤسسة الأعلمي- بيروت- ١٩٩٣م- ص ٢٧٨.

٣- القيادة ليست هاجسا وإنما المهم هو الخدمة، والإسلام أوجب علينا أداءها[٣].

وبقدر ما تكون الأمة متماسكة يكون الأمن الإسلامي مصانا انطلاقا من التكامل الوظيفي بين الحكام والمحكومين، على أن الفرق واضح بين هذه الرؤية والرؤى والنظريات الأخرى التي تركز على القوة بوصفها الحافظ الأساس وربما الوحيد للأمن القومي، وفي مثل هذا قال الإمام الخميني: "إن أية قوة عظمى عرضة للسقوط والانهيار إذا ما حرمت من حماية الشعب وتأييده"[٤].

وعندما تستند الأمة الإسلامية إلى مثل هذه القاعدة على أساس قويم متين فإنها ستكون قادرة على تحصين وجودها وكيانها ومقدراتها وثرواتها من الآفات الداخلية والأخطار الخارجية، وعندئذ يصح القول بأن الأمة تمتلك ناصية أمورها، وتقدر على تلبية متطلبات الحفاظ على أمنها والدفاع عن نفسها ضد ما يتهددها من أخطار الطامعين والمستكبرين.

بهذا المعنى ذاته قال الإمام الخامنئي (دام ظله): "كان الغربيون يسعون إلى الإيحاء بعدم وجود تواؤم بين سيادة الشعب وسيادة الدين، إن الإمام الخميني بدد هذا التصور الباطل ليس بالكلام والاستدلال فقط بل بالعمل الجاد والمؤثر. لقد برهن بتأسيسه الجمهورية الإسلامية الإيرانية على سيادة الشعب النابعة من الدين، وقدم هذا الانموذج الرائع للعالم، وإزاء ذلك فإن كل من يريد مكافحة أمريكا مكافحة عملية وفعالة عليه أن يقرن خدمة الشعب بمحاربة الفساد والتمييز والفصل الطبقي، إن عليه ألا يقر له قرار وهو يرى أدنى فساد في أجهزة الدولة"[٥].

إن الحديث عن الأمن الإسلامي بمعزل عن تحقيق إنسانية الإنسان أولا ليس إلا ضربا من ضروب الحديث العقيم، ولن يؤدي الغاية المرجوة في الوصول إلى نتائج إيجابية، ذلك أن بناء الشخصية المسلمة وتربيتها وفقا لتعاليم ديننا الحنيف، هي مفتاح لكل خير، ولكن شريطة الاستناد إلى أسس سليمة، ومتوافقة مع ما أراده الباري عز وجل للإنسان، هذا المخلوق الوحيد الذي أراده تعالى أن يكون خليفة له في الأرض، قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[٦].

---

(٣) حميد أنصاري: حديث الانطلاق- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني- ١٩٩٦م- ص ٢٩٤- ٢٩٥م.

(٤) المصدر السابق- ص ٢٩٥.

(٥) من خطاب الإمام الخامنئي أمام الشعب الإيراني في الذكرى السنوية (١٤) لرحيل الإمام الخميني، حزيران ٢٠٠٣م.

(٦) القرآن الكريم- سورة البقرة- الآية ٣٠.

وعندما تكون الأرضية قائمة على دعائم التقوى الصادقة يكون بناء الإنسان القويم سهلا، ويكون تفجير القدرات الخلاقة الساعية إلى خدمة المجتمع الإسلامي شبه نتيجة حتمية.

الإمام الخميني (قدس سره) يسمي الإنسان: "عصارة جميع الكائنات في العالم"، ويقول: "الإنسان أعجوبة يمكن أن يصنع منه كائن إلهي ملكوتي أو كائن جهنمي شيطاني"(٧). ويضيف في مكان آخر قائلا: "إن إصلاح العالم إنما يتم باصلاح الإنسان"(٨).

وعلى أي حال ليس من الصعوبة أبدا استنتاج أنه إذا كان أمن المتجبرين المستكبرين يتمثل بالأسلحة العاتية، الجهنمية، الشيطانية، والاعتماد على حفنة من المرتزقة الذين باعوا أوطانهم، وخانوا أمتهم، وضمائرهم، ودينهم... فإن الأمن الإسلامي يحرسه الإنسان المجاهد الصابر المسلح بالمستطاع من القوة، والذي يستطيع بالتوكل على الله، وبإيمانه بنصر الله تعالى وتأييده، وبالأخذ بالأسباب التي وفق ما أمرنا به الله تعالى... أن يبدد الظلمات، وينتصر على أعتى الطغاة. قال تعالى العليم في كتابه الكريم: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾(٩)

من هنا فإن طرح مسألة الأمن الإسلامي في هذا الكتاب ليس ضربا من الترف أو التنظير، وإنما هو حاجة مصيرية تنبع من الظروف الموضوعية التي نتجت بفعل الأحداث والمستجدات المتسارعة في أنحاء العالم، وخاصة في منطقتنا الحساسة والحيوية. والسؤال الذي يطرح ذاته في هذا السياق هو:

- أين تكمن أهمية الأمن الإسلامي؟ وكيف السبيل إلى تحقيقه في ظل الأوضاع الراهنة؟

أرجو أن تكون الإجابة على هذا السؤال واضحة من خلال مجموعة الأبحاث والحوارات والندوات التي نأمل أن يستفيد منها القارئ الباحث الحريص على أمن أمته... ونقول أخيرا إن الإسلام يريد السلم والأمن والأمان لجميع البشر من دون استثناء، فقد انتشر الإسلام من جزيرة العرب بسرعة فائقة، وامتد من الصين إلى المحيط الأطلسي واستوعب في طريق انتشاره أمما وأعراقا ولغات وثقافات، وألوانا من البشر والألسن والعادات والتقاليد التي يصعب حصرها بدقة، ولكن أشهرها من حيث الأعراق العرب، الفرس، الأكراد، الأتراك، الهنود، الفينيقيون، الصينيون، الروم، البربر، الأفارقة... ولكل من هؤلاء ثقافاتهم ولغاتهم وآدابهم الأصيلة، التي لم يجدوا أمام عظمة الإسلام ورحابه صدره أي مانع أو حرج... في اندماج هذه الثقافات في ثقافة واحدة هي ثقافة الدين الحنيف، الثقافة الإسلامية.

وعامة يمكن القول إن الإسلام قد نجح في صهر هذه الأعراق جميعا ومزجها معا، وحيثما لم ينجح الصهر الكامل فقد نجح التعايش إلى حد كبير، ويرجع الفضل في ذلك إلى تعاليم الإسلام وثقافته المتسامحة، الأخوية، الإنسانية... وليس بالضرورة إلى سلوك الحكام،

---

(٧) الإمام الخميني: الكلمات القصار – ص ١٧٣م.

(٨) المصدر السابق – ص ١٨٤.

(٩) (سورة محمد – الآية ٧).

فالقرآن الكريم يدعو إلى التعارف والتآخي وتذكر الأصل الواحد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١٠).

وفي الحديث الشريف أيضاً الكثير مما يحضُ الناس بقوة على نبذ العصبية والعرقية والقبلية وعصبية اللون واللسان... ويؤكد الأخوة الإسلامية العامة كما جاء في قوله ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذممهم أدناهم، وهم يد على من سواهم"(١١).

وكذلك قوله: "يا أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحدٌ، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى"(١٢).

وكذلك قوله: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"(١٣).

وقد نشأ المسلمون على هذا التوجه، وقد حفظنا ونحن صغاراً قول الشاعر:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم من أصلهم نسب ... يفاخرون به فالطين والماء

لقد كان سقوط بغداد المريع في يوم الأربعاء ٩ نيسان ٢٠٠٣م على أيدي قوات الاحتلال الأميركي منعطفا تاريخيا في حياة الأمة وشكل صدمة كبرى على مستوى مراجعة الذات وإعادة النظر في الحسابات المتصلة بسيرورة المستقبل الإسلامي في أكثر من صعيد. ويبدو أن احتلال العراق بعد زوال حكم الطاغية صدام حسين الذي يتحمل المسؤولية الكبرى فيما حل بالشعب العراقي والعرب والمسلمين من إذلال ومهانة جراء هذا الغزو، هو مقدمة لخطوات عدوانية أخرى من قبل الولايات المتحدة. الأمر الذى

يستدعي التعامل مع هذا التحدي على أرضية صلبة من الفهم العميق لطبيعة الصراع مع عدو لا يخفي نيته في إقامة نظام عالمي جديد محكوم بالقانون بل بالسلوك الأمريكي المتعجرف

إن أمريكا ومن لف لفها أو كان وراءها من الصهيونية العالمية لا يريدون أن يفهموا

---

(10) القرآن الكريم- سورة الحجرات- الآية ١٣.

(11) أبو داود و ابن ماجة و أحمد.

(12) البخاري من خطبة الوداع.

(13) مسلم و النسائي و أبو داود.

طبيعة الإسلام هذه، وإنما يريدون أن يلصقوا بالإسلام مما انطوت عليه ضمائرهم من الأحقاد السوداء ليصوروه إرهابا وعنفا وترويعا، وما الحرب على العراق، وقبلها أفغانستان، والتهديدات السافرة لإيران وسوريا ولبنان، ولدول إسلامية أخرى على الطريق مثل تركيا، ودول الجزيرة العربية... إلا خطوة سافرة على طريق محاربة الإسلام والمسلمين.

إن التحقيقات الصحافية التي أجريناها وضمناها هذا الكتاب تتناول موضوعات حساسة وخطيرة مثل الإرهاب والتطبيع، وبخاصة ملف رؤية الإمام الخميني لمفهوم إزالة إسرائيل من الوجود، أفرزت فهما لجوانب من المؤامرة التي تستهدف هويتنا الإسلامية، وإذا كان الوعي المطلوب راهنا هو وعي أساليب الهجمة الأمريكية الصهيونية المعادية للأمة الإسلامية، فإننا وجدنا ضرورة تحديد أولويات نهوض الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، وكلها ملفات نشرتها صحيفة كيهان الواسعة الانتشار في إيران، وضعنا من خلالها آراء النخب الفكرية والسياسية العربية والإسلامية أمام الرأي العام، وهي مهمة قد تكون مهنية في جانبها الفني، لكننا أردناها مهمة تقع في نطاق المسؤولية التي يجب أن ينهض بها الصحافي الملتزم بقضايا أمته. وقد وجدنا في ردود الفعل الإيجابية من أوساط مختلفة في بحوث ومتابعات سابقة عاملا مشجعا لكي نضع هذه الحوارات والدراسات في كتاب يساهم في تسليح الوعي، ويقاتل على جبهة الفكر والسياسة هذه الجبهة التي ربما تكون أخطر الجبهات على الغرب المتصهين المزود بأقوى آليات العلو والاستكبار، مستفيدا من الدور الصهيوني التدميري في قلب العالم الإسلامي، وليكون هذا التوجه بداية البداية في عملية تقويض الأمن الإسلامي وهدم دعاماته تدريجيا.

وختاما أرجو أن يكون في هذه المساهمات ما يوضح كل هذه المواضيع للقارئ الكريم في زمن بات فيه من الضرورة بمكان العودة إلى الأصول والجذور وإعادة الأمور إلى نصابها، على الأقل من الناحية النظرية. عسى أن يكون في هذا بعض الفائدة والله الموفق وعليه قصد السبيل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾. صدق الله العلي العظيم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

حميد حلمي زادة

دمشق/ أيلول (سبتمبر)/٢٠٠٣م

رجب ١٤٢٤هـ

المحور الأول

رؤية الإمام الخميني
لمفهوم إزالة إسرائيل من الوجود

المشاركون في ندوة الإمام الخميني ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود

من اليمين: الشيخ نبيل الحلباوي- الأستاذ خالد عبد المجيد- الأستاذ أبو هادي منير- الشيخ محمد مهدي التسخيري- الحاج حسن حدرج- الدكتور طلال ناجي- الأستاذ أبو فاخر- الصحفي حميد حلمي زاده الدكتور نشأت حمارنة.

إرادة الله وكرامة الشعوب هي التي يجب أن تنتصر، هذه خلاصة فلسفة الإمام (ره) في موضوع تحرير الشعوب من الإستكبار والاستعمار لذلك فإن اختلال ميزان القوى لصالح إسرائيل في موضوعنا لا يشكل عائقاً برأي الإمام عن التصميم على تحرير فلسطين، كل فلسطين.

في حديث له إلى زعماء منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٨٠/٧/١٦ يقول الإمام:

"إنني أنصح الزعماء الفلسطينيين أن يكفوا عن الزيارات والتنقلات وأن يعبئوا شعبهم بالاتكال على الله ويسددوا أسلحتهم لمحاربة إسرائيل حتى الموت. وإن هذه الزيارات تؤدي إلى أن تفقد الشعوب المناضلة أملها فيهم". لم يسمع زعماء م.ت.ف كلام الإمام بل لم ينفذوه وبعد مرور ٢٣ عاما لنرى ماذا حدث لهم.. نفس ما توقعه الإمام إذ أنهم لم يحققوا شيئاً وسببوا كثيراً من التراجعات والخراب والموت والأسر وخاب أمل الشعوب المناضلة فيهم.

إسرائيل غدة سرطانية يجب أن تزول، كلام موجز دقيق معبّر، إن استئصال جزء صغير من هذه الغدة سيبقي هذه الغدة في الجسم ويكون سبباً لتلف الجسم كله، أي جسم الأمة الإسلامية وليست فلسطين شأناً فلسطينياً خالصاً كما يقول الإمام بل هي قضية جميع المسلمين، أينما وجدوا..

حين كان يتعرض للأذى من بعض المراجع في النجف كان الإمام يقول ببساطة وهدوء أنني أقبّل أيادي هؤلاء المراجع لماذا؟ لأنه يعرف أن هناك عدوا رئيسيا ولا يجوز أن نتركه من أجل خصومات ثانوية.

حين كان يقوده شاب إيراني إلى سجن الشاه أبدى الشاب خجله بنظرة بسيطة منه فهمها الإمام على الفور وقال له يا بني قم بواجبك.

حين كان يقف في وجه الاستعمار والصهيونية لم يناور ويهادن لا قبل الثورة ولا بعدها بل بمجرد أن انتصرت الثورة استبدل السفارة الإسرائيلية بسفارة فلسطين مع أن الفلسطينيين ليسوا كلهم معه وقتها ولا يفيده هذا التصرف العاجل من الناحية السياسية الدولية.

حين أفتى بجواز دفع سهم الإمام الواجب إلى الفلسطينيين كان اول من فعل ذلك متحديا كل الآراء المعارضة.

نعم كان الإمام يحمل نفسا كبيرة وشخصية عظيمة ولا نريد أن نكيل المديح بقدر ما نريد ان نقرر حقيقة علمية واقعة.

العالم كله محضراً لله، جملة قالها الإمام وهو في الطائرة في طريقه إلى ارض الوطن حين سأله صحفي معه في الطائرة عن شعوره وهو يعود لبلده بهذه الطريقة بعد هذه السنين... ووصل ولم يقبل الأرض ولم يقم بحركات مسرحية كما عودنا الزعماء العاديون وانما كان هادئا في وطنه، في غربته، في سجنه، في كل مواقف حياته وقبل ذلك في عام ١٩٦٤ قال الإمام في بيان اصدره بعد أن

ناقش العرب في مؤتمر قمتهم تحويل مجرى نهر الأردن قال: إنني أسائل ماذا تنازعون إسرائيل على نهر الأردن، إن فلسطين كلها مغتصبة فاعملوا على إخراج اليهود منها أيها المتشاغلون بأنفسكم.

وفي عام ١٩٦٨ قال الإمام: كنت قد ذكرت سابقاً أن إقامة دولة إسرائيل الغاصبة خطر عظيم على الإسلام وأخشى أن يهمل المسلمون هذا الكيان ويضيعوا الفرصة من بين أيديهم وبعد ذلك لا يمكنهم فعل شيء وعلى سائر المسلمين عموماً أن يدفعوا جرثومة الفساد هذه بأي نحو كان وأن لا يقصروا بمساعدة العاملين لهذا الغرض ويجوز صرف الزكاة وكل الصدقات لهذا الأمر.

نعم لم يحمل رجل في العصر الحديث كالإمام هذا الهم وذلك لأنه سار على النهج المحمدي الأصيل والنهج الحسيني الأصيل لذلك فحين قال الشهيد محمد باقر الصدر: ذوبوا في الإمام كما ذاب هو في الإسلام فإنه لم يجانب الصواب في ذلك فقد كان للإمام نظرة إنسانية وإسلامية أصيلة تعتبر الكرامة الإنسانية أساساً لها ويمكن لهذه النظرة أن تشكل نموذجاً مناسباً لتحرير الشعوب من الهيمنة الفكرية الاستكبارية وما يتبع هذه الهيمنة من أمور خطيرة على مستقبل الشعوب.

وحيث أن أحداث الحادي عشر من أيلول أكدت أن هذا العالم الإسلامي مستهدف بكامله وبأبعاده الاجتماعية والأيديولوجية مما يدفعه الى التكاتف ليبدو على شكل وحدة لها طابع وسمات مشتركة.

الخطاب الإسلامي السياسي مجموعة من الخطابات التي يجمع بينها قاسم مشترك واحد هو التضامن الإسلامي في الحدود الدنيا وحين قامت الثورة الإسلامية في إيران تمكنت بذكاء وبراعة من تعميم خطابها السياسي شرقاً وغرباً فتحدثت عن أمة إسلامية مما جعل الغرب يشعر بالذعر من هذا التعميم ودرجة التأثير التي أحدثتها في الأمة الإسلامية.. وهكذا عادت الأمور اليوم كما كانت أول مرة وأصبحت تحتاج للأسلوب الحسيني في تحفيز الأمة وتحريضها نحو الفعل الإيجابي المؤثر.. لا سيما بعد أن تسرب الوهن في نسغ الأمة ونسيجها وألصقت تهمة الإرهاب لتصبح سيفا مسلطاً على رؤوس كل الذين يدافعون عن الحقوق الأساسية للأمة وللدين بالأسلوب الاستشهادي الحسيني.

وقد عقدنا ندوة في عام ١٩٩٨ بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة فلسطين وتسعة أعوام على رحيل الإمام الخميني (ره) إلى الرفيق الأعلى وقد شارك في هذه الندوة الأساتذة والمفكرون:

١- الشيخ نبيل حلباوي- داعية إسلامي سوري.

٢- الدكتور طلال ناجي مفكر فلسطيني.

٣- الدكتور نشأت حمارنة- مفكر أردني.

٤- الحاج حسن حدرج- مفكر لبناني.

٥- الأستاذ أبو هادي منير- باحث فلسطيني.

٦-الأستاذ خالد عبد المجيد- مناضل فلسطيني.

٧- الشيخ محمد مهدي التسخيري- من علماء الدين الإيرانيين.

٨- الأستاذ أبو فاخر- مناضل فلسطيني.

* في بداية الندوة نطلب من السادة المشاركين إثراء المحور الأول والخاص بدور الإمام الخميني "قدس" لتغيير المعادلات الإقليمية والدولية وتأثير هذا الظهور أثر انتصار الثورة الإسلامية وعلى امتداد حياة الثورة الإسلامية.

**** الشيخ نبيل حلباوي(*) :**

في ظني أن الإمام رضوان الله عليه إنما انبعث من عمق الإسلام ليعيد هذا الإسلام الذي طالما همش وحجم وسطح إلى ممارسة دوره إسلاما منفتحا على قضايا الأمة متفاعلاً مع امالها ومطامحها يتسع لكل الأمة ولكل أفراد الأمة مهما كان دينهم وانتماؤهم. الإمام الخميني في الواقع أعاد هذا الإسلام الذي طالما ارتاع منه المستعمرون والمستكبرون أعاده إلى الساحة وإعادة كما ينبغي وكما يليق بالإسلام أن يعود هذا الدور الذي قام به الإمام إنما صدر فيه عن عمق فقهه وعرفانه وفهمه للإسلام ونهله من ينابيع ومصادر الإسلام الأصيلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن مدرسة أهل البيت "عليهم السلام" ومن تاريخ الإسلام الجهادي الثوري الذي يتجلى في كربلاء ويتجلى في صراع المسلمين مع كل أعداء الإسلام إلى الساحة والإسلام في الواقع قادر على أن يكون في الساحة ولكن لم يكن هناك من يحمل عبء هذا الإسلام ولم يكن هناك من يستطيع أن يفهم الإسلام حق فهمه وإن يقدمه حق تقديمه حين عاد الإسلام إلى الساحة بدا وكأن المعادلات الإقليمية والدولية قد تغيرت.

الاستكبار والصهيونية بالذات كانوا قد عاشوا في حلم جميل وتصوروا انهم انتهوا من هذا الإسلام إلى غير رجعة حين عاد الإسلام لا شك أنهم شعروا بالخطورة وهذه العودة انطلقت من خلال دولة طالما عول عليها هؤلاء المستكبرون وهؤلاء الصهاينة في أن تكون شرطيتهم في المنطقة وأن تكون الحليف الاستراتيجي للصهيونية أو ما يسمى باسرائيل المنطقة. فهم كانوا يتصورون أن إيران في معادلاتهم باقية إلى الأبد كما يريدون وكما يحبون وكما يشتهون ولكن إيران فاجاتهم وفاجأتهم من خلال شعبها المؤمن المتفاعل مع العرب والمسلمين والمستضعفين والأحرار في كل أنحاء العالم فاجأتهم إيران مثل الإمام في كل هذه المفاجأة الإيرانية الإيمانية لذا فإنهم اضطربوا. كانوا قد أحكموا طوقهم على إيران وكانوا قد جعلوا خبراءهم في إيران ومستشاريهم وكان الموساد الإسرائيلي يسرح ويمرح في طهران. وكانت إيران- كما قلنا- رأس المدفع الذي سيصب حممه على كل حركة تريد أن تقول (لا) في هذه المنطقة. فإذا بإيران تتحول من خلال

(*) من الشخصيات الدينية المعروفة في سورية.

هذه الثورة الإسلامية الخمينية إلى حليف استراتيجي للعرب وللمسلمين وتتحول إلى خصم لدود لا يقبل المساومة والهوادة في وجه أمريكا ووجه الاستكبار العالمي والمخططات الغربية الاستعمارية وبالذات في وجه الصهيونية. ولأول مرة أصبح المكان الذي كانت فيه السفارة الإسرائيلية تقوم بدور محوري في المنطقة أصبح معقلاً للثورة الفلسطينية في قلب إيران. هذا — لا شك- تحول عظيم بل إن الإمام كان ينادي منذ وقت طويل بأن من أسرار ثورته على الشاه هذا التحالف الخبيث بين الصهيونية والشاه ومع ما يسمى بإسرائيل. لذلك كان الإمام قد وعد مراراً وتكراراً بأنه سيزج بقوة إيران الإسلامية الظافرة إن شاء الله إلى جانب قضية المسلمين جميعا وقضية العرب جميعا وقضية الحرية في العالم ألا وهي قضية فلسطين.

وقد وفى الإمام بما وعد ومن هنا حصل الانقلاب في المعادلات الإقليمية والدولية. بل إنهم عبروا عن ذلك بالزلزال الكبير الذي لم يكونوا يتوقعونه ولم يزل هذا الزلزال يأتي بالمفاجآت إن شاء الله.

*** ما هي تأثيرات الثورة الإسلامية في تغيير مجمل الأوضاع الإقليمية والدولية وأتمنى الإجابة على هذا السؤال من أحد القيادات الفلسطينية:**

** الدكتور طلال ناجي(*) :

بسم الله الرحمن الرحيم في الحقيقة نحن كشعب عربي فلسطيني وكمناضلين فلسطينيين ننظر للثورة الإسلامية العظمى في إيران الإسلامية من زوايا متعددة.

مثل هذه الثورة المباركة كانت إيران في زمن الشاه المقبور تمثل أكبر قاعدة للاستخبارات المركزية الأميركية في هذه المنطقة الهامة من العالم. وكانت هذه القاعدة التي تشكل رأس جسر متقدم للإمبريالية العالمية والصهيونية العالمية تستهدف الوطن العربي من جهة وتستهدف دولا إسلامية وغير إسلامية في شرق إيران وتستهدف مراكز قوى أخرى من المنطقة عموما. وكانت هذه القاعدة تشكل خطراً كبيراً على كل حركات التحرر في المنطقة بل والعالم أجمع. بل إن الوقاحة وصلت بهذا النظام المقبور إلى أنه أرسل أبناء الشعب الإيراني المسلم ليقاتل ثوار ظفار وليخمد تمرد أبناء البحرين احتياطياً استراتيجيا للإمبريالية والصهيونية العالمية. كان هذا النظام يزود الكيان الصهيوني بالبترول والمساعدات المختلفة وبالتالي كان يمثل خطراً على امتنا العربية والإسلامية وعلى الشعب الإيراني المسلم.

(*) الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة.

جاءت هذه الثورة العملاقة بقيادة هذا القائد العظيم الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لتزلزل ركائز الإمبريالية العالمية والاستخبارات الأميركية في المنطقة بل وفي العالم. من هنا يأتي أهمية التحولات التي وقعت في المنطقة فبدلاً من أن يكون هذا البلد قاعدة إمبريالية استخباراتية ضد الشعوب وحليفاً استراتيجياً للاستكبار العالمي والطغيان العالمي لقوى القهر الصهيونية العالمية تحولت بفضل هذه الثورة العظيمة وبفضل هذا القائد العظيم إلى حليف طبيعي وقاعدة استراتيجية لدعم حركات التحرر في العالم وخاصة نحن أبناء الأمة العربية.

ويشرفنا أن نقول.. نحن أبناء الشعب الفلسطيني - إنه كان لنا في هذا الإمام العظيم وهذه الثورة العملاقة الحصة الكبرى. فقد كان جهاد الإمام (رضوان الله عليه) منذ العقد الستيني قبل أن ينتصر في هذه الثورة العملاقة يتركز على محاربة الصهيونية، وكان منذ أوائل الستينيات يقرن ما بين الصهيونية والإمبريالية. ويحض على النضال لتحرير فلسطين والنضال لاستئصال هذه الغدة السرطانية. وكان يحث المسلمين ويقول ليس مسلماً من لا يقاتل سواء الشيطان الأكبر المتمثل بالولايات المتحدة الأميركية أو هذه الغدة السرطانية المتمثلة بالكيان الصهيوني ومن ثم عندما انتصرت الثورة العملاقة، هذه الثورة المباركة بقيادة الإمام الخميني أعطى لفلسطين القسط الأكبر من نتائج هذه الثورة ومن مزاياها ومن إنجازاتها المباركة طردت سفارة العدو الصهيوني من طهران وحولت لتكون سفارة لفلسطين في مبادرة سبقت حتى أقطاراً عربية عديدة في التعاطي مع القضية الفلسطينية بهذه القدسية.

وأيضاً أعلن سماحة الإمام منذ السنة الأولى للثورة اعتبار آخر يوم جمعة من رمضان المبارك من كل عام يوماً للتضامن مع نضال الشعب الفلسطيني ودعا من خلاله المسلمين في العالم اجمع للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية ودعا في خطاباته إنه ليس مسلماً من لا يناضل ضد الصهيونية بل إنه أجاز للمسلمين في كل العالم أن يقدموا الخمس للثوار الذين يناضلون من أجل تحرير فلسطين.

أهمية هذه الثورة وانعكاساتها عالمياً وإقليميا مازالت ماثلة إلى يومنا هذا. بالفعل لقد تغيرت المعادلات وأصبحت إيران المسلمة بقيادتها الثورية مسألة هامة وبنداً أساسيا على جدول أعمال قوى الاستكبار في العالم وقوى حركات التحرر في العالم. عند أولئك سلبي وعند هؤلاء إيجابي.

إيران المسلمة غيرت ميزان القوى في المنطقة. فأصبح العدو الصهيوني اليوم يناقش الخطر الأساسي المتمثل بوجود الثورة الإسلامية في إيران. وحين عقد مجلس الوزراء الصهيوني جلسة خاصة لمناقشة الخطر من امتلاك الثورة الإسلامية في إيران صواريخ وأسلحة تهدد الكيان الصهيوني. ربما هذا ترتيب وتبرير مسبق ضد هذه الثورة المباركة.

أيضاً كل دول المنطقة أعادت النظر في حساباتها. بعد أن كانت بنت حساباتها على

وجود ركيزة أساسية للاستعمار والإمبريالية في منطقتنا وحليفاً للرجعيات المحلية باتت الآن إيران المسلمة حليفاً لنا. حليفاً للمكافحين والمناضلين والشعوب المستضعفة وقبل الثورة الإسلامية في إيران وفيما بعد عززت بأخوتنا في حزب الله المجاهد وأخوتنا في حماس والجهاد الإسلامي كان الإسلام مشوهاً. نحن عندما بدأنا النضال كشباب بدأنا النضال ونحن ننظر للحركات السياسية الإسلامية على أنها حركات مشبوهة لأنها تاريخياً كانت لها علاقات بشكل أو باخر مع الاستكبار العالمي. جاءت الثورة الإسلامية في إيران لتعيد جمال الصورة الإسلامية وأن الإسلام إسلام مقاوم إسلام مجاهد ليس فقط المواعظ والخطب الدينية. هذه الثورة العظيمة جاءت لتثبت هذه المقولة وتقرن القول بالفعل وشكلت منارا لتصدير هذه الأفكار الثورية ألهمت الكثير في المنطقة ليحذو حذو هذه الثورة العملاقة ويتمثلوا أفكارها ويعبروا عن أنفسهم في فلسطين ولبنان وفي اكثر من بلد إسلامي وباتت هذه الصحوة الإسلامية الثورية- نحن هنا لا نناقش المسألة من زاوية الدين- هذه الصحوة التي تعيد للإنسان كرامته وتعطيه حقوقه وتقف في مواجهة قوى الاستكبار التي تسرق قوت الشعب جاءت هذه الثورة لتضع الأمور في نصابها وتشكل ملجأ وملاذا ومرجعاً وحاضنة لكل الثوار في العالم أجمع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

نحن نعلم أن العديد من الثوار من حركات التحرر سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو ثوريين على شتى انتماءاتهم يجدون الآن في الثورة الإسلامية في إيران قاعدة أساسية لنضالاتهم من أجل نيل حقوقهم المشروعة. وهذا أهم تغيير وقع في المعادلة الإقليمية والدولية. هذه الثورة العملاقة منذ أن قامت بقيادة الإمام ثم خلفاء الإمام لاسيما سماحة القائد اية الله العظمى السيد الخامنئي تابعت المسيرة باتجاه تكريس هذه الأفكار الثورية لدعم حركات التحرر والشعوب المستضعفة والتصدي لقوى الاستكبار في العالم وتمكين الشعوب في نيل حقوقها ورفع القهر والاستبداد والبطش الذي يمارس على هذه الشعوب من الحكام الرجعيين المحليين المدعومين من قبل قوى الاستكبار في العالم. من هنا تأتي أهمية هذه الثورة التي نحييها بهذه المناسبة ونخلد ذكرى هذا القائد العظيم الذي أصبح رمزاً للمسلمين في العالم أجمع ورمزاً للثوار أجمع رضوان الله عليه.

*يبدو أن الدكتور حمارنة يرجح القيام بمقارنة حول الدور الإسلامي قبل الثورة في إيران وبعدها بما يتصل في موضوع هذه الندوة فليتفضل.

**د. نشأت حمارنة(*) :

لو أردت- كأحد مناضلي هذه الأمة يزعم أنه مناضل مخلص- أن أتذكر ما هو شعوري وشعور من هم على شاكلتي في إرهاصات الثورة وأمام مخاض الثورة الكبرى في إيران. باختصار أقول أننا لم نكن ننام وكنا ننتظر وصول آخر الأخبار التي تفيدنا بأن هذه الثورة سوف تنتصر أو لا تنتصر. الخطر الذي كان يتهدد الثورة الإيرانية كان خطرا كبيراً وفي حدود تصوري أن الغرب الباغي المعتدي يعرف تماماً الخطر النسبي الذي يمثله الإسلام. ذلك أن الإسلام هو دين العدل ودين الحق: فعودة الإسلام إلى الظهور على المسرح العالمي يعني نهاية المرحلة التي كان فيها يعربد الغرب في العالم كما يحلو له. نحن نعرف أن الإسلام هو دين المستضعفين وهو سلاح بيد الكادحين الذين يبحثون عن رزقهم وكرامتهم في الحياة. ترى ألا يعرف علماء الغرب هذا الشيء عن الإسلام؟ الإسلام ليس سرا فهم يعرفون ذلك ولذلك فقد تمكنوا على مدى قرون عديدة من أن يجعلوا من الإسلام شيئاً آخر في مظهره غير حقيقته وكانوا قد استراحوا من الإسلام من خلال تحييده وإماتة طاقته الثورية وأكثر من ذلك حولوا رموز الإسلام إلى خدم للغرب.

وكانوا هم يطلقون الرصاص باسم السلطة وباسم الحاكمين على الجماهير التي كانت تتمرد على الغرب وتقاتل الاستعمار. دائماً كان في صفوف القانعين الحكام والذين يخدعون الشعوب. ويكدسون الاموال في مصارف الغرب، دائماً كان هناك رجالات يمثلون كذباً ونفاقاً الشخصية الإسلامية. والإسلام كما يعرف الجميع والغرب أيضا بريء من هذه الترهات التي تلصق به. هذا ما يفسر ما قاله الزميل طلال ناجي باننا جيل كان ينظر إلى الحركات الإسلامية على أنها حركات مشبوهة. أي الحركات الإسلامية حركة مشبوهة؟ إنها الحركات التي كان يتزعمها منافقون وكانوا دائماً لا يعرفون إلا خدمة السلطة ومقاومة الثوريين الحقيقيين الذين يريدون أن يعيدوا للأمة كرامتها وللشعب شيئا من العدالة وشيئاً من الاستقرار وإيقاف هذا التيار الذي يجلد الناس.

مع الأسف كان هؤلاء في معظم الأقطار العربية يدعون الإسلام ونحن نعرف بأنهم ضد الإسلام. انا من أسرة مسيحية كما تعلمون وكان والدي ينبهني دائما ويقول أنظر إلى هذا المنافق فانه لا علاقة له بالإسلام. كان يخشى أن تترسب في نفسي أو في نفس جيل الطلبة الذي أمثلهم وأنا فرد منه أن تترسب في أنفسنا أوهام أن هؤلاء الأذناب هم شيء ما في الإسلام في الجامعة

(*) باحث وسياسي أردني.

كنت أقول لبعض الطلبة الذين سماهم الأخ طلال بأنهم الحركات المشبوهة أنهم يجب أن يقفوا إلى جانب الكادحين والفقراء ومعاملة الفقير على أنه إنسان وكان بعض هؤلاء تستقر في أذهانهم أن الإسلام، يعني مدى خدمتك لأولي الأمر وهم يعرفون ببساطة أن أولي الأمر ولأهم الغرب علينا وانه ما خرج إلا ليتركهم هم يقومون مقام الشرطي الأجنبي! لا أبالغ إذا قلت أن ظهور الإمام الخميني لم يكن ظاهرة هامة في القرن العشرين وحسب، وإنما كان ظاهرة هامة في تاريخ الصراع بين الغرب المعتدي وسماحة الشرق الذي يمثل أعراف الأديان السماوية، وما أكثر من هم أبرياء من هذه الأديان وينطقون باسمها وهم أبرياء من السماء وهم أتوا من ممثلي الجحيم وليس من ممثلي السماء. إذا تذكرنا أن الغرب تسارع في مطلع هذا القرن لدراسة مسألة هل انتصرت الحضارة الغربية أم لم تنتصر وكان الجواب في مطلع القرن شاركت فيه طاقات هائلة من العلماء والفلاسفة والمؤرخين والاستراتيجيين بل حتى من رجال الدين من أقصى قيصرية موسكو وانتهاء بمدريد عبر كل أوروبا. إنكم تعرفون، لقد جاء الجواب البسيط: أن الحضارة الغربية انتصرت إلا أنها ستواجه ربما شيئاً من التحدي من هذه الشعوب التي تسكن جنوبي البحر المتوسط وشرقه. إنهم يتكبرون حتى من تسميتنا بأسمائهم. لا يريدون لفظة المسلمين ولا حتى العرب. يريدون أن يقولوا إن هذه الشعوب هي التي لم نقبل بها عندما كان البحر المتوسط بحيرة سلام أيام الفينيقيين، ويريدون أن يقولوا إن هذه الشعوب التي كانت أيام الإسلام ترسل وتصدر وتبشر بالسلم وحسن الجوار والحضارة من الجنوب والشرق إلى الشمال لا يريدون أن يسموا الحضارة الإسلامية باسمها والحل عند أهل هذا المؤتمر هو نقطتان الأولى الحيلولة دون وحدة هذه الشعوب والأخرى الحيلولة دون وقوع التنمية الحقيقية لهذه الشعوب. هنا نتذكر لماذا جاء نابليون ولماذا ضرب محمد علي باشا الكبير في مشروعه ونتذكر لماذا قسموا العالم الإسلامي إلى إمبراطورية سنية، وإمبراطورية شيعية ولماذا أرادوا أن يجعلوا مسيحي الشرق أذناباً لهم وجاليات أجنبية في العالم الإسلامي وهم كانوا بحكم الإسلام أهل كتاب ومواطنين. والدين اختياري ولا إكراه في الدين هم يعرفون كل هذا الكلام عن سماحة الإسلام لكنهم أرادوا أن يزرعوا لهم ما يشبه العملاء في المنطقة وأن يفسدوا على سمعة الإسلام الإنسانية أجمل ما فيها وهي المساواة بين البشر بين العروق، بين المذاهب وإن الإنسان أخو الإنسان.

الغرب إذن هو المعتدي وفي صراع المسلمين أو صراع العرب ضد الغرب المستعمر تشكل الغرب من أجل أن يجعل الدولتين الكبيرتين تركيا وإيران اللتين تقفان في جوار العرب مباشرة حليفتين للعدو في إقامة إسرائيل على أرض فلسطين.

فحينما جاء الخميني لم يأت فقط ليقول ما يجول في خاطر كل شريف في العالم الإسلامي بأن قضية فلسطين هي قضية الحق رقم واحد في العالم. بل جاء ليقول أن المكان الطبيعي لهذه القضايا هو أن نفهم الأمور من وجهة نظر الإسلام، فالإسلام هو الحق والإسلام

هو أن لا ننسى القضايا الرئيسية التي تضعنا في المواجهة مع قوى العدوان في العالم.

لذلك أستطيع الآن فهم لماذا كان جيلنا من المناضلين الذين أخذوا موقفاً لا دينياً أي لا علاقة له بالجهاد الديني في جهاد الاستعمار والإمبريالية والنضال ضد الصهيونية كما ندرك أية طاقة عريقة عمرها قرون تفجرت لأول مرة بعد محمد بن عبد الله (ص) بعد أن وأد بعض المنافقين الإسلام باسم الإسلام وخربوا الخلافة باسم الخلافة وبعد ان اقاموا الملكية باسم قريش. أفهم أنا الآن كيف ظهرت هذه الطاقة إلى الوجود فأنا لست أمام انبعاث إيراني أو فارسي أو شيعي يأتي من الشرق إنما أنا أمام حقيقة الإسلام الباهرة التي ستعطي للإنسانية معنى جديداً افتقدته منذ أيام محمد بن عبد الله (ص).

إذا كنا جميعاً- اليساري منا أو اليميني- الليبرالي والبورجوازي- المتدين أو غير المتدين- نحس بأن فلسطين هي أقدس ما في هذا الوجود لأنها تمثل وحدة الناس الذين ينظرون إلى السماء من وجهات نظر مختلفة. الذين يؤمنون منهم بالوحي والذين لا يؤمنون، الذين يرون هذا الرأي والذين يرون غيره. فلسطين كانت أرض السلام وأرض المحبة ولها مكانتها فإذا جاء الغرب الآن الذي يمثل العلم والمدنية والحضارة جاء لكي يسحق كل هذا الجمال في نفس الإنسانية فهذا يعني تماماً أن الغرب هو ما هو عليه. الغرب المتوحش ليس كالوحش الذي لا يعتدي إلا إذا كان جائعاً بل إنه يعتدي باستمرار. هنا نفهم ما معنى أن يأتي رجل من صلب الإسلام يقول بأن الإسلام هو هذا وليس ما عهدنا أن نعرفه ممن ادعوا بأنهم يمثلون الإسلام بشيء أو بآخر.

أتذكر كيف ذهب أصدقاؤنا إلى طهران وتسلموا سفارة العدو الإسرائيلي. وأتذكر ما كان شعورنا حينما كنا نجد الإيرانيين (في زمن الشاه) يقفون في الحدود الجنوبية في لبنان وكأن الأمر لا يعنيهم كأنهم حياديون بين العدو وبين الجبهة اللبنانية حيث كان الفدائيون. كنت أتصور دائماً وأتذكر وأتمنى لو أنني أكون في تماس مع بعضهم لأسأل كيف يفكر هذا المسلم الذي تعلم منذ الصغر ماذا تعني القدس وماذا يعني الأقصى وماذا تعني القبلة كيف يستطيع أن يكون حيادياً بين إسرائيل الذي يأتي الناس الذين لا علاقة لهم بالدين ولا بالسماء يأتون من جنوب أميركا ومن الهند واليابان ليقاتلوا إلى جانبنا وكيف يقف هذا المسلم لأنه ينفذ تعليمات الشاه، الشاه الذي لم يكن لديه مانع من أن يذل شعبه وأقرب الناس إليه بل وأفراد أسرته، أظن هو نموذج لهذا البشر الذين يذلون كل ما حولهم من أجل البقاء في السلطة مثل صدام حسين وغيره من الحكام المشابهين له.

اذكر كيف ذهب إخواننا الفلسطينيون وتسلموا السفارة. وأذكر كيف رأيت بعضهم في الأيام الأخيرة وهو في شتات من أمره لا يعرف أين يذهب بهم أصدقاؤهم الرسميون الفلسطينيون إلى الاعتراف بالسلم المزعوم وإلى الذل والتنازل عن فلسطين وكأن فلسطين ملك للفلسطينيين.

إنَ وقفة الإمام الخميني كانت واضحة "فلسطين ليست ملكا إلا للفلسطينيين" فإن لي في فلسطين أكثر من أي شخص آخر في الدنيا إذا كان قلبي مع فلسطين حتى ولو لم أرها في حياتي، وإخواننا الفلسطينيون لهم أيضاً في العراق واليمن والمغرب ما لنا، إذن لا يوجد تناقض بين هذا الضمير الذي يعتبر قضيته فلسطين القضية الأولى وبين السلوك الذي لا يكاد يعرف أين الهداية الآن، إنني أرثي لهم الذين يذهبون الآن ويحاولون تفسير ماذا جرى في السلطة الفلسطينية وكيف يتعاملون هم مع العدو وكيف يلعبون ظانين أنهم أشطر من الصهاينة.

هذا الكلام ليس للتاريخ فقط، فهو ما يزال حاداً، ويفعل في النفس حينما ترى أن الأتراك الآن يلعبون اللعبة القذرة نفسها التي لعبوها بالأمس والتي لعبتها الأوساط الحاكمة في إيران آنذاك بأنهم يتحالفون مع العدو رغم أنهم مسلمون.

أستطيع أن أفهم إن الذي ينطق باسم تركيا الآن هو منافق ولا صلة له بالإسلام ولا مكان له في شرف الشعب التركي وأستطيع أن أتذكر رفاقنا الأتراك الذين كانوا يقاتلون معنا في جنوب لبنان وفي الأغوار والذين كان بعضهم مسلما وبعضهم غير مسلم، إنهم كانوا مسلمين لكنهم جاءوا بعواطف غير دينية للقتال في فلسطين. وأتصور أن جنرالات الـ(س آي إيه) الذين يحكمون تركيا هم مثل الجنرالات الذين حكموا إيران ويحكمون بعض البلدان العربية أو الإسلامية الآن.

وإنني لا أستطيع إلا أن أعبر عن تفاؤلي إن شيئاً ما يشبه ظاهرة الخميني سوف تظهر في تركيا وسوف تعيد إلى الشعب التركي شرفه وإلى الضمير التركي مكانة توهجه الحقيقي في النضال من أجل فلسطين ولا أستطيع أيضا إلا أن أتذكر أن أقطاراً إسلامية كثيرة خرجت من مجموعة الاتحاد السوفيتي تحاول إسرائيل الآن السيطرة عليها كما سيطرت على بعض الأقطار الإسلامية. ولا أستطيع إلا أن أتذكر مأساة أندونيسيا والأقطار الأخرى التي يلعب الغرب فيها لعبته القذرة، لعبة إذلال الشعوب ونهب ثروات الأمم من هنا تستطيع فهم المعنى الذي يرمز إليه الإمام الخميني في ضميري. إنه الصورة الحقيقية للإسلام التي طالما الغاها المسلمون وغير المسلمين ممن عرفوا حقيقة الإسلام وتعجبوا من هذا التناقض وما هذا الانفصام بين حقيقة الإسلام وبين ممارسة الحكام المسلمين.

الإمام الخميني إذن في رأيي هو ظاهرة تعطي الإسلام وجهه الصحيح وتجعلنا مطمئنين بأن الإسلام بمعناه الإنساني هو الذي سينتصر، وينبغي لنا أن نناضل من أجل أن ينتصر لأنه دين الحق وسلاح في يد الفقراء من أجل كرامتهم الإنسانية والحضارة الثقافية.

*** أستاذ أبا فاخر نرجو منكم تقديم أية إضافة كما نطلب منكم عرض استهدافات القوى الطاغوتية ضد إيران والمنطقة؟**

** الأستاذ أبو فاخر(*) :

في الواقع أنه ليس إضافة بقدر ما هو تأكيد على ما تفضل به الأخوة. إنهم تناولوا عملياً أبرز الموضوعات التي يمكن الحديث فيها عن دور الثورة الإسلامية في إيران. ومن المؤكد أن الثورة الإسلامية في إيران كثورة معادية للإمبريالية والاستعمار والصهيونية أحدثت حدثاً تاريخياً هائلاً وأوقعت بانتصارها زلزالاً كبيراً جداً في المعادلات الإقليمية والدولية. فإذا بها من جهة قد أطاحت بالشاه ونظام حكمه الذي حول إيران إلى قاعدة من قواعد الإمبريالية والصهيونية التي جعلت من إيران شرطياً في خدمة الولايات المتحدة الأميركية وأهدافها في المنطقة فقد جاءت لتشكل نصرة كبيرة للشعوب المستضعفة. وللشعوب التي تناضل من أجل نيل حقوقها وشكلت منذ اليوم الأول لانتصارها وحتى هذا اليوم في مواقفها وممارساتها تجسيداً لهذا الانتصار الكبير.

من العوامل التي أكد عليها الأخوة هي إعادة التوجه الكفاحي للإسلام. جاءت الثورة الإسلامية في إيران لتستحضر هذا البعد بشكل هام ويعم هذا النموذج في جميع الأصقاع وأعادت الوجه الحقيقي للدين الإسلامي الكفاحي الذي يحث الجماهير المستضعفة على التمسك بزمام أمورها وتناضل في سبيل قضاياها. وأذكر في تلك الفترة التي انتصرت بها الثورة الإسلامية أن بريجنيف وكان في حينها موجوداً لم يجد بداً من أن يقول: "إن الدين الإسلامي عامل من عوامل الثورة".

بينما كان السائد لديهم أن الدين أفيون الشعوب، لا يحث على القتال ولا على الجهاد وهذه الميزة وهذا الأثر الكبير الذي انتزعه الدين و الأهمية التاريخية التي كسبتها الثورة الإسلامية في إيران كثورة معادية للإمبريالية وتنتصر للشعوب المستضعفة وتدعمها وتساندها، فكانت الحملة المسعورة من جانب القوى الاستعمارية لمحاصرتها في مهدها منذ اليوم الأول. وجاءت الحرب مع العراق في خدمة هذه المآرب لإضعاف الثورة الإسلامية وشل قدرتها وكبح جماح تطورها وعدم تمكينها من القيام بالدور الذي كانت تقوم به. ومازال حصار إيران ومحاولات إضعافها والنيل منها، واتهامها تارة بالإرهاب وتارة بدعم الحركات الإرهابية أيضاً في إطار الاستهدافات لجانب القوى الاستعمارية.

وما نلمسه أيضاً بوضوح ليس المساس فقط بسياسة إيران وإنما أيضاً على يد الغرب الاستعمارية ويد الحركة الصهيونية المساس بالدين الإسلامي فإذا ما عدنا لقادة الكيان الصهيوني وما يقولونه في هذا الجانب فإن بنيامين نتن ياهو يقول في كتابه تحت الشمس يصف الإسلام وقداسته بالورم السرطاني ويطالب الولايات المتحدة أن تقدم على ضرب إيران ومقاطعتها وعدم تمكينها من استخدام النفط وغيره من العوامل الأخرى.

(*) عضو قيادة حركة فتح الانتفاضة.

عموماً عوامل عديدة جسدتها الثورة وشكلتها في مسيرتها وقد بدأت منذ أيام الإم الخميني رضوان الله عليه ولا زالت مستمرة على يد قادة إيران وإن شاء الله ستزداد إيران قو ومنعة في تحقيق أهدافها.

***نود التوقف عند رأي المقاومة الإسلامية اللبنانية فيما يخص الدور التغييري للإما الراحل بعد انتصار الثورة الإسلامية؟**

**** الحاج حسن حدرج(*) :**

بسم الله الرحمن الرحيم أنا مع الأخوة بخصوص المتغيرات الإقليمية والدولية من جر انتصار الثورة الإسلامية في إيران أود أن أضيف نقطة أدخل من خلالها لمناقشة الواقع الراهن وتصحيح رؤية قد تكون شابتها بعض الشوائب بفعل عدم وضوح المعطيات.

الإمام الخميني (رض) أسس من خلال حركته وثورته لإرساء نمط جديد مـ العلاقات في المنطقة انطلاقاً من طرحه للمشروع الإسلامي بصيغته الحضارية المتميزة. هذ الطرح أدى في المنطقة العربية والإسلامية إلى إعادة صياغة شبكة العلاقات بطريقة مغايرة ، كان سائداً قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بحيث أن المشروع الإسلامي بات يشكل تكاملاً وتفاعلاً مع الانتماءات الوطنية والقومية واحتضاناً لها لا تصادما معها وعداوة، على اعتبار إن الإسلام هو الإطار والحاضنة الكبرى للأمة بكل تنوعاتها. يحضرني في هذا المجال قول يكرره أحد العلماء الكبار من لبنان يقول: في العالم الإسلامي توجد أكثريتان: أكثرية عربية بين المسلمين وأكثرية إسلامية من العرب.

العلاقات كانت سائدة قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران: العلاقة بين الإسلاميين وغير الإسلاميين كانت علاقة متوترة، علاقة صدامية، علاقة رفض كامل للآخر، لا أتكلم عن الاتجاه الوطني والقومي فقط إنما أتكلم عن الاتجاهين. فاللا إسلاميون كانوا ينظرون نظرة عداء إلى الإسلاميين.هذه النظرة كانت بتاثير عدم الثقة بين الطرفين وأسهمت في تعزيز هذه النظرة مجموعة عوامل ذاتية وخاصة ولا نسقط هنا العامل الذي كان يخدم المشروع الاستعماري الغربي في المنطقة ويفتت شعوبها ويوقع الخصومة بين تياراتها على تنوعها من أجل أن تبقى الهيمنة للمشروع الغربي وللأنظمة المرتبطة به.

أنا أستحضر - كوني عشت التجربة الإسلامية قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها- والفت الانتباه إلى أن الكثيرين من كوادر العمل الإسلامي اليوم في نفس هذا الواقع عاشوا

(*) عضو المجلس السياسي لحزب الله في لبنان.

تجربة ما قبل الثورة وما بعدها. أنا على مستوى الوعي الفكري كنت قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران أنظر نظرة عدائية للوطنيين والقوميين في المنطقة. بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران من خلال الرؤية الإسلامية التي بلورها الإمام الخميني "رضوان الله تعالى عليه" تغيرت هذه النظرة. أصبحنا نرى في التنوع السياسي والفكري في المنطقة حالة يمكن أن تتكامل وتتفاعل ويتحقق من خلال الصدق والإخلاص بين الجميع أنماط من التعاون. أنماط من التنسيق. أنماط من الحوار الذي يمكن أن يؤدي إلى تجاوز الخلافات الفكرية لمصلحة القضايا الكبرى إلى الدخول في أطر من التعاون المشترك لتحقيق الأهداف الكبرى لأمتنا ونحن نعيش حالة التنوع الفكري. أستحضر هذا من خلال التجربة، لذلك أود أن أقول إن صورة الحركات الإسلامية المشوهة قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران أسهم فيها العامل الذي ذكرت وبشكل أساسي حالة عدم الثقة المتبادلة بين الفريقين. ومما عزز النظرة لدى غير الإسلاميين إلى الإسلاميين بالصورة التي ذكرت أن بعض الأنظمة العربية استغلت الإسلام وزادت من خلال إعطاء مسحة إسلامية لممارساتها أن تجعل الإسلام مسؤولاً عن كل الممارسات القبيحة والتسلطية التي مورست في المنطقة وبالتالي صرنا غير قادرين على التمييز بين ما تقوم به الأنظمة التي تدعي الإسلام وبين ما تقوم به الحركات الإسلامية في المنطقة.

نقطة أخرى، الإسلاميون في العقود التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية وهم يحملون مشروع الإسلام كانوا يواجهون بحالة قمع شاملة في المنطقة. وهذا القمع أدى إلى نشوء حالة من الصراع أبعدت الإسلاميين عن الاهتمام بالاولويات التي ينبغي الاهتمام بها في مواجهة المخاطر الكبرى وأهداف المشروع الصهيوني، وبالتالي لم ينخرط الإسلاميون في المشروع الجهادي والنضالي ضد العدو الصهيوني في تلك الفترة لأن مجموعة العوامل هذه حالت بينهم وبين الانخراط. الذي حصل، أن انتصار الثورة الإسلامية في إيران الذي أعاد تصويب النظرة إلى شبكة العلاقات بدأ يرسي حالة من الثقة والحوار بين الإسلاميين والوطنيين والقوميين في المنطقة وتعززت حالة الثقة والحوار عندما انخرط الإسلاميون بالمسألة الجهادية مع العدو الصهيوني فأصبحوا رواد العمل الجهادي إلى جانب إخوانهم المناضلين في التيارات الأخرى بالمنطقة وبالتالي بدأت تتغير الصورة من صورة قاتمة إلى صورة إيجابية.

أتصور أن هذا الإنجاز الذي حققه الإمام الخميني (رضوان الله عليه) والذي نعيش نحن في ممارستنا السياسية اليوم بركاته من خلال هذا المستوى الحاصل من التعاون. هذا الإنجاز يشكل تغيراً نوعياً في المنطقة ستكون له المزيد من الإيجابيات في المستقبل

بحيث نستطيع أن نصنع مستقبل أمتنا جميعاً دون النظر إلى التنوع الفكري فيما بيننا وبالتالي يمكن أن نعتبر أن هذا الإنجاز له أثر كبير في التجارب التي خاضها الكثيرون في المنطقة والتي نامل أن تتسع الدائرة في هذا المجال، إذا قلنا أن حزب الله في لبنان قدم تجربة نموذجية في الانفتاح وفي شبكة العلاقات والتعاون والحوار مع كل الاتجاهات الدينية والسياسية والفكرية وهذا النموذج في بعض مواقفنا في المنطقة.

ومن هذا المجال نقدر لإخواننا الفلسطينيين، إسلاميين وقوميين ووطنيين هذا المستوى من التعاون والتفاعل بحيث أننا قدرنا تقديم نموذج جديد خال من الحالة العدائية ويؤسس لعلاقة ثابتة ومتينة يمكن أن تقطع الطريق على بعض المجموعات الإسلامية الموجودة في المنطقة والتي لا تزال تعيش في دائرة أخرى وتضيع أولوياتها ولا تقدر حجم المسؤوليات والتحديات الكبيرة التي نواجهها جميعاً في هذه المرحلة، طبعاً أوافق الأخوة على ان الإمام الخميني استطاع ان يدخل الإسلام في هذا العصر إلى صميم المعادلة الدولية ليقدم إسلاماً سياسياً جهادياً فكرياً مستنيراً يمكنه أن يدخل معترك الميدان الفكري والسياسي والنضالي بكل أشكاله ويوجد تأثيراً أساسياً في المعادلات. وأيضاً فإن الإنجاز الذي تحقق بإقامة كيان سياسي إسلامي نموذجي المتمثل بالجمهورية الإسلامية في إيران يشكل حالة استقطاب في المنطقة. إضافة إلى أن الجمهورية الإسلامية بفعل الثورة نقلت إيران من موقع إلى موقع وأصبحت المصير المتفاعل والمتكامل مع المحيط العربي والإسلامي في خدمة قضايانا الكبرى المشتركة.

* لننقل الحديث إلى الأستاذ أبو هادي منير طالبين منه تبيان مميزات الخطاب الإسلامي للإمام الخميني؟

**** الأستاذ أبو هادي منير(*) :**

بدءاً، أوافق على ما تقدم به الأخوة بأن الإمام الخميني رضي الله عنه أعاد الإسلام أو كما أحب ان يسميه بالإسلام المحمدي الأصيل إلى جوهر وقلب المعادلات الدولية وأعاد للأمة وضعها من دور العطالة التاريخية اللا فاعلة إلى قلب التاريخ وأصبحت الأمة ذات دور رسالي حقيقي جاب العالم بأسره.

(*) من كوادر حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

إلا أنـني أود أن أنوه إلى مسألة المعادلات الدولية وأثر الإمام على ذلك، في أنه أضاف شيئاً رائعا وجوهـرياً للفكـر السياسـي الإسـلامي على صعيد العلاقات الدولية والإقليمية إذ أن الإمام بدل من العناصـر الـتي تحكـم تلـك المعادلات من عناصر مادية تقوم على القوة، تقوم على مقدار التأثير إلى عناصـر أخـرى مـن أهمهـا الحـق ضـد الـباطل والعـدل ضـد الظـلم ولذلك كان يدعو الإمام دوماً وأبـداً إلى أن نحقـق معـنى الآيـة الكـريمة (قـل جـاء الحـق وزهـق الـباطل إن الباطل كان زهوقا) فترتبـت علاقـات جديـدة، علاقـات الـثورة وفـيما بعـد الجمهوريـة الإسـلامية في إيـران مـع القـوى الإقليمـية والدولـية، عـلى قـاعدة الحـق ضـد الـباطل، عـلى قـاعدة العـدل ضـد الظـلم، على قاعدة الاسـتقلال ضـد التبعـية. فغـير هـذه الـنظرة، وأزاح الـستار عـن الموقـف الإسـلامي والفقـه السياسي الإسلامي في نظـرته إلى ما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية خارج موازين القوى المادية وقوى الهيمـنة مـن خـلال هـذا المـنظار أعـاد الإمـام ترتـيب الـتحالفات وأعـاد الفـرز بـين المحاور في المعادلة .فتكشـفت بعـض القـوى الـتي كانـت تدعـي الـثورية كـبعض القـوى الفلسطينية التي وقفت مع الـثورة ولكـن سـرعان مـا هجـرت الـثورة لأنهـا لم تهـتم بخـط الثورة ضد أميركا وضد الجاهليات العربـية في المـنطقة كمـا كـشفت بعـض الأنظمـة الـتي كانـت ضمن المحـور الـثوري السوفيتي ولكـن سـرعان مـا انقلبـت وحاربـت الثورة. إذن مجيء الإمام أعاد ترتيب خارطة المعادلات الدولية هـذه. في سياق ترتيب النظرة إلى العلاقة ما بين القوى المناهضة للاستكبار والإمبريالية آنئذ نحن نشير هـنا إلى الوعـي المبكر جدا للإمام في شكل العلاقة ما بين القوى القومية والإسلامية منذ عام ١٩٧٣ في فـتواه الشهيرة عـندما أفـتى بجـواز إعطـاء الزكـاة للمجاهدين في زمن لم يكن في فلسطين الـرؤية بـتلك الوضـوح الإسـلامي ومـع ذلـك أجـاز الإمـام ذلـك. لأنـه يعـي أن جوهـر الصـراع ضـد الصهيونية وإسرائيل الأيديولوجية والفكرية في العلاقة ما بين هذه القوى.

إذن أعـاد الإمـام إدخـال الإسلام في المعادلة ونهض بالأمة إلى دور الفاعلية والعطاء وأعطى قـيماً جديـدة لـلمعادلة الدولـية وأعـاد ترتيـب العلاقـات، وأخطـر مـا في الـثورة الإسـلامية أن الجمهورية الإسلامية وكما وصفها روجيه غارودي أنها وضعت نمط النموذج الغربي في قفص الاتهام بمعـنى أن هـذا الانـبهار بالغـرب وهـذه القوى التي تحلق حول الغرب قامت الثورة بما هي عليه من قوة واستقلالية وثورية فجعلت الكثير من القوى السياسية في المنطقة تعيد النظر مـن جديـد في العلاقـات مع الغـرب على قاعدة أن النمط في النمو الغربي والحضارة الغربية ليس هو النموذج الذي يمكن أن يحتذى أو يحقق الاستقلال والتحرير لكافة الشعوب.

* الحديث الآن للأستاذ خالد عبد المجيد هل من إضافة في هذا الاتجاه؟

**** الأستاذ خالد عبد المجيد(*) :**

بعدما سمعناه لا يسعني أن أضيف كثيراً لكن أعتقد أنه لابد من الإشارة للنقاط التالية مع موافقتي الكاملة على ما تحدث به الأخوة أولاً - ونحن نعيش ذكرى رحيل مفجر الثورة الإسلامية في إيران - أعتقد أن هذه المناسبة في هذا العام لها معان ودلالات كبيرة عن الأعوام السابقة وإذا ربطنا رحيل الإمام الخميني والذكرى الخمسين لاغتصاب فلسطين فإننا نشهد هذا العام على صعيد المناسبتين أن هناك تحولاً كبيراً في الموقف والممارسة على صعيد مواجهة أعداء الأمة وهذا الترابط بين المناسبتين وفي القضية المشتركة له تجسيد عملي هذا العام لاحظناه جميعا ولاحظه كل المخلصين والشرفاء في العالم من خلال العديد من الخطوات والعديد من الفعاليات في العالمين العربي والإسلامي في تعميق المفاهيم والمبادئ والقيم التي طرحها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وفي تعميق الالتزام بقضايا الأمة وفي مقدمتها قضية فلسطين والقدس الشريف. هذه النقطة الأولى. لذلك نعتقد بالرغم من حجم أعداء الأمة أننا لمسنا هذا العام تحولاً كبيراً في الالتزام بالأمة وفي تعميق مفاهيم الإسلام والالتزام.

النقطة الثانية وقد أشار إليها أخوتي قبلي وهي متعلقة برؤية الإمام الخميني لمفهوم إزالة إسرائيل. وفي هذا المجال أعتقد أن هذا الالتزام المبدئي للإمام الخميني هو التزام مرتبط بمفاهيم الدين الإسلامي والتي وردت في آيات القرآن الكريم. وبناء عليه لأن هذا الالتزام العقائدي للإمام الخميني وما تعمق فهمه لدى جماهير الأمة قد تجسد بخطوات عملية خلال المسيرة الطويلة من الكفاح والجهاد الذي خاضه ابناء الأمة سواء على الصعيد الفلسطيني أم العربي أم الإسلامي بشكل عام وتجسد كذلك من خلال موقف يترسخ يوماً بعد يوم بعيدا عن المهادنة لهذا الكيان وكما أشار الأخوة أن هذا الكيان يمثل غدة سرطانية لابد من إزالتها والتزام الأمة بهذا المفهوم الذي يزداد يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام وهذا ما يبشر الأمة الإسلامية بتحقيق أهدافها ومواجهة أعدائها في المرحلة القادمة.

الجانب الآخر، أعتقد أنه يتعلق بالمشروع الإسلامي بشكل عام والمشروع الإسلامي على الصعيد الوطني. وكما أشار الأخ الحاج حسن فإن المشروع الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية تجلى في تعميق مفاهيمه وفي نجاحاته على صعيد الأمة من خلال سياسات جسدتها الجمهورية الإسلامية في إيران نابعة من المفاهيم التي طرحها الإمام الخميني والموقف والدور الريادي الذي تضطلع به الجمهورية الإسلامية في ايران في هذه المرحلة يجب أن نفخر به ويعتز

(*) أمين عام جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.

بـه كـل مسلم على صعيدين: الأول يتمثل في تعميق أواصر التعاون والتنسيق بين الجمهورية الإسـلامية الإيرانـيـة وبـين الأمـة العربـيـة وهـذا مـا أرعب الولايات المتحدة. واعداء الأمة يعملون لـيل نهار لفـك هـذا الترابـط الـذي يـتعمق يومـا بعـد يـوم والـذي له معـان ودلالات كـبيرة في المستقبل إذا مـا تجسـد عـلى صـعيد العمـل وعلى صعيد تعزيز هذا التعاون في المجالات المختلفة وليس في مجال واحد.

الجانـب الآخـر في هـذا المجال هـو مـا وصـلت إلـيه الجمهوريـة الإسـلامية الايرانـية عـلى الصـعيد الإسـلامي في هـذا الموقـف الطـليعي والـريادي في قـيادة الأمـة وقـد تمـثل ذلـك في نـتائج مؤتمـر القمة الإسلامية الذي عقد في طهران والذي كان في عداد التراجع قبل هذا المؤتمر إلا أن اضـطلاع الجمهوريـة الإسـلامية بهـذه المسؤولية وانعقـاد المؤتمـر في طهـران ومـا صـدر عنـه من قـرارات ومـتابعة طهـران لهـذه القـرارات وعلاقـتها المـتطورة مـع الدول الإسلامية جعل من هذا الـدور والعمـق الإسلامي الكـبير دورا تخشـاه الإمـبريالية الأميركـية ويخشـى ذلـك أعـداء الأمـة أعـتقد أن هـذه المعـادلات الـتي جرت على أكثر من صعيد والتي أشار إليها أخوتي قبلي ولا أريد تكـرارها سـواء في القضاء على نظام الشاه وضرب ركيزة أساسية من ركائز الإمبريالية العالمية الـتي كـانـت تعمـل ضد الأمة إلى معادلة تكون لصالح الأمة الإسلامية وتكون جسراً للترابط مع الأمـة العربية في مواجهتها للمشاريع المعاديـة. هـذه القضـايا هـي الـتي قلبت المعادلات وأهميتها تـتأتى مـن كـونها تـتعمق يومـا بعـد يـوم وتحقـق النجاحات يوماً بعد يوم وتجني الثمار على مختلف الصعد التي ينبغي لنا أن نفخر ونعتز بها، وشكرا.

* سماحـة الشـيخ محمـد مهـدي التسـخيري كـيف تصـورون الحالة الخمينية في الخطاب والثورة والدولة؟

** الشيخ التسخيري(*) :

لـو رجعـنا شـيئا مـا إلى الـتاريخ أعـتقد ان الأخـوة عارفـون بأن في ذلك الزمن كـان هناك الكـثير ممـن يعـتقد ان من غير المكن أن تنهض أمة أو يـنتفض شعب وهـو تحت سيطرة معسكر الشـرق ولا يدخـل في معسـكر الغـرب وبالعكس. هذه كـانت قـاعدة أساسية تنطبق على جميع الحـركات الثورية وأكثر القادة السياسيين للحركات الثورية حيث كـانوا يعتقدون بأنه إذا حصلت ثـورة بإقامـة دولـة فلابـد أن تكـون تلك الدولة تابعة لمعسكر الشرق إذا كـانت خارجة من المعسكر الغربي أو العكس.

(*) من علماء الدين الإيرانيين - مستشار ثقافي سابق.

بالنسبة لإزالة إسرائيل من الوجود لابد أن تترجم عمليا، الإمام الخميني تحرك وانتقل من مرحلة الشعار إلى مرحلة الشعور بالواقع. قدم ثورة نموذجية. ثورة تتكل على الشعب نفسه وتتكل على المبادئ الإسلامية الحقيقية التي كان يعبر عنها الإمام الخميني كما قال زميلي بالإسلام المحمدي الأصيل.

ومع الأسف الشديد كان الكثير من الحركات الوطنية والقومية لم يفهم الإسلام وكثير من الحركات الإسلامية أيضاً لم تكن تفهم الإسلام. فكانوا يظنون أنه إذا أرادت حركة إسلامية أن تتحرك فلابد من أن تطرد الآخرين. الإسلاميون يظنون هكذا. أما غير الإسلاميين أيضاً يظنون أنهم إذا أرادوا أن يتحركوا فلابد أن لا يدعموا الإسلاميين أولا يتماشوا معهم. الإمام الخميني في حركته الثورية اثبت انه من الممكن ان يتحرك الجميع نحو هدف واحد وهو إزالة الظلم والطاغوت وإسقاط هذا الطاغوت ثم السعي لبناء دولة. والكل يتفق: كيف استطاع الإمام أن يقود الثورة ولم نسمع يوما ما أن الإمام طرد حركة أو حزباً أو مجموعة وطنية أو قومية عن المشاركة معه في النضال ضد الشاه. وأيضا أثبت الإمام (قدس سره) بانه ممكن أن يتحرك شعب من دون أن يستخدم العنف للإطاحة بالنظام. لان العالم الآن عندما يصور الإمام الخميني يصوره إنسانا إرهابيا عنيفاً يحب الدم يحب القتل وغير ذلك. لكن عندما نلاحظ حركة الإمام الخميني منذ ١٩٦٣ وحتى انتصار الثورة الإسلامية لم نر في أي من فتاواه أو أي كتاب يسمح للشعب الإيراني والحركات الجهادية أن تحمل السلاح ضد الشاه. أبد لم نلمس هذا الشيء. بل بعض الحركات كانت تذهب إلى الإمام في النجف الأشرف وتطالبه بأن يسمح لها بحمل السلاح لضرب الشاه وكان يرفض هذا الشيء لكن نفس هذا الإمام عندما يصل إلى قضية فلسطين كان يقول لو دخل إسرائيلي في إيران فيجب عليكم قتله ومن يقتل في هذا الطريق فهو شهيد إن شاء الله. وكان يفرق بين مسألتي الكيان الغاصب ومقارعة الشعوب للأنظمة الظالمة. الحكمة الموجودة في هذه الحركة الثورية النموذجية هي من أجل ألا تقع بعض الشعوب كما وقعت مع الأسف في الجزائر مثلاً. نحن لا نبحث عن الأدلة من هو المقصر ومن هو غير المقصر. كي لا تقع كما وقعت بعض الشعوب من خلال النضال مع أنظمتها في طريق خاطئ أو أوقعتها الانظمة في هذا الطريق بحيث أساءت لصورة الإسلام ولصورة الحركات الإسلامية وحركة الإمام أعطت نموذجا لثورة قائمة على وجود شعبي وتماسك شعبي مبدأه الإسلام وهو دين الفطرة ودين الإنسانية. هذا النموذج الأول وهو المقدمة الأولى لإزالة إسرائيل.

والطريق لإزالة إسرائيل هي إقامة دولة إسلامية. هذه الدولة الإسلامية استخدمت فيها أروع الطرق الاخلاقية وأروع الأساليب الديمقراطية بالمعنى الواقعي للكلمة والآراء الحرة التي صوتت لهذه الدولة من بدايتها.. عندما انتصرت الثورة الإسلامية طالب قائد الثورة الشعب

واستشاره هل يقبل هذا الطريق الذي تحرك فيه أم لا؟ فهو قاد المجتمع الإيراني بالإسلام ثم قال لهم هل تقبلون الإسلام أن يكون حاكماً عليكم أم لا. هل تقبلون الجمهورية الإسلامية أم لا؟ وهكذا استمر. في الواقع نحن نرى أن الإمام لاحظ أمراً مهماً في المعسكر الشرقي وهو يعيش حالة استبدادية منذ زمن طويل الاستبداد في المجتمع الشرقي هو أمر مترسخ. وهذه الحالة الإستبدادية يمكن أن نتابعها من الحياة العائلية إلى النظام. حتى في بيوتنا. نحن لدينا في الأحاديث ما يتناول تربية الطفل ويقول اتركه سبعا وأدبه سبعاً وشاوره سبعاً. أو سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين. الإسلام يعتبر الشاب الذي عمره ١٤ سنة فما فوق يعتبر رأيه في البيت كرأي الأب والأم. كم من العوائل تتعامل مع الطفل هكذا؟ الروح الاستبدادية تتوسع من العائلة إلى المنطقة إلى المدينة. وهكذا إلى الحكام والإسلام خلاف هذا الشيء الإمام الخميني جاء لينقل المجتمع الإيراني- من مجتمع مستبد إلى مجتمع حر وديمقراطي الذي هو معنى الإسلام الواقعي. لهذا أنا أتذكر أنه كانت هناك رسالة من المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر للإمام الخميني قال فيها بإمكان انتخاب نخبة من العلماء لإدارة البلاد وإمكان تنفيذ هذا بعد ست أو سبع سنوات فقال له الإمام بأنه يريد أن يرعى هذا الشيء خلال حياته فربما لا يستطيع أحد بعده ممارسة هذا الدور. كان الإمام يؤكد على إجراء الانتخابات سواء البرلمانية أو الرئاسية حتى في زمن الحرب حيث كان البعض يقول بعدم ضرورة ذلك بسبب حساسية الوضع الراهن آنذاك، لكنه كان يصر على إجراء الانتخابات في موعدها المقرر حتى وإن كانت المدن تضرب بالصواريخ. لماذا؟

لأنه كان يريد أن يكشف للعالم بأن هذا الإسلام الذي تتصورونه مقلوبا وليس كذلك أو كما قال الإمام علي (ع): لبس الإسلام كلبس الفرو مقلوبا. لقد تطرقت إلى هذين الأمرين لأن عالمنا يحتاج إلى شيء يقتدى به وكلنا يعلم أن الديمقراطية الغربية لها إيجابيات رائعة لكنها لا يمكن أن تكون أسوة للشرق لأن هذه الديمقراطية اوجدت وصنعت لمجتمع غربي فالشرق كان يبحث عن ديمقراطية ودولة مبنية على آراء الشعوب، دولة لا تحكم برئاسة دائمة او ملوك او أمراء دائمين. بل مبنية على آراء الشعب. والآراء التي يقدسها ويحترمها الإسلام. لذا نحن نلاحظ ان الدولة عندما تكون مبنية على آراء الشعب لا يمكن لها أن تسقط بانقلابات عسكرية خلال أسابيع وعندما اوجدت هذه الدولة التي هي من مبادئها الاساسية ازالة إسرائيل عن الوجود فهذا معناه تحقق ازالة اسرائيل من الوجود عمليا لا بالشعارات، ولا بالاناشيد فقط. عمليا تحرك الامام ليثبت ان هذا الامر ممكن لان البعض يتصور ان هذا الشعار خيالي وطوباوي.

لأن اسرائيل تقوى عسكريا وأمنيا واقتصاديا يوما بعد يوم. لكن أنا أقول عندما كانت تطرح هذه الفكرة قبل خمسين عاماً بأنه في يوم ما من الأيام ستكون للصهاينة دولة تتحكم

وتذل الحكومات العربية بل الحكومات الإسلامية وتسيطر على رقابهم. من منا كان يصدق هذا الكلام آنذاك؟! ربما كنا لا نصغي إليه ونستخفه. أنا أعتقد أن بعض الشعارات إذا سعينا إلى تحقيق مضمونها سوف لا تكون خيالية ومن جملة الشعارات التي نؤمن بها أيديولوجيا ونسعى لها عمليا هي إزالة إسرائيل من الوجود. وهذا الظهور الخميني وهذا التحرك الخميني هو الذي أثبت الطرق العملية ونعتقد بأننا سنصل إلى هذا الشيء بحول الله وقوته.

** الشيخ نبيل الحلباوي:

نحن نريد إزالة إسرائيل من الوجود كما قال الإمام الراحل (رضوان الله عليه) وتعبيره كان واضحاً كل الوضوح حينما قال إسرائيل غدة سرطانية لابد من استئصالها" وفي عبارة أخرى يقول " جرثومة الفساد التي زرعت في قلب العالم العربي بدعم الدول الكبرى والتي تهدد البلدان الإسلامية بامتداد جذور فسادها بمرور الأيام ينبغي أن تستأصل بهمة البلدان الإسلامية العظيمة وشعوبها".

المقصود في هذا الشعار- حسب فهمي- هو أن إسرائيل بما هي كيان! كيان مغتصب عنصري عدواني استيطاني ليس له أي جذور من الواقع والحق والعدل لابد له أن يستأصل لا يمكن أن يبقى هذا الكيان على أرض إسلامية أو عربية وعلى حساب شعب أصيل كريم عزيز اغتصبت منه أرضه ثم قذف خارجها أو جعل في حالة مواطنيه من الدرجة العاشرة في أرضه وبلده وجاء أولئك الذين جمعوا أنفسهم من شتات الأرض وليس بينهم أي شيء يمت إلى هذه الأرض بصلة حقيقية أو واقعية وإنما هي دعاوي وخزعبلات لا أساس لها من الحق ولا من الواقع جاؤوا ليقيموا ها هنا كيانا. هذا الكيان يتم على حساب فلسطين. على حساب الأمة العربية والإسلامية جمعاء وهذا الكيان يقوم على أبشع أنواع الاستعلاء العنصري وعلى أسوأ حالات الاحتقار لكل الشعوب والقيم التي يحترمها الأحرار في العالم.هذا الكيان لا يمكن أن يبقى على هذه الأرض ولا يمكن التعايش معه ولا يمكن الاعتراف به. لابد من استئصاله من الجذور ونحن هنا نريد أن ندقق في نقطتين: حين نقول نريد أن نزيل إسرائيل من الوجود لا نريد أن نقول إننا نريد أن نستأصل اليهود في العالم. والإمام (رضوان الله عليه) فرق كثيرا بين مسألة اليهود وبين مسألة الصهيونية وركز على أن اليهودية براء من الصهيونية، يعني موسى (ع) يقدم في القرآن كبطل يقف في وجه الاستكبار والفرعونية الظالمة وينطلق مع المستضعفين في حركة ضد كل ألوان الظلم فاليهودية بأصالتها- كما تقدم قرآنيا- براء من هذه الصهيونية وهذه الدولة المصطنعة هي ليست خطراً على العرب فقط وليست خطرا على المسلمين فقط وليست خطرا على الفلسطينيين فقط بل أقول إنها خطر على العالم كله.

العالم كله مبتلى بهذا الكيان ولا شك أن العالم لو فطن إلى حقيقة الأمور كان ينبغي أن يلتقي ويجتمع على إزالة هذا الكيان المصطنع الذي لا أساس له والذي هو ضد أماني كل الشعوب والمستضعفين والأحرار في العالم. ولكن إذا لم يقم العالم بذلك فأولى الناس أن يقوموا بذلك هي الأمة التي ابتليت بهذا العدو اللدود الخبيث وهذه الأمة ستتحمل عن العالم كله هذا العبء وهذه المسؤولية لمصلحة العالم كله. إذن- فيما نفهم نحن- أن هذا الكيان لا يمكن أن نقبل به أو نعترف به أو نعايشه لأن في ذلك تسلما لكل دعاوي الصهيونية العنصرية الاستعلائية الكاذبة وفي ذلك أيضاً قبول بأنه يستشري السرطان جسده؟ وأي إنسان يقبل أن يتعامل مع هذا السرطان ويقدم التحديات لذلك السرطان الذي يفتك بجسمه إلى أن لا يبقى شيء في الجسم العالمي إلا هيمن عليه وسيطر. بل نقول إن إسرائيل ليس عندها أي فهم وأي استعداد للسلام. هي تفهم السلام كصورة أخرى من الحرب فسلامها حرب، ولكن بصورة أخرى، بل لن تقبل بالسلام الذي يحقق لها ما لا تحقق الحرب وأكثر مما تصنعه الحرب. إذن ما الذي نقبله مع هذا العدو؟ العالم كله صدر الينا مشكلة اسمها الصهيونية وأطماع الصهيونية لأرضنا وعلى حساب عرضنا وعلى حساب كرامتنا وعلى حساب مئات الآلاف من شهدائنا وليس من حق العالم أن يفرض أن نتقبل هذا الداء الذي صدره الينا. من حقنا أن نجتث هذا الداء من جسمنا بل من جسم العالم كله وسنكون بذلك قد أسدينا خدمة عظيمة إلى العالم كله وإلى مستقبل البشرية. هذا الذي يروج له في هذه الأيام من القبول بإسرائيل كحقيقة دولية هذا في الواقع مخالف لكل القيم ولكل المبادئ ومخالف لكل ما يحترمه الإنسان في هذا العالم. هل كنا نتصور- من باب الافتراض- ان هذا الكيان أقيم في أرض أوروبية هل كانوا سيسكتون على قيامه سيبقون يرفضونه إلى ما شاء الله. لكن صدروه الينا واستراحوا ثم يريدون أن يلزمونا به لماذا تقف أمة كالصين وتقول أن هونغ كونغ جزء لا يتجزأ مني مهما انتزعوه ومهما وضعتم عليه من الشعارات ومهما وضعتم عليه من الأعلام وتقول تايوان جزء مني وستبقى تطالب بها الى أن تستعيدها؟ لماذا الغربيون يرفضون احتلال النازية لأراضي فرنسا ويعتبر ديغول بطلاً من أبطال التحرير حين يرفض الاحتلال وتعتبر حكومة (فيشي) حكومة عميلة لأنها قبلت بالتعايش مع الاحتلال النازي الاستيطاني الذي كان يريد أن يجعل فرنسا مزرعة للنازية ثم لا يقبل من العرب والمسلمين ذلك؟ نحن في الواقع نرفض بقاء هذا الكيان المغتصب.

هذا الكيان العدواني هذا الكيان الشرس ونحن على ساحتنا المعروفة إذا انسحب هذا الكيان أو الغي هذا الكيان أو إذا انتهى هذا الكيان من ساحة أرضنا المقدسة في فلسطين فاننا سنتعامل كما تعاملنا على مر التاريخ مع اليهود أولئك الذين كانوا يعيشون على ارضنا دون أن يروا منا الا

الرحمة والمحبة والتعامل الكريم. وحتى الثورة الإسلامية عندما أقامت نموذجها طردت إسرائيل من أرضها بما هي كيان مغتصب وطردت أولئك الموساديين ولكنها تعامل اليهود الذين يعيشون على أرضها أحسن معاملة وجعلت لهم عضواً في مجلس الشورى الإسلامي يدافع عن حقوق اليهود. وهم يشيدون بأنهم لم يذوقوا أي إزعاج منذ قيام الثورة والدولة حتى يومنا هذا. وهذا شأننا مع اليهود في أرضنا. سماحة الإسلام ستتسع لكل الآخرين ولكن لا على أساس أن يكونوا مغتصبين أو محتلين أو أن يكون لهم مشروع يدمر وجودنا ويغتال كرامتنا ويستأصل كل حياتنا. لا على أساس أن يكون من ها هنا منطلق تحقيق ذلك الحلم الذي يسمونه (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل) هذا ما أفهمه من شعار إزالة إسرائيل من الوجود.

**** الحاج حسن حدرج:**

أتصور أن إزالة إسرائيل من الوجود هي هدف استراتيجي وهو يحتاج إلى مجموعة مقدمات لابد منها وبالتالي- ونحن أمام الأمر الواقع القائم في المنطقة العربية والإسلامية- نرى أنه لابد من تحقيق مجموعة أهداف مرحلية في سياق التحضير واستكمال كل المعطيات التي تضمن الوصول لهذا الهدف. من هنا اذكر في سياق المقدمات والأهداف المرحلية:

أولاً: انطلاقاً من التجربة الرائدة للمقاومة في لبنان وفي فلسطين لابد من أن نعمل جميعاً على استمرار وتفعيل العمل الجهادي والمقاوم ضد هذا العدو كأمر لابد منه بتأكيد مسألة استمرار الصراع مع العدو. أيضاً نحن نحتاج لاستنهاض الأمة لتأخذ دورها في المعركة مع ملاحظة أن تفاعل الأمة في هذه المرحلة مع قضاياها الكبرى بات تفاعلاً لا يرقى إلى مستوى ما نأمل من هذه الأمة. اذكر على سبيل المثال، عندما يخرج الشعب الفلسطيني في ذكرى النكبة بهذا الحضور الرائع في كل الساحات في فلسطين وفي أماكن التجمع خارج فلسطين في تشييع الشهداء سواء الذين سقطوا في المجزرة التي ارتكبها العدو أو في مواقع أخرى. هذا الحضور الواسع للشعب الفلسطيني لم يلازم حضور لقطاعات واسعة من أمتنا في الميدان وهذا يجعلنا بحاجة للبحث في سبل تحريك الشارع في منطقتنا العربية والإسلامية نستعيد زخم الحضور الذي يؤدي إلى تفاعل كبير في التعاطي مع قضايانا المصيرية. أيضاً المطلوب أن تراجع الأنظمة والشعوب والأحزاب الإسلامية أو القومية وقوى المعارضة في المنطقة، أن تراجع حساباتها وتعيد رسم أولوياتها على قاعدة أن مواجهة الخطر الصهيوني هي أولوية الأولويات. وهذه مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق النظام العربي الرسمي بالدرجة الأولى وعلى عاتق الحركات السياسية المعارضة في المنطقة.

أيضاً وبعد التجربة الفاضحة التي عاشها النظام الرسمي العربي في عملية التسوية منذ بدء

مؤتمر مدريد إلى اليوم، هذه المفاوضات التي دخلها العرب وهم جادون في السعي للوصول إلى ما يسمى السلام العادل وطبعاً هنا إذا أردنا النظر إلى هذه المسألة بموضوعية، السلام الشامل يمكن التحدث عنه، لكن كيف يمكن أن نتحدث عن سلام عادل ويكون هذا السلام على حساب جزء كبر أو صغر من أرض فلسطين وعلى حساب الشعب الفلسطيني. السلام العادل لا يمكن أن يتحقق إلا بإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي وإعادة فلسطين إلى أهلها وبالتالي حتى في الحديث عن السلام الشامل، تجربة عملية التسوية أثبتت أن هذا السلام هو وهم ورهان خاسر والعدو الصهيوني يقدم اليوم الذريعة للدول العربية وللذين راهنوا على هذا السلام المزعوم يقدم الذريعة بأن هذا الكيان لا يمكن أن يتحقق معه سلام حقيقي. إذا قلنا أن السلام العادل مستحيل، أي سلام يمكن أن يتحقق في ظل الثوابت التي طرحها العدو والذي لا يختلف معه عليها أي من التيارات السياسية داخل الكيان الصهيوني سواء حول موضوع الجولان أو حول موضوع الضفة الغربية قبل الحديث عن إعادة الانتشار في الضفة الغربية. العدو الصهيوني يتحدث عن أن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة وهي أرض إسرائيل، موضوع القدس والموقف الحازم الذي يعلنه العدو الصهيوني دوماً وأيضاً موضوع الاستيطان نستطيع أن ندعي بعد أكثر من ست سنوات على بدء عملية التسوية أن العدو الصهيوني بكل فئاته وصل إلى مرحلة نسف فيها أسس ومرتكزات عملية التسوية، وهذا يقتضي أن يقف العرب اليوم ليقولوا بصراحة ووضوح أن هذا السلام سقط كرهان وينبغي البحث عن سبل تحصين الموقف العربي وتعزيز التضامن العربي والإسلامي لمواجهة التحديات التي يشكلها المشروع الأميركي- الصهيوني في المنطقة والذي يستهدف أن نعمل جميعاً على حشد طاقات وإمكانيات الأمة لمواجهة مشروع الهيمنة الأميركي- الصهيوني الذي يستهدفنا والتحضير لإسقاطه. وعندما نصل إلى مرحلة نستطيع إسقاط هذا المشروع بالتأكيد سيكون زوال الكيان الصهيوني ملازماً لهذا الأمر. بالطبع موضوع زوال الكيان الصهيوني بصرف النظر عن اختلال موازين القوى في هذه المرحلة، موضوع يقيني وسيتحقق يوماً من الأيام بعد هذا اليوم أو قرب سنن الكون. سنن التاريخ، سنن الشعوب وارتكازنا إلى الرؤية الإسلامية لهذا الصراع تؤكد لنا أن هذا الكيان زائل لا محالة بإذن الله.

** **الدكتور طلال ناجي:**

أولاً: أريد أن أشير إلى العنوان حول إزالة إسرائيل من الوجود في فكر الإمام الخميني رضوان الله عليه أنا أعتقد أن الإمام (قدس الله سره) عندما نادى بشعار إزالة إسرائيل من الوجود لم يكن يتحدث عن الديانة اليهودية. نحن كمسلمين والإمام الخميني قائدنا وقائد للأمة الإسلامية يحفظ القرآن الكريم ويؤمن بأن القران الكريم يحترم الديانة اليهودية ويقدس ديانة اليهود. بسم الله الرحمن الرحيم: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" وبالتالي فنحن جميعاً عندما نقرأ القرآن نقدس أنبياء اليهود ونحترم الدين اليهودي. نحن نتحدث عن كيان سياسي استعماري كما وصفه الإمام الراحل بأنه (غدة سرطانية في قلب الأمة الإسلامية) فهو يستهدف الأمة العربية والإسلامية. يعتبرون أن الباكستان إذا امتلكت سلاحا نوويا فإن ذلك خطر على الصهيونية تصوروا كم تبعد باكستان عن الكيان الصهيوني. إذا امتلكت ايران أية قدرات متفوقة فإن ذلك خطر على الكيان الصهيوني. نحن نتحدث عن كيان استعماري. أهمية هذا الشعار من جانب الإمام العظيم إن الشعار الأكثر جرأة من قبل واحد من أهم وأبرز قادة العالم الإسلامي. للأسف الشديد إن معظم قادة العالم الإسلامي والعربي يخجلون أو يخافون أن يطرحوا مثل هذا الشعار تحت حجة أن هذا الشعار يمكن أن يغضب الرأي العام. يمكن أن يجلب علينا عداء الرأي العام العالمي. هذا شعار غير حضاري، وغير إنساني. كيف غير حضاري، وكيف غير إنساني؟

نحن لا نتحدث عن الكذبة الكبرى التي روجتها الدعاية الصهيونية منذ أربعين عاما بأننا نريد أن نلقى باليهود في البحر. الحقيقة أنهم هم الذين يريدون أن يلقوا بنا في الصحراء. هم منذ تيودور هرتزل قبل مائة عام يطرحون بأن سكان هذا الجزء من العالم الإسلامي والعالم العربي فلسطين مهد الرسالات السماوية مهد الأنبياء يجب أن يرسلوا إلى الصحراء الأردنية والصحراء العراقية والصحراء السعودية وليس العكس. ثانيا هم ليسوا من سكان هذا الجزء من العالم قد جيء بهم من أصقاع الدنيا ليسكنوا هذا المكان الهام والاستراتيجي في قلب العالم القديم ويشكلوا كياناً سياسيا يخدم أهدافا استعمارية فعندما يجرؤ هذا القائد العظيم على طرح الشعار إنما يريد أن يضع الأمور في نصابها يريد أن يصحح الإعوجاج الذي قام به الاستعماريون منذ مطلع هذا القرن عندما رعوا ودعموا وأيدوا فكرة قيام الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين.

ثانيا: عندنا أمثلة ولو أنها لا تصل إلى السوء الذي يتصف به الكيان الصهيوني اليوم، ولكنها أمثلة تكاد تكون شبيهة إلى حد ما بهذا الكيان. لماذا لا يخجل الرأي العام العالمي والغرب عندما يتحدث عن ضرورة إزالة النظم السياسية التي كانت قائمة في الأمثلة. عندنا مثال زمبابوي، روديسيا، جنوب إفريقيا، كيانات استعمارية جاء المستعمر من أوروبا واستعبد شعوبها وشكلت كيانات انعزالية مارست الاضطهاد والقهر على سكان هذه المناطق ومع هذا أصبح شعار الرأي العام العالمي وشعار الغرب ضرورة تغيير النظم السياسية في هذه البلاد لتعود الأمور الى نصابها ويعود الحق الى أصحابه وها هو اليوم ينعم جنوب أفريقيا وتنعم زمبابوي بعد أن تغير اسمها من روديسيا. نحن لدينا وضع مختلف.؟ حتى الآن يأتينا أفراد من أوروبا ومن روسيا وبلاد الاتحاد السوفيتي السابق والبلدان الشرقية وبلدان العالم المختلفة مواطنون

من هذه البلدان ويحملون جنسياتهم ولهم بيوت في هذه البلاد يأتون إلى فلسطين ويقولون نحن أصبحنا مواطنين في هذا المكان من العالم أليس هذا عهر وقهر. لماذا لا نقول لكل العالم أن هذه الأرض هي أرضنا، هذا الحق هو حقنا، ومن حقنا أن نطالب بتصحيح الامور، نريد أن نزيل هذا الكيان السياسي نحن لا نريد أن نلقي بأحد في البحر. نريد ان نقول لهؤلاء الذين يأتون من بلادهم عودوا إلى بلادكم لم نطالب بذهاب اي يهودي كان يعيش معنا في فلسطين جنباً إلى جنب قبل النكبة. هؤلاء كانوا يعيشون معنا في حالة من التآخي والتسامح حيث لم يشعر الشعب الفلسطيني أو الشعب العربي أو الأمة الإسلامية في يوم من الايام بعداء لليهود كيهود او للديانة اليهودية على العكس تماما إنما هم جاءوا ليستعبدونا ويقهرونا ويضطهدونا ويطردونا من ديارنا وبيوتنا ألا يحق لنا أن نرفع صوتنا عاليا ونطالب بإعادة الأمور إلى نصابها وإعطاء صاحب الحق حقه؟

هذا هو أهمية شعار الإمام الخميني إنه قال للعالم أن هنالك خطأ كبيراً يجب تصحيحه. هناك قرار في الجمعية العامة عام ١٩٧٥ وصفت هذا الكيان بأنه كيان عنصري استيطاني غالبية العالم وافقوا على هذا القرار. قلة قليلة رفضت القرار، ومع هذا للأسف الشديد تغير ميزان القوى الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بعد انهيار حلف وارسو.

أصبحت هذه القلة تسيطر على العالم وتتحكم بمصير العالم هل يجب علينا لكي نكون حضاريين وموضوعيين أن نخضع مواقفنا وإيماننا ومعتقداتنا لرغبات هذه القلة القليلة التي يسود فيها الفساد والظلم وعدم وجود العدل. انظروا لما يحدث هذه الأيام. الإدارة الأميركية التي تتحكم بمصير الكون ورئيس أميركا الذي يسمي نفسه قائد النظام العالمي الجديد يجبن أمام رئيس وزراء هذه الغدة السرطانية هذا الكيان الصهيوني الغاصب. يهدده نتن ياهو بأنه سيشعل واشنطن إذا ما مارس الضغط عليه لتقديم- ليس تنازلات- إنما لإعطاء جزء بسيط من فتات الموائد لأصحاب الحق. الأرض ليست ملكهم إنها أرض محتلة ومغتصبة باعتراف العالم كله ومع هذا يهدد رئيس النظام العالمي الجديد بأنه إذا مارس ضغوطه لإعادة جزء من هذا الحق فإنه سيشعل واشنطن. تخيلوا مدى بلوغ الوقاحة لدى هذا النظام العالمي الجديد.

من هنا أقول أن أهمية هذا الشعار إنه يضع الأمور في نصابها. أنا واحد من المؤمنين أن الدورات الرائجة في العالم ليست الدورات الحقيقية. هي دورات زائفة وإن ادعاء سكان الكيان الصهيوني- ولا أسميهم اليهود- بأن لهم علاقة بمن كان في يوم من الأيام في فلسطين قبل الاف السنين. وهي ادعاءات زائفة اليوم الغالبية العظمى من يهود العالم هم يهود من مملكة الخزر الذين كانوا يعيشون على بحر قزوين الذي تملك الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيه حصة كبيرة، هذه المملكة عندما دمرت قبل قرابة ألف عام تشرد أبناؤها في أوروبا وكل انحاء العالم وهم

يمثلون اليوم ٩٠٪ من اليهود وهم من الأتراك المغول لا علاقة لهم بمن كان في فلسطين في يوم من الأيام ويؤمن بالديانة اليهودية التي نقرها نحن. إذن ليس عيباً أن نضع الأمور في نصابها ونقول هذه هجمة استعمارية جاءت إلى عالمنا العربي والإسلامي من أجل أن تكون رأس جسر لحماية المصالح الإمبريالية العالمية في هذه المنطقة الهامة من العالم وأذكركم بأن أهم أهداف تيودور هرتزل عندما بدأت الحركة الصهيونية الحديثة، عندما عقد مؤتمر ١٨٩٧ كان يؤكد في رسائله إلى الدولة الإمبريالية الكبرى آنذاك بريطانيا إنهم يريدون بناء كيان لحماية طريق الشرق الأقصى الذي يؤمن المصالح البريطانية في هذه المناطق من العالم وخاصة الهند التي كانت تسمى بدرة التاج البريطاني وقبل هذا بمئة سنة- أي قبل هرتزل بمئة سنة عندما جاء نابليون بونابرت إلى الشرق ووقف أمام أسوار عكا وعندما عجز عن اقتحامها أطلق دعوته الشهيرة للغرب بأهمية أن يعوا أهمية إقامة كيان عازل في هذه المنطقة من العالم العربي والإسلامي وإسكان من أسماهم، انذاك باليهود في المنطقة ليعزلوا بين مشرق المنطقة العربية وغربها ويكون رأس جسر لحماية الطرق المؤدية للمصالح الاستراتيجية الاستعمارية آنذاك.

إذن شعار الإمام العظيم إنه بكل جرأة وشجاعة طرح إعادة الأمور إلى نصابها وقال هذا كيان استعماري عنصري غاصب يجب إزالته من الوجود. وتعاد الأمور إلى نصابها وتعاد الأرض إلى أصحابها وبالتالي عندها تصحح الأمور من هنا تأتي أهمية الشعار برأيي.

**** الأستاذ أبو فاخر:**

نعم إن هدف إزالة إسرائيل من الوجود هدف استراتيجي وهو مطلب حق وعدل وبالتالي ليس شعاراً غير واقعي وبالتالي ليس شعاراً إرهابياً ولتحقيق هذا الهدف لابد من حسم عدد من القضايا مازالت محل تباين وخلاف في وطننا وأمتنا. بين قواها وأنظمتها ودولها وقياداتها السياسية وأحزابها وفصائلها.

في المقدمة من هذه القضايا، طبيعة هذا الكيان القائم في فلسطين. لماذا أنشأ؟ ما هو دوره وما هي وظيفته؟ هل هو غدة سرطانية، كما قال الإمام الخميني رضوان الله عليه، وعلينا منع هذه الغدة من التمدد في أرجاء عالمنا العربي والإسلامي فالأخطبوط في نسيج هذه الأمة؟ هل هو ثكنة متقدمة للإمبريالية في قلب الوطن العربي على أرض فلسطين لمنع وحدتها وتطورها ولشن العدوان عليها وخدمة مصالح الغرب الاستعماري والإمبريالية والولايات المتحدة الأمريكية اليوم؟ هل هو دولة عبرية يهودية استنادا إلى توراة مزيفة وليست صحيحة؟هل هو كيان يمكن المصالحة معه والتعايش معه وفي المستقبل سيتطور ديمقراطيا وتعم قوى السلام فيه وتزول صفة الصهيونية وتعود الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها؟ لأننا نعيش في

هذه المرحلة والمرحلة السابقة أيضاً جملة من الطروحات والنظريات كل منها يريد أن يعطي سمة لهذا الكيان وطبيعته. نعم الأساس ما قاله الإمام الخميني (رض) انه غدة سرطانية. نحن، في حركة فتح على سبيل المثال نقول عنها بأنها ثكنة متقدمة للإمبريالية ولابد من احتثاثها ولابد من إعادة الحقوق إلى أصحابها. في سبيل تحقيق هذا الهدف لابد من مراحل كثيرة. واليوم نستحضرها بشكل أكثر ضرورة وأكثر حدة. في البداية لابد من احتواء هذا المشروع الصهيوني. احتواءه لا يمكن أن يتم إلا بمواصلة الاشتباك معه ومواصلة مقاتلته والصراع ضده وعلى أرض فلسطين ولذلك دور أساسي في هذا المشروع وفي خلخلة أمنه واستنزاف قدراته ولكبح جماح عدوانيته التي لا تقتصر على فلسطين فحسب إنما على كل أرجاء الوطن العربي وأطماعه واضحة في عالمنا الإسلامي. احتواء هذا المشروع. يجب أن يتم على أرض فلسطين التي تمثل قاعدة العدوان ومن هنا ينتصب بشكل هام صمود الشعب الفلسطيني المزروع في فلسطين الذي يمثل عددهم أربع ملايين نسمة وهذا بحد ذاته ذخر كبير للعالمين العربي والإسلامي وهذا ذخر أساسي لاحتواء المشروع. دعم النضال الفلسطيني، دعم المقاومة في أرجاء الوطن العربي لاحتواء هذا المشروع. ثانيا احتواء المشروع ومنع تمدده من خلال عملية تطبيع وكل أشكال العلاقة الناشئة مع الكيان الصهيوني. وهنا على ضوء الكثير من القضايا تأتي مسألة تحشيد طاقات هذه الأمة انطلاقاً من أن هذا الكيان غدة سرطانية وأن مهمة مواجهة هذا الكيان هي مهمة الأمة برمتها ونحن نقول أن هذا واجب وطني وقومي وديني وإنساني وكل طاقات الأمة العربية والإسلامية بمختلف اتجاهاتها معنية في إطار احتواء هذا المشروع. هنا تأتي جملة من القضايا في مقدمتها:

تعزيز العلاقات الإيرانية العربية، ومنها تحشيد طاقات هذه الأمة. ومنها شيء غائب عن خطابنا السياسي تماماً ولا نستحضره في ظل هذه المتغيرات، هذه الحشودات والأساطيل الموجودة في منطقتنا. لابد من أن ترتفع الأصوات لمواجهة بقائها والمطالبة برحيلها وأن ننزع أي شرعية لوجودها في بلادنا تحت عنوان مجلس الأمن أو الأمم المتحدة واعتبار وجودها في هذه المنطقة عدواناً ضد هذه الأمة يهدد الأمن القومي والأمة الإسلامية برمتها، بمعنى أننا سندخل في الكثير من التفاصيل والبرامج المرتبطة بتحقيق هذا الهدف. أما التأكيد أن هذا هدف استراتيجي هو مطلب حق وعدل وهو تلمس وتنبه إلى ارتباط هذا الكيان الصهيوني بالمشروع الاستعماري الذي يطال كل هذه الأمة ومن هنا تبرز ضرورة مواجهته واستئصاله. ولابد هنا من التفريق بين الكيان الصهيوني وبين اليهودية وبين حل المسألة اليهودية في سياق آخر يمكن أن يتم من خلال عودتهم إلى البلدان التي جاؤوا منها. الذي كان يعيش في فلسطين يستمر. الفرق بين اليهودية والصهيونية واضح وإن كنا نعتبر كل من على أرض فلسطين اليوم هو صهيوني لأنه في خدمة الحركة الصهيونية.

** **الدكتور نشأت حمارنة :**

انا أريد فقط أن أضيف نقطة تتعلق بما يشبه النقد الذاتي لحركة مقاومة العدو في بلادنا أقصد بهما أولا موقف القوى الإسلامية آنذاك. إسلام ما قبل الخميني ضد العدو الإسرائيلي هذا الدور الذي صور المعركة على أنها بين الإسلام واليهودية. حتى الآن نرى في بعض الصحف التي نظن أنها واعية مثل هذا الكلام الفارغ الخطير والذي يترك في العالم المتمدن أثراً رديئا.

ان إسرائيل لا تمثل اليهود وبالتالي فان المعركة بيننا وبينها ليست معركة بين ديانتين وإنما هي معركة من طبيعة أخرى. والنقطة الأخرى والتي أطلقها عملاء الغرب حين كانوا ومازالوا يحكمون الوطن أو معظم أقطاره والخاصة بإلقاء اليهود في البحر لذلك فان التفسير الذي تفضل به الزملاء كان تفسيراً هاماً إن إزالة إسرائيل لها معنى واضح في أذهاننا ولا يعني إطلاقا ان يظلم أحد. حتى الذين ظلموا في أوروبا من اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد من قبل النازية وفي أيام هتلر وجدوا مأوى محترما لهم في فلسطين وعوملوا أحسن معاملة مع الأسف الغرب الظالم لا يذكر هذه الامور وإن كان بعضهم كتب فيها لكن يعتم على هذه الكتابة. إذن إذا جاز لي أن أتفلسف وأقول إن موقف بعض المفكرين الإسلاميين كان خاطئاً أساسا من تصوير المعركة على أنها معركة دينية وتصوير أدعياء القومية للمعركة بأنها رمي أولئك الذين هربوا من أوروبا في البحر هذا تصور يجب أن نقف عنده. ربما كان أخونا حميد حلمي زاده قادرا في المستقبل على إفراد مناسبة يتطرق بها إلى مثل هذه الأمور تطرقا علميا ودقيقا.

أما النقطة الثالثة التي ينبغي أن أضيفها ولو على عجالة ذلك أنه ليس هنالك من يمثل الذين تهمهم هذه النقطة وهو موقف الحركات الشيوعية في بلادنا وهي كما نتفق جميعا حركات وطنية. إنهم هم أيضا وقعوا في فخ تقسيم فلسطين وهذا برأيي مظهر من مظاهر عدم نضج الحركة الشيوعية بدليل أن ردة الفعل جاءت مرتين مرة من الحركات الشيو[illegible] الأكثر نضجا وقالت بانه يجب أن تزال إسرائيل من الوجود بالمعنى الحقيقي والمرة الأخر[illegible] [illegible]ن الصين، والصين هذه الدولة الكبرى في العالم التي قالت يجب أن تزال إسرائيل باعتبارها [illegible]راً للاستعمار في المنطقة. الحكام العرب كان لهم فضل في أنهم وقفوا إلى جانب الاتحاد الس[illegible]اتي في صراعه الداخلي مع الصين فخسرنا الصين وكسبنا أننا كنا كالنقطة التي أضيفت إلى بحر الاتحاد السوفياتي في معركته مع الصين ونعرف إلى أي مدى وصلت إليه الأمور.

إذن مسألة إزالة إسرائيل من الوجود مسألة يجب أن نعرف كيف نخاطب الرأي العالم العالمي هناك. انا بدافع شيء من الأنانية والافتخار عندي بنت عمرها ٢٥. في برلين أقامت الآن

معرضا بمناسبة مرور خمسين عاما على النكبة. وهو معرض هادئ قدمت فيه وثائق- ولا وثيقة عربية- كلها ألمانية عن القرى التي أزالها العدو من الوجود على مدى خمسين سنة تحت شعار إبادة شعب.

وجميل أن تعرفوا أن إخواننا المسؤولين الفلسطينيين في السفارة الفلسطينية بالمانيا لم يعجبهم المعرض وانتهى الأمر بأن المعرض أصبح الآن حديث الأوساط الوطنية والإسلامية في برلين حيث أخذت مواقف في منتهى الوعي وانا اظن انه ينبغي أن نخاطب الشرفاء في العالم وهم كثر بحقيقة مأساتنا. خرجت أيضاً مظاهرة في برلين اراد احد أصدقائنا أن يخطب فيها فأسكته الفلسطينيون وهو مسؤول فلسطيني كبير وقال لم تركنا نحن نتخاطب مع الأوروبيين. كان شعار المعارضة "مش عيب على العالم أنه لا يستطيع مساعدة الشعب الفلسطيني المسكين الذي جرى فيه ما جرى". هذا ما وددت قوله حول موضوع إزالة إسرائيل من الوجود.

* **نريد هنا أيضاً إلقاء الضوء على أساليب التشويه التي تطال هذا الشعار (إزالة إسرائيل من الوجود)**

** الأستاذ خالد عبد المجيد:

إني أعتقد أنه تم البحث بشكل معمق حول العنوان الأول مع الإضافات المحدودة التالية. إن هذا الشعار الذي طرحه الإمام الخميني رضوان الله عليه مسؤولية مواجهة محاولات تشويه مستمرة من قبل الغرب والصهاينة انه مفهوم إرهابي الخ... من العبارات التي يستخدمونها مسؤولية تقع على عاتق كل المخلصين والشرفاء في الأمة العربية والإسلامية. وانتم تعرفون أن العديد من الأجهزة الاستخباراتية والإعلامية والإذاعات والمحطات الفضائية تحاول وهنا في فلسطين المحتلة توجد إذاعة أميركية تنطق بالفارسية ويوميا تبث ٢٤ ساعة بالفارسية وفي محاولات مستمرة لتشويه هذه المفاهيم وهذه الطروحات سواء على هذا الصعيد أو على أصعدة أخرى. ولذلك أعتقد أن مسؤوليتنا في هذا المجال تقع في تعميق المفهوم الصحيح والرؤيا الصحيحة لهذا الشعار لدى جماهيرنا ولدى المخلصين الشرفاء في العالم أجمع حتى نستطيع أن نعمق في أذهان العالم هذه المسؤولية التاريخية وهذا الحق التاريخي لشعب فلسطين ولأمتنا في أرض فلسطين وحقنا في مقدساتنا في فلسطين. لذلك أعتقد أن النقطة الأساسية هي مواجهة هذه الحملات المشبوهة من الغرب والصهاينة حول هذه المفاهيم وتعميق المفهوم في الحق التاريخي لأمتنا في أرض فلسطين.

الجانب الآخر يتعلق بضرورة دحض كل الادعاءات المزيفة سواء فيما أشاروا له بالسابق في أرض الميعاد من الناحية التي تتعلق بالتوراة المزيفة أو فيما يتعلق بالمرحلة الراهنة بالسلام

المزعوم. السلام الذي يحاولون أن يقنعوا العالم به والعديد من دول العالم يتحرك لإنقاذ ما يسمى بعملية السلام. تقع مسؤوليتنا الآن في دحض مقولات هذا السلام المزيف والتركيز على حق أمتنا في مقدساتنا في فلسطين وليس شعب فلسطين فحسب، الأمة العربية والأمة الإسلامية هذه قضيتها. كيف يتعمق هذا المفهوم؟ كيف تتحمل الأمة المسؤولية تجاه هذا الموضوع؟ الجانب الآخر الذي أود الإشارة إليه أن الأمة الإسلامية في هذه المرحلة بالذات وبعد عصور مختلفة قامت فيها الدولة الإسلامية قديماً وجاءت على هذه المنطقة حملات صليبية وجاء بعد ذلك المشروع الصهيوني لإقامة الكيان الصهيوني وحدثت في الاتحاد السوفياتي ثورة لينين والثورة البلشفية هذه التجربة التي انتهت بما انتهت إليه. الآن نحن بحاجة إلى نموذج جديد لمشروع إسلامي يتعمق في المنطقة العربية ويطرح على الأصعدة المختلفة مفاهيم ومبادئ وقيماً إنسانية تستطيع أن تصل إلى شتى المعمورة بحيث تستطيع أن تحقق هذه المرجعية التي يجب أن تتم القناعة بها، مرجعية إسلامية بمفاهيم وقيم إنسانية حضارية تستطيع أن تواجه هذه الحملات المعادية لأمتنا. وأنا أرى أن المسؤولية التي تضطلع بها الجمهورية الإسلامية الآن رغم أن العديد من الأنظمة العربية التي تسير في فلك الولايات المتحدة الأميركية يحاولون أن يشوهوا هذا الدور الريادي للجمهورية الإسلامية. على شعوبنا سواء على الصعيد العربي أو الإسلامي تقع مسؤولية تعميق هذا الدور الريادي والاضطلاع بمسؤوليتنا تجاه قضايا الأمة. وبالتالي نحن كأبناء للشعب الفلسطيني وأبناء للثورة الفلسطينية وإخواننا في الحركات الوطنية أو الإسلامية سواء في لبنان أو الأقطار الأخرى بالقدر الذي نستطيع أن نعمق هذا الفهم لدى كل هذه الحركات وبالقدر الذي تستطيع الجمهورية الإسلامية الاضطلاع بمسؤوليتها لتشكل مرجعية لهذه الحركات على شتى تياراتها بالقدر الذي نستطيع أن نحقق مشروعنا في مواجهة أعداء أمتنا ونحقق النجاحات على الأصعدة المختلفة.

**** الأستاذ أبو هادي منير:**

هذا الشعار المقدس للإمام العظيم وهو أن إسرائيل غدة سرطانية يجب أن تزول من الوجود يطرح سؤال الإمكانية، وحتى نفهم الإجابة على سؤال الإمكانية، إمكانية زوالها من الوجود علينا أن نعي ما هو مفهوم ومحددات نظرة الإمام للوجود الصهيوني. الإمام ينظر إلى إسرائيل وإلى الكيان الصهيوني كقاعدة ارتكاز شاملة لما يمكن أن نطلق عليه الظاهرة الإسرائيلية وهي ليست بما هي كيان سياسي استيطاني في الحدود الجغرافية السياسية فلسطين فحسب بل الظاهرة كظاهرة إفسادية استكبارية في العالم كله. هذا الفهم الخميني

لإسرائيل منطلقه الإسلام في ذاته ولذلك الإمام رحمة الله عليه عندما يتحدث عن يوم القدس يكرر ويقول أن يوم فلسطين ليس يوم فلسطين فحسب.

بل إنه يوم المستضعفين ضد المستكبرين، ويكرر ويؤكد أن يوم القدس هو يوم الإسلام وإحياء الإسلام وهو يوم عالمي وليس يوم القدس فحسب. إذن الإمام الخميني ينظر إلى الكيان الإسرائيلي كقاعدة ارتكاز لظاهرة إسرائيلية عنوانها الفساد بما هو منطلق من القران الكريم في قول الله عز وجل: "وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض" ليس لفلسطين فحسب بل في الأرض. فالظاهرة الخمينية تمثل الظاهرة لصفوة الخير وصفوة العدل ضد الظاهرة الإسرائيلية والإفساد الإسرائيلي المعاصر بكل أبعاده وبكل تحالفاته هذه النقطة الأولى، سؤال الإمكانية نكتشفه حقيقة من نص الإمام نفسه عندما يقول الإمام لا شرقية ولا غربية.

لنتأمل هذا النص، الإمام يؤكد في هذه المقولة أنك يمكنك أن تدير الصراع ولكن على أن تتحرر من ضغط موازين القوى المحيطة بك. لا شرقية ولا غربية. لانك عندما تتحرر من ضغط هذه الموازين تكتشف في ذاتك من قوة ومن إمكانية للفعل. أنت.لا تستطيع أن تتحكم بالصراع وأنت تحتكم إليه. وهذا هو السبب الذي آلت إليه القضية الفلسطينية اليوم إن الكثيرين ممن استسلموا ذهبوا إلى أوسلو راضخين مستسلمين لموازين قوى الصراع ولكن الإمام أعطانا درسا في شعاره العظيم لا شرقية ولا غربية. أي أنك عندما تريد أن تدخل الصراع ضد أي قوى من قوى الاستكبار يجب أن تتحرر من موازينهم. أن تتجه إلى نفسك.

لذلك الإمام الخميني قاد ثورة. ثورة خاضت ثماني سنوات حرباً وحصارا دولياً ومع ذلك فإن الجمهورية الإسلامية في إيران قائمة على قدميها كقوة إقليمية ودوليه لا يمكن أن يجابهها أحد ولا تخضع لأي ابتزاز وأصبحت يعمل لها الف حساب في النظام الدولي والإقليمي. ورغم أن موازين القوى لم تكن في أية لحظة في صالح الثورة الإسلامية الإيرانية. أيضا موضوع الإمام الخميني عندما يقول: يجب إزالة إسرائيل من الوجود وهذه نقطة ينبغي استثمارها في موضوعة السلام المزعوم اليوم. حتى مفهوم الاحتلال اليوم أصبح يتم الحديث عن الوجود الإسرائيلي على حدود الضفة وغزة في حين الإمام يدعو إلى إزالة هذا الكيان من الوجود وكل مظاهر هذا الوجود وهذه الفكرة يجب أن تعزز من قناعتنا حتى في إقامة شكل من أشكال الكيانية الفلسطينية في حدود غزة حتى لا تصبح جسرا لصهاينة العالمين العربي والإسلامي. الامام يتحدث عن الوجود بما هو غدة سرطانية لأن الغدة السرطانية لا يمكن أن تؤثر على كل باقي الجسم العربي والإسلامي. ولذلك شعار المرحلية وشعار اقامة الدولة الفلسطينية في إطار حدود عام ١٩٦٧ يجب أن يسقط وفق هذا المنظور الإيماني القراني الذي يوجهنا اليه الإمام. ان الامام حينما قال هذه المقولة كان يتحرك بحس الواجب وليس بحس الإمكان.

الإمكان يمكن أن يتحقق بمدى التمسك بهذا الواجب. وكما يقول أننا بمنطق صدر الإسلام.. فإن هزمنا فنحن في الجنة وإن انتصرنا فنحن في الجنة أيضاً. انه يتحرك بمنطق صدر الإسلام الأول وما ظهور حركات المقاومة في فلسطين إلا ثمرة من ثمرات الثورة الإسلامية في إيران.

الشهيد الشقاقي رضوان الله عليه كان يصدر كتابه الخميني الحل الإسلامي والبديل ونفذت الطبعة الأولى قبل أن يصل الإمام الخميني إلى طهران، لقد وجد الفلسطينيون أن هناك نموذجاً يمكن أن يكون حلاً إسلامياً وبديلاً لهذه المشكلة وطريقة لإزالة هذه الغدة السرطانية. موضوعة السلام. أعتقد أن ما يروج تحت شعار الواقعية نقول إن الواقعية لا تعني تشويه التاريخ. القوى عندما تفرض شيئاً لدى اختلال موازين القوى لا يمكن أن يبقى هذا الشيء فوق التاريخ ستأتي لحظة ويزول. لا توجد واقعية معادية للتاريخ. إن كل من يعادي حقائق التاريخ هو اللاوقعي وهو الذي ينكر إمكانية تبدل موازين هذه القوى.

في النهاية أقول أن هذه الاتفاقية هي إهدار للماضي كما هي إهدار للمستقبل بل تحطيم لرصيد التاريخ وإمكانية تغيير موازين القوى ونرى أن شعار الإمام في أن إسرائيل غدة سرطانية يجب ان تزول هو شعار تحرك فيه الإمام بمنطق القرآن ومنطق سنن الله ومنطق التاريخ ومنطق الواقع الذي بإرادة المؤمنين الفاعلة سيزول هذا الوجود ونعتقد ان ذلك ليس على الله ببعيد.

**** الشيخ التسخيري:**

نعتقد من جملة الاليات التي لابد ان توخذ بنظر الاعتبار لتحقيق هذا الشعار هو الخطاب السياسي لابد وأن يختلف هذا الخطاب داخل الدول الإسلامية والعربية والخطاب في الغرب كما تفضل السيد الدكتور. الصهاينه نعتقد بانهم استطاعوا أن يكلموا الغرب بلسانه وأن حكمة بعثة الأنبياء مخاطبة الناس بألسنتهم ولا يعني هذا لغتهم إنما كيفية التحدث إليهم. أي الحديث قدر عقولهم واستطاع الصهاينة في الغرب سواء في أميركا أو في أوروبا أن يتحدثوا مع الغرب ومع أميركا بلغتهم وبلسانهم وباسلوبهم الذي يقنعهم. لكن انا أشعر ان في خطاباتنا قد نقع في خطأ إذ نريد أن نتحدث بنفس الخطاب الذي نمارسه، داخل الدول العربية والإسلامية نكلم الغرب بنفس الخطاب وهذا في بعض المواقع يعطينا النتيجة المعكوسة بدلا من أن نصل إلى الإيجابيات. فلابد من التحدث إلى الغرب بلغته وبلسانه حتى نكسب أصحاب الضمائر الشريفة ولابد أن نقف على شعاراتنا في بلداننا. نحن نشعر بان البعض يقول لا نهتف بالشعارات الرنانة بحيث توذي أميركا أو توذي الصهاينة أو توذي الغرب. كلا، في داخل بلداننا. وخطاباً لشعوبنا لابد ان نعلم ابناءنا ونربيهم ونزرع في قلوبهم الحقد ضد

الصهاينة ونجعلهم يعيشون على هذه الشعارات التي تملأ قلوبهم بالحقد ضد الصهاينة ولابد ان نتحدث مع الغرب، بلسانه لنعرفه بمظلومية الشعب الفلسطيني وكيفية اغتصاب حقه. إني أعتقد أن الخطاب لابد أن يختلف.

الخلط بأن نتراجع عن شعاراتنا في بلداننا أو نصدر هذه الشعارات للبلدان الغربية وقد يوقعنا في خطأ ولا نصل إلى النتائج التي نتوخاها. هذا أول شيء.

الشيء الثاني، حول رؤية الإمام الخميني. كان الإمام دائما سواء قبل انتصار الثورة وحتى بعدها كان يقول إن تحرير فلسطين من يد إسرائيل الغاصبة لا يمكن الا بتحرك من الحكومات والشعوب مع بعضها الشعوب وحدها لا يمكن ان تصل إلى نتيجة بهذه السرعة. لا نقول بأنها مستحيلة. هنا عبارة أمامي للإمام تقول إن اختلافات قادة الدول هي التي تعقد المشكلة الفلسطينية وتحول دونها يعني قيادات الدول والحكام إذا وعوا خطورة إسرائيل بالنسبة الى مناصبهم أيضا وبالنسبة الى حكوماتهم سوف يؤثر عليهم يعني نحن بحاجة إلى خطاب خاص حتى مع الحكومات ولابد وان نسعى الى توحيد الموقف الشعبي والرسمي لكي نصل الى النتيجة المطلوبة.

المحللون السياسيون يعتقدون أن المصيبة والبلاء الذي نزل على شعب فلسطين هو هذا البلاء لم يسببه إلا النفط في هذه البقعة فليته لم يكن كي لا نبتلى بهذا البلاء. نحن نعتقد بأن الدول يجب ان تعي هذا الأمر. النفط يمكن ان يكون الآن سلاحا لنا. لكن بالمستقبل يمكن أن يكون هذا السلاح علينا وكما شاهدنا هذه الازمة الأخيرة كيف استطاع الصهاينة بدعم من الأميركان أن يخفضوا سعر النفط ليوقفوا الكثير من مشاريع الدول الاسلامية والدول المنتجة للنفط. فلا بد من جملة الطرق التي نؤكد عليها هو التحرك الرسمي والشعبي لاتخاذ موقف موحد قبل أن يفوت الأوان.

بالنسبة لمؤتمر مدريد والسلام المزعوم، غاية ما يمكن ان يتوصل اليه قادة الدول العربية هو وجود إسرائيل قوية مستكبرة على جانبها دويلات عربية ضعيفة في كل المجالات وهذا لا يغير في الخارطة السياسية غاية ما يتوصل إليه مؤتمر مدريد هذا. لان الدعم المادي والتمويل التنموي من قبل الغرب لإسرائيل كان واضحا والوقوف بوجه اي دعم وأي رقي أو تنمية للدول العربية هو واضح أيضا. لذا فان الوقوف بوجه هذا المؤتمر امر ضروري.

هناك تأكيد للإمام حول زرع الروح الإسلامية في الحركة النهضوية الفلسطينية وهي في الواقع أن الإمام يريد أن يوسع دائرة الخنادق في مواجهة الصهاينة. يعني بدلا من أن يكون مليون عربي يقاومون الصهاينة يصبح العدد مليارا ونصف يقاوم الصهاينة. بدلا من أن نحشد ونعبئ الجماهير في مهرجانات قد تحل شهريا مرة أو مرتين يمكن أن نحشد هذه

الجماهير في كل صلاة بالمساجد في الدول الإسلامية والعربية وحتى في الدول الغربية. الإمام عندما يؤكد على قضية إسلامية الحركة في النهضة الفلسطينية إنما يبتغي توسيع الدائرة فكلما ازدادت المقاييس ازدادت القوة للدفاع عن القضية الفلسطينية وإسقاط المشروع الصهيوني. لابد أن نؤكد هذا الشيء ليدخل في جميع الحركات لأنه لا منافاة أن تكون فلسطين عربية وتقاتل بروح البلدان الشرقية هم يعتقدون بأنهم تربية حضارية إسلامية ولا ينكرون هذا الشيء يقولون نحن أبناء تربية حضارة إسلامية وإن كنا مسيحيين فنحن عرب لكننا نقاتل بروح إسلامية ونحن فرس لكن نقاتل بروح إسلامية. نتحرك بحضارة إسلامية تلك الذي إذا أردنا أن نفسر الإسلام كما أراده الرسول (ص) لبرز إلى العالم هذه الحضارة الفكرية وهي الحضارة الإنسانية والسلام عليكم.

** مدير الندوة:

الدعوة مفتوحة لمن يريد أن يختم بكلمة يلخص بها موقفه من هذا المشروع.

** الشيخ نبيل الحلباوي:

لابد لنا من أن نسعى جميعاً وراء ثقافة. هذه الثقافة تشمل كل الشعوب الإسلامية وهذه الثقافة تعلم الناس وتحصنهم ضد كل الوان التطبيع والتطويع والتركيع والتمييع للقضية وبحيث نفهم أن القضايا الكبرى قد لا تحل في جيل من الأجيال. فليس من حق جيل أن يصادر دور الأجيال المقاومة في الوصول الى نتيجة وان نفهم ان هذه المسائل لا يجوز أن نسمح في أن تنوب بها الحكومات عن الشعوب في تقرير هذه القضايا. إذا انطلقنا من هذه الثقافة بالإمكان إن شاء الله أن نثق بالنصر والوصول إلى النتيجة الطيبة.

** الأستاذ حسن حدرج:

عندما أعطى الإمام الخميني البعد الإسلامي إنما أراد أن يعالج جانبين. الأول التأكيد على جذرية الصراع مع هذا الكيان مهما كانت الظروف والأوضاع السياسية على قاعدة ان الرؤيا الإسلامية تنظر إلى هذا الكيان على انه كيان غير شرعي ويجب أن يزول من الوجود بصرف النظر عن مقبولية هذا الشعار لدى البعض أو عدم مقبوليته. الجانب الآخر تأكيد جذرية الصراع يقتضي من المخلصين أن يدخلوا في دائرة هذا الصراع بهذه الذهنية وبهذه الخلفية.

مما أدى إلى تهيئة الارضية والمناخ لان يدخل العامل الإسلامي على خط الممارسة الجهادية ضد العدو الصهيوني. ومن هنا نستطيع أن نقول أن انطلاق المقاومة الإسلامية في لبنان كانت ثمرة من ثمار الرؤيا الفكرية والعملية للإمام الخميني في مسألة الصراع مع العدو الصهيوني مع ملاحظة أن المقاومة انطلقت اثناء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ لتواجه هذا التحدي ليس بما يمثل من حالة احتلال لجزء من الارض اللبنانية بقدر ما هو تعبير عن إرادة الأمة في مواجهة هذا العدو الذي يشكل خطرا مصيريا على الامة بأكملها.

**** الدكتور طلال ناجي:**

أريد أن أختم بما يلي: نحن نواجه هذه المنطقة من العالمين الإسلامي والعربي ليس فقط كياناً عنصرياً استيطانياً مؤلفاً من أربعة ملايين غاصب جاؤوا لاحتلال فلسطين وإقامة هذا الكيان. إن هؤلاء يمثلون رأس جسر متقدم لمصالح استعمارية كبرى في العالم. هم يجندون الغالبية العظمى من أتباع الديانة اليهودية مستغلين ادعاءات كاذبة في توراتهم المزيفة من أجل تحشيد طاقات هؤلاء ودعمهم وتثبيت وجودهم في فلسطين. أولئك هم يجندون الملايين من أبناء الغرب عموماً وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية في صفوف حركة صهيونية جديدة تضم عشرات الملايين وليس من اتباع الديانة اليهودية وحسب ويشمل ذلك عدداً كبيراً من المسيحيين في أوروبا وأميركا تحت اسم الحركة الصهيونية الجديدة أو المسيحيين الصهاينة كما يسمونهم وأيضا يستنجدون بالقوى العظمى كالولايات المتحدة الأميركية وهي الأقوى في العالم الآن وإلى حد كبير دول أوروبا الغربية برغم الصحوات التي بدأت الآن تعبر عن نفسها بعدما اكتشفت هذه الدول الصلف والعنجهية الصهيونية والظلم الصهيوني الذي يمارس من قبل الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، أهمية وجود الثورة الإسلامية في إيران وأهمية الأفكار التي طرحها الإمام العظيم وأهمية ما يتم الآن في طهران من قبل خلفاء الإمام الخميني بقيادة سماحة الإمام الخامنئي أيضا إنها حشدت لفلسطين طاقات هائلة كبرى كانت مغيبة. دول كثيرة كانت تنتمي للإسلام اسماً كانت تؤيد الغرب في كل مواقفه وكل سياساته ولم تكن تصب في مصلحة الفلسطينيين ولا مصلحة العرب. الآن هناك دولة رائدة قائدة تتبنى الإسلام بشكل صحيح وحقيقي تتصدى لعملية تحشيد الطاقات الإسلامية وهذا بحد ذاته له صدى ليس فقط في العالم العربي بل في كل العالم الإسلامي وحتى لدى المسلمين الذين يقيمون في بلاد الغرب أهمية هذا أنه وضع إطاراً أو مخططاً لتحشيد مليار وربع مليار مسلم في العالم ليكون طاقة رافدة للجهاد ضد هذه الغدة السرطانية التي تحشد الملايين من أتباع الغرب والدول الاستعمارية. هذه بالحقيقة أهمية الدعوة الإسلامية الصادقة التي نحييها بهذه المناسبة ونتمنى إن شاء الله استمرار النجاحات لهذه الثورة بقيادة آية الله العظمى الإمام الخامنئي.

**** الشيخ التسخيري:**

أعتقد أن الجميع يعرفون بأن الشعب الإيراني المسلم حقق انتصار الثورة الإسلامية في زمن النظام الملكي الذي كانت القوى الصهيونية والإسرائيلية ذات نفوذ واسع في وزارات الدفاع والأمن والإعلام وفي المشاريع الاقتصادية العظمى في إيران كان الشعب يقف في الجهة المخالفة للنظام آنذاك وكان يعتبر من أكبر المصائب عليه أن يكون الحاكم في إيران يدعم هذه الغدة

السرطانية وبعد انتصار الثورة الإسلامية أيضا نحن نلمس أبناء الأمة الإسلامية في إيران أطفالهم يتعلمون ويعرفون فلسطين وهم في الصف الأول الابتدائي. فعندما يفتح الطفل كتاب القراءة الفارسية يقرأ عن فلسطين وعن حياة الطفل الفلسطيني وهذا الترسيخ موجود علاوة على المبادئ التي نحملها في الكبر ترسخ هذه الأمور فينا وإن شاء الله سوف نكون عوناً في جميع المجالات المادية والمعنوية ونرجو من الله أن يوحد هذه القلوب المؤمنة لتكون يدا واحدة ضاربة وتكون المقاومة في لبنان وفلسطين هي اليد النهائية التي تطيح بهذا الكيان العنكبوتي.

نص إعلان يوم القدس العالمي

فيما يلي النص الذي أطلقه الإمام الخميني (قدس سره الشريف)

إيذاناً بالدعوة إلى تخليد يوم القدس العالمي في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك من كل عام[1].

باسمه تعالى: لقد حذرت المسلمين خلال سنوات طويلة من خطر إسرائيل الغاصبة، التي صعدت هذه الأيام من حملاتها الوحشية ضد الأخوة والأخوات الفلسطينيين ولا سيما في جنوب لبنان، بهدف القضاء على المناضلين منهم، فهي تقوم بقصف بيوتهم ومساكنهم بشكل مستمر.

إنني أطلب من مسلمي العالم كافة والحكومات في البلدان الإسلامية، أن يتحدوا مع بعضهم البعض في سبيل مواجهة هذا الغاصب وحماته.

وأدعو جميع مسلمي العالم، إلى اعتبار آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك الذي هو من أيام القدر[2] التي يمكن أن تكون حاسمة أيضاً في تقرير مصير الشعب الفلسطيني- يوماً للقدس، وأن يعلن المسلمون من خلال مراسيم الاتحاد العالمي، دفاعهم عن الحقوق المشروعة والقانونية للشعب الفلسطيني المسلم.

أسأل الله تعالى النصر للمسلمين ضد أهل الكفر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

---

(1) تم إعلان هذا البيان بتاريخ ١٩٧٩/٨/٧م، أي بعد مضي نحو خمسة أشهر فقط على انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران بتاريخ ١٩٧٩/٢/١١ (المؤلف).

(2) حسب الروايات المنقولة في جميع المذاهب الإسلامية، فإن ليلة القدر تقع في إحدى الليالي العشرة الأخيرة في شهر رمضان المبارك ابتداءً من الليلة التاسعة عشر منه. وفي ليلة القدر تتنزل الملائكة والروح بإذن الله، للفصل في كل الأمور المصيرية لأهل الأرض، هابطين بالأمن والسلام على المؤمنين والمسلمين. وتقول الروايات أن يوم القدر لا يقل شأناً عن ليلته ولا سيما في حسم القضايا الكبرى كما جاء في وصف ليلة القدر ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (سورة الدخان).

ومن هذا المنطلق أراد الإمام الراحل أن يقرن بين النضالي الثوري والمعنوي الديني عندما دعا إلى تخليد يوم القدس العالمي في يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان عسى أن يتزامن ذلك مع هذا الحدث الرباني العظيم فيكون فيه خلاص أهلنا الفلسطينيين بل المسلمين والبشرية جمعاء من هذا الكيان الصهيوني الإرهابي المجرم المحمي بالاستكبار العالمي (المؤلف).

المؤلف مع العماد مصطفى طلاس
في مكتبه بوزارة الدفاع في سورية دمشق

العماد مصطفى طلاس في حديث للمؤلف :

الإمام الخميني رائد في مكافحة العدو الصهيوني

الحوار التالي أجريته مع العماد أول مصطفى طلاس لصالح جريدة كيهان العربي- الطبعة الدولية في عدد يوم الثلاثاء المؤرخ ٩ شباط ١٩٩٩م. بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لانتصار الثورة الإسلامية في ايران. وقد نوهت مقدمة هذه الصحيفة الإيرانية المعروفة في العالم العربي بمواصفات نائب القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع السوري كونه أحد رجالات الفكر والثقافة والأدب في بلاده بالإضافة إلى تمرسه في العمل والعلم العسكريين. ونظراً لأهمية حديث الأستاذ مصطفى طلاس فإننا ننقله بالكامل إلى هذا الكتاب:

* نحن في إيران، نعرف العماد أول مصطفى طلاس مفكراً ومثقفاً وكاتباً أكثر مما نعرفه قائداً عسكرياً. فهل لا زالت الثقافة لدى طلاس تشكل اهتماماً متزايداً رغم انشغاله بهموم الدفاع عن وطنه؟

** لا يوجد أي تعارض بين الثقافة والعمل العسكري... بل من وجهة نظري ان العسكري يجب أن يكون مثقفاً ومطلعاً حتى يستطيع مواكبة المستجدات في ميدان العلم العسكري والجنرال شارل ديغول كان قائدا عسكريا لامعا ومع هذا فهو يعتبر احد كبار المثقفين في القرن العشرين. ولعل أهم ما يحتاجه العسكري هو الخيال الخصب حتى يستطيع أن يتصور وبشكل مسبق سيناريو المعركة القادمة.

* في إطار الأفكار والمعرفة، كيف يجد العماد طلاس اليوم فكر المواجهة قبال فكر التطبيع، أو بعبارة أدق فكر الوعي التحرري أمام الفكر الانهزامي وتبريراته؟

** لقد سعت الولايات المتحدة لخدمة إسرائيل ومصالحها وذلك بفرض فكرة التطبيع على الدول العربية عامة والدول الإسلامية القريبة من فلسطين خاصة وقد تنبهت سورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى هذه الدسيسة وقامتا بفضح هذه المناداة على الاصعدة كافة. وحسناً فعل الاب شنودة زعيم الأقباط في مصر وكذلك شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الطنطاوي عندما عارضا فكرة التطبيع وقاوما بشدة الذين انزلقوا إلى هذا المستنقع الآسن. ولا يمكن أن ينسى الجميع أن اية الله العظمى الإمام الخميني قدس الله سره كان رائدا في هذا المجال وقاوم أي تطبيع مع العدو الصهيوني.

* عاصرتم من البداية انطلاقة الثورة الإسلامية. ما رأيكم بالقيادة المرشدة للثورة

والدولة؟

** عندما كان الإمام آية الله العظمى الخميني في باريس يلقي إرشاداته على الاخوة المؤمنين المناضلين كانت ابنتي ناهد في باريس ترسل لي الأشرطة التي تتضمن حديث الإمام على شكل (كاسيت) وكنت أقوم بترجمته إلى العربية وإرسال نسخة منه إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد وكان يقول لي: نحمد الله العلي القدير إننا في نهاية القرن العشرين وأوائل القرن الخامس عشر هجري جاد الزمان برجل دين ودنيا قل مثيله من أيام الإمام جعفر الصادق. وقلنا إن من يحمل هذه الأفكار لابد وأن ينتصر وهكذا كان.

* انفجرت الثورة الإسلامية في ظروف حساسة، وكانت سورية أكثر دولة خفق قلبها لهذا الحدث، ماذا يتذكر طلاس عن تلك الحقبة؟

** عندما هبط الإمام اية الله الخميني في مطار مهرباد وكان في استقباله الملايين من المواطنين الإيرانيين كنا في سورية الأسد نعيش في فرحة العمر الغامرة فلأول مرة نسمع من إيران كلاماً عن الإسلام وعن فلسطين وعن القدس وعن أمريكا ما كنا نسمعه أبداً وكان كل ما يقوله الخميني مطابقاً لما في قلوبنا وعقولنا وانا أربط في ذاكرتي دائما بين فتح مكة وبين انتصار الثورة الإسلامية في إيران لقد كان النصر نصراً لكافة المسلمين وبخاصة المستضعفين.

* ما الذي دفع العماد أول مصطفى طلاس إلى تأليف كتابه القيم رد على الشيطان؟

** كنت في باريس بزيارة خاصة لابنتي ناهد هناك وسمعت بفتوى الإمام الخميني الذي هدر دم الفاسق والمرتد سلمان رشدي.. ويومها تمنيت من كل قلبي أن أكون غير مسؤول في بلدي حتى أنفذ توجيهات الإمام الخميني بيدي شخصياً وكنت سأدعو هذا الفاسق إلى التوبة والاعتذار العلني عن فعلته القبيحة فإن فعل عفا الله عما مضى وإلا سأردد ما قاله الإمام علي:

إن زيـــداً لغيـــورْ   وأنـــا أغـيرُ مـــنهْ

جُـرِّدَ السيفُ لـراسٍ   طـارت النخوةُ عـنهْ

ولعل أفضل ما قيل حول هذه المسألة ما قاله الرئيس الأسد: (أنا لست فقيهاً، فآية الله الخميني عالم مسلم مؤمن، ينطلق فيما يقول من أحكام أو من قواعد إسلامية يؤمن بها، ويناقش الأمور بطريقة تختلف عن مناقشتنا الآن.

هناك أحكام إسلامية تتعلق بمواضيع مثل موضوع سلمان رشدي، وبالطبع نحن لسنا في وضع يسمح بمناقشة مثل هذه الأحكام، بل يناقشها المختصون والفقهاء لكن بغض النظر عن أي قواعد دينية نعرفها، أو لا نعرفها وبغض النظر عن فتوى صدرت أو لم تصدر، فإن سلمان رشدي كإنسان، سيئ... وتصرفه مشبوه جداً، وهو لم يمارس حريته فيما كتب بل اعتدى على حرية الآخرين، هو لم يجر مناقشة موضوعية للدين الإسلامي مما كتبه، ويستخلص النتائج المنطقية التي يريد أن يتبناها، سواء كانت مع الدين الإسلامي، أو لم تكن ولو فعل ذلك لما خرج عن حدود الحرية الشخصية، وحقه فيما يعتقد ولكنه قدم في كتابه، أقذع الشتائم وأحط أنواع التجريح بحق الدين الإسلامي.

هل من الحكمة أو من الحرية، أو من العلم أو المنطق أن يكتب كتاباً يشتم فيه دينا ينتسب إليه ألف مليون إنسان؟ وإذا كان أديباً كما يقول بعضهم. فليست مهمة الأدب شتم الناس، حتى ولو كانوا أناساً عاديين فكيف عندما يتعلق الأمر بنبيّ، أو كتاب مقدس، وبالإساءة إلى مئات الملايين من الناس؟ لذلك قلت أنه سيئ ومشبوه، ولا يوجد هدف بناء في كتابه. كل واحد منا له الحق أن ينتقد الآخر كبشر، لكن ليس له الحق أن يشتم الآخر...

لو كان سلمان رشدي مواطناً سورياً لأحيل إلى المحكمة وكتابه رديء جداً. وهو كاذب فيما يقوله، وهو إما شخص غير طبيعي، أو أن لجهة ما مصلحة في دفعه إلى ما فعل(*).

*كيف تقرؤون الحالة الإقليمية (عربيا وإسلاميا) مع ملاحظة الهجمة الاستكبارية الإمبريالية والصهيونية القائمة.

** إنني أشعر بالحزن العميق للحالة التي وصلت إليها الشعوب الإسلامية والعربية في ظل الهجمة الاستكبارية الإمبريالية والصهيونية. وإن ما يؤسف له حقاً أن بعض الدول العربية تنفذ سواء عن معرفة أو عن جهل كل ما توحيه لها واشنطن وأنا أقول لهم في هذا المجال: علينا أن نتعلم من عدونا الإسرائيلي الدرس الثمين فعندما ترغب واشنطن بأمر يمس ولو واحد من مليون المصلحة الإسرائيلية فإن إسرائيل ترفض بكل عناد التنفيذ ويصل العناد بها إلى درجة الوقاحة كما فعل "نتنياهو" رئيس الوزراء الإسرائيلي بمذكرة (واي بلانتيشن) فرغم توقيعه للاتفاقية مع ياسر عرفات وبحضور الرئيس الأمريكي كلينتون.. فإن

(*) مقطع من حديث صحفي، أدلى به السيد الرئيس الراحل حافظ الأسد إلى بعثة مجلة تايم الأميركية، وذلك بتاريخ السادس والعشرين من آذار سنة ١٩٨٩، عندما سأله السيد ستاكس نائب رئيس التحرير في معرض الحديث عن إيران.

نتنياهو رفض التنفيذ. وأنا لا أطلب من بعض الدول العربية والإسلامية إلا أن يقلدوا في ذلك نهج إسرائيل.

* كشخصية فكرية وعسكرية عايشتم أهم الظروف والأحداث الحساسة والساخنة في المنطقة فترة طويلة من الزمن برأيكم أين تكمن عناصر الوثب والحيوية في أمتنا في مجابهة التحديات القائمة؟

** إن عناصر القوة تكمن في تضامننا وتضافرنا كما عبر عن ذلك الرئيس حافظ الأسد ومرشد الثورة الإسلامية اية الله العظمى الخامنئي في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في طهران(*).. وبهذا وحده نستطيع أن نجابه أعتى التحديات.

*التقارب الإيراني- العربي مطلب سعت كل من طهران ودمشق لتحقيقه والأهداف عظيمة وسامية تنشدها الجمهورية العربية الإسلامية الإيرانية والجمهورية العربية السورية، كيف تنظرون إلى وتيرة هذا التوجه وكيف يمكن إيصال هذا التقارب إلى مستوى الشراكة بل وأيضا التحالف المصيري في مجابهة الاختراقات والتحالفات المشبوهة في المنطقة العربية والإسلامية؟

** إن ما يجري الآن من تقارب وتنسيق بين إيران والدول العربية بمباركة سوريةوكل المؤمنين بحق الشعوب الإسلامية في الحياة الحرة الكريمة يثلج صدر كل مؤمن ومناضل... وإنني أرى في تحالف سورية وإيران والدول الخليجية ومصر مربعا استراتيجيا لا يمكن انتهاكه وإذا كانت أوروبا قد وصلت رغم الحروب الطاحنة إلى كيان دولي وأطلقت عملتها الموحدة (اليورو) فلماذا لا تخطو هذه الدول التي ذكرت هذه الخطوة ويكون هذا التجمع الإقليمي مفتوحا لاي دولة إسلامية في أن تنضم إليه.

وهذا الحلف هو الوحيد المؤهل لمجابهة التحديات الصهيونية التي نواجهها في ظل الاستكبار الأمريكي. وعندما تتوحد في هذا الإطار سوف يكتشف كل العالم أنّ أمريكا سوف ترجع عن غيها في دعم الباطل الصهيوني وترعى مصالحها أولا وبهذا يتحقق السلام العادل والدائم والشامل.

(*) قمة طهران الإسلامية التي انعقدت في شباط ١٩٩٧م- شعبان ١٤١٨.

مبدأ الحقد والكراهية في اليهودية المتصهينة

الدكتور حسين شرف الدين(*)

الصهيونية لا تلتقي إلا مع ذاتها، ترافق الأحداث السياسية مصطلحات لا نعلم مصدر إنتاجها، وغالبا ما يتبين الشك في تضاعيف المصطلح، إذ إنه يوجه الذهن بعيدا عن الموقع الأساسي للتوجهات والمواقف.

التطبيع الثقافي(**) مع العدو الصهيوني من المصطلحات التي تضج في عوالمنا، وتجيش أذهاننا، وتستنفر طاقاتنا لمواجهة القادم إلينا، فاغرا فاه، فنتراكض تخوفا على أطفالنا لنحميهم من تشوهات فكرية محتملة، بينما الواقع أن هذا الوضع بحد ذاته تشوه تزويري لحقائق وضعنا العربي والإسلامي.

أول عناصر التزوير، أن تحصر مشكلتنا بإشكالات ثقافية قادمة، ونتنازل عن الحق العربي والإسلامي بفلسطين، فالتنازل عن الحق إفراغ للذهنية من أسسها المبدئية والعقائدية، وفصل حقيقة الإنسان عن تاريخه وحضارته، وحياة الإنسان تاريخه.

من هنا نميل إلى القول: (أن اكتناه أبعاد وجودنا التاريخي واجب أولي لتعيين هويتنا وكياننا وتقرير مصيرنا، والواحد منا موجود حتما في وضعية فردية اجتماعية، وهذه الوضعية جزء من وضعية اجتماعية تاريخية، إذا دراسة الوضعية التاريخية سابقة على دراسة الوضعية الفردية).

الوضعية التاريخية المستمرة فينا هي الرفض للظلم. وتبني كل العلاقات الاجتماعية والسياسية على هذا المبدأ، فكيف بنا إذا كان الظلم يسقط حق الآخر بالوجود، دون الاكتفاء بالإضعاف وسلب القرار.

(*) لبنان مفكر إسلامي.

(**) هذا الموضوع نشر ضمن سلسلة دراسات ضد التطبيع مع العدو الصهيوني في جريدة كيهان العربي بناء على مبادرة مؤلف هذا الكتاب. وقد اختيرت هذه الدراسة العلمية استكمالاً لملف الندوة نظراً لأهميتها.

الحديث عن التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، حديث يسقط الوضعية التاريخية للمجتمع العربي والإسلامي.إذ أن مبتدأ الحديث يعود إلى بداية طرح المصطلح الذي يعود إلى السنتين الاخيرتين، ويحمل في طياته تناسي، أو بالأحرى إسقاط حق أمة في أرض أسمها فلسطين، وفي قضية أسمها القضية الفلسطينية، وننطلق من الإقرار بالأمر الواقع، ونشرع الاغتصاب، ونجلله بالسلام المدعى، ونطرد كل ما في الذاكرة من مفاهيم، لنتفرغ إلى عارض يراد لنا أن تتمحور حوله كل نضالاتنا.. ولاحكام هذا التمحور حول مصطلح التطبيع، تسوق لنا بوضعية تعطي شكلها الجهادي المناسب. وتحاط بهالة إيديولوجية، ويصور لنا أننا نستشرف الأبعاد، ونشخص المخاطر، وبهذا تستبعد القضية الأساسية، وهي اغتصاب فلسطين وطرد شعبها، وتصبح في طي النسيان.

أرفض مصطلح التطبيع، وأرفض طرحه والحديث عن وجوده وتشكيل ذهننا على انه الهدف الجهادي لنا، لأنني أرفض أن يكون للشعب العربي والشعوب الإسلامية من هدف سوى تطهير الأرض المقدسة من الرجس الذي لحق بها، وليس مسلماً من يستكين لدنس أرض باركها الله.

ورد في الكتاب العزيز ذكر المسجد الأقصى بإضافة القول (الذي باركنا، حوله)، وقد اعتبر علماؤنا أن المباركة تنال كامل بلاد الشام، فلا تقتصر على الحدود الضيقة للمسجد. وحسبنا هذا لتقديم كل تضحية في سبيل كامل الأرض المباركة انطلاقا من تحرير القدس.

ونأتي إلى فرض اخر علينا في هذا السبيل، وهو من محاولة النبي صلى الله عليه واله تدوين وصيته، وهو في لحظات ما قبل لقاء ربه، وحيل بينه وبين التدوين، وقد حصرت كتب التاريخ الوصية بثلاث نقاط ركائز تضمن حياطة حكومة الله، أولاها: إخراج اليهود من جزيرة العرب، والجزيرة حينها هي نطاق الحكم الإسلامي، ونفهم من هذا أن إخراج اليهود يتوسع تبعاً لأية حدود تبلغها بلاد المسلمين.

مثالان ملزمان صادران عن المرجعين الأساسيين لمصادر التشريع الإسلامي. عدا النصوص القرانية المتعددة الواصفة لمثالب بني إسرائيل، وعدا عن مواقف اليهود من النبي صلى الله عليه واله وحروبه المختلفة معهم.

كما أنه بامكاننا استخراج الكثير مما يتوافق مع المصدرين هذين، ويكفي ان نذكر أن الأمة بأبنائها وعلمائها مجمعة على أن التجزئة والتفكيك في الأرض والشعب، هما سلاح العدو الغربي، في مواجهة أي مشروع نهضوي للامة، وأن إقامة دولة صهيونية فاصلة لشرق الوطن العربي عن غربه، هي الضمان الأمثل لاستمرار التفكيك، والعنصر الأساس للإضعاف، وهو الضرورة الحتمية لحماية الوجود الصهيوني وكيانه.

لذلك كان من الفروض العقلية مقاومة التجزئة ومقاومة الاستضعاف ولا يكون إلا بالمقاومة على خطين: الخط العسكري المهدد للأمن الصهيوني وزعزعة الاستقرار النفسي لدى العدو. والخط المدني المعزز لروح الرفض الشعبي المطلق، لكل ما تجريه الأنظمة، دون فصل بين أهداف واستراتيجية الخطين المشتركة، وإلا خرجنا من دائرة الزمن والتاريخ أمام قوى تعمل لتكون (محولة العالم إلى مركز أساس، والى زمن يلغي الأزمنة المحلية الاخرى. ويقوم على طرد متتابع لمقولات عدة، فيطرد مفهوم التاريخ، لانه لا تاريخ بل زمن خاص، وينفي مفهوم وينكر مفاهيم الاختلاف والتباين والصراع والتقدم والمواجهة، لأن هذه المفاهيم، تفترض وجود علاقتين، وثقافة (الانفتاح) الراهنة تقول بعلاقة واحدة مرجعها زمن واحد هو زمن النموذج الغربي المنتصر المسيطر. فتتم إقالة (الانا الوطنية) من التاريخ، والرضوخ لتاريخ جديد لا مكان فيه لغير الذات الرأسمالية الغربية المنتصرة).

الزمن المرغوب إلغاؤه، والتاريخ المعمول على طرده، هما المجال الذي نتحرك فيه التزاما بالحق، ورفضاً للواقع التاريخي المتعارض مع الحق، حتى لا يتم (تحول الصراع العربي- الصهيوني، من حالة الحرب إلى مرحلة المساكنة العربية - الإسرائيلية، اي مرحلة الأمر الواقع الذي فرضته التسوية كمشروع مفروض من الخارج، وكحالة غير شرعية فرضها النظام العالمي الجديد)٠

نحن الآن نتتبع في ما يلي: الذهنية التوراتية، التي تشكل الثقافة الصهيونية والممارسات والأفكار والتأثيرات، مما لا يدع إمكانية لقاء الصهيونية إلا مع ذاتها وتطبع المتصهينين. ومن الصفحات التالية تبرز استحالة التطبيع.

- التنبؤ اليهودي :

قبل أن نستعرض حركة التنبؤ اليهودي نختطف لمحة سريعة عن معتقد اليهود بالمسيح المخلص:

المسيح المخلص، يكون من نسل داوود، له صفات الملك لانه ملك ونبي في ان، وهو افضل الأنبياء بعد موسى، يكون معلماً للتوراة وقاضياً. يأتي ببركات كل الانبياء إلى اليهود، يهزم أعداءهم ويقودهم منتصراً إلى فلسطين ليحكم العالم من هناك بالتوراة.

المسيح المخلص، يأتي قبله مسيح اخر اسمه المسيح بن يوسف من قبيلة افرايم بن يوسف بن يعقوب، وهو موطئ وممهد للمخلص.

يخوض حروباً ثم يسقط صريعاً في اخر هذه الحروب على أبواب أورشليم.

تعجيلاً لظهور المسيح. استعمل اليهود أساليب، منها الإغراق في الذنوب لما جاء في التلمود من أن المسيح يظهر إذا كان الناس مذنبين كلهم او مبرئين من الذنوب تماما.

ومن الأساليب أسلوب التقاة الورعين "الحيديم"، إذ يرفضون صعود أرواحهم إلى السماء، ويعتقدون أن هذا حق طبيعي لا منة لأحد عليهم، مما يحدث خللاً في نظام الكون، وهذا الخلل لا يصلحه إلا المسيح المخلص، وحينئذ لابد من ظهوره.

- التنبؤ اليهودي ضد المسيحية:

بعد التأمل في المعتقد اليهودي بالمخلص، وبالية الظهور. يمكننا استيعاب أسباب حركة التنبؤ الواسعة عند اليهود، والنقطة فيها، ونعرضها بسرعة.

في سنة ٤٤ ميلادية ادعى "ثيوداس" بأنه نبي، وأقنع أتباعه بالاتجاه إلى نهر الأردن، الذي سيفلق بأمر منه كما فعل موسى، فقاومه الحاكم الروماني "فيدس"، وقتل ثيوداس مع الكثير من أصحابه.

في سنة مقاربة قام "يهودا الجليلي" حسبما ورد في الإنجيل: (لأنه قبل هذه الأيام قام ثيوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء، وقد التصق به نحو أربعمائة من الرجال، وقد قتل، وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء، بعد هذا قام يهودا الجليل في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا، فذاك أيضا هلك،وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا).

بين الأعوام ٥٢ و ٥٤ للميلاد،قام يهودي ادعى النبوة وتبعه ٣٠ ألفا من اليهود، وقادهم إلى جبل الزيتون في أورشليم ليحتل المدينة والقلاع، فصدته قوات الحاكم الروماني فيلكس، ودفع أتباع المتنبئ بين قتيل وأسير، وهرب هو و قد ورد في الإنجيل أنه اشتبه ببولس الرسول.

بين الأعوام ١٣٢- ١٣٥ م، كان "باركوخبا" يجوب القرى اليهودية في فلسطين، يدعو للإيمان به مسيحا مخلصا، مدعيا أن سفر العدد يبشر به بالقول: (بأن كوكبا سيخرج من يعقوب) وأن اسمه مأخوذ من الكلمة العبرية "كوخبا" ومعناها "كوكب"، ولما فشل أبدل اسمه إلى "باركوزبا" أي الكذاب، ولكن اليهود يعتبرونه بطلا قوميا، وفي العصر الحديث يذكرون أنه تحققت فيه صفات المخلص أكثر من غيره.

بحدود سنة ٤٤٨ م، وبناء على الاعتقاد بان الخلاص لليهود، سيكون في القرن الخامس الميلادي، خرج من كريت من انه موسى، وأنه سيأخذهم في البحر دون مراكب، ووقف ومن معه على جرف وأمرهم بالقفز، فغرق البعض وأنقذ البعض الآخر فانتمى إلى المسيحية، أما هو فلم يعثر له على أثر.

بين الأعوام ٦٤٣ و ٦٤٧ م، خرج يهودي من "فومبيديا" في العراق- الأنبار حالياً- وأعلن عن ظهور المسيح، وجمع حوله ٤٠٠ رجل، وهجم على كنائس المسيحيين فقتل أحد رؤسائهم، وأحرق ثلاثة من أديرتهم، فقبض عليه، وقتل وأعوانه مع عائلاتهم.

وكانت حتى هذا التاريخ كل الحركات التنبؤية تدعو للعودة إلى القدس، وتعمل

لصد الانتشار المسيحي، ولكنها بعد هذا التاريخ توقف العمل ضد المسيحيين، لتبدأ ضد الإسلام، وبلبوس إصلاح ديني، وتقارب يهودي- مسيحي، وتحولت حركة المتنبئين من نطاقها الإقليمي إلى المدى العالمي.

- **التنبؤ ضد الإسلام:**

حوالي سنة ٧٢٠ م، ادعى يهودي من سوريا اسمه "فيروس" بأنه المخلص فصدقه يهود ومسيحيون، وآمن به يهود فرنسا وإسبانيا، وجمع أموالا هائلة بحجة استعمالها لطرد المسلمين من فلسطين، وتعزز التأييد للمتنبئ انتقاده للحاخامات والثورة عليهم، وتغييره لأحكام في "التلمود"، وبعد أربع سنوات قضي عليه.

في أيام مروان الحمار، ادعى النبوة أبو عيسى عوبدايا الأصفهاني، وكان خياطاً أمياً، ومع ذلك نسبت إليه كتب وتعديلات بأحكام فقهية وآراء عقائدية متعددة، وادعى أن غرضه أخذ فلسطين من المسلمين بحد السيف، فالتف حوله عشرة آلاف مسلح. فقوتل حتى قتل، وانهزم أصحابه، وكان هذا في "ري" عام ٧٥٥ ميلادية.

القرن الثاني عشر الميلادي، كان لافتاً بعدد المتنبئين والمتنبئات، وكلهم يمنون أتباعهم بالعودة إلى فلسطين والتخلص من المسلمين، وأبرزهم مناحيم بن سلومون، الذي اشتهر باسم داوود الرئي، وقد أعلن الحرب على المكتفي بالله، واحتل قلعة العمادية في العراق، فنال من التأييد ما جعله صورة البطل القومي في قصة لدزرائيلي.

في العام ١٢٨٤ م، ادعى الحاخام إبراهيم أبو العافية من صقلية بأنه المسيح، ودعا للعودة إلى فلسطين، وركز اهتمامه على دعوة المسيحيين للإيمان به، واعتناق اليهودية. ومنهم البابا نيكلوس الثالث.

في العام ١٥٢٣ بدا داوود الراؤوبيني من جزيرة العرب، جولاته الداعية إلى الدولة اليهودية. وكان هذا أول من تحدث عن الدولة، وادعى أن له مملكة مستقلة في خيبر.

التقى بالبابا كلمنت السابع وعرض عليه اشراك المسيحيين بمقاتلة المسلمين، فزوده البابا برسائل إلى ملك الحبشة وملك البرتغال. وتلقى وعوداً هامة وبتجهيزات عسكرية وأموال، والتف حوله يهود إسبانيا، ولكن الحكومة الإسبانية قبضت عليه شكا بأنه يحول المسيحيين إلى يهود، ولم يعرف عنه شيء. وبعد داوود هذا دخلت الحركة الصهيونية في منحى جديد، بتنظيمات سرية، وتأسست على وهجها فرقة "الدونمه" التي تمركزت بمدينة "سالونيك" في تركية. حيث وضع لها المتنبئ "شبتاي زفي" أسسا عقائدية، ومناهج سلوك في أواسط القرن السابع عشر، مستفيداً من الفكر المعتزلي وعلم الكلام لدى المسلمين.

انحسرت حركة المتنبئين، ودفع العديد من أفراد فرقة الدونمه إلى إشهار الإسلام، مع الالتزام سراً بالعقيدة والتعاليم، اتباعاً لقسم الانتماء "أقسم بأنني لا أعرض عقيدة العمامة التي تسمى الإسلام، على أحد من الناس، وأقرأ مزامير داوود كل يوم بسرية. وأطبق دين الاتراك بحذافيره امام الناس، حتى لا أثير شكوكهم، ليس بصيام شهر رمضان فقط، بل بكل العبادات الأخرى الظاهرة للعيان. ولا أتزوج من عائلة مسلمة، ولا أصادق أحدا من المسلمين، لاننا نمقتهم، وخاصة نساءهم".

ومن تعاليمهم: أعلنوا لإخوانكم المصدقين الذين لم يعرفوا سر العمامة بعد، الذي هو عبارة عن حرب ضد الشر، بأن يحفظوا التوراتين: التوراة الحالية، والتوراة الروحية الخالصة.

ومن معتقداتهم: (إن الكون قد خلق من أجل الدونمة، والمسلمون في هذا العالم مخلوقون لأجل حفظهم، تماما مثل البيضة التي يحفظها قشرها).

– المقدس الصهيوني:

بعد هذا العرض، لا نحتاج إلى كثير عناء لنتبين أن الصهيونية تلتزم بالمقدس عندها، وفي سبيل المقدس، تفعل كل شيء، والمقدس هو العودة إلى فلسطين، وليس التوراة أو التلمود، وأن النصوص يمكن تبديلها أو تعديلها أو تغييرها، حسب مقتضى الحاجة، وهي إثارة العواطف الشعبية، واستغلال الدين عند الناس لبلوغ الهدف، يؤكد هذا ما يرجحه مؤرخون بأن تدوين التوراة بدأ في عهد سليمان عليه السلام، أي في أواسط القرن العاشر قبل الميلاد، ودون على مراحل متباعدة وعلى يد كتبة متعددين، وهذا يعني أنه ليس التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام، وإنما كتب هذا ليؤدي غرضاً، فلذلك لم يكن مقدساً بذاته وإنما القداسة للغرض المطلوب، ليجتمع الناس حول مقدس ديني مزعوم للوصول إلى المقدس السياسي وهو ما سمي بأرض الميعاد (فلسطين).

نخرج من العرض للحركة التنبؤية الصهيونية بعد أن نحلل بسرعة أسلوبيها اللذين استعملا للوصول إلى المقدس الأول كان بعد احتجاب السيد المسيح عليه السلام عن الحياة العامة بإحدى عشرة سنة والثاني بعد تسليم عمر بن الخطاب مفاتيح القدس بحوالي ثلاثة أرباع القرن.

في الأسلوب الأول استهدفت المسيحية وموطنها فلسطين والمؤمنون الأوائل فيها فلسطينيون وفي المسيحية الكثير مما يناقض الممارسات اليهودية في ما دعا السيد المسيح من زهد وانقطاع لله أو مارسه كطرد التجار والمرابين من الهيكل. ولا يناسب اليهود أن يكون حولهم من يعتقد ان المسيح جاء ليكمل رسالة موسى او يبتعد عن مغريات الدنيا بناء لمقولة المسيح: **ملكوتي** ليس في هذا العالم او يترفع عن الاغترار بالمادة أو ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

هذا وكثير غيره يلغي الوجود العقيدي اليهودي فبادر اليهود إلى الهجوم على، المسيحية بعد إحدى عشرة سنة فقط من غياب المسيح لأنهم أحسوا بالخطر الداهم.

أما بالنسبة للموقف من الإسلام فاليهودية انتظرت بعض الوقت ربما للاعتقاد بان المسيحية في فلسطين تتمكن من إيقاف المد الإسلامي ولكن الزمن اثبت العكس وقد يكون التأخير بالتحرك لعزم اليهود على تحسين صورتهم عند المسيحيين بعد المجازر التي أوقعوها بهم. في العراق ومقاومة المسيحية طوال سبعة قرون للاستفادة من المسيحيين من خلال تحالف معهم ضد المسلمين وقد نجحوا فعلاً في التحالف ليس مع مسيحيي أوروبا أيضا بما فيهم بابوات وكان هذا أول مرة يستعمل فيها الخارج لدعم وتثبيت الوجود اليهودي لطرد المسلمين والسيطرة على فلسطين.

- الجوئيم التوراتي:

الجوئيم تعني الأغيار - الآخر - فما هو مقام الآخر على الأرض وفي السماء؟ وما هو موقع الآخر في المجتمع الصهيوني؟

قبل الإجابة لابد من الإلماح إلى أن اليهود لإذكاء العاطفة باستغلال العاطفة الدينية ابتدعوا علاقة ربانية بينهم وبين أرض فلسطين التي تنتظر. وشعبها اليهودي البشري بظهور المخلص حيث (تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجاً ويرنم). ولا يكون هذا الا يوم (يسلك المعذبون فيها ومعذبو الرب، يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد).

يبدأ الموقف باستعداء أهل الأرض الأغيار فتنقل التوراة وصية لموسى التوراتي: (احترز أن تقطع عهدا من سكان الأرض التي أنت، آت إليها لئلا يصيروا فخا في وسطك).

هذه الوصية موجهة للمخلص الذي سيأتي وبالتالي لليهود كما أن خطابا اخر لليهود على مختلف العصور وحيثما هم: (وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذي تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي انتم ساكنون فيها).

بعد هذا الاحترار وبعد الطرد ليس مفترضا أن يكون هذا لكل البشر المقيمين على الأرض لا تعدم التوراة وسيلة لإضعافهم أو تعطيل قدراتهم: (قال الرب اله إسرائيل خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب الذين أرسلك إليهم إياها فيشربوا ويترنحوا او يتجننوا من أجل السيف الذي أرسله أنابينهم.. هكذا قال رب الجنود تشربون شربا... لا تتبرأون لاني انا ادعو السيف على سكان الأرض يقول رب الجنود).

ثم يشرب الجنود من عزيمة بني إسرائيل ويحدد مقام الأغيار بين ظهرانيهم: (لا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم والرب معنا لا تخافوهم).

الشعوب التي تسقى من خمرة السخط تعددهم التوراة بذكر ما كان معروفاً ذلك الحين من ممالك ورؤساء وعبيد ابتداء من فرعون مصر وانتهاءً بالساكنين بالبرية مروراً بالأقوام في فلسطين وصور وصيدون والعرب والرب رب الجنود وليس رب الرحمة والمغفرة والدعوة تقوم بالسيف وليس بالحكمة والموعظة الحسنة أو إلى كلمة سواء والجدير ذكره في هذا المقام ما تبرزه الصهيونية من أن الإسلام قام بالسيف وفي الفكر الاستشراقي الغربي الخصوبة الكافية لإنتاج المواصفات الصهيونية.

أما الدعوة لليهود بعدم الخوف من شعب الأرض فالملاحظ أن التوراة استعمل لفظة شعب وليس شعوب الأرض ملة واحدة يقابلها شعب الله المختار وبهذا فكل شعوب الأرض من الأغيار الذين فقدوا ظلهم.

وهنا القضية المحورية في الاسلوب الصهيوني للصراع مع شعوب الأرض الذين يجب أن يشربوا خمرة السخط ويتجننوا وربما هو المعنى المستعمل اليوم بعملية غسل الدماغ ومن يفقد ظله يصبح شفافا كلوح الزجاج يخترقه النور دون أن ينعكس له أثر ولذلك يمكن إعطاؤه اللون المناسب لصاحب الغرض بالتلوين وإذا المجتمع بكامله فقد ظله سهل قياده واصبح دمية يحركها لاعبها كما يريد.

منذ ذلك الحين وإفقاد الظل هو الأسلوب الأمثل لمن يريد السيطرة على الآخر بدءاً بإشعار الآخر بالدونية علمياً واجتماعياً وتقنياً أو بوصمه بالرجعية والتحجر وفي هذه الأيام استعادت السياسة عبارتي السلفية والأصولية إذ لم تعد عبارتا الرجعية والتحجر تفيان بالغرض المطلوب.

المهم إنتاج لغة تنفذ إلى أعماق شعور الآخر فيفقد الثقة بنفسه وبمجتمعه وبمعتقداته وبثقافته المميزة فتنهار شخصيته المجتمعية فيتقبل اية شخصية تتلبسه يتحرك من خلالها صورة مشوهة لثقافة شوهاء أو شخصية انفصلت نهائيا عن ثقافتها فلبس حينها القياد.

فقدان الظل ليس بالضرورة من خلال عملية منظمة فالمواطن الأميركي فقد ظله باختياره عندما تخلى عن موطنه الأصلي وثقافته المميزة ليلتحق بثقافة أسس لها رعاة البقر وقطاع الطرق وما سمي وسترن (Westren) لغرض سطرة السيد الذي لا تتم سيادته إلا بالغاء الآخر.

مثل هذا السائر بلا ظل يتلقف بسرعة وبعمق دعوة تلاقي المشردين في الارض و لا يجد الامريكي غضاضة من تفسير التلاحم الأميركي اليهودي لكونهما مشردين وتمادى

أحدهم بالقول: (بات الانتماء الصهيوني مرادفا في أذهان كثيرة لكون المرء أميركيا بل وأميركيا كما ينبغي أن يكون الأميركي).

- الغرب المتصهين:

الارتباط الأميركي بالصهيونية يفرض علينا إعادة النظر بتقبلنا للتفسيرات السياسية من أن العلاقة بين الصهيونية والغرب منحصرة في اثر اللوبي الصهيوني الانتخابي ومشاعر الذنب عند الغربيين لما تعرض له اليهود من عداء واضطهاد وأن إسرائيل ضرورة استراتيجية في منطقة حساسة مفتقرة إلى الاستقرار وغنية بالثروات الطبيعية ولا غنى للعالم (الحر) عنها.

هذا التفسير أوجدته النظرة المسطحة للواقع السياسي العربي والإسلامي الذي سببته الأحلام الصهيونية التوراتية بعودة إلى أرض الميعاد.

لا يقف التفسير عند هذا بل يعيد الأسس للسيطرة الصهيونية إلى مؤتمر (بال) بينما نجد أن الأمر مغرق في التاريخ وقد يعود إلى مئات السنين قبل مؤتمر (بال) والى الخلفية الثقافية التوراتية وإلا كيف أمكن للصهيونية أن تتوصل إلى وعد بلفور، ويتقبل الشعب البريطاني من وزير خارجيته مثل هذا الوعد، وبلاده في ذروة معركة يقف فيها العرب إلى جانبهم ضد الأتراك، وليس من المنطقي أن يكون الشعب البريطاني قد تطبع صهيونيا في مدة تسع عشرة سنة، هي الفاصل بين مؤتمر (بال) ووعد بلفور.

إن أمكن هذا عند البريطانيين، لقدم علاقتهم بالصهيونية، فما بال شعب أميركا، ولم تكن حينها حكومته قد بدأت تخرج من حدود ولاياتها، ولم تكن قد ظهرت نظرتها بعالمية سياستها.

على إثر إعلان وعد بلفور بإنشاء وطن قومي في فلسطين، أجرى (تشارلز إسرائيل جولربلات) مسحاً هاماً للتعليقات الصحفية التي تمثل قطاعا مؤثرا في الحياة الأميركية. فوجد أن المشاعر المتعاطفة لا تنحصر في قطاع بعينه، بل تشمل كل القطاعات، ولم يجد معارضة إلا في صفوف الشخصيات اليهودية المعادية للصهيونية.

كما أن المنظمة الصهيونية أجرت في تموز ١٩١٨ مسحا لمواقف سياسيين أميركيين- نواب وأعضاء مجلس شيوخ- تبين أنهم، بلا استثناء، يؤيدون الفكرة. ويستعجلون إقامة وطن يهودي في فلسطين، دون تفريق بين جمهوري وديمقراطي، وليس من المؤكد أن هذه الآراء كانت بتأثير أصوات الناخبين اليهود في مناطقهم، وقد لا يكون عند البعض منهم أصوات انتخابية يهودية، ولكن المؤكد أن أميركا، لم تكن بعد قد خطت خطوة نحو العالمية، وربما كانت هذه هي السياسة الغالبة، حتى نعزو المواقف لكبار الساسة الأميركيين ذات خلفية

متطلعة إلى مستقبل ما، ولهذا فالمؤكد أيضاً تشرب الذهن الأميركي بالفكر التوراتي، وهذا يعني أن مؤتمر (بال) وقيادة (هرتسل) كان للاستثمار بعد النضج.

- وصمة العار:

مرّ معنا التعبير التوراتي لفرح الأرض وأزهارها وترنمها بعد عودة أبنائها (الإسرائيليين) إليها، كما مر معنا طروحات المتنبئين الإسرائيليين حول الوجود الإسلامي في القدس، وهذا (هنري كابوت لودج) من أبرز الشخصيات الأميركية يتخذ جانبا من القول في حزيران ١٩٢٢: "يبدو لي انه من الملائم للغاية، ومما يستحق كل تأييد وتقريظ، أن يرغب الشعب اليهودي من كل أنحاء العالم، في أن يصبح هناك وطن قومي لأولئك الذين قد يرغبون من أبناء الجنس اليهودي في العودة إلى البلد الذي كان مهدا لجنسهم، والذي عاشوا فيه وكدحوا لعدة آلاف من السنين، فأنا في الحقيقة قد ضاق صدري دائما، وعيل صبري، كلما فكرت في وجود أورشليم وكل فلسطين في أيدي المحمديين، وفي أورشليم وفلسطين المقدستين عند اليهود، الأرض التي تتمتع بقداسة عميقة للغاية لدى أمم الغرب المسيحية العظيمة يمكن أن تظل في أيدي الترك، فذلك شيء طالما بدا لي، منذ سنين عديدة، كوصمة من الوصمات الكبرى في وجه الحضارة، وهي وصمة ينبغي أن تزال".

ويطل علينا، بعد هذا، (بينيت كلارس) السناتور الأميركي، ليجمع الأمرين في قول واحد في ٢٨ آذار ١٩٤٤: "نتيجة لتوافد اليهود على فلسطين من مختلف أنحاء أوروبا في ظل الانتداب البريطانى، تحولت أرض فلسطين التي كانت جرداء خربة قاحلة. وهي بأيدي المحمديين، إلى أرض تفيض باللبن والعسل، تماما كما وعدت التوراة شعب الله المختار، ففلسطين التي ظلت طوال قرون، وهي بأيدي الترك أرضا موحشة موات، حولتها المثالية اليهودية والنبوغ اليهودي إلى جنة خضراء تفيض بالخيرات فباتت بذلك أروع مثال في العالم أجمع على كيفية استصلاح الأراضي".

أما وصمة العار التي ذكرها (كابوت لودج) يرددها المؤرخ، اليهودي (ديفيد سلومون) بقوله: "كل يوم يمر على اليهود دون أن يبدءوا في بناء الهيكل، يعتبر وصمة عار في جبين الأمة اليهودية".

فما حكاية وصمة العار اللاحقة بالسياسي الأميركي والمؤرخ الصهيوني على السواء، إنها وبكل بساطة (المسجد الأقصى) فالدعاوى الصهيونية تركز على إن المسيح لا يظهر إلا إذا بني الهيكل الثالث، والهيكل الثالث هذا تحت المسجد الأقصى، كما يدعون ولا يقر للصهاينة قرار إلا إذا هدم المسجد، وأعيد بناء الهيكل، وظهور المسيح مرهون بهذا البناء.

وقد بلغت التعبئة النفسية لبلوغ الغرض الصهيوني حدا عبر عنه مهاجر يهودي إلى فلسطين بقوله: "إن كان هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه سيشعل نيران حرب كبرى

فليكن في البداية عندما جئنا إلى هنا، واستخدمنا تكتيكات حرب العصابات في أخذ الأراضي من العرب، وبناء مستوطناتنا عليها، كان الأمر مثيراً، ولكننا الآن نشعر بالملل فنحن مسلحون تسليحاً كاملاً، ونشعر أن وجود مسجد في وسطنا وصمة عار لأرضنا، فالمرء لا يرى صورة ليروشلايم إلا ويرى فيها ذلك المسجد ولذا يجب أن يزال، ولسوف نبني هيكلنا الثالث مكانه في يوم من الأيام، ونحن يجب أن نفعل. ذلك لنجعل العرب يرون، لنجعل العالم كله يرى أننا أصحاب السيادة على يروشلايم، وأصحاب السيادة على كل أرض إسرائيل".

ويبدو أنه ليس المسجد الأقصى وحده مانعاً لظهور المسيح المخلص، في التصور التعبوي اليهودي فالكثافة العددية للعرب مانعة أيضاً، حسب قول مهاجرة من بوسطن إلى الجليل. "يمكنكم طبعا أن تقولوا أن سكنى اليهود هنا قبل ألفي سنة لا تبرر عودتهم إلى هذا المكان ليعيشوا فيه من جديد، وإن هذه المدينة عربية ولا يجوز طرد العرب منها، لكن هذا هراء وهو هراء لأنه لا يأخذ في الحسبان إن المسيح المنتظر ات لا ريب في مجيئه، والمملكة سوف تقام، مملكة التوراة التي سيحكم اليهود العالم منها.. والمهم أنه لا يمكن أن تقام مملكة التوراة على هذه الأرض اليهودية، طالما ظل مليون وتسعمائة ألف عربي".

هذا الموقف من العرب، ليس بدافع سياسي آني فقط، فجذوره توراتية، وصورة الفلسطيني التوراتية هي صورة الحاسد المدمر منذ عهد إبراهيم: "فتعاظم الرجل- يعني إسحاق- وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً، فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون، فحسده الفلسطينيون وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم أبيه طمها الفلسطينيون وملئوها تراباً".

وان كانت المهاجرة المار ذكرها، لم تطالب بمحو الوجود الفلسطيني نهائيا لأنه لابد أن يكون في البلاد عبيد، والبركة التي نالها يعقوب من أبيه تستعبد له شعوب العالم، حسب النص التوراتي: "ليستعبد- يعني الله- لك شعوب وتسجد لك قبائل، كن سيدا لإخوانك وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين".

والطريف أن هذه البركة الممنوحة ليعقوب من أبيه إسحاق- وهي الوصية بالخلافة- أخذت بغش وخداع، إذ تآمرت زوجة إسحاق مع ابنها يعقوب أن يسلبا البركة التي هي من حق عيسى، وكان لهما ما أرادا، والتفصيل في التوراة.

- **أيديولوجية النظام العالمي:**

عرضنا لأقوال تنال الفلسطينيين وآخر يتخرج العرب، وثالثة تستعدي على المسلمين، فهل هؤلاء وحدهم الذين يجب طردهم، أو يحرم التعامل معهم إنسانياً؟

نقرأ قولا حديثا يعود إلى العام ١٩٨٦، أي في الفترة التي صعدت فيها أوروبا وأميركا الحملات دعماً لحقوق الإنسان، وإذا (غريس هالسل) تقول: إن الله لا ينظر إلى خليقته من البشر بالمنظار نفسه، فهو يرى البشر مقسمين إلى فئتين: اليهود والأغيار، وتبعا لذلك فان لله خطتين: خطة أرضية لليهود، وخطة سماوية للمسيحيين المولودين ثانية، أما المسلمون والبوذيون واتباع الديانات الأخرى، بل والمسيحيون غير المولودين ثانية فلا شأن له بهم).

لا نقف عند إخراج المسلمين والبوذيين والآخرين من اهتمامات الله- حسب الفكر الصهيوني- ولكننا نتساءل عن فلسفة تقسيم الكون، بحيث ينال يهود الأرض حصة، وتترك السماء حصة للمسيحيين المولودين ثانية والمقصود بهذا المسيحيون المتصهينون- هل هذا التقسيم بناء للمعتقد المسيحي: ملكوتي ليس في هذا العالم؟ أم هو ابعاد لهم عن التفكير بما هو أرضي، ومقطع كل حلم لذلك لتكون الأرض وما عليها محكومة لليهود فقط بحيث تكون حصة اليهود الأرض بكاملها.

يجيبنا على هذا قول (توماس لين) نائب ولاية ماساشوستس: (كيما تقام مملكة الله على الأرض. لا يجب أن يظل اليهود مشتتين في مختلف الأمم، فهم- كما علم الأنبياء- لا يكونون مؤثرين كلما كانوا أقلية، ولذا، فانهم يجب أن تكون لهم دولتهم حتى يصبح بوسعهم أن يعملوا، ويستحدثوا للعالم النظام الاجتماعي الأمثل. ليصبح مثالا وقدوة تحتذيها وتتعلم منها كل الأمم الأخرى).

ويصوغ آخر الحلم الصهيوني بالقول: "ولذا فان الأمة اليهودية يجب أن تصبح أمة مستقلة، مستقلة ذات سيادة، لها الحق في أن تحكم نفسها بنفسها،وتستكمل بذلك مثلها العليا التي تبنى عليها الحياة.

وإني إذ أدعو إلى ذلك. أشعر أني أعبر عما يجول بخواطر الشعب الأميركي، ويدور بكل تأكيد في رؤوس كل من تحدثت إليهم في هذا الشأن، وهو أن حكومة الولايات المتحدة الأميركية يجب أن تستخدم كل مالها من نفوذ في العمل على إنشاء تلك الدولة اليهودية، كما تشع منها على العالم تعاليم الدين اليهودي، ومبادئه السامية.

ما هي هذه التعاليم؟ ولماذا يجب أن تعم الأمم، وما هو هذا النظام الاجتماعي الأمثل؟ ولماذا انحصر سمو التعاليم والمبادئ بالدين اليهودي؟

وهل هذه هي الأسس التي بنيت عليها خطوات تأسيس دولة الصهاينة، ليكون النظام الاجتماعي الأمثل، هو ما يعبر عنه اليوم بالنظام العالمي الجديد؟

إن لم يكن عندنا الجزم، فترابط الأمور يقربها إلى العقل، ولكن ما يحسن الاستفادة منه، هو أن الحركة الصهيونية قد أقامت طوال القرون التي عملت فيها لتحقيق حلمها، على الركائز الأساسية الثلاث التي لابد منها لأية حركة تريد أن تضمن النجاح، وهي: المنظور السياسي والتنظيم العسكري، المحكومان بعقيدة موحدة للطاقات الشعبية فكريا واجتماعيا.

المحور الثاني

الأمن الإسلامي
المرتكزات وآليات التعزيز

الأمن الإسلامي موضوع قد يعد جديداً في حيثياته وتفاصيله ومقاصده وربما يعتبره البعض تقليداً أو استنساخاً لمفاهيم أو مصطلحات أصبحت رائجة وشائعة في عالم اليوم فيما يتصل بالأمن في كافة أشكاله واتجاهاته ومن أمثلتها "الأمن القومي" "الأمن الوطني" "الأمن الإقليمي" "الأمن الدولي".. إلخ

وها نحن نشاهد أن مفهوم "الأمن" بدأ يدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة البشرية فصرنا نسمع بالأمن المائي والغذائي والديني والثقافي والسياسي والاجتماعي، وأمن الطاقة وهلمجرا.

فهل نحن نطرق باباً جديداً عندما ندعو إلى أمن إسلامي؟

إنه في عالم محكوم لمعادلة القوة التي أرست دعائم سياسة القطب الواحد وفي ظل التغيرات العنيفة والسريعة التي أسفرت عن اختراقات غير عادية للعالم الإسلامي وانتهاكات لحرماته وإبادات جماعية لأبنائه سواء في داخل الجغرافية الإسلامية أو في الشتات، وعلى ضوء انعكاسات النظام الدولي المهيمن على النظم القطرية والإقليمية .. فإن التحولات ذات الطابع (الجيو سياسي) باتت واقعة لا محال. على أن ما وقع منها حتى الآن يكفي لتصور التهديدات التي ستفرضها مثل هذه التطورات فإذا كان من حق الأمة الإسلامية أن تبحث عن السبل لحماية وجودها حضارياً وجغرافياً وسياسياً فإن حماية الوجود تبدأ بالأمن وبمقدورها حالياً أن ترسي دعائم هذا الأمن تدريجياً على أن يشمل كل المفردات التي توفر مستلزمات التحصين ضد كل ما هو خطر وتهديد داخلي أو تهديد خارجي.

لقد حاولنا هنا أن نتساءل عن معنى (الأمن الإسلامي) وتعريفه اصطلاحاً؟ وإمكانية تحقيقه مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف الجغرافية الإسلامية وتنوع ظروفها البيئية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

إذاً ما هو (الأمن الإسلامي)؟ وما هي مرتكزاته ومقوماته وآليات تعزيزه؟ سؤال طرحناه على نخبة من العلماء والمفكرين والخبراء في العالم الإسلامي بحثاً عن الجواب الذي يتضمن المعالم والتصورات والفرص المتاحة والقواعد الأساسية وسبل مواجهة الاختراقات والتحولات المطلوبة لقيام (الأمن الإسلامي) بمعناه الأوسع.

مما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية قد فقدت الأمن والاستقرار منذ زمن بعيد بعد أن اشتدت الهجمة الاستعمارية الغربية عليها وكل قوى الشر ممثلة بالصهيونية العالمية... والسؤال المهم ما هو الأمن؟ إنه ضد الخوف أي أننا إذا قمنا بحماية الأمة وحفظ حقوقها وإزالة كافة الأسباب التي تعيق هذه الحقوق نكون قد حققنا لها الأمن وأزلنا عنها عوامل الخوف والاضطراب، لذلك فنحن الآن أمام

موضوع الأمن في حوارات مع عديد من الباحثين، ثم أمام موضوع عوائق الأمن الإسلامي حيث نذكر منها إسرائيل وما يسمى بتهمة الإرهاب، وذلك لأن إسرائيل هي أول معيقات تحقيق أمن الأمة فهي التي اعتدت وسرقت الأرض ونهبت الثروات وقتلت الشعب وروّعته، أيضا هناك ما يسمّى بمكافحة الإرهاب، هذه العصا الغليظة التي رفعت في وجه المسلمين واعتبرتهم إرهابيين هي المعيق الثاني.

والان كما نرى هناك البعض يزعم انه يمكن أن يحقق الأمن والسلام من خلال عقد صفقات منفردة مع العدو الغاصب، والواقع المعاش يدحض هذا الزعم، فمعاهدات الصلح التي وقعت بين كيان العدو وبعض الأطراف العربية، لم تجلب لأبناء الأمة إلا مزيدا من الظلم والقهر والخوف. كما إن هذه المعاهدات تتناقض مع مبادئ الشرع، لأنها من الناحية الشرعية باطلة لأن العقد الصحيح في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون محله مشروعا، أما في الاتفاقيات الموقعة مع العدو الصهيوني فإن محل العقد غير مشروع لأنه قائم على العدوان. وكذلك فقد نص النبي صلى الله عليه وسلم في الوثيقة التي وضعها لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على: "إن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن في عدو مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم".

ومن هنا فلا يجوز لأي كان أن يوقع اتفاق سلام مع أعداء المسلمين، إلا باستعادة كافة حقوق المسلمين وإجماع المسلمين على ذلك. وصفوة القول في ضوء ما تقدم يمكن القول باختصار ما يلي:

أولاً: إن حالة التشرذم والتمزق التي تعيشها الامة الإسلامية هي نتاج طبيعي لعدم التمسك بالقران الكريم والعمل وفق هدى النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن الالتزام بالمنهج الإلهي القويم هو مفتاح الوحدة والعزة والأمن والاستقرار، وإلا فإن الأمة ستظل تقاسي من عذابات الخوف والقهر والجوع.

ثانياً: من الواجب على الدول الإسلامية تشكيل وحدة إسلامية حقيقية على أسس قوية مقرونة بالنوايا الصادقة في الدفاع عن حقوق الأمة، ومواجهة أعدائها.

ويمكن أن تكون بداية هذه الوحدة بتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي وتشكيل لجان لدراسة واقع الامة الإسلامية كخطوة على طريق الوحدة الإسلامية الكاملة.

ثالثاً: إن الأمة الإسلامية تمتلك مقومات النهوض التي تمكنها من استعادة دورها الريادي في توفير الأمن والاستقرار للشعوب الاسلامية، وغيرها من الشعوب الاخرى.

رابعاً: إن ما يعقد من اتفاقيات بين كيان العدو الصهيوني الغاصب وأي طرف هي اتفاقيات باطلة شرعا، لفساد محل العقد فيها الذي هو العدوان، ولانها لا تستعيد

الحقوق المغتصبة، ولا توفر الأمن والاستقرار لأبناء الأمة الإسلامية.. ومن هنا فإننا سنذكر أيضاً اتفاقيات واي بلانتيشن نموذجاً لذلك. وحيث أن هذه الاتفاقيات لم تفقد شيئاً فلا نرجو شيئاً أيضاً من خارطة الطريق.

وللأسف لا توجد رغبة حقيقية لدى غالبية قادة العالم الإسلامي لتشكيل إطار للوحدة الإسلامية، وحتى منظمة المؤتمر الإسلامي، التي تشكلت كرد فعل على إحراق المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٦٨م، لم تتمكن حتى الآن من تحقيق ولو جزء يسير مما تصبو إليه الأمة. وذلك بسبب عدم وجود النوايا الصادقة لدى البعض، وانخداع العديد من المسؤولين بالسراب الأمريكي الذي يحسبه الواهمون سلاماً وأمناً، وهو في الواقع بعكس ذلك تماماً.

ورغم ذلك فإن الأمة الإسلامية تمتلك من مقومات النهوض ما يمكنها من استعادة دورها الريادي في قيادة العالم، وتوفير الأمن والاستقرار، ليس للشعوب الإسلامية فقط، وإنما لشعوب العالم كافة.

خطوات استراتيجية وصولاً للأمن الإسلامي

آية الله السيد محمد حسين فضل الله (*)

* سماحة السيد كيف يمكن تقديم تصور للأمن الإسلامي في ضوء التطورات الراهنة؟

** بسم الله الرحمن الرحيم لعل كلمة الأمن الإسلامي ككل الأبعاد التي تأخذ العنوان الكبير للإسلام تفقد حركتها الواقعية كقضية تخضع لتخطيط متكامل، يلاحظ كل التعقيدات وكل المتغيرات وكل الأوضاع القلقة هنا وهناك، لأن كلمة الأمن الإسلامي تعني أن هناك أمة إسلامية تتحسس وجودها في كل قضاياها في الحياة بالمستوى الذي تنظر فيه إلى التحديات الكبرى كمشكلة لابد لها من أن نتعاون في حلها وبكل أسف أن الواقع هو واقع التعددية الإسلامية من خلال هذا التقسيم الغربي للمناطق الإسلامية الذي كان خلفيته ملاحظة المصالح الغربية في تبادل المكاسب بين موقع غربي وموقع غربي اخر، ولم تقتصر المسألة على هذا التقسيم الجغرافي بل إنها تعدت إلى نوع من التقسيم الأمني والاقتصادي والسياسي بحيث أصبح لكل محور غربي مواقعه التي لا يسمح للفريق الآخر أن ينفذ إليها إلا على أساس تسويات أو تبادلات معينة وهذا ما نلاحظه من الصراع الحالي بين الاتحاد الأوربي وبين الولايات المتحدة الأمريكية في المسألة الاقتصادية او في مسائل أخرى تدفع الشعوب ضريبة ذلك. لهذا فإن مسألة أن يكون هناك أمن إسلامي أمام خطر استكباري شامل يحاول أن يعقد التحالفات لتطويق كل الواقع الإسلامي أمنياً ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول التي وضعت أمريكا في تحالفها العالمي بما فيه التحالف مع أكثر الدول الإسلامية والعربية في مسألة الحرب ضد الإرهاب بحيث أنها جعلت المواقع الإسلامية هي الهدف الذي تستهدفه بالحصار وبالملاحقة وبكل الوسائل التي تجعل البلدان الإسلامية تحت ضغوطها الاقتصادية والسياسية والامنية. حتى انها بدأت تتدخل في الخصوصيات الصغيرة في حسابات هذه الدولة وحسابات أصحاب الثروة منها أو العاملين للخير فيما يمكن أن يساعدوا به هذه الجمعية الخيرية أو هذا الموقع الخيري أو هذا البلد المنكوب وما إلى ذلك على أساس الخطة الموضوعة في تطويق كل مصادر المساعدات المادية لمواقع الإرهاب كما يعبرون. وهكذا لاحظنا الاستكبار الأمريكي ومعه حلفاؤه وعملاؤه في العالم الإسلامي وغير العالم الإسلامي كيف هاجم بعض البلدان الإسلامية عسكرياً كأفغانستان ثم العراق بحجج لم تثبت أمام الواقع بقطع

(*) مرجع ومفكر إسلامي - لبنان.

النظر عما إذا كان النظام في هذا البلد أو ذاك البلد نظاماً شعبيا أو نظاما دكتاتورياً ولكن المسألة هي أن أمريكا ومن معها ليست لها أية علاقة بنوعية هذا النظام أو ذاك النظام من الناحية القيمية أو الناحية الإنسانية إذا كان يؤمن المصالح الأمنية والاقتصادية والسياسية للمواقع الاستكبارية. لذلك فانه ليس هناك عالم إسلامي بالمعنى الحقوقي وبالمعنى السياسي للمسألة.

كنا نتصور أن منظمة المؤتمر الإسلامي هذه التي تجمع الدول الإسلامية، قد تحمل هذه المسؤولية وتخطط لوجود عالم إسلامي متكامل متضامن متعاون ولا نقول موحد في مواجهة التحديات الكبرى ولكننا نلاحظ أن أكثر من ٩٠٪ من أعضاء المؤتمر الإسلامي يمثلون العلاقات المنبطحة مع أمريكا ومع الدول الأخرى بحيث أنهم لا يملكون أن يصدروا قراراً، أي قرار ما لم يكن منسجماً مع الخط الاستكباري العام إلا بقدر ما يسمح لهم فيما يحفظ ماء الوجه. وهكذا رأينا كيف أن أمريكا بدأت تضغط على الدول التي لم تخضع لاستراتيجيتها في السيطرة على المواقع ولا سيما ما نلاحظه من الضغط على إيران من جهة وعلى سوريا من جهة وعلى الفصائل الفلسطينية المجاهدة من جهة وعلى مواقع المقاومة في لبنان من جهة، لان امريكا لا تريد ان يكون هناك اي موقع للقوة وللممانعة في العالم الإسلامي لذلك فان الأمل المستقبلي (ولا ندري امتداد هذا المستقبل إلى أين؟) هو الشعوب الإسلامية التي ترفض الهجمة الاستكبارية بكل مشاعرها وأحاسيسها وأفكارها ولكننا نعرف أن أكثر الشعوب مصادرة من قبل الأنظمة التي تحولت إلى سجن كبير للشعوب بحيث أنها حبست الشعوب في حاجاتها وفي أوضاعها حتى أن بعض هذه الأنظمة تحبس شعبها وراء أسوار الجامعات ووراء أبواب المساجد عندما يريدون أن يتظاهروا لأنها لا تريد لهم أن يتنفسوا الهواء الطلق للحرية في الشوارع العامة.

إن مسألة الأمن الإسلامي هي مسألة غير واقعية بالمعنى الحركي لهذا الأمن ولعل المأساة هو أن الكثير من الأنظمة الإسلامية تعمل على التعاون والتكامل مع أمريكا ضد الأمن الإسلامي في داخل هذا البلد أو في ذاك البلد لأن الكثيرين من هؤلاء الذين يشرفون على الواقع الإسلامي يمثلون الموظفين لدى الاستخبارات الأمريكية والدولية بشكل عام.

* أشكركم على هذا الاستعراض لكنني أرغب في تحديد معالم الأمن المنظور ؟

** إن مسألة الأمن عندما تطرح فهناك دائرتان بهذا الخصوص:

الدائرة الأولى: هي دائرة الأمن الإسلامي في داخل البلدان الإسلامية بحيث تتركز العلاقات بين بلد إسلامي وبلد إسلامي آخر على أساس التكامل وعلى أساس عدم الاعتداء من بلد على بلد وعلى أساس الإيمان بأن أمن هذا البلد يرتبط بأمن البلد الآخر على أساس القاعدة الإسلامية النبوية الشريفة (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد

إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)(*).

أو ما نقرأه في القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات ١٠). بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ (الحجرات ٩).

إن هذه العناوين القرآنية والنبوية تنطلق من نظرة إلى أن أمن المسلمين في بلدانهم هو أمن واحد ومن الطبيعي أن هذا النوع من الأمن يحتاج إلى برمجة لأن قضية أمن البلد في الداخل قد يتمظهر بمسألة علاقات بين هذا البلد وذاك البلد وخصوصياتهم الأمنية الداخلية وفي الأمور الخارجية فيما يخطط له هذا البلد بأمنه المرتبط بأمن خارجي أو ذاك البلد بنفس المستوى مما قد يخلق هناك بعض التعقيدات عندما يكون هناك بلد إسلامي خاضع لضغوط معينة بحيث أنها قد تتدخل لإرباك الأمن في البلد الآخر وما إلى ذلك مما تابعناه في أكثر البلدان الإسلامية، ومن الطبيعي أن هذه الدائرة من الأمن الإسلامي الداخلي إذا صح التعبير تحتاج إلى نوع من التوافقية على أساس الفكرة الإسلامية في وحدة المسلمين في مصائرهم وفي قضاياهم وفي أمنهم وفي سياستهم وفي اقتصادهم ولعل هذا بحاجة إلى جهد كبير ولكن ليس مستحيلاً، وخصوصاً إذا امتدت هذه الدعوة في الأخلاقية الإسلامية الواقعية إلى الشعوب التي ربما تصل إلى مستوى تستطيع فيه بفعل الانتخابات أو الاستفتاء الشعبي أو ما إلى ذلك، للوصول إلى موقع الحكم.

الدائرة الثانية: هي دائرة الأمن في مواجهة الاخر وهذا هو الذي يمثل الخطورة الكبرى في الواقع الإسلامي الأمني لأننا نعيش في عالم يحاول فيه القوي أن يسيطر على مقدرات الضعيف من خلال الحرب الاقتصادية التي يخطط فيها المستكبرون لإضعاف اقتصاد هذا البلد أو ذاك لتحويله إلى بلد مستهلك بدلاً من أن يتحول إلى بلد منتج ولإغراقه بالمصنوعات أو بالمزروعات الخارجية بحيث تقتل كل صناعته وكل زراعته، ثم أولاً وقبل كل شيء بالسيطرة على كل ثرواته ولا سيما الثروات البترولية والمعادن الأخرى وعلى كل مواقعه الاستراتيجية في صراعات القوى مع بعضها البعض. لذلك فإن المسألة هي أن ما يملكه هؤلاء المستكبرون يحاولون تحريكه للضغط على كل هذه البلدان الإسلامية وهكذا نجد القضية في الجوانب الأمنية التي يحاول المستكبرون من خلالها التخطيط لمصالحهم في هذا البلد الإسلامي أو ذاك أن يخلقوا ظروفاً للحرب على هذا البلد أو ذاك البلد وعلى أساس الإيحاء بأنهم جاءوا محررين ومنقذين وليسوا محتلين وما إلى ذلك وبالتالي فإن الخديعة تنطلي على الشعوب التي قد تعيش حالة صعبة في هذا البلد فتستسلم لهؤلاء وترحب بهم. إن المشكلة التي تواجهها هذه

(*) صحيحا البخاري ومسلم وبحار الأنوار.

الدائـرة هي أن البلدان الإسلاميـة لا تحاول أن تستنفر قوتها بل إنها تخضع دائماً لنقاط الضعف ممـا يجعـلها تشعر بالإحـبـاط وتشعـر بالسقوط في هـذا المجال وخصوصاً أن بعض الدول عندما تحاول أن تستنفر قوتها فإنها تواجه بفعل الخطة الاستكبارية بضغوط من هذا البلد الإسلامي أو ذاك البلد الإسلامي المتحالف مع هذا المحور الدولي أو ذاك المحور الدولي.

المشكلة في هـذه الدائـرة الثانـيـة هي مشكلة القوة والضعف ولذلك فإننا لابد لنا أن نعمل عـلى تنميـة مواقـع القـوة في العـالم الإسـلامي وفي مقدمـتها تنمـيـة روح الوحـدة الإسـلامية بـين المسلمين حـتى نـستطيع مـن خـلال ذلـك أن نـوجـد روحاً إسلامية تواجه التحدي وتخطط من أجـل أن تـتحدى بحيـث أنهـا تنفـتـح عـلى خطـوط المانعـة والمواجهة بطريقة أو بأخرى حسب الظروف ولا نتحدث دائماً عن السلاح ولكنه يدخل في الحسابات في هذا المجال، لذلك فإن مسألة الأمن الإسلامي في مقابل الآخر ربما يحتاج إلى جهد قد يقلب الأمور رأساً على عقب.

* ما هو دور القيادة الراشدة في إرساء الأمن الإسلامي برأيكم؟

** لعـل المشـاكل الـتي تواجـه الواقـع الإسـلامي هو هذه الفوضى في الموقع القيادي بقطع الـنظر عمـا هـو الصـواب والخطـأ، لأنــنا لسنا في مقـام تقويـم القيادة أين تكون ومن أين تـنطلق ولهـذا فـإن مـسألة القـيادة بحاجـة إلى شخصـيـة تملـك الـرؤيا الواسـعة للواقـع الإسلامي في نقاط ضعفه وقوتـه وفـيما يحـيط بـه مـن ظـروف داخـلـية وخـارجية وأن تتحرك القيادة من خلال وجـود هيـئات مـن أهـل الخـبرة تستطيع أن تزود هذه القيادة بمعلومات أو تزوده بـالخطى التي تحاول حل المشكلة وتقويم الأمور.

إن مشـكلة العـالم الإسـلامي هـي تـوزع القيادات وتنوعها حتى على مستوى الكفاءة ومستوى الوعـي الكـامل في هـذا المجـال، لذلـك فإن مسألة القيادة أساسية مقارنـة بالقاعدة الشعبيـة الواعية التي تـتكامل مـع القـيادة، وتسـند القـيادة بحيـث يحـدث هـناك نـوع مـن الـتفاعل الفكـري والـروحي والشعوري والحركي بين القيادة في قراراتها وبين القاعدة في مهمتها التنفيذية في هذا المجال.

لذلك فإنـنا ربمـا نلاحـظ أن بعـض القـيادات الإسلامية الواعية المنفتحة استطاعت أن تحقق شيئاً مـن ذلـك لكـن قـد تكـون المشكلة في هـذا المجال تماماً كما هي المشكلة التي واجهت الإمام علي (ع) إن القيادة لا تملك الأمر كله.

إنهـا تملـك الوعـي وتملـك الخطـة وتملـك الأمانـة وتملك الصدق ولكنها لا تستطيع أن تحقق مشروعها الإصلاحي أو القـيادي إلا من خـلال الأمـة الـتي تـنفعل وتطيع القـيادة في مهماتهـا بحيث يكون الموقـف واحـداً تتكامل فيه القيادة مع القاعدة وهذا ما لم نلاحظه لأن المسألة ليست فقط هي المسألة الداخلية في ذاتـياتها وفي حاجاتها وفي معارضتها ولكن هي الرياح القادمة من الخارج التي تترك تأثيراتها في الداخل فتربك خطوات القيادة.

أنا لا أتحدث عن إحباط في المسألة فنحن لنا ثقة بالأمة أن تنتج قيادات فاعلة ولنا ثقة بأن من الممكن أن نواصل التجربة في هذا البلد وفي ذلك البلد ولكن المسألة ليست بالسهولة التي يمكن أن يقدمها التنظير التجريبي للأمور.

* ألا تعتقدون بأن تعدد القيادات في توجهاتها وتنظيراتها سبب إرباكات ملحوظة للفرد المسلم من خلال الفتاوى والمواقف الأخرى فيما يتصل بالقضايا المصيرية للأمة؟

** قد تكون مسألة القيادة الإسلامية الموحدة العالمية أمراً غير واقعي لأن العالم أصبح يعيش في نطاق لا يمكن منه أن يتحقق هذا النوع من الوحدة التي يخضع فيها العالم الإسلامي لقيادة الواحد بقطع النظر عن أسباب ذلك التي قد تكون إدارية أو سياسية أو ما أشبه ذلك.

لكن من ذلك لابد أن نتحدث عن القيادة في هذا البلد أو ذاك البلد أن تعدد الفتاوى على المستوى الفردي لا يمنع القيادة من أن تتخذ القرارات على المستوى العام لأن مسألة القيادة هي مسألة تنفيذية ومن الطبيعي أن تكون هذه القيادة عندما تتحدث عن قيادة البلد محل ترحيب على الأقل من قبل الأكثرية ولذلك فإن وجود خلافات داخلية على مستوى فتوى لا تمنع القيادة من القيام بخطوات فاعلة على المستوى الاستراتيجي حتى في مسألة الجهاد، ولعلنا نلاحظ المسألة في غير المواقع الإسلامية فنحن نرى أن القيادات غير الإسلامية تتخذ القرارات الكبرى سواء على مستوى الأمن الداخلي أو على مستوى حركة المواجهة خارج البلد لحماية البلد في مسألة الحرب والسلم ونحو ذلك مع وجود كثير من المعارضة في الداخل إن على مستوى أحزاب المعارضة أو على مستوى الأفكار المختلفة في هذا المجال ولهذا فالمسألة يمكن أن تتحقق في هذا المجال ولا أعتقد أن التنوع في واقع المسلمين يمثل عقبة لأن القيادة إذا أحكمت مواقعها بقوة وبشكل تخطيطي، فإن الآخرين لا يستطيعون أن يمنعوا القيادة من تنفيذ مخططاتها. قد يخلقون لها بعض المشاكل لكن أن يسقطوا خططها فهذا ليس واقعي.

* ما هي الحدود الدنيا لمكونات الأمن الإسلامي حسب رؤيتكم؟

** أنا أعتقد أن التوعية الشعبية لها الدور الكبير في هذا المجال بحيث أن نصنع مجتمعاً إسلامياً يتعاون أفراده على تحقيق الأمن الذاتي الشعبي المجتمعي بقطع النظر عن وجود الدولة بحيث يعيشه المسلمون بأخلاقياتهم وبتكاليفهم الشرعية في حفظ أموالهم ودمائهم وأعراضهم على أساس التعليمات الإسلامية (المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه(*)) لأن من الصعب جدا أن تقوم قيادة بتحقيق الأمن الشامل لمواقعها القيادية مع شعب لا يملك المناعة الذاتية في أخلاقية الأمن. لهذا فإنني أتصور أن هذا هو المستوى الأدنى في ذلك وإذا كان البعض قد يسجل

(*) بحار الأنوار.

ملاحظة على هذا الطرح بأنه من غير الواقعي أن يتوحد الشعب في ذلك لأن هناك الكثير من المجرمين ومن الذين يصطادون في الماء العكر ومن المعارضين للقيادة، لكننا نتصور أن هؤلاء لا يمثلون الأكثرية وإذا انطلقت الأكثرية في تكامل مع القيادة بحيث تستنفر أخلاقياتها في المستوى الميداني وتنفتح على خطط القيادة التنفيذية فإنها تستطيع أن تحقق نسبة كبيرة من الأمن إن لم تحقق النسبة المئوية.

* ما هي أهم أوليات الأمة في الوقت الحاضر؟

** الوحدة الإسلامية لأن مسألة الوحدة الإسلامية ليست مجرد مسألة فقهية يختلف المسلمون في تنوعاتها الاجتهادية وليست مسألة كلامية يتنوع المسلمون فيها في خطوطهم التفصيلية في العقيدة هنا وهناك ولكنها مسألة وجودية لأن معنى الوحدة الإسلامية ولا أقصد الوحدة الإسلامية الوحدة الاندماجية التي يتنازل فيها كل فريق عن مرتكزاته وعن قناعاته ولكنني أقصد بالوحدة الإسلامية، إيجاد حالة وجدانية لدى المسلمين في الشخصية الإسلامية التي تجمعهم مع المسلمين الآخرين على أساس اللقاء على ما اتفق عليه المسلمون والحوار الراد إلى الله والرسول فيما اختلفوا فيه بحيث لا تكون مسألة الانتماء المذهبي أو الانتماء الفقهي عقدة في نفس الإنسان ضد الآخر بل تكون وجهة نظر يختلف فيها مع الأخر ويحاول مع الآخر من خلالها الوصول إلى تفاهم أو تقارب أو وحدة في هذا المجال. إن معنى وجود وحدة إسلامية هي أن يوجد لدينا الشخصية الإسلامية، بألا يفكر الشيعي أنه شيعي من دون صفة الإسلام فيه أو يفكر السني بأنه سني من دون انتماء للإسلام، أن يعتبر هذا الفريق المذهبي، أو ذاك أنه هو الإسلام وغيره الكفر. إن هذا مما جعل المسلمين يكفر بعضهم البعض ويضللون بعضهم بعضا بل إن علينا أن نشعر بالشخصية الإسلامية من خلال مواقع اللقاء بين المسلمين ونشعر بالتنوع الاجتهادي الذي يثري المسلمين ولكنه لا يسقط وحدتهم في هذا المجال. إن الوحدة الإسلامية التي تنفتح على الشخصية الإسلامية تحقق لنا العالم الإسلامي وليس هذا بدعا من الطروحات الواقعية لأننا نلاحظ مثلاً أن أوروبا التي تتنوع في قومياتها وتتنوع حتى لغاتها وتتنوع في مصالحها وحتى في تاريخها بدأت تعمل على صنع الشخصية الأوروبية التي تحقق هذا الوجدان الأوروبي لكل من يعيش في هذا البلد الأوروبي أو ذاك ليكون هنالك عالم أوروبي يستطيع أن يتوحد لا الوحدة الاندماجية ولكن وحدة الاقتصاد ووحدة الأمن ووحدة السياسة وما إلى ذلك مع إبقاء بعض التنوعات التي قد يختلف فيها في هذا البلد الأوروبي أو ذاك، لكن من خلال الحرية التي يملكها أهل الموقع الواحد في تنوعات افكارهم واجتهادهم لمصلحة هذا الموقع الواحد لا على أساس التنافر فيما بينهم. انا اعتقد بان دراسة التجارب الوحدوية سواء على مستوى الاتحاد أو الوحدة أن التنسيق والتكامل يمكننا أن نخطط للواقع الإسلامي لأن يأخذ ببعض عناصر هذه التجربة ما يتناسب مع الخصوصيات التي

يعيشها المسلمون بما يتميزون به عن الخصوصيات الموجودة لدى الشعوب الأخرى.

ولكن المشكلة هي أن الآخرين من المستكبرين ومن الذين لا يريدون للعالم الإسلامي أن يتوحد يخططون لاستنفار كل الخلافات وكل الأحقاد التاريخية وكل الحساسيات المذهبية من أجل أن يشغلوا المسلمين بالماضي على أساس أن الماضي هو الذي يحكم الحاضر عن حاضرهم وعن مستقبلهم.

إن المشكلة هي أن الوحدة الإسلامية هي وحدة ممنوعة في السياسة الاستكبارية ولعل الجهل والتخلف لدى المسلمين يساهم في هذا المجال لأنهم يستغرقون في هذه الخلافات وهذه العصبيات في النحو الذي يلغي فيه المسلم المسلم الآخر ولكنه امر ليس مستحيلاً فيمكن لنا أن نجرب والحياة تجربة مستمرة.

* أين تكمن أهمية الوحدة الإسلامية في منظورنا للأمن؟

** لعل مسألة الوحدة الإسلامية هي من أكثر المسائل تعقيدا في العالم الإسلامي لأنها تطرح في الإطار النظري العام ولا تحرك في الجانب الواقعي ولهذا فإننا نرى أنه بالرغم من كل الطروحات للتقريب بين المذاهب الإسلامية أو الوحدة الإسلامية، فإنه لا تزال الحساسيات والعصبيات تتعاظم لأن طرح مبدأ الوحدة الإسلامية لم ينزل إلى الأرض فنحن لا نرى أن جمهور المسلمين في هذا البلد الذي يطرح الوحدة الإسلامية أو ذاك البلد يعيش وجدان الوحدة بل نرى أن هناك عملاً دائماً متعدد التعقيدات والحساسيات يعمل على تهديم ركائز الوحدة بتجربة واقعية للسيطرة على هذه المواقع المتخلفة المتعصبة في هذا المجال بل أننا نرى ان الوحدويين لا يتكاملون بل أنهم بحسب الحساسيات التي تتحرك في ظروفهم يحاولون أن يسقط بعضهم بعضاً لأن أي فريق قد يفكر أن تأتي الوحدة لحسابه لا لحساب الآخر لذلك فإنني لا أنكر أن هناك شيئاً ما من المناخ الوحدوي في بعض مشاعر المسلمين ولا سيما عندما تحدث هناك بعض الأخطار التي تستهدف المسلمين في الجانب الأمني والسياسي وهذا ما لاحظناه في استنفار الشعوب الإسلامية مع تنوع مذاهبها وعصبياتها في المسألة الفلسطينية أو في المسائل الإسلامية الأخرى التي تتحرك من خلال الضغوط الاستكبارية على الواقع الإسلامي أو ذاك الواقع الإسلامي.

إنني أعتقد أن بعض مشاكل الوحدة الإسلامية هي أن الذين يشرفون على التمزقات الإسلامية هم الذين يملكون المواقع الدينية في هذه الحوزة أو تلك أو في هذا الموقع الديني أو ذاك الموقع الديني حسب تنوع المذاهب في حوزاتها وفي مواقعها الدينية لأنهم هم الذين (وهنا انا لا أتحدث عن شمولية ولكن أتحدث عن ظاهرة) يزرعون العصبيات والأحقاد وينتجون الفواصل بين المسلمين ولا يسمحون بلقاء المسلمين على الجوامع ويتحركون لا سيما في هذه الظروف

المتأخرة التي يعيش فيها الإسلام في اصعب حالاته وتحدياته في إصدار فتاوى التكفير والتضليل وما إلى ذلك ولعل المشكلة أن البعض من القياديين يخافون من مواجهة مثل هؤلاء لأنهم قد يخلقون لهم مشكلة في موقع هنا وموقع هناك ولذلك يبقى الخط المناهض للوحدة في الواقع الإسلامي السني والشيعي بعيداً عن أية ضغوط من المواقع الوحدوية حتى التي تملك موقعاً مميزاً.

* هذا يعيدنا إلى حديثكم السابق حول تعددية المواقف في المواقع الإسلامية وتأثير ذلك سلبياً على التوجه الوحدوي المنشود؟ أليس كذلك؟

** أنا لا أتصور ذلك.. أنا أدعو إلى قيادة لا تأخذها في الله لومة لائم إلى قيادة تصدم الواقع عندما يتصل الواقع بالقضايا الاستراتيجية لمستقبل الإسلام. إننا نشكو مما تعيشه بعض القيادات من الخوف ومن الحذر من أن تحرك ساكنا هنا أو تحرك ساكناً هناك. إن هذا الواقع الإسلامي الذي يسقط تحت عصبيات عناصر التخلف بحاجة إلى صدمة. إنه لا يكفي بالقيادة أن تحمل الفكر بل إن تكون لها شجاعة تحريك الفكر في القاعدة ومواجهة الذين يريدون أن يهدموا هذا الفكر الوحدوي.

* ما هي أهمية دعوة الإمام الخميني (قدس سره) لإزالة إسرائيل من الوجود توطئة لتحقيق الأمن الإسلامي؟

** إنني أعتقد أننا نلتقي مع الإمام الخميني في أن إسرائيل تمثل الاخطبوط الذي يحاول أن يمد أذرعه إلى كل العالم الإسلامي لأن اليهود ليسوا مجرد دولة تعيش في داخل فلسطين ولكنهم مشروع تاريخي توراتي للسيطرة على العالم وفي مقدمته العالم الإسلامي وهذا ما يفسر التحالفات بين إسرائيل والاستكبار العالمي. لذلك فإنني أعتقد أن المسألة هي مسألة صحيحة على مستوى العناوين الإسلامية الكبرى في مسألة تحقيق الأمن الإسلامي بإزالة كل ما يعقد حركة هذا الأمن ويضعفه ولكن المسألة هي كيف نعمل على إزالة إسرائيل وكيف يمكن أن نهيئ الظروف لذلك خصوصاً أننا في مرحلة الانهيار السياسي والنفسي للمسلمين.

لقد بات محظوراً من خلال أكثر من موقع هنا وهناك اعتبار فلسطين مسألة إسلامية وحتى مسألة عربية وتحول الإمر إلى أن يقول قائلنا: إن الفلسطينيين هم المسؤولون عن القضية الفلسطينية ونحن نقبل ما يقبله الفلسطينيون. إن هذا الانسحاب الإسلامي (طبعا أنا أتكلم على المستوى الرسمي) والانسحاب العربي، هدفه أن يبقى الفلسطينيون وحدهم من دون أية قوة وسند ومن دون أي امتداد في العالم العربي والإسلامي. إن هذا يعطل الكثير من هذا الشعار الكبير؟

* هل لكم تصورات لتفعيل هذا الشعار؟

** أن نستنج العالم الإسلامي. إن المسألة هي أن تبقى التوعية حتى لو صرخ العالم بالاعتراف بإسرائيل. أن يبقى هناك في الأمة من يرفض ذلك.

مفاهيم الأمن الإسلامي

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري(*)

الأمن هو السلامة من كل الآفات والأخطار والأضرار التي تلحق بالكيان، أو بالشخص، أو بالمنطقة، أو بالبيئة، سواء أكان هذا الكيان نظاماً، أم دولة، أم مؤسسة. وسواء أكان هذا الشخص مادياً أو معنوياً، و لذلك فإن حفظ الامن يعني في المقام الأول، ضمان السلامة التامة من كل ما من شأنه أن ينال من القدرات الذاتية، أو يتسبب في أضرار مادية أو معنوية تنتج عن أعمال، أو تصرفات، أو ممارسات، أو تأثيرات فكرية وثقافية وإعلامية تصدر عن الجهة المعادية، أو المناهضة، أو المنافسة، أيا كان موقعها، وبلغت ما بلغت درجة نفوذها. ومن خلال هذا المنظور، فإن أمن الأمة الإسلامية، وأمن العالم الإسلامي، هو امن كل دولة إسلامية. وبالتالي فهو أمن إسلامي بالدرجة الأولى.

وكما تتعدد مستويات الاخطار التي تتهدد الكيان الإسلامي، فكذلك تختلف أنماط الأمن وتتفاوت درجاته، ومن ثم تتنوع التقسيمات والتوصيفات الخاصة بالأمن، فبالإضافة إلى المعنى المتبادر إلى الاذهان والمتداول والمألوف، وهو الأمن الجنائي، والأمن السياسي، والأمن العسكري، هناك الأمن الغذائي، والامن الصناعي، والامن الطبي والصحي، والامن العلمي، ثم هناك الامن الفكري أو الثقافي الذي يمكن ان نوسع من مفهومه فنصطلح عليه بالامن الحضاري.

وعلى الرغم من هذا التعدد في مستويات الامن، وفي مفاهيمه ودلالاته، فإن هناك قاسما مشتركا بين هذه المنظومة الأمنية — إن صح التعبير — بحيث إذا تعرض مستوى واحد، أو مفهوم واحد، للخطر، ومن أي نوع كان، كان ذلك مدعاة للاستنفار، وللحركة الإيجابية المحسوبة، لتدارك الأخطار المتوقعة، مما يؤكد ان ثمة ترابطا وثيقا بين الامن الجنائي أو السياسي مثلاً، وبين الأمن الغذائي أو الصناعي، وبين هذه المستويات جميعاً، وبين الأمن الثقافي أو الحضاري.

ولما كانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة جهازا إسلاميا دوليا متخصصاً في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، فمن الطبيعي أن يكون المجال الحيوي الذي تعمل فيه المنظمة الإسلامية، هو ما نصطلح عليه بالأمن الفكري والثقافي الحضاري، تيسيرا لأسبابه، وترسيخاً

(*) مفكر سعودي- مدير الإيسسكو (المنظمة الإسلامية للتربية و الثقافة و العلوم).

لقواعده، وتعميما لمنافعه وفوائده. وعلى هذا الأساس، فإن الأمن الإسلامي، ومن منطلق هذا المفهوم الحضاري الواسع والشامل والعميق، لا بد وأن يرتكز على الأسس الراسخة من الأمن التربوي، والأمن العلمي، والأمن الثقافي، وهو الأمر الذي يتطلب، بل ويدعو بإلحاح شديد إلى إيلاء أكبر الاهتمام للتعاون بين دول العالم الإسلامي في ميادين التربية والعلوم والثقافة، في إطار المنظمة المتخصصة في هذه الحقول المعرفية، وهي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. وأعتقد أن كل جهد إسلامي مشترك يبذل لدعم هذه المنظمة، هو تعزيز للأمن الإسلامي، وترسيخ لأسباب الاستقرار الثقافي والحضاري، الذي هو أقوى دعامة للبناء وللنماء، وللازدهار وللرخاء. إن بناء الإنسان على قواعد ثابتة من القيم الدينية والمثل الأخلاقية، ومن خلال ترسيخ المبادئ الإسلامية، وتعميق المفاهيم الحضارية، والتكوين العلمي المتين، والتأهيل المعرفي الأصيل، كل ذلك يشكل القاعدة الصلبة للأمن الفكري والثقافي والحضاري لبلدان العالم الإسلامي.

وخلاصة القول إن الأمن الإسلامي يشمل هذه المفاهيم جميعاً، ولذلك فإن العمل من أجل استتباب الأمن الإسلامي على صعيد العالم الإسلامي قاطبة، هو ضرورة قصوى من ضرورات الحرص على سلامة الكيان الإسلامي من النواحي كافة. وهذا ما يقتضي تضافر الجهود على شتى المستويات، وفي إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وما يتفرع عنها أو يعمل في دائرتها من منظمات إسلامية، بالقدر الذي يوطد دعائم العمل الإسلامي المشترك، ويعمق وشائج التضامن الإسلامي بين المجموعة الإسلامية.

التأكيد على شمولية الأمن

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري(*)

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نؤكد أن المفهوم الإسلامي لا يفرق بين منطقة وأخرى من العالم الإسلامي كما يعتبر أمن كل منطقة منه أمناً للأمة كلها ومن هنا وعبر مبدأ المسؤولية الشاملة والتكامل الأمني يعد أي اعتداء على أطراف هذا العالم اعتداء على مركزه وكيانه.

بل إن ما نفهمه من النظرة الإسلامية يعتبر أي اعتداء على أي مسلم في أنحاء العالم اعتداءً على أي مسلم أينما كان.

وعلى ضوء هذه المقدمة نعتقد أن المرتكزات الرئيسية للأمن الإسلامي تشمل الأمور التالية:

أولاً: التكافل الأمني العام، وهذه الحاجة لا تقل بل تزيد على أنواع التكافل الأخرى (الاقتصادي، والتربوي، والحقوقي وغيرها) والحقيقة هي أن تمزق العالم الإسلامي سياسياً والاعتراف الفقهي من قبل بعض المدارس الفقهية بذلك جعل تصور مثل هذا التكافل أمراً صعباً.

ثانياً: التضامن في مجال الاتفاقيات الأمنية المعقودة مع الدول الأخرى وذلك طبقاً لمبدأ الاستجارة المعروف – طبعاً مع ملاحظة الشروط الملحوظة في عقد الاستجارة.

ثالثاً: تطبيق مبدأ الأخوة الإسلامية والإصلاح بين الكيانات السياسية الإسلامية القائمة فإن بغت إحداهما على الأخرى أعيدت من قبل الباقين إلى سواء السبيل.

رابعاً: التناصح بين الكيانات السياسية القائمة كي لا تخرج عن أطر العدالة الإسلامية في مختلف الحقول فإذا ما اتخذت سبيل ظلم شعبها وتجاوز حقوقه كان على الآخرين ردعها بمختلف السبل المكنة والمعترف بها قانونياً ودولياً.

خامساً: القيام بكل ما يتطلبه واجب الحفاظ على السلام العالمي من مقتضيات تفرضها المواثيق الدولية من جهة ومبدا الدفاع عن المحرومين والمستضعفين من جهة أخرى.

فإن الأمن البشري اليوم تنعكس اثاره سلبا أو إيجابا على كل الدول والشعوب.

(*) مستشار الإمام الخامنئي- أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

أما آليات التعزيز فهي كثيرة:

منها: السير الحثيث نحو تحقيق وحدة إسلامية سياسية شاملة أو تحقيق المراحل الأدنى منها بحيث يمكن ضمان الحفاظ على تلك المرتكزات.

ومنها: العمل على قيام السوق الإسلامية المشتركة.

ومنها: تعزيز منظمة المؤتمر الإسلامي وتفعيل آلياتها وقدرتها على لعب دور أمني عالمي نشط.

ومنها: الارتفاع بالمستوى العلمي والعسكري والاقتصادي لأبناء هذه الأمة كي تستطيع القيام بدورها المطلوب.

ومنها: عقد اتفاقية أمنية بين الدول الإسلامية تحدد فيها ظروف التكافل والتضامن والتناصر.

ومنها: الحضور النشط للدول الإسلامية في المحافل الدولية والمساهمة النشطة في البرامج العالمية مما يؤدي إلى ضمان أكبر لأمنها.

من أجل جبهة إسلامية موحدة

الدكتور أسعد صقر (*)

يبدو الحديث عن (أمن إسلامي) حديثا مضطربا معالمه غير واضحة، ومضمونه غائم، وقد تكون صلته بالتمنيات والنوايا أكبر من صلته بالواقع الحي في عالم تتنازعه الأهواء وتتلاطم فيه أمواج المصالح العاتية.

فما الذي يعنيه مصطلح الأمن الإسلامي حقاً؟

هل المقصود مثلاً أمن الدول الإسلامية؟

وفي هذه الحال لا بد من تحديد ما نعنيه بالدول الإسلامية، هل هي الدول التي يعيش فيها أكثرية مسلمة؟ بصرف النظر عن النهج الذي تتبعه حكوماتها ومدى مطابقته لها، بما في ذلك الحكومات التي تتمسك بالعلمانية وتجعلها في صلب دستورها كما هي الحال في تركيا مثلاً؟ أم هل المقصود بالأمن الإسلامي أمن المجتمعات المسلمة التي تنتشر في معظم دول العالم بصرف النظر عن النسبة التعددية التي تشكلها داخل تلك الدول؟ أم هل المقصود حماية الدين الإسلامي وقيمه ومقدساته ممن يكيدون له ويعملون على إحلال ثقافات وقيم غريبة عنه بل ومعادية له، محل ثقافته وقيمه، تمهيداً لإضعافه وزعزعة معتقدات المؤمنين به؟ أم أن المقصود كل هذه الأمور جميعاً إذ أنها كلها مستهدفة من أمم أخرى تملك أسباب القوة والبطش وتنزع إلى الهيمنة على مقدرات العالم وفرض ثقافاتها وأنماط عيشها من خلال مفهوم صراع الحضارات الذي يبدو أنها تتبناه مسلكا ومنهجا.

وفي هذه الأحوال جميعاً يصعب الحديث عن أمن مشترك لهذه التجمعات الإسلامية إلا إذا وعت وتصرفت وكأن أهدافها مشتركة تحاول بلوغها مجتمعة وأن مصالحها مشتركة تدافع عنها مجتمعة.

إن الدول الإسلامية اليوم دخلت القرن الحادي والعشرين ومعظمها يعاني من أوضاع اقتصادية متردية ومن تمزق داخلي يصل أحيانا حدود الحرب الأهلية. وليست أفغانستان والجزائر وإندونيسيا وتركيا وحدها التي ترهقها الصراعات الداخلية الدامية بل هناك دول إسلامية أخرى عديدة تعاني من ذلك أيضاً، وغني عن البيان أن دولاً هذا شأنها لن يكون لها ثقل كبير في ميزان السياسة الدولية ولن تكون منيعة ضد التسلل الأجنبي من كل نوع

(*) وزير إعلام سوري أسبق.

ولون. وهي عاجزة عن التأثير الإيجابي في محيطها وفي العالم. كما أن عجزها عن حماية أمنها لا يحتاج إلى برهان.

إن منظمة المؤتمر الإسلامي على الرغم من كل ما يحيط بنشأتها ومسيرتها الطويلة نسبياً تشكل أكبر ثمرة لجهود الدول الإسلامية في التنسيق والتضامن وقد كان لأحداث اجتماع عقدته في طهران عام ١٩٩٧ صدى قوي نظرا لما أولته الجمهورية الإسلامية الإيرانية لهذا الاجتماع من اهتمام وتصميم على إنجاحه. ومن يرجع بالذاكرة إلى الخطاب الهام الذي القاه في جلسة افتتاح القمة الإسلامية بطهران قائد الثورة الإسلامية السيد علي الخامنئي يحس بنبرة الأمل والتفاؤل الذي يعلقه على هذا المؤتمر وربما تنعكس في كلمته أصداء رغبات كثير من المسلمين في شتى أنحاء العالم.

يقول السيد الخامنئي: "نحن أخوة ربط بيننا بالقران ربطاً أبدياً ليس له انقطاع وجعل منا رغم الفواصل التاريخية والجغرافية والسياسية جسداً واحداً هو الأمة الإسلامية، لقد اعتنقنا هذه الرابطة من يوم أن اعتنقنا الإسلام وليس أمامنا خيار أخر، الاختلافات والخلافات بل حتى النزاعات ليست سوى غبار يمس وجه هذه الحقيقة ويمكن غسله بزلال الحكمة والعقل والحلم".

ويقول في مكان آخر من خطابه "لو رتبنا علاقاتنا على أساس من الاخوة لاستطعنا ذلك (أي لرددنا الرد المناسب على السلوك الاستكباري) ماذا تستطيع اميركا أن تفعله أمام اتحاد جبهة إسلامية تمتد من إندونيسيا حتى شمال إفريقيا. إن الاستكبار يراهن اليوم على حالة التمزق في هذه الجبهة، أما ان الوقت لأن نرص الصف لصالحنا؟ حضور عدو كالكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي كان بإمكانه أن يقرب بين صفوفنا، لكن الأيدي الاستكبارية الخفية ابعدت هذا الخطر من طريقها، وعملت على أن نخشى من بعضنا اكثر مما نخشى العدو! الوساوس والأكاذيب والإعلام المضاد جعلت البلدان الإسلامية تخشى من بعضها خطأ ودون مبرر!

وعلى الرغم مما تحمله هذه العبارات الجميلة من روح إسلامية عالية ومن نوايا صادقة تعكس تمنيات مئات الملايين من المسلمين في كل بقاع الدنيا، إلا أنها مع بالغ الأسف تظل مجرد دعوة عظيمة نرجو أن تؤتي أكُلها في المستقبل وتمنيات صادقة لا تنعكس في مرآة الواقع الذي تعيشه الدول الإسلامية وياليت" النزاعات لم تكن سوى غبار يمس وجه (تلك الحقيقة) ويمكن غسله بزلال الحكمة والعقل والحلم، إنها أمنية غالية على قلب كل مسلم ولكنها للأسف أقرب إلى حكم القيمة منها إلى حكم الوجود كما يقال في الفلسفة.

وكم يتمنى المسلمون جميعا ومعهم ملايين كثيرة من غير المسلمين أيضا أن تغسل الضغائن في أفغانستان بزلال الحكمة والعقل والحلم، لا بشلال الدماء الذي استمر منذ بضعة عشر عاماً وانتهى باحتلال أجنبي أو بالرعب الهمجي الذي تقطع به أعناق الأطفال والشيوخ في الجزائر حيث تسود لغة الفوضى والقتل العشوائي بدلاً من لغة الحوار والحكمة والموعظة الحسنة بسبب ممارسات لا ديموقراطية في الأساس.

ما الذي يمكن أن يعنيه مصطلح الأمن الإسلامي إذا قارناه بالحصار الطويل الذي ضرب على شعب العراق المسلم؟ أليست الدول الإسلامية أداة فعالة في تنفيذ الحصار؟ ألم تخضع الدول الإسلامية لإرادة الولايات المتحدة الأميركية وتسمح بتجويع شعب العراق وقتل أطفاله بالقنابل حينا، وبالجوع ونقص الدواء أكثر الأحيان؟

ألا تستخدم قاذفات القنابل الأمريكية مطارات (إسلامية) لتنطلق منها يوميا لتدمير العراق تدميرا منهجياً دون إعلان أو ضجيج دعائي، ثم تعود إلى تلك المطارات لتتزود من جديد بالوقود والقنابل لتستأنف مهمتها التي لا تنتهي، وقد اعتاد المسلمون ذلك فلم يعودوا كثيري الاهتمام إلى أن انتهت باحتلال العراق.

ماذا تعني كلمة الأمن الإسلامي لدول (إسلامية) ترى في إسرائيل وأمريكا حاميا لها ضد دول (إسلامية) مجاورة لها وماذا تعني هذه الكلمة للمسلمين العرب والأتراك في ظل التحالف التركي الإسرائيلي الاستراتيجي الوثيق والذي يطبق مثل كماشة جهنمية حول سورية ولبنان ودول عربية أخرى.

إن المسلمين بحاجة إلى إدراك واقعهم الضعيف المتخلف إدراكا عميقا يدفعهم إلى تغيير هذا الواقع بإرادة مشتركة صادقة دون الرضوخ لضغوط القوى الكبرى ودون البقاء فريسة للشكوك والريب والاستقواء بدولة غربية كبرى أو متوسطة وبإسرائيل.

والمسلمون مضطرون إلى وقفة صادقة وشجاعة في وجه النظم الاستبدادية التي تعطل إرادتهم وتستخف بعقولهم وتستقوي بالأجنبي الذي يعيث فساداً في بلدانهم ويذيقهم الهوان ويضرب بعضهم بالبعض الآخر.

ويبدي الكثيرون خوفهم من الغزو الثقافي، وينادون بضرورة وضع الحواجز وإغلاق الأبواب والنوافذ في وجه التيارات الثقافية المستوردة، فهل علموا أن أجيالنا الناشئة لا تجد ما يرضي نزوعها إلى الثقافة والفن في هذا الركام من (الفكر) الذي تعيد إنتاجه مطابع كل بلد وهو لا يعكس إلا أصداء السلطة ويردد أقوال قادتها الملهمين في جميع وسائل النشر والإعلام. إن الأجيال الشابة في البلدان الإسلامية تحتاج، مثلها كمثل غيرها من الشباب في كل مكان إلى الصدق والأصالة في الفكر والفن. وتضيق ذرعا بعلك التبن وترديد الشعارات الجوفاء وتكره

(الثقافة) الخاوية والمأجورة والمتملقة، وهي بحاجة إلى إبداع حقيقي يروي ظمأها للمعرفة ولمواكبة العصر ولن يكون ذلك إلا في مناخ الحرية وتعدد الآراء.

كيف يمكن أن نحمي أطفالنا مثلا من التعلق بأفلام الكرتون الأمريكية التي تمجد العنف وتقدس النجاح ولو على أشلاء الآخرين وتكرس قيم الغرب ونمط حياتهم. إننا لم ننجح في حمايتهم بإغلاق التلفزيون أو منعه، بل لا بد من إنتاج أفلام محلية تشد الأطفال إليها وتعكس ثقافتنا وتظهر قيمنا بصورة جذابة، ويتعود فيها الأطفال على جمال لغتهم وتاريخهم وجغرافية بلادهم. إن الإبداع النابع من واقعنا هو الذي يقف في وجه الغزو الثقافي وليس إغلاق الأبواب والنوافذ في عصر أصبحت فيه وسائل الاتصال عصية على المراقبة والمنع.

ومثل الأمن الثقافي كمثل الأمن العسكري، فلم تعد الدول تحمي أراضيها ببناء الاسوار والحصون في عصر الصواريخ والطائرات النفاثة، بل ببناء مجتمعاتها بناء قويا وبترسيخ مكانتها وتمتين اقتصادها وتدريب جيوشها وإعدادها.

الدول الإسلامية اليوم يخشى بعضها بعضا أكثر من خشيتها الأجنبي، وأمريكا قادرة اليوم على إضرام نار الفتنة بينها، وهذا يتيح للغرب كله أن يفرغ مستودعات أسلحته في بلدانها وأن يقبض الثمن مضاعفاً من مواردها الشحيحة أصلاً، فيما عدا دول النفط المرتهنة سلفا للإرادة الأمريكية.

ليس أمر المسلمين بأيديهم وليست إرادتهم حرة فكيف لا يكون أمنهم بيد غيرهم.

الأمن الإسلامي ومواجهة
التحالف الأمريكي الصهيوني

الأستاذ إدريس هاني(*)

يتحدث وليام بلوم — كاتب أمريكي وموظف سابق في قطاع الدولة — في كتابه الشهير « Rogue state » قائلا: " لوكنت أنا الرئيس، لأوقفت الهجمات الإرهابية ضد الولايات المتحدة الأمريكية نهائيا، في غضون بضعة أسابيع. في البداية سوف أقدم اعتذاراتي لكافة الأرامل، واليتامى، والمعذبين، والغارقين في البؤس، وإلى ملايين اخرين من ضحايا الإمبريالية الأمريكية. بعد ذلك، سأعلن للجهات الأربع في العالم، بأن التدخلات الأمريكية في العالم قد توقفت نهائيا. وسأخبر إسرائيل بأنها ليست الولاية ال"٥١" للولايات المتحدة الأمريكية، بل هي من الآن فصاعدا — وهو أمر جدير بالذكر - بلد أجنبي. بعد ذلك، سأعمل على تخفيض الميزانية العسكرية بنسبة ٩٠٪ على الأقل. وسوف أستعمل الفائض في تعويض الضحايا. سيكون ذلك كافيا جدا. فالميزان العسكري لسنة واحدة يقدر ب ٣٣٠ مليار دولار. وهو ما يعادل أكثر من ١٨٠٠٠ دولار للساعة منذ ميلاد المسيح.

هو ذا ما سأفعله في الثلاثة أيام الأولى.

في اليوم الرابع، سأقتل"

الفقرة المذكورة أعلاه، شهادة حية حاكية عن ضمير كاتب أمريكي خارج دائرة تأثير السياسة الخارجية التصنيفية للولايات المتحدة الأمريكية. ومن ها هنا خطورة الموقف. إنه مجرد نموذج عن سرب من الحمائم التي غاضها أن يكون مصير دولتهم، بيد صقور تقودهم نحو الانتحار الجماعي. وهي فقرة تؤكد على أن أمن العالم لن يكون معافى في أفق هذيان التعسكر غير المعقول، لا سيما في زمن ما بعد الحرب الباردة. أي ذلك الهذيان أو الذهان العسكري الذي كان مبررا — بحسب كيسنجر في مذكراته — لأن غايته لم تكن احراز النصر في حرب لم تكن ممكنة ولا حتى مقبولة من القطبين، بل كانت بمثابة لي ذراع كل منهما، واقتياده للتنازل والاستسلام. لقد تحققت نبوءة كيسنجر إذا، حيث مشروع حرب النجوم نفسه لم يكن سوى خطوة لإنهاك الميزان العسكري السوفياتي والوصول به إلى حافة

(*) مفكر إسلامي من المغرب

الأزمة الاقتصادية الكبرى. لكن ما لم يتحقق هنا، هو أن الولايات المتحدة الأمريكية باتت تفتش لها عن عدو جديد لتبرير استمرارية تدفق السلاح، وتعاظم النزعة إلى الهيمنة. لا احد ينكر بأن مشروع الدرع الواقي لم يكن سوى إلتفاف على هذه الحقيقة.

ما يقوله وليام بلوم، هو منطقي للغاية. لكنه منطقي فقط بلحاظ الصورة التي يحملها "بلوم" عن أمريكا، يفترض أن يعاد إدماجها مجددا في المنظومة الدولية، وفق منطق السياسة الدولية القائمة على استبعاد القوة وسياسة التدخل. لكن هذه الصورة لا زالت لم تجد طريقها إلى أذهان شرذمة من الصقور واللوبيات التي تريد بالولايات المتحدة الأمريكية أمرا آخر غير أن تكون دولة في منتظم دولي، بل دولة أمبراطورية تحقق غايات غامضة.

- العالم الإسلامي في ظل صعود الإمبراطورية الأمريكية:

لقد كان من المفترض لوقلبنا السيناريو الافتراضي لوليام بلوم، وقلنا، ماذا لو أفلح هذا الأخير وكان رئيسا بالفعل واستطاع أن يحقق حلمه، ذلك الحلم المقموع في وجدان شرائح كثيرة من الشعب الأمريكي تجهل كل شيء عن السياسة الخارجية لبلادها. سوف يكون الجواب إذن، أن رفع اليد عن إسرائيل، هوبداية فعلية لسلام عادل في منطقة الشرق الأوسط، ورفع اليد عن نمو هذه المنطقة، واعترافا بحق العالم الإسلامي في نمو طبيعي غير معاق. قبل ذلك كان هينتنغتون قد ذكر الولايات المتحدة الأمريكية بأن تهتم بتقوية جبهتها الداخلية وأن تعود إلى حدودها الطبيعية وأن تكف عن التدخل في الشؤون الخارجية أوفي سياسات الدول.

ومع أن البعض قد قرأ أطروحة صدام الحضارات من وجه واحد، ليجعل من هينتنغتون كاهنا للصراع، فإن إمعانا في الوجه الاخر لهذه الأطروحة — على الرغم من إحساسها التقليدي الأمريكي بالانزواء — سيجعلنا نقف على تحريض هينتنغتوني لأمريكا بأن تكف عن التدخل وعن فرض قيمها على الآخر بالعنف. إن أطروحة " صدام الحضارات " هي أطروحة تحمل دلالة خطيرة فيها حرج على الغرب أكثر منه حرجا على عوالم ما وراء البحار. ففي حثها الولايات المتحدة الأمريكية على أن تهتم بجبهتها الداخلية، إشارة — غير مباشرة — للتخلي عن دعم إسرائيل. وبالتالي أيا كانت المسوغات الإيديولوجية لهذه الأطروحة الانزوائية، فإن نتيجتها تخدم السلام في المنطقة وترهص إلى إمكانية استعادة التحكم بالأمن في العالم الإسلامي. أما ما يتعلق بوجهة نظر هينتنغتون المعرفية من الثقافة بوصفها وجهة نظر بنيوية غارقة في الإنغلاق، فهذا شان اخر قابل للنقاش. على أن قصاراه أن يخلق إحساسا بالعزلة والانطواء.

- **الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة:**

لو أننا أمعنا النظر في الأحداث التي ألمت بالعالم الإسلامي خلال العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، وأعني تحديدا، يوم أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية الوريث الشرعي للإنجليز في هذه المنطقة، سنجد أن كل المشكلات والتعقيدات التي عاشتها المنطقة ترجع إلى طريقة التحكم وسياسات التدخل الأمريكي في المنطقة. وهذا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية — وتحديدا بسبب وجود إسرائيل — أصبحت خطرا حقيقيا على الأمن الإسلامي، وهي لذلك تسعى بكافة الطرق إلى إجهاض مفهوم الأمن الإسلامي عبر سلسلة من الإجراءات يمكن تلخيصها فيما يلي:

لماذا رفضت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الاهتمام بفكرة صراع الحضارات للخبير الأمريكي صامويل هينتنغتون؟

أعتقد أن ثمة ما هو محرج للغاية في صلب هذه الأطروحة. إن صامويل هينتنغتون لم يحرض أمريكا على أن تخوض حروبا ثقافية ضد الكيانات الثقافية الأخرى. بل لعله اعتبر تلك النزعة الإمبريالية أمرا لا أخلاقيا. إن دعوته في واقع الأمر دفاعية محض. إنه اعتبر أي احتكاك أمريكي أو غربي بالكيانات الثقافية المختلفة هو مدعاة للعنف والصدام. والحل إذن هو في انزواء الثقافات ضمن حدودها الطبيعية. ونفهم من ذلك، أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتراجع إلى حدودها الطبيعية وأن لا تحشر انفها في الدول الاخرى. اذا كان هينتنغتون يرى بأن للإسلام حدودا دموية، فهو يشير إلى أن الجغرافيا الإسلامية محاطة بمخاطر الكيانات الثقافية المختلفة. فكيف إذا ما كان في قلب هذا العالم، كيان ناشز حضاريا وثقافيا عن العالم الإسلامي أفلا يكون ذلك أخطر من كونها مجرد حدود دموية؟! إن الولايات المتحدة الأمريكية لن ترضخ لهذه الدعوة، وإن كانت ترى فيها ما يؤكد على تميزها الثقافي. فهينتنغتون يرى أن الغرب فريد وليس عالميا. وهذا لا يعني أن فرادة القيم الغربية تبرر تعديها لحدودها الطبيعية. فاهم القيم عند الغرب قد تكون اقل أهمية عند الأغيار — حسب هينتنغتون —. إن أطروحة هينتنغتون تحرض أمريكا على أن تتبنى موقف وليام بلوم، كما رأيناه سابقا. وبالتأكيد فهي أطروحة تناقض الإستراتيجية الأمريكية التقليدية القائمة على التدخل والسيطرة والنزعة الإمبراطورية، وأيضا هي مناقضة للسياسة الصهيونية القائمة على نزعة السيطرة والتوسع، وذلك لسبب بسيط، كون الكيان الصهيوني، لا يمكن بحسب النموذج الحضاري الهينتنغتوني، أن ينعم بسلام في منطقة تختلف عنه ثقافيا. بهذا يكون هينتنغتون قد أكد بصورة غير مباشرة، على أن لإسرائيل حدودا دموية بامتياز!

التهديد الإسرائيلي للأمن الإسلامي:

إنه لا يخفى أن إسرائيل لا تهدد الأمن الإسلامي عسكريا فحسب، من خلال حيازتها لأسلحة الدمار الشامل. بل هي عنصر تهديد للأمن الحضاري الإسلامي بكافة أبعاده الإنمائية، الاقتصادية، الاجتماعية، الصحية والثقافية. فسياسة الاختراق الصهيوني، هي سياسة شمولية وليست عسكرية أو استخبارية فحسب. إن مجرد وجود إسرائيل حسب هذا المنظور الاستراتيجي — وهذا يتأكد أكثر في إطار مفهوم الشرق أوسطية — يفرض على العالم الإسلامي وتيرة وكيفية في النمو يجب أن تقاس حسب المقاييس الاستراتيجية الصهيونية. إذ أن وجود إسرائيل ودوامها ينهض على شرط استراتيجي موضوعي، هو أن تضمن إسرائيل تفوقها على جيرانها. هذا التفوق معناه، أن ثمة سقفا يحدد طبيعة نمو العالم الإسلامي. وهذا يفرض أيضا أن تكون إسرائيل رقيبا على نمونا؛ أي بتعبير آخر: حارسة لتخلفنا. الأمر الذي يعزز المنظور الاستراتيجي الآخر الذي يرى بأن لا حل إلا بأن تزول إسرائيل من الوجود. ذلك لأن كيانا يسوس مصيره على حساب مصائر المنطقة. ويفرض عقدته التاريخية وتعقيداته السياسية على العالم الإسلامي، هو نفسه يفرض على العالم الإسلامي بأن يقف موقفا حاسما من وجود إسرائيل. ومع أن شعارا كهذا لم يعد يجد له أنصارا أو حتى من يجرؤ على النطق به منذ كامب ديفيد ومرورا بمدريد وأوسلو ووادي عربة وانتهاءا بشرم الشيخ وخارطة الطريق. لكن حقيقة الوضع لن تتغير.

إذا كانت الاستراتيجية الصهيونية والسياسة الخارجية الأمريكية تعمل على تقويض حقنا في النمو الطبيعي بلا رقيب شرق أوسطي أو شروط تقوض أمننا الاقتصادي والسياسي والثقافي، فإن فكرة الأمن الإسلامي نفسها تظل موضع إشكال في مقاييس الأمن الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. فإذا كان هذان يمانعان ضد قيام أي شكل من أشكال التضامن العربي، حتى من المنظور القومي، فكيف سيقبلون بوجود استراتيجيا للأمن الإسلامي. من هنا، فإن مشروع الشرق أوسطية التي دعا إليها شمعون بيريز، هو واقع في سياق هذا الاختراق للأمن القومي وللأمن الإسلامي. وهو المشروع الذي برزت ملامحه في اجتماع شرم الشيخ، متزامنا مع الدعوة إلى التطبيع وإقرار خارطة الطريق. لقد كان المقصود بمؤتمر شرم الشيخ الذي انعقد بتاريخ ٥/ أيار ٢٠٠٣ الدعوة إلى تعاون اقتصادي شرق أوسطي يسمح لإسرائيل بأن تكون نواة هذا المشروع، في هذا الاتجاه ثمة من يعمل على مستويين:

١- تقويض فكرة الأمن الإسلامي

٢- التأكيد على نشازية الكيان الصهيوني

في كتابه " الهويات المتعددة للشرق الأوسط". يستنكر برنار لويس، المستشرق الفرنسي اليهودي الأصل والصهيوني الهوى، أن تتحدد هوية المنطقة على أساس الجامعة الإسلامية، حتى أنه رأى في ذلك استثناءا فيما جرت به العادة بالنسبة لكيانات أخرى قامت على روابط إقليمية أو قومية وبالنسبة إليه. فقط تكون هذه الأقطار من تؤسس لنفسها كيانات ومؤسسات على أساس ديني، كمنظمة المؤتمر الإسلامي. وفي أفق هذا الانتقاد، غير البريء، نفاجأ بخطاب أرئيل شارون في شرم الشيخ انف الذكر، مؤكدا على يهودية الدولة العبرية. وهو التأكيد الذي يحمل أكثر من دلالة. قد يكون بمثابة إرهاص لسياسة الترنسفير، وأيضا تذكيرا، بأن الشرق الأوسط عليه أن يقوم على الشرق أوسطية لا على الرابطة القومية العربية ولا الرابطة الإسلامية، فثمة دولة يهودية ناشزة عن هذا العالم. الشرق أوسطية هنا، كبديل عن رابطة الوطن العربي أو رابطة العالم الإسلامي، قوامها اقتصادي بحت. فتجريد المنطقة عن هويتها الثقافية والسياسية، مدخل للتهويد، بوصفه تقويضا للأمن الثقافي الإسلامي.

- الأمن الإسلامي وفقد الرادع الاستراتيجي:

لا يخفى أن إسرائيل كانت قد أدخلت المنطقة في المشكلة النووية، بعد أن كانت — ويفترض فيها أن تكون — منطقة خالية من هذا السلاح. ويعد هذا السلاح — إجمالا- أحد أكبر التحديات التي تواجه الأمن الإسلامي.لاسيما في إطار الرعاية الأمريكية للتفوق العسكري الإسرائيلي. وبما أن الخطر النووي في الشرق الأوسط يمثل تهديدا بيئيا وأخلاقيا أكثر منه تهديدا عسكريا. إذ ان الشروط الجغرافية والتوبوغرافية لإسرائيل، سوف تجعل من سلاحها النووي عبئا على كيانها. فالتهديد يأتي من التفوق التقني فيما يتصل بسلاح الجو والرادارات المتطورة والأسلحة الأوتوماتيكية التي يضمنها اللوجستيك الأمريكي اللامحدود. وفي هذا الإطار، فإن السباق النووي في هذه المنطقة أصبح بمثابة ذهان بالنسبة لإسرائيل وللولايات المتحدة الأمريكية التي دخلت حربا لأجل نزع أسلحة العراق، والتي تبين أنها محض أكذوبة استخباراتية أمريكية وبريطانية.. وعليه، فإن العالم الإسلامي لا سيما البلدان العربية هي في حاجة إلى إيجاد رادع بديل عن النووي وهذا أمر ممكن جدا. وقد قدمت الجمهورية الإسلامية في إيران دليلا على أن ما من أمة أرادت أن تقوي جبهتها الداخلية والدفاعية،إلا ووجدت منافذ لذلك.

إن الحملة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ضد المفاعل النووي الإيراني، واقع في سياق رهاب سياسي من اختلال ميزان التفوق الإسرائيلي العسكري. وإن ادخال صاروخ شهاب ٣ للخدمة العسكرية، لهوأقوى رسالة في اتجاه خلق الرادع المنطقي للاستراتيجية الصهيونية. بل إن سياسة تطوير الدفاعات الصاروخية هي أهم وسيلة لخدمة الأمن

الإسلامي؛ بل قد يكون ذلك جزءا من الأمل المتبقي. إن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لن تقدرا على محو العالم الإسلامي من الخريطة. فهو عالم قائم بنفسه لا بها. ومن هنا فإن البحث عن منافذ للقوة أمر سيظل مفتوحا دائما. فالمضايقات على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، هي يهدف تقويض " النموذج". وعليه، يتعين على الامة بكاملها أن تدرك بأن اجتهادها في بلورة استراتيجية للأمن الإسلامي، هي مسألة نكون أولا نكون. وفي كل الأحوال، فإن على العالم أن يدرك — وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل - بأن لا أمن ولا سلام لعالم، إلا بأمن وسلام العالم الإسلامي!

– من أجل مخطط استراتيجي لأمن إسلامي فعال:

أثبتت غالبية الأنظمة العربية والإسلامية خلال عقود من تعاطيها مع التحديات السياسية والأمنية والتنموية، على أنها لا تملك رؤية استراتيجية؛ لا، بل على أنها تخشى أن تبني لنفسها خطة استراتيجية تحمي بها وجودها في ظل التهديدات الصهيونية التوسعية وأيضا التهديدات الأمريكية الراهنة والفاضحة بالتدخل. ولعل أهم عامل سلبي ساهم في إعاقة مثل هذا المخطط، هو هذا " الاستئناس" اللا مسؤول بواقع التجزئة؛ حيث فشل قوميا وإسلاميا في إيجاد أرضية تضامنية لخلق هذا الرادع الاستراتيجي، بعد أن اقنعوا أنفسهم، بأن الدولة القطرية أصبحت واقعا، لا بل غاية. وذلك قبل أن تقلب الأوضاع السياسية والإقليمية الطاولة على هذا المفهوم الخاطئ لكي تصحو هذه الأقطار على حقيقة مفادها: ان العصر، هو عصر التكتلات العظمى و الاستراتيجيات الكبرى. لم يعد التضامن الإسلامي الذي قامت في طريقه منظمة المؤتمر الإسلامي، " يوتوبيا" سياسية، بل حاجة وضرورة استراتيجية في عالم يتجه نحو النمط التكتلي. ويمكننا هنا وضع تصور إطار لما يتعين على العالم الإسلامي اتخاذه من تدابير قصد استعادة مسؤوليته في حماية نفسه وتحقيق القدر الممكن من امنه الاستراتيجي:

١- لتعلم الأقطار الإسلامية، بأن حيازة أسلحة الدمار الشامل، فضلا عن انها اليوم أمر صعب في ظل الرقابة الأمريكية واتفاقية الحذر التي وافقت عليها جل هذه الأقطار، فهي — مع فرض امتلاكها — لن تفيد في تحقيق الأمن الاستراتيجي الإسلامي. بل قد تكون مصدر تهديد لأمنها القومي إذا تم امتلاكها في ظروف التشتت والتجزئة. وقد رأينا كيف أن امتلاك باكستان لهذا السلاح لم يفد شيئا أمنها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بقدر ما أفادتها مناورتها السياسية. بل إن حيازة إيران صواريخ متطورة كان أكثر تأثيرا من الناحية الإستراتيجية من امتلاكها للنووي.

٢- إن غياب التفكير في خلق جسور التواصل والتعاون الاقتصادي والتجاري والثقافي بين أقطار العالم الإسلامي، له تأثير سلبي على تضامنها السياسي والاستراتيجي. وبما أن العالم اليوم لا يقبل الفراغ على صعيد التكتلات الاقتصادية والتجارية، فإن غياب اتحاد عربي – إسلامي أوسوق إسلامية مشتركة، سيفتح الطريق أمام نجاح شرق أوسطية، ما يجعل الأمن العربي والإسلامي، في منتهى الحرج!

٣- تصحيح الأوضاع الداخلية، وإيجاد هامش حقيقي للحريات وتقويض الاستبداد والشمولية، لأنها هي العنصر الأكثر تهديدا للأمن العربي والإسلامي. وقد قدم النظام العراقي الشمولي المخلوع، درسا حقيقيا إلى الرأي العام العربي والإسلامي وإلى نظمهم أيضا، على أن مآل الديكتاتورية والاستبداد وسياسة القمع والتسلط والمقابر الجماعية، لا يحمي هذه النظم من دورة التغيير. لقد تبين أن نظام صدام حسين الوحشي، بافتقاره إلى الرصيد الجماهيري،عجز عن الدفاع عن أمنه الوطني أو القومي أو الإسلامي. فوجود هكذا نظام ناشز في دمويته وإرهابه سبب إرباكا للمنطقة وللجيران وللشعب العراقي. فكانت الديكتاتورية سببا في سقوط بغداد تحت حزمات المحتل الأمريكي.

٤- ليعلم العالم الإسلامي، بأنه يملك من المقومات ما من شأنه إيقاف أو دحض التآمر الأجنبي. إن الدعم الأمريكي لإسرائيل لن يدوم طويلا. وإن زهو الإمبراطورية الأمريكية وشهر عسل الإستكبار،لن يدوم طويلا. وبأن إسرائيل لا تملك مؤهلات خوض حرب نووية مهما كدست من أسلحة الدمار الشامل. فذلك مدعاة لإنهاك ميزانها العسكري وأيضا تهديداً لأمنها البيئي والاقتصادي. وحتى لودعا الأمر إلى إقدامها على ذلك، فهذا يعني نهايتها وانتحارها، لأن خطة عسكرية لدول المواجهة، يمكنها من الإجهاز على منابع هذا التهديد النووي قبل أن تأتي على دولة عربية واحدة. وهذا كفيل بأن يعيد الثقة إلى العالمين العربي والإسلامي، بأن قدرته وقوته، هي في جغرافيته وديموغرافيته وفي تقوية جبهته الداخلية والعسكرية التقليدية؛ فهذا من شأنه تحييد التهديد النووي.

في ضوء هذا التصور الإطار يمكن أن تندرج جملة من التفاصيل التي قد تجعل الأقطار العربية والإسلامية، على عتبة القناعة التامة باستئناف مشروعها النهضوي والتنموي؛ ذلك المشروع الذي لا ينفك بأي حال من الأحول عن أمنها الإستراتيجي!

الأمن الإسلامي مقوماته
وضروراته في الوقت الحاضر

العلامة السيد عبد الله نظام (*)

الأمن لغة هو الوثوق والاطمئنان، والأمن الإسلامي هو تحقيق الاطمئنان والاستقرار للمسلمين ليعيشوا دون خوف أو اضطهاد أو خضوع لإرادة غيرهم، وهذا المعنى يشمل حياة الأفراد المسلمين والحياة الجماعية للامة المسلمة فالامن الإسلامي لا يتجزأ ليشمل أحد القسمين دون الآخر، بل هو ينطلق في تحققه من علاقة تبادلية بين أمن الفرد وأمن الأمة لا بد وان تقوم بكلا شقيها، حيث لكل أمن ركائزه التي يستند إليها، ومن الواضح ان الأمن الداخلي (الفردي) يستند في تحققه إلى عوامل معظمها داخلية تتم من خلال السعي اليها من قبل الامة والقيمين على شؤونها ورعاة أمرها في حين ان الأمن الخارجي (أمن الامة في علاقاتها مع الامم الأخرى) يقوم على أساس طبيعة الظروف والعلاقات السياسية والاقتصادية القائمة بين الأمة والأمم الأخرى إقليمياً ودولياً مما يعني أن هناك ركائز داخلية للأمن وركائز خارجية وكل واحدة تختلف في طبيعتها كليا عن الأخرى وان كان بينهما ترابط وتبادل في التحقق وعلى هذا الأساس لا بد من تقسيم البحث إلى قسمين.

أ- الركائز الداخلية للأمن الإسلامي.

ب- الركائز الخارجية للأمن الإسلامي.

أ- الركائز الداخلية للأمن الإسلامي:

إن استقرار الحياة الداخلية لأية أمة وشيوع الاطمئنان في نفوس أفرادها يرتبط مباشرة بمدى التطابق بين مجموعة العقائد والمثل والصور الذهنية التي تجسد طبيعة مجمل العلاقات الإنسانية كما ينبغي أن تكون عليه وبين الواقع الحياتي المعاش كما يرتبط بمدى تنظيم الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأمة أنفسهم وبين الأفراد والأمة ككيان مستوعب لأولئك الأفراد بالمساحة التي تحققت من الأهداف المنشودة من كل تلك المتبنيات القبلية للحياة والتي يجب أن تكون كافية لتدفع الفرد من دائرة الاهتمام الشخصي بنفسه وذويه إلى دائرة الاهتمام والفعل من أجل الأمة.

(*) من كبار علماء الدين في سورية.

ومن الواضح أن هذا التحول إنما يستند إلى مدى تنامي شعوره بالمسؤولية عن ذلك من خلال ما تحقق علاقته بالأمة ومصالحها العامة من دفع له نحو البذل والتضحية من اجل الصالح العام، فهنالك في الواقع اعتراف خفي متبادل مستقر في عمق النفس الإنسانية للفرد بين وجوده ووجود أمته ويتأثر باستمرار بحجم العلاقة بينهما وبمدى أهميتها بالنسبة له وهذا يرتبط بمدى تطبيق النظريات الأيديولوجية المطروحة تطبيقا صحيحا يحقق أماني اتباعها ويحل مشكلاتهم المعيشية بشكل مقبول أو لا اقل من توليد الأمل في نفوسهم بانهم على الطريق التي ستؤدي إلى ذلك.

لذا لا بد لتحقيق الأمن الداخلي لامتنا الإسلامية من تطبيق الإسلام تطبيقا صحيحا وضمن الحدود والكيفيات التي شرعها الله بعيدا عن التعصب والتزمت وبمنطق الاستيعاب لجميع مدعي هذا الانتماء على أنهم أبناؤه ما لم يظهر منهم صريحا انهم خلاف ذلك، وضمن قوالب عصرية تأخذ بعين الاعتبار مشكلات الحياة الحالية وتوفر لأبناء الأمة العدالة والكرامة والمشاركة في كل ما يهمهم من شؤون الحياة العامة والخاصة مما يقرب إليه القلوب وتطمئن به النفوس مع التأكيد على العناية بعامة الناس ومستضعفيهم وحل مشكلات حياتهم لأنهم يمثلون في الحقيقة الشريحة الأوسع من الأمة عادة والذين يشكلون القوة الأساسية التي تتحمل عبء الدفاع عنها، إن استقرار الحياة داخل المجتمع الإسلامي وشعور أبنائه بكرامتهم وإنصافهم فيه من أهم العوامل التي تجعلهم يتمسكون ويدافعون عنه ويتحمل رجال الدين وأصحاب المناصب العليا مسؤولية كبيرة في تحقيق ذلك من خلال مدى استجابتهم فكريا لتهيئة الإجابات الصحيحة للمشاكل والشبهات المطروحة ومن خلال كونهم الأسوة والقدوة في التطبيق لأحكام هذا الدين وقربهم من سائر الطبقات في المجتمع.

كما ان التربية الواعية لابنائه والقائمة على الأسس الدينية والأخلاقية وعرض المشكلات التي تواجهها الأمة عليهم بشكل صريح وشفاف وتوفير الإجابة المناسبة على ما يدور في أذهانهم من تساؤلات كل ذلك يحصنهم داخليا ويجعلهم كيانا متماسكا قويا.

إن الأمن الداخلي هو الطريق الأساسية لتحقيق الأمن الخارجي إذ بدونه لا وجود لهذا الأمن على الإطلاق، لقد التفتت القوى المعادية للإسلام إلى ذلك في هذه الأيام فبدل العبث بالأمن الخارجي بتهديد البلاد الإسلامية عسكريا واقتصاديا صار العبث بالامن الداخلي هو هدفها وهو الخطوة التمهيدية المتبعة لزلزلة الأمن الخارجي وهذا ما يفسر حرص الدوائر الاستعمارية الكبرى على برامج الغزو الثقافي بأشكاله المختلفة لا سيما إفساد الناشئة وجرهم إلى أنماط حياتية وثقافات وعادات بعيدة عن روح الإسلام حتى تسهل السيطرة على مقدرات

الأمم التي ينتمون إليها وقد يستطيع الاستعمار ربط نفوذه وتأمين مصالحه إلى ما شاء الله بواسطة ذلك فيحقق بالسلم ما شق عليه تحقيقه بالحرب.

ب- ركائز الأمن الخارجي:

يرتبط الأمن الخارجي للامة الإسلامية " اي امن الشعوب والدول الإسلامية قبالة العدوان الخارجي " بعدة عوامل يمكن إجمالها بما يلي:

١- ثبات الأمة على أيدلوجيتها وانتمائها إلى الإسلام.

٢- وحدة الأمة الإسلامية

٣- تحقيق الأمن الداخلي كما تقدم.

٤- التقدم التكنولوجي والعلمي.

٥- الاقتصاد السليم.

٦- القوة العسكرية الرادعة (الدفاع الفعال)

٧- استراتيجيات وتكتيكيات سياسية مناسبة.

٨- التخلص من الاحتلال والمعاهدات الظالمة ودعم حركات التحرر.

وسنوجز الكلام في كل واحد من هده العوامل.

١ - ثبات الأمة على أيديولوجيتها وانتمائها إلى الإسلام:

حيث يوفر لها ذلك وحدة نسبية في النظر إلى الأمور وفق الأطر الأساسية التي يطرحها الدين الإسلامي للعلاقات بين الأفراد وبين الشعوب، ويثبت في قلوب ابنائها نداءات الحرية والعزة ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لتخليص أمتهم من عدوان المعتدين. حيث يشكل الدين قاعدة ومنطلقا فكريا للأعمال الجهادية ويوقد جذوتها في قلوب المؤمنين وهذا ما ثبتت فعاليته عبر التاريخ، كما يحميهم من التفرق والانحرافات الفكرية والانحلال الأخلاقي وكل ما يضعف روح المقاومة والجهاد عند أبناء الأمة. لذا نرى اهتمام أعداء الأمة بتدمير العقائد الدينية والروابط الإيمانية بين أبنائها ويجب أن لا تنسى الامة قول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا قبل ما يقارب المئة عام في مجلس العموم البريطاني عندما قال: انه لن يقر لنا قرار في بلاد المسلمين ما دام هذا الكتاب في أيديهم مشيرا إلى القرآن الكريم وكيف اشترطت إسرائيل وأمريكا في معاهدة كامب ديفيد عدم تدريس الطلاب آيات الجهاد والآيات القرآنية التي تتحدث عن غدر بني إسرائيل وطبيعتهم العدوانية وغير ذلك مما يؤكد أن الثبات على الانتماء إلى الإسلام له أهمية الكبرى وهو عامل فصل في الانتصار كما أثبتته وقائع الأيام وآخرها انتصار المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان.

٢- وحدة الأمة الإسلامية:

إن ديـن الإسلام هو دين التوحيد وتوحيد الكلمة، دين يسعى إلى تشكيل أمة كبرى هي الامـة الإسـلامية الشاهدة عـلى جميع الأمـم ولا يعقـل أن ينسجم ذلـك مـع الدعوات العصبية والطائفـية الـتي تقسـم الامـة بـل هـو يحـرص عـلى تسـمية المؤمـنين بـالاخوة ويطالـبهم بحـل مشـكلاتهم بشـكل اخـوي وعـلى أسـاس العفـو والتسـامح وهـنا لا بد من مقاومة جميع وأشكال دعـوات تكفـير المسـلمين بعضهم لـبعض ولا بـد مـن نـزع فتـيل ذلـك مـن قـبل العـلماء والدعاة الواعـين حـتى تحفـظ للامـة وحدتها وقوتها وان فطرة متفحصة عميقة في سيرة سيد المرسلين (ص) تظهر انـه قـد قـبل الـناس في الإسـلام بعرض عريض، وإلا كيف يمكننا تفسير قبولـه إسـلام أهـل مكة خلال لحظة الانكسار والهزيمة وغيرهم كذلك من قبائل العرب وان نظرة في حديـثه مـع الوافديـن عليه واخـتلاف مشـاربهم وحواراتهـم يظهـر ذلـك أيضـا إن الحـركات الإسـلامية المـتطرفة والمتعصـبة لا تملـك هديـا سـليما وعـلى الأمـة أن تحذرهـا وعـلى العـلماء محاورة قادتها وبيان عدم صحة منطلقاتهم تمهيدا للعودة بهم إلى الإسلام الصحيح.

٣- تحقيق الأمن الداخلي للامة:

وهذا أمر لا يحتاج إلى مناقشة كثيرة فإنه من أوضح الواضحات إذ أنه ما لم يشعر الفرد بـالامن والأمـان والعدالـة والإنصاف والحرية والكرامة فإنه تخبو في نفسه روح التضحية بل قد تنعدم في الكثير من الاحيان.

٤- التقدم التكنولوجي والعلمي:

حيـث يوفـر ذلـك للامـة قدرة على الإبداع والاختراع وقدرة إنتاجية واقتصادية كبيرة تساعدها عـلى الـتقدم في مختلف الميادين ويوفر لها الموارد والإمكانيات اللازمة لعملية التصنيع فتصـبح أكـثر قـدرة عـلى الإمسـاك بـزمام أمـرها وتقـل معهـا الحاجـة إلى الآخـرين مما يقوي استقلال الأمة ويجعل لها قدرة بين الأمم الأخرى.

٥- الاقتصاد السليم:

إن القــدرات الاقتصــادية الكــبيرة مــا لم يــتوفر لهــا طـرق رشـيدة وصـحيحة في الإدارة والإنفـاق لا تكفـي لوحدهـا لجعـل الاقتصـاد سـليما فـلا بـد لتحقـيق الاستقلال الاقتصادي من وجـود شـعب منـتج يحـب العمـل ولــه ايضـا عـادات حياتـية تحـتفظ بإنفـاق سليم حتى يمكن الاسـتفادة مـن القـدرات الاقتصادية المتاحة والحفاظ على التقدم، إن عالمنا الإسلامي بما يمتلكه من اقتصاديات ضعيفة ومتخلفة لا تكاد تلبي حاجاته الأولية يوجه إلى نفسه الضربـة القاضية مـن خـلال ثقافـة الاقتصـاد الاسـتهلاكي الـتي غـزت أبنـاءه بحيـث صار المطلوب أعلى بكثير من

الداخيل مما يعني إيقاع اقتصادياته تحت عجز المديونية وفتح الباب للدول الكبرى للتدخل في شؤونه والضغط عليه وحرمانه بالتالي من فرص الاستقلال الحقيقية.

٦- القوة العسكرية الرادعة (الدفاع الفعال):

وهنا أريد أن أشير إلى أن الله تعالى في كتابه الكريم قد أمرنا قائلا ﴿واعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

فلنلاحظ كلمة ما استطعتم لنفهم من خلالها انه يريد منا أن نهيئ ونبذل كل ما نقدر عليه للدفاع عن انفسنا وديننا وهذا الذي نقدر هو كاف لإرعاب الأعداء وردعهم عن العدوان علينا فليس المطلوب هو التكافؤ العسكري بل المطلوب هو بذل الوسع والمقدور، كل الوسع وكل المقدور، ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ وهذه الكلمة أيضا من القرآن الكريم فإن أبطأ علينا نصره فإن علينا أن ننظر إلى أنفسنا وأعمالنا وان نخلصها من الخطأ والعصيان وان نخلص أعمالنا لوجهه الكريم لأنه يقول في كتابه الكريم "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز".

ويقول أيضا ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

٧- استراتيجيات وتكتيكات سياسية مناسبة:

وهذا من شؤون الحكومات لا الافراد والحكومات الإسلامية في عصر العولمة والقطب الواحد عليها أن تتخذ التكتيكات السياسية المناسبة لايجاد قطب اخر في العالم ينافس القطب الأمريكي ويعيد التوازن إلى اللعب السياسية وهذا من أهم الامور التي ينبغي العمل لها وبذل الجهد في سبيل تحقيقها، كما أن عليها أن تقوي روابطها وتصفي خلافاتها وتسعى لتحقيق اقتصاديات إسلامية قوية عن طريق سوق اسلامية مشتركة، تقوية المؤسسات الإسلامية الدولية وتفعيلها إلى غير ذلك بدل اللهاث المنفرد وراء الدول الاستعمارية الكبرى لا سيما أم المصائب أمريكا.

٨- التخلص من الاحتلال والمعاهدات الظالمة ودعم حركات التحرر:

إن إسرائيل قد وجدت في قلب العالم الإسلامي في فلسطين لتفصل هذا العالم إلى قسمين في آسيا وإفريقيا وقد اتخذت لنفسها موطنا هو نقطة الالتقاء بينهما فتمنع وحدة العالم الإسلامي على الأرض جغرافيا كما تستنزف طاقاته اقتصاديا من خلال عدوانها المستمر على البلاد المجاورة ومحاولة التوسع على حسابها مما يجعل تلك البلاد مضطرة لبذل الكثير من اموالها لامتلاك وسائل الدفاع اللازمة عن حدودها كما انها من خلال القوة العسكرية التي تمتلكها صارت تفرض سياساتها على المنطقة وتتحرك في إطار الاستراتيجيات والتكتيكات

للدول الكبرى لا سيما أمريكا ولن تستطيع الدول الإسلامية أن تسلم من العدوان ما دامت إسرائيل قائمة في عالم الوجود فهي تتدخل في شؤون الدول الإسلامية ومن المحيط إلى المحيط وتعمل على حرمانها من أي قوة حقيقية اقتصادية أو عسكرية فهي جزء من صراع حضاري طويل بين أعداء الإسلام من المستعمرين والأمة الإسلامية لا يمكن حسمه جغرافيا لأنه بطبيعته صراع حضاري قبل كل شيء.

وهذه الرؤيا الواقعية لدور إسرائيل هي التي جعلت الإمام الخميني قدس سره يقول لابد من إزالة إسرائيل من الوجود.

كما يجب على العالم الإسلامي التخلص من جميع أشكال التبعية والمعاهدات الظالمة التي جرت عليه في ظروف صعبة وغير مناسبة وكذلك عليه أن يدعم حركات التحرر العالمي فإن في دعم هذه الحركات إضعاف للمستعمرين وإشغال لهم فضلا عن معونة البشرية بتخليص نفسها من شرورهم.

هذه نبذة عن الأمن الإسلامي ومقوماته في عجالة من الوقت واختصار في الكلمات والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

مقاربة قرآنية

في الأمن الإسلامي

العلامة الشيخ نبيل الحلباوي(*)

يطرح الأمن في اللغة وما يتصل به من الأمنة والأمان في مقابل الخوف وبمعنى البعد عن الخطر والتهديد وهذا ما تؤكده الآية القرآنية الكريمة ﴿وآمنهم من خوف﴾. (قريش ٤)

ويتنوع الأمن في الاصطلاح إلى أمن فردي وأمن جماعي وفي مقابل ألوان الأخطار والتهديدات إلى أمن اقتصادي وأمن سياسي وأمن اجتماعي وأمن ثقافي وأمن عسكري وأمن تربوي الخ...

ويمكن التحدث عن أمن بشري يشمل البشرية بأجمعها وأمن في دوائر أصغر كالأمن الإسلامي الذي يشمل أمة الإسلام بأكملها وهو يعني حصانة الأمة الإسلامية من الأخطار والتهديدات المختلفة التي تتناول وجودها وعزتها ووحدتها وعقيدتها وسياستها واقتصادها الخ..

وقد قدم القرآن الكريم مفهوم الأمن في سياقات متعددة:

فضرب نماذج تاريخية لمجتمعات كانت آمنة ردحاً من الزمن.

﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ (يوسف ٩٩)

﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ (الحجر ٨٢)

﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ (سبأ ١٨)

وأكد السنة الإلهية التي تعتبر الكفر بأنعم الله سبباً لفقدان الأمن.

﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ (النحل ١١٢)

ومنَّ على قريش بالرفاهية الاقتصادية والأمن اللذين تحققا بوجود البيت فيها ودعاها إلى عبادة الله ربها الأوحد.

﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش ٤)

وذكرهم بعظمة البيت الآمن والبلد الآمن والحرم الآمن:

﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ (البقرة ١٢٥)

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ إبراهيم ٣٥).

﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ (العنكبوت ٦٧)

(*) من كبار علماء الدين في سورية.

واعتبر الأمن في الآخرة من أعظم نعم الخلود:

يوم الفزع الأكبر ﴿وهم من فزع يومئذ امنون﴾ (النحل ٨٩)

وفي الجنة ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ (الدخان ٥٥)

وفي مقاماتها وغرفها ﴿وهم في الغرفات امنون﴾ (سبأ ٣٧)

ومن على المسلمين خصوصا بإمداد إلهي في اجواء القتال المفعمة بالاخطار والتهديدات تأمن من خلاله اعصاب المقاتلين المشدودة ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ (الأنفال ١١)

أ- أهمية طرح مفهوم الأمن الإسلامي:

تنبع أهمية طرح مفهوم الأمن الإسلامي اولا من كون الامن قيمة إنسانية عليا تنشدها البشرية وتسعى اليها بحيث يشكل مع قيم إنسانية أخرى منظومة هي حاجة حقيقية لها لا غنى عنها وهي أفق مطلوب لتقدمها وسعادتها.

وفي هذه المنظومة تتألق قيم أخرى كالحرية والعدالة والكرامة.

وثانيا من كون هذا الطرح سمة لوعي بأهمية هذا الأمن واعتباره رديفا وسياجا لسائر القيم والأهداف الأخرى المنشودة من قبل الامة كالرفاهية الاقتصادية والخصوصية الثقافية.

وثالثا من ان سائر الأمم والتكتلات تطرح امنها وتعتبره خطا أحمر ينبغي الدفاع عنه بكل الوسائل واغلى الاثمان مما يعني ان لا مكان ولا مكانة لامة او تكتل لا يحمي امنه ولا يُغلي ثمنه.

حتى أن كيانا مصطنعا دخيلا لا اساس له في قلب الأرض الإسلامية قام على حساب كرامتها ووحدتها وعرضها في أبشع عملية سرقة تاريخية واسوأ نموذج احتلال استيطاني، لا يخجل من المطالبة بأمنه.

ورابعا من أن طرح مفهوم الأمن الإسلامي هو البداية الصحيحة لاستيعاب أبعاده نظريا والسعي الى تحقيقه عمليا مما يدخل في الاستراتيجية العليا للأمة ويحتل اعلى السلم من أولوياتها ويرسم ابرز خطوط مستقبلها.

ب- أسلوب وضع تصور للأمن الإسلامي في ضوء التحديات الراهنة:

تقوم دوائر القيادة العليا في الدول والتكتلات من خلال دراسات اجهزتها المختلفة وباستشارة مفكرين وخبراء بتحضير وتطوير ومتابعة مسألة الأمن الاستراتيجية البالغة الخطورة فيما يسمى بمجلس الأمن القومي وأشباهه.

وفي كل بلد من بلداننا الإسلامية، نظير لهذا المجلس ولكن يبدو من سياق ما يقدمه أغلب الحكام العرب والمسلمين من أداء على هذا الصعيد وفي ضوء عمالتهم للمستكبر العالمي أو

تخاذلهم تجاهه وانفراد كل بلد بصيغة لأمنه وعجز المنظمات كمنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية وتقاعسها، يبدو أن لا معنى ولا فائدة ولا مصلحة في أن ينتظر منه أن يهبط هذا التصور الموحد من القيادات السياسية.

إذن ينبغي أن يبدأ وضع هذا التصور الموحد من منطلق اخر وهو لقاء مبرمج للقوى المؤمنة بأهمية الأمن الإسلامي الحريصة على تحقيقه وخير من يمثلها:

١ – قيادات الدول الرافضة لمخططات الهيمنة الاستكبارية والصهيونية رفضاً جذريا وأبدياً.

٢- القيادات الجهادية التي أثبتت وجودها ودورها في ساحة الصراع مع المستكبر العالمي وأداته وحليفته الصهيونية.

٣- العلماء الواعون العاملون أصحاب الأفق الاستراتيجي.

٤- المفكرون الاستراتيجيون المخلصون.

٥- الاختصاصيون على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخ.. من القادرين على تقديم رؤى مفيدة في هذا الميدان.

٦- كبار المفكرين والمثقفين المهتمين بمستقبل الامة الإسلامية.

على أن ينبثق عن هذا اللقاء مجلس أمن اسلامي ولجان تابعة له يتحمل مسؤولية وضع هذه الاستراتيجية ويحشد لها التأييد الشعبي بحيث يتحول هذا التأييد إلى قوة ضغط على كل القيادات السياسية لإلزامها به ونبذ وإسقاط كل من لا يلتزم بهذا التصور.

ج – معوقات الأمن الإسلامي:

إنَ من أنكى ما ابتليت به الأمة الإسلامية في معركة وجودها وبقائها وعزتها ووحدتها مع العدو الصهيوني الدخيل الغاصب، تسريب وتغليب فكرة أن التعايش مع هذا العدو، ابتداء من الاعتراف بوجوده على أرضها وعلى حسابها وبدولة له لها جذورها وكل مقوماتها السياسية والاقتصادية والثقافية، إلى إقامة مختلف العلاقات وتطبيع سائر الصلات معه، إلى رسم استراتيجية مشتركة معه، أمر ممكن ومطلوب مقابل وهم اسمه السلام (أي كف عدوانه الظاهر العسكري عن الأمة) والاستعداد لتوفير أمنه كاملا مقابل تخليه عن أجزاء من أرض احتلها منذ تاريخ معين وقبوله بدولة فلسطينية فاقدة لكل مقومات الدولة إلى جوار ما احتله سابقا من الأرض الإسلامية العربية، وحلٌ فيها لمشكلة الملايين من اللاجئين الفلسطينيين الذين أخرجهم من أرضهم وبيوتهم وهو غالباً تعويضات يدفعها العدو نظريا ويتكفل بها المال الخليجي العربي عمليا.

ولم يعد ثمة من عائق لدى أغلب القادة العرب والمسلمين ولكن العائق هو من قبل العدو

الصهيوني وحماته المستكبرين ولا سيما أمريكا. إذ هم يصرون على المزيد من المكاسب لذلك الكيان المصطنع ومزيد من الخسائر للعرب والمسلمين.

وبعد الهزيمة الاستراتيجية لهذا المخطط على يد المقاومة الإسلامية في لبنان والانتفاضة الفلسطينية الشعبية والدعم الإيراني السوري، جاء غزو أفغانستان والعراق، مستغلاً أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر وظروف القهر والحكم السيئ المتعصب المتلبس بالإسلام في الأولى والدموي العميل المتلبس بالقومية في الثانية ليشكل خطوتين خطيرتين على طريق الاستراتيجية الاستكبارية الامريكية الصهيونية المضادة لإعادة الروح إلى ذلك المخطط.

ولا شك في أن الأمة الإسلامية صارت مستهدفة في أمنها من خلال احتلال افغانستان والعراق وما يمثله من ملامح مخطط لإسقاط سائر الأمن الإسلامي العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعقيدي.

لكن التصدي لإسقاط هذا المخطط في خطوتيه الأخيرتين واعتبار إخراج المحتل الامريكي من افغانستان والعراق بكل الوسائل، مطلبا أمنيا استراتيجياً لا ينبغي أن يشغل عن العائق الأكبر للأمن الإسلامي المتمثل في الاحتلال الصهيوني وأكذوبة السلام معه.

وهكذا يغدو وجود هذا الكيان المعوق الأكبر والعقبة الكؤود والاستنزاف الأخطر للأمن الإسلامي. وتبقى الخطوة الاستراتيجية المصيرية لتحقيق ذلك الأمن متمثلة فيما دعا إليه الإمام الخميني (قدس) من إزالة إسرائيل الغدة السرطانية من الوجود.

د- تصورات للمستقبل:

تمتاز هذه الأمة من خلال إسلامها الإلهي بأنها الأمينة على المنهج الوحيد الذي يناغم بين الوحي والعقل وبين الإيمان والعلم وبين الفردي والاجتماعي وبين متطلبات الروح والجسم وبين العمل للدنيا والآخرة.

وبالتالي فهو المرشح الأوحد لتحقيق السنة الإلهية في الانتصار النهائي للحق على الباطل والعدل على الظلم وما يستتبع ذلك من الرخاء وانفتاح بركات السماء والأرض.

إنه لا يهدف إلى الهيمنة والسيطرة والقهر والاستغلال وهي اهداف المشاريع التي يطرحها المستكبر العالمي. ولكن إلى إنقاذ البشرية وتقديم أفضل نموذج للحياة الإنسانية على الأرض في ظل نظام يمسك بزمامه قيادة معصومة طالما حرم البشر من التمتع بالأمن والحق والعدل والرخاء في ظل منازعة الطواغيت لها وتخاذل الأمة عن الالتزام بها واتباعها.

إنَ هذا هو الأفق المستقبلي الذي ترنو إليه هذه الأمة من خلال الوعود الإلهية:

١- بوراثة المستضعفين للأرض ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ (القصص ٥)

٢- ونصر مسيرة الأنبياء واتباعهم وجندهم المخلصين: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (الصافات ١٧١- ١٧٣)

٣- واستخلاف المؤمنين أمة وإماما في أمن وطمأنينة: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ (النور ٥٥)

لذا فإن العلاقة الجدلية بين أمن هذه الأمة وأمن البشرية وبالتالي بين مستقبل هذه الأمة ومستقبل البشرية، تحتم علينا أن ننظر إلى الأمن الإسلامي بمزيد من الجدية وأن نسعى لتحقيقه وحمايته وحصانته من سائر الأخطار والتهديدات وأن نجعل ذلك من أولى الأولويات التي نحافظ عليها بكل الأساليب والوسائل الناجعة ونعتبره جزءا لا يتجزأ من الأمانة الإلهية التي قال عنها ربها: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان﴾ (الاحزاب ٧٢)

وبعضا من سر الخلافة الإلهية التي أسجد لها الملائكة في أبينا ادم : ﴿واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾(البقرة ٣٠). صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

ملاحظات حول الأمن الإسلامي

الدكتور طيب تيزيني (*)

ظهرت مقولة "الأمن الإسلامي" و"أمن الأمة الإسلامية" في مراحل منصرمة من التاريخ الإسلامي، ودلّلت من ثم على مصداقيتها وضرورتها.

وكان ذلك خصوصا في مراحل التأزم والاضطراب وبروز الأخطار، سواء كان ذلك في داخل العالم الإسلامي أم من خارجه. ولعل ما كان يحدث على هذا الصعيد حتى ظهور النظام العالمي الجديد، يأخذ منحيين اثنين، منحى لا يفضي إلى نهايات قاطعة في مسألة الهجوم على الإسلام بسبب من أن الخصم كان يدرك استحالة ذلك، ومنحى ثان لم تكن مقولة "الأمن الإسلامي" و"أمن الأمة الإسلامية" قد ظهرت فيه على قاعدة دقيقة من الإفصاح المعرفي والسياسي الثقافي، وكذلك التاريخي الحضاري. كان هنالك في المجموعات الإسلامية من عاش الخطر الذي أحدق بذلك الأمن أو استشعره، وحاول أن يبني عليه موقفا منهجيا ضمن الرؤية الإسلامية النظرية. دون أن ينجز مهمة التأسيس لمنظومة المفاهيم والمقولات الضرورية والصارمة على هذا الصعيد.

أما في عصرنا الراهن بل في مرحلتنا الراهنة فقد أخذ الأمر يكتسب بعدا آخر جديدا أكثر شمولا وعمقاً، وأكثر خطورة بالاعتبار الاستراتيجي التأسيسي.

ذلك البعد الجديد أخذ يفصح عن نفسه في سياق تكوّن النظام العالمي الجديد في صيغته الأمريكية وبعد الأحداث الثلاثة الكبرى التي تفجر العالم بها في آخر عقد من القرن العشرين (نتائج حرب الخليج الثانية، وتفكك الاتحاد السوفييتي، وثورتا المعلومات والاتصالات). لقد رفع دعاة النظام الجديد مسألة الهيمنة على العالم إلى سقفها الأقصى، وذلك عبر المبدأ العولمي الحاسم: ضرورة ابتلاع الطبيعة والبشر، والعمل على هضمهم وتمثّلهم ومن ثم تقيؤهم سلعاً.

أما ما على ذلك أن يعنيه فيلاحظ أنه يتجه إلى خطين اثنين قد يبدو أحدهما مناقضا للآخر، لكن دون أن يكون الأمر كذلك. الخط الأول يتضح في العمل على تفكيك كل الهويات التي دللت على جدارتها في تقدم البشرية، مثل العقل والقيم الدينية المستنيرة والمحفزة على الاستنارة والتسامح والتضامن الخ... أما الخط الثاني فيأخذ الاتجاه المضاد ويقوم على محاولة ابتعاث وإحياء أو تلفيق ما يندرج تحت القيم، التي دللت في قدرتها على تهديم آفاق التقدم البشري وتحطيم ما يسمو بالإنسان في نطاق القيم والمنظومات الدينية والوضعية. ها هنا يبرز مشروع "الإسلام الأمريكي" وما يلحق به من روافد وفروع واحتمالات أخرى.

(*) أستاذ فلسفة ومفكر من سورية.

إن الإسلام الأمريكي_ وهو مصطلح ملفق يكاد يجمع بين كل أطياف الفكر الأسطوري والسحري والاثني والمذهبي والطائفي المستنفدة إنسانياً وتاريخياً- تكوَن وترعرع وتعاظم، الآن بهدي من المهمة الكبرى التي هي اختراق "الإسلام"، الذي أتى فعلاً بمثابة منظومة للأفكار والتصورات والقيم التي تمثل، مجتمعة، دعوة إلى تقدم البشر وإصلاح المجتمعات بالإمكانات المحتملة وتعميم التسامح والتضامن والإقرار بالآخر في النسق الديني نفسه، كما بين هذا الأخير والأنساق الأخرى.

وقد برز الإسلام الأمريكي العولمي المذكور معبأ بالتوجه نحو اختراق المجتمعات والمجموعات الإسلامية في استقرارها وأمنها وطاقاتها المادية والعلمية والإنسانية، أي نحو ليَ عنق المجتمعات والمجموعات المذكورة على نحو يستجيب لمصالح الأمريكيين وغيرهم ممن يتحرك في فلكهم، هذا بالرغم من أنها مخترقة منذ مراحل مديدة. لكن المطلوب الآن أمريكياً يتأسس على تفكيك الإسلام الذي حددناه من حيث هو، وعلى تقديم بديل أو بدائل زائفة "يميناً" أو "يساراً ليبرالياً". ومن ثم، فإن العمل على إعادة بناء الموقف الإسلامي من مداخله الحضارية والسياسية والثقافية، وعبر استعادة مفاهيم التضامن والعقلانية، إضافة إلى تكوين حركة تضامن كونية، بين المسلمين وشرفاء العصر من العالم كله، إن هذا لعله يمثل مدخلاً إلى تأسيس شرائط الأمن الثقافي والتاريخي لإسلام التقدم والحرية والعقلانية.

أما ما أراه أساسياً على صعيد الأولويات في إطار الدول الإسلامية والعربية فيتمثل بأربع مسائل، هي أولاً التطبيع الإسلامي- الإسلامي والعربي- العربي أي ما بين المسلمين والعرب أنفسهم، وذلك كرد على الدعوة للتطبيع مع المشروع الصهيوني الإسرائيلي، وثانيا تبرز الديمقراطية بوصفها مدخلاً إلى إعادة بناء تلك البلدان اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً، وذلك من موقع حوار ديمقراطي مفتوح بين كل من يحمل همّا وطنياً، وتظهر ثالثا، مسألة إعادة توزيع الثروة بمثابة ترميم للبنية الاقتصادية في البلدان المعنية بكيفية وقوفها في وجه الهدر الاقتصادي وتعمل على تعميق اتجاهات التنمية الاقتصادية.

وأخيرا تبرز مسألة التنوير الثقافي والروحي بوصفها ضرورة نواجه بها الظلامية الفكرية سواء تحدرت من مصادر سياسية أو فكرية او غيرها، ومن ثم بوصفها ردا على المشروع (الأصولي) الصهيوني والإسلامي الذي تقوده فئات تجعل من الإسلام ذريعة لخلق حالة من الرعب في أوساط المسلمين أولا كما تقدم أدلة (زائفة) للغرب على أن الإسلام هو هذا الذي تمارسه تلك الجماعات الإرهابية المتأسلمة.

إن الأوضاع والتطورات الراهنة تقتضي إذاً رؤية أولية ودقيقة لواقع الحال الراهن والمستقبلي في البلدان الإسلامية والعربية.

الأمن الإسلامي
والنظام العالمي الجديد

الأستاذ عز الدين سليم (*)

تمهيد:

الأمن الإسلامي أو أمن المسلمين، من الأفكار التي دخلت حيز الدراسات والاهتمام أخيرا، تقليداً لما يجري الحديث عنه عادة في العالم، والمنطقة.. كالأمن القومي أو الوطني أو الأمن الدولي.

وقضية الأمن سواء أكان وطنياً أو قومياً او دولياً كان يرادف الاستعداد العسكري لحماية الأوطان أو حفظ التوازن الدولي أو منع الاعتداء. والحيلولة دون اندلاع الحروب.

وكان يتبادر إلى الذهن هذه الأمور إذا أطلق شعار الأمن بآفاقه الدولية والمحلية.

أما المراد بالأمن في مصطلح اليوم، فإنه أوسع من ذلك بكثير حيث يشمل أمن الإنسان في كل ما يهدد استقراره أو يزعزع حياته الطبيعية.

وحين نتحدث عن طموحنا لتوفير "أمن إسلامي" فإن المراد من ذلك هذا المعنى الواسع، بغية توفير الأمن والأمان للمسلمين لكي يمارسوا حياتهم الطبيعية، ويؤدوا وظيفتهم للمساهمة في بناء الحضارة في ضوء ذوقهم، ومبادئهم الدينية والسياسية والحضارية.

فهل إن وضع المسلمين القائم فعلاً في بلدانهم يوفر أرضية مناسبة لقيام "أمن" للمسلمين بمعناه الحضاري الشامل؟

تحديات من الداخل: بعيداً عن التشاؤم والسلبية في النظرة إلى الأمور والواقع الذي يعيشه المسلمون في وضعهم القائم، نجد الحقائق الآتية:

ففي بلاد المسلمين نجد بعض الحكومات تسوم مواطنيها الخسف وتسوسهم بالإرهاب والحرمان لأنهم يختلفون معها في النظرة للأمور مثلاً أو وجهة نظر سياسية أو يتبنون طريقة لا يرتضيها الحاكمون.

وفي بعض بلاد المسلمين نجد أن أصحاب القدرة يفرضون حظراً على المشاركة الجماهيرية في بناء مستقبل تلك البلدان، ويوفرون كل مستلزمات القوة لكم الأفواه التي تطالب بالمشاركة الجماهيرية.. وإبقاء نظرية الحزب الحاكم أو الزعيم الأوحد هي السائدة دون أي اعتبار لرأي الأمة، مهما كان سديداً.

(*) مفكر إسلامي عراقي.

وفي بعض بلدان المسلمين تجري أسوا عمليات استنزاف لثروة الأمة دون اهتمام بمستقبل تلك البلدان من حاكميها، طالما يمتلئ جيب الحاكم، ويوفر له رصيدا في مصارف أمريكا أو أوروبا، والحاكم الإندونيسي السابق (سوهارتو) كان نموذجا حيا لهذه الظاهرة، حيث نجد أن هذا النمط من الحاكمين يفرغون بلدانهم من ثرواتها شيئا فشيئا دون خطط مدروسة ولا نظرة معقولة للمستقبل.. حيث تخرج الثروة من مواطنها إلى بلدان أخرى في الغرب.

وفي كثير من بلدان المسلمين لا يزال مزاج الحاكم هو الذي يسير الأمور، ويحدد مسيرة المستقبل دون مشورة واقعية، ولا ضوابط دستورية واضحة يحاكم في ضوئها قراراته التي يتخذها.

وفي بعض بلدان المسلمين تهاجر العقول البناءة إلى الخارج في نزيف لا يراد إيقافه تحت ظلال عدم الاحترام والإرهاب، وعدم تقدير الكفاءة، وتقديم المداحين والمتملقين على أصحاب العقول والكفاءات.

وبعض بلدان المسلمين تعيش حالة التبذير لثرواتها من اجل بناء القصور للحاكم وجوقته أو إقامة مؤسسات الإرهاب أو شراء الأسلحة الخارجة عن حاجة البلاد. ونموذج صدام حسين ماثل للعيان.

وفي بعض بلاد المسلمين يؤسس الحاكمون جيوشا سرية لمحاربة الناس في أفكارهم، وأرزاقهم، ويحصون عليهم أنفاسهم، ربما تفوق في نسبة العاملين فيها، الجيوش المعدة لمواجهة العدوان الخارجي.

وفي كثير من بلدان المسلمين يفرض الحكام تطبيق الأنظمة السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية على الشعوب التي يسوسونها، وإن خالفت أعرافهم وأذواقهم، ورغباتهم، وميولهم النفسية.. بينما نجد أن القاعدة السليمة في بناء الحياة المستقرة هي أن يكون القانون المطبق في حياة الناس منسجماً مع إرادة الناس وذوقهم.

وفي بعض بلدان المسلمين نجد أن الناس يشتاقون أن يشموا رائحة العدل في بلدانهم، وفي توزيع الثروة أو أمام القضاء أو في الاعتقاد المذهبي أو السياسي.

هذا إضافة إلى التحديات الحضارية، وتحديات أصحاب النفوذ في العالم لبلادنا، ففي هذه الأمور الأخيرة نعيش ضغطاً يوفر كل الفرص لهبوب التيارات الأخرى على منطقتنا.

إمكاناتنا الذاتية لتوفير الأمن:

ورغم هذه الحالات التي يعاني منها المسلمون في بلدانهم اليوم — وكثير غيرها فإن مستلزمات توفير الأمن للمسلمين في بلدانهم كثيرة جداً نذكر منها:

١- توفر حالة التكامل في الإمكانات المتاحة في أقاليم المسلمين، حيث توزع الإمكانات وتنوعها في بلدان المسلمين وأقاليمهم.

٢- الثروات الهائلة التي يملكها العالم الإسلامي، مما يوفر الإمكانات لبناء الأمن الاقتصادي في حياة الناس.

٣- توسط العالم الإسلامي بين قارات العالم، وحاجة العالم إليه، مما يوفر فرصاً كبيرة لتبادل الخبرات والتعاون بين الشعوب.

٤- وجود الروابط الدينية، والثقافية، والمشاعر والهموم المشتركة بين المسلمين.

٥- الإمكانات البشرية الواسعة.

٦- التجربة الحضارية الواحدة وغير ذلك.

إن هذه الإمكانات وكثيراً غيرها توفر المزيد من الفرص لبناء "أمن إسلامي" يقل نظيره إذا تضافرت الجهود من أجل توفيره.

بيد أن ذلك يحتاج في هذه المرحلة إلى توفير العوامل التالية كحد أدنى بين بلدان المسلمين:

١- تفاهم بين حكام المسلمين، وقبول بعضهم بعضاً وشعورهم بوجود مصلحة مشتركة تجمعهم: إن هذا التفاهم المفترض هو أدنى حد نفترضه من أجل التعاون بين حكام المسلمين من أجل تحقيق مصالح بلدانهم.. فلم نفترض اتحاداً، ولا وحدة بين الحكام، وإنما نفترض هذا الحد من العمل المشترك، والتفاهم على المواقف الواحدة وعلى العزم الواحد من أجل معالجة مشاكل بلدانهم وإتاحة الفرص للعمل المشترك.

٢- اقامة سوق إسلامية مشتركة: تتبادل بلدان المسلمين من خلالها السلع، والتجارب وتتعاون لسد حاجات المسلمين، وتعمل على دعم إنتاجها الوطني.

٣- إقامة اتفاقية دفاع مشترك بين المسلمين: يدفع العدوان، ويصد الطامعين، ويقوي شوكة المسلمين ويشعر المسلمين بالطمأنينة إزاء الأخطار.

٤- تبادل الخبرات التقنية المختلفة لسد النواقص دون الاعتماد على الأعداء.

٥- إقامة مشاريع استثمارية مشتركة في بلاد المسلمين لتدر الخير على الناس، وترفع مستواهم الاقتصادي.

٦- وضع برنامج للرفاه الاقتصادي بين شعوب المسلمين ومعالجة مشاكل البطالة والتضخم والطبقية الاقتصادية حيث الفقر الفاحش، والغنى الفاحش في بعض البلدان.

٧- تبني خطة مناسبة وممكنة لدعم الدول الفقيرة مالياً.

٨- التعاون بين بلدان المسلمين لمحاربة الفاحشة، والمخدرات والخمور.

٩- وضع برنامج ثقافي إسلامي عام للاهتمام بالثقافة العامة للشعوب.

١٠- إقامة تعاون إعلامي، ووضع برنامج إعلامي موحد لحماية المسلمين وحضارتهم وذوقهم.

هذه في نظري أهم مستلزمات توفير الامن للمسلمين في هذه المرحلة التي راعينا فيها الوضع القائم الفعلي للمسلمين ذاتياً وموضوعيا، ولذا لم نتحدث هنا عن كومنولث إسلامي، ولا اتحاد إسلامي، ولا وحدة، ولا دولة إسلامية واحدة.....

فهل آن للمسلمين أن يخطوا الخطوة الأولى على الطريق؟

المسلمون وفلسطين

الأستاذ بسام الشكعة(*)

أفهم أن المقصود بالأمن الإسلامي، هو الأمن الروحي والذي يأخذ أبعاده، بالمعنى الاقتصادي أولاً وبمعنى العدالة الاجتماعية ثانيا وذلك في معرفة تحديد أولويات هذا الأمن، ثمة قوة ذاتية تحمي الاستقرار مما يهدد المجتمعات بكل نواحيها وأبعادها، فالإيمان هو ما يعطي الأمن الروحي دفقا من الطمانينة مع سند مادي يحول دون وقوع العدوان على الاخر بكل مظاهره وأشكاله.

بيد أن ثمة ما يدعو لتوحيد الشعوب الإسلامية، انطلاقا من مرتكزات تقوم على الدين، وإن وحدة هذه الشعوب، لا تنتقص من خصوصياتها الذاتية، على أن اللغة تشكل عاملا بارزا، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أيضا وجود الجغرافيا كعامل موضوعي يميز وحدة الشعوب وتعاونها. بل ووحدتها في هذا الإطار.

فان تقف معنا دولة اسلامية كايران،مبعث ذلك أن الجمهورية الإسلامية في إيران تعتبر ان القضية الفلسطينية هي قضيتها. وذلك يعيدنا إلى أهمية أن تتوحد الدول الإسلامية حول اهداف تحقق تكامل العالم الإسلامي. وذلك يصب في مصلحة الأمة العربية، ومصلحة أهدافها في ان معا. هكذا، وبهذه الصورة يمكن مواجهة المخاطر المشتركة معا، اذن التوحد والتكامل هما الضمانة الأساسية، ليس لمواجهة الاخطار التي تتربص بنا جميعا، وإنما لمواجهتها وتحصينها بفعل امتلاكها لوعيها الجمعي، ولمستقبلها معاً وصولاً إلى الأمن المنشود.

ولا ريب أن مصلحة الشعوب باتت تقتضي ذلك، وعلى الحكومات أن ترتقي بصيغ علاقتها بشعوبها، لأن اي خلل في هذا الصعيد سيترك اثاراً ليست بسيطة. فانسجام الحكومات مع طموحات شعوبها سيحقق هذه العلاقة الصحيحة والصحية فيما بينهما. ويذكر التاريخ بعضاً من الحكام الذين خرجوا على إرادة شعوبهم، فلم يعودوا يمثلونها، ولم يعودوا يمثلون طموحاتها أيضاً.. ولا يقف تعبير امة عند جماعة بل يتعداها، لشخص ذي رسالة، وصاحب قضية، عند ذلك يكون قد شكل امة بذاته.

ان الامة الموحدة، بكل تياراتها، ستخلق تعددية لا مثيل لها، لأنها ستاخذ صيغة أرقى وتعبير أكمل لتجسيد تطلعاتها، وتحقيق اهدافها الكبرى. أي أن البعدين الوطني والإسلامي

(*) مناضل فلسطيني معروف.

يشكلان جناحي الأمة، وفي الحالة الفلسطينية- في ظروفها الراهنة- لا معنى للديمقراطية بوجود الاحتلال الصهيوني، لأن الديمقراطية، تترسخ أسسها وفق النضال، وقوانين المواجهة، لتصل إلى أهدافها المعنونة بالتحرير واستعادة الأرض والحق.

ونقول ربطاً بما سبق أن القضية الفلسطينية لا تخص الفلسطينيين وحدهم، فهي قضية عربية وإسلامية، وان أي اختصار لها على أنها قضية الفلسطينيين وحدهم، ستفضي بالنتيجة الى الارتماء في أحضان الاعداء. لان القضية تكون قد جردت من عمقها، ومن حلفائها، فقد اقتضى المخطط الاستكباري تصفية قضية فلسطين، لأن بقاءها بعمق عربي وإسلامي سيكون مبعث قلق دائم، للاستكبار العالمي وإسرائيل.

من هنا نفهم، أن فلسطين بما تمثل هي رافعة نهوض الأمة الإسلامية وصمام أمانها وأمنها معاً فضلاً عن أنها حافز للمنطقة، وحالة تثوير لها والذي من شأنه أن يعطل تكريس التجزئة، وتكريس المكاسب التي حققتها حرب ا لخليج (ا لفارسي) الثانية.

لذلك فإن تعثر الحلول الإمبريالية وانكشاف اثارها على المنطقة، أي على العالم العربي والإسلامي والدولي، يجب أن تستثمر عربيا وإسلاميا، لإعادة القضية الفلسطينية إلى قواعدها الأساسية والحقيقية، فتكامل النضال هو بلا شك الذي سيحمي مصالحنا وتحرير ما اغتصب من أراضينا. والأمر الثاني هو وجود وحدة الموقف على مستوى القيادات الشعبية والرسمية. وفي هذا الصدد نذكر أن إيران الإسلام وسورية العروبة هما الظهير المساند للثورة الفلسطينية وللمقاومة في لبنان ولحماية موقف لبنان المتضامن مع سورية، وهو ما يشكل بلا شك، قاعدة إسلامية. وقاعدة عربية، تنتصر للحقوق العربية والإسلامية وهو الأساس في إطار تقوية وتعزيز العلاقات بين إيران والعالم العربي. يجب أن تنسى الدول العربية والإسلامية، خلافاتها الثانوية. تطلعا إلى العمل الإيجابي، لمصلحة الشعوب قاطبة ولتحقيق أمنها بكافة أشكاله واتجاهاته. ونقول إن هذا التكامل يجب أن ترفده شعارات نهضوية، لمواجهة العدوان الأخطر والانصراف إلى أولوية ما هو حاسم، بعد تغليب التناقضات الكبيرة على التناقضات الصغيرة، ومن هنا نرى وجوب إعادة القضية إلى عمقها الإسلامي والإنساني والعادل، والحقوقي الذي يؤدي في خاتمة الأمر إلى استقرار الشعوب، حيث يتجلى الاصطفاف الحليف للاستكبار العالمي والصهيوني مكشوفاً وواضحاً، ومن يذهب لمعسكرهم، يكون في محل الاتهام الواضح، فايران التي تمثل عمقاً إسلامياً، وبجوارها سورية التي تشكل عمقاً عربياً، باتتا تمثلان النموذج الذي يجب أن تحتذي به جميع الشعوب الأخرى وذلك ما يعطي زخما كبيراً، وبعيد الاثر، ويعطي كذلك الحافز الأهم والمثال لهذه الشعوب كما أنه يحقق في هذا السياق مصالح الجميع، فتاخذ هذه الصيغة مسارها النهضوي المأمول و ما يملي على العالم الإسلامي ان يكون في موقف

موحد، هو طبيعة التحديات التي تواجهه، وعليه نفهم معنى توحيد الجهود والتحديات المصيرية وعلى رأسها إسرائيل وأميركا، والتحدي الرئيسي الذي يواجه الجمهورية الإسلامية في إيران وسورية و(العراق) يسير ضمن الاستراتيجية الأميركية، وكذلك ما بين أميركا وحلفائها في المنطقة.

لاشك أن هذه التحديات ومواجهتها تعطي الكيفية لمسار التضامن وبالمآل الآمن بعمقه وجوهره ودلالاته القوية..

استراتيجية الأمن العربي الإسلامي

في مواجهة الحملة الصهيونية الصليبية

الأستاذ مجدي أحمد حسين(*)

تتعرض الأمة العربية والإسلامية لحملة يهودية صهيونية صليبية شاملة تستهدف احتلال أراضيها والاستيلاء على ثرواتها والقضاء على الصحوة الإسلامية باعتبار أن النموذج الحضاري الإسلامي هو الذي يقدم البديل الحضاري العالمي للهيمنة الأمريكية الصهيونية الغربية.

الأمة تتعرض لحملة استعمارية شاملة لا تقل عتواً- بل تزيد- عن الحملات الصليبية والاستعمارية التي شهدتها بلادنا على مدار القرون الماضية. والخطر الأكبر الذي يتهدد الأمة إنها تتعامل مع هذه الحملة العدوانية الشرسة بالتجزئة وعلى أساس قطري، بينما الحملة ذات طابع عالمي منسق ضدنا.. وهذا هو السبب الأساسي للهزائم التي نتلقاها تباعا.

لقد تعرضت بلاد العرب والمسلمين لتجزئة شديدة في أعقاب انهيار الدولة العثمانية، ولم تستطع أن تلم شعثها منذ ذلك الوقت، باستثناء فترة صعود الحركة القومية العربية التي حاولت أن توحد العرب ولكنها لم تستطع أن تكمل الطريق إلى نهايته، لأنه من الصعب توحيد العرب بدون النمط الحضاري الإسلامي، وبالتالي عادت الأحوال العربية إلى المزيد من التشرذم.

وعقب الثورة الإسلامية في إيران تولدت إمكانية جديدة لتوحيد بلاد العرب والمسلمين حول محور هذه الثورة، وباعتبارها بداية التحرير تحت راية الإسلام.. إلا أن الدول العربية التابعة للولايات المتحدة أحبطت هذه الإمكانية أو بالأحرى عرقلتها إلى حين.

وفي تقديري فإن تحرير العالم الإسلامي يحتاج إلى نواة صلبة، أو أرض محررة تنطلق منها باقي عمليات التحرير، ورغم ابتهاج جماهير العالم العربي والإسلامي بالثورة الإيرانية الا أن تغييراً جوهرياً لم يحدث إلا بعد ١٠ سنوات.. بثورة الإنقاذ الإسلامية في السودان.. وترافق ذلك مع تحرير أفغانستان من الاحتلال الشيوعي، وإقامة حكم إسلامي. وأنشئت حكومة إسلامية في البوسنة، وتمكن حزب إسلامي من حكم ماليزيا بوسائل ديموقراطية، وتمكن الشيشان من إقامة دولة إسلامية واعتراف روسي بها سرعان ما تم سحبه.

ولخلافات سياسية وقومية ومذهبية لم تتوحد هذه النواة الأولى من الدول والحكومات

(*) الأمين العام لحزب العمل في مصر.

الإسلامية المتحررة.. ولم يبق على الساحة الآن منها إلا إيران والسودان وماليزيا.. ولكنها لا تعمل معاً كنواة إسلامية صلبة، بالمعنى الوحدوي الاستراتيجي.

وعلى الصعيد الرسمي كان من أهم النجاحات نشوء محور إيران- سوريا- لبنان، وقد ضرب نموذجاً على أن توحد أي كتلة عربية وإسلامية يخلق قوة ويردع الأعداء ويحرر الأراضي.. ثم يهزم الأعداء. (هزيمة الكيان الصهيوني وانسحابه من لبنان عدا مزارع شبعا).

ورغم شراسة الحملة الأمريكية العدوانية.. التي توجهت إلى أفغانستان ثم العراق وعاثت في أرض العرب والمسلمين فساداً إلا أنها لا تزال مترددة إزاء هذا الحلف (الإيراني- السوري- اللبناني) نظراً لترابطه. لذا من المهم أن تتجمع الحكومات العربية والإسلامية- وإن لم تكن ذات مرجعية إسلامية في الحكم- إذا كانت ذات توجه استقلالي لمواجهة هذه الهجمة العدوانية.. كذلك يجب تشجيع باكستان النووية للانفكاك من العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة.

والأمن العربي الإسلامي لا يعتمد على الدول والحكومات فحسب رغم أهميتها، بل هو في جوهره يعتمد ويستند على الأمة وتفجير طاقاتها، ومن ثم فإن الاعتماد على الجماهير العربية والإسلامية ليس كلاماً إنشائياً أو حماسياً، فلا تحرر إسلامي حقيقي دون صحوة الجماهير الإسلامية، وهذا ما حدث في إيران وأدى إلى الإطاحة بنظام الشاه، وكذلك حركة المقاومة الإسلامية في لبنان والتي التفت الجماهير اللبنانية حولها وانتصرت على الصهاينة، وكذلك انتفاضة الشعب الفلسطيني العظيم التي سطّرت ملاحم رائعة باستبسال يندر أن يوجد في التاريخ، ورغم ما يتلقاه هذا الشعب من ضربات العدو بصدور عارية، فإنه كبد الكيان الصهيوني أشد أزمة أمنية واستراتيجية ونفسية واقتصادية منذ نشوبه وكذلك نرى الآن الدور المقدر للمقاومة العراقية والأفغانية في إنهاك قوات الاحتلال الأمريكية، وتكبيدها من الخسائر ما يجعل الاحتلال مكلفاً، وما يجعل الانسحاب فكرة ضاغطة على المعتدين، وهذه المقاومة تفشل بالأساس مشروع الهيمنة والسيطرة، بحرمان العدو من مناخ الاستقرار ومن ثم إمكانية التبرير والتخطيط والتنفيذ.

إنّ التحالف السوري الإيراني الداعم للمقاومة الفلسطينية واللبنانية هو الشكل الوحيد لنواة عربية إسلامية رسمية وشعبية كقطب مقاوم ومتصدٍّ للحملة الاستعمارية الشاملة للحلف الصهيوني الأمريكي، ومن المفترض توسيع هذه النواة شعبياً ورسميا من القوى المستقلة، وليس من القوى والحكومات العميلة التي لو خرجت فينا ما زادتنا إلا خبالا.

وهكذا نخلص إلى أن حجر الزاوية في الحفاظ على الأمن العربي الإسلامي هو الاستناد للأمر الإلهي بالوحدة.. فبعد الإيمان بالله فإن الأمر الثاني المباشر لجماعة المؤمنين.. هو أن يوالوا بعضهم بعضاً، ولا يوالون الكفار من دون المؤمنين. عملاً بقول الله عز وجل.. ﴿إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.. ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر﴾.. ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾... ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.. وهكذا في كثير من الآيات.

إن الاختراق الرئيسي للأمن العربي والإسلامي يأتي من هذه الزاوية.. فكل قطر أو حزب يتصور أن بإمكانه أن ينجو من الغزوة الصليبية إذا تخلى عن أخوته عندما يتعرضون للضيق، بينما العدو يجهز على الجميع واحدا واحدا. وهذا ما حدث تاريخيا في عهود الحملات الصليبية، وما حدث في الأندلس، والتاريخ يعيد نفسه الآن. إذن فإن مفهوم الأمة الواحدة هو المفهوم الرئيسي الذي يحمي أمن الأمة العربية الإسلامية.

ثانيا: مفهوم الأمة الواحدة من خلال النواة الصلبة. وليس من خلال الحكام العملاء لا يقتصر على الأمن بمعناه العسكري، ولكنه الأمن الشامل المعروف الذي يضم التعاون العلمي والاقتصادي والثقافي.

ثالثاً: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ إن القوة لا تواجه إلا بالقوة، والتوازن العسكري فريضة على هذه الأمة لحماية كيانها وهويتها.. ويجب انتهاج كافة الوسائل لتنمية التصنيع الحربي، وإيجاد روادع للقوة الصاروخية والنووية الصهيونية، وتقوم إيران الآن بدور رائد هذا المجال. ولابد من توسيع رقعة هذا التطور رأسياً وأفقياً.

أما بالنسبة للمعتدين الأمريكيين فإن وسائل الردع معهم متنوعة وتستند بالأساس على الحرب الشعبية الاستنزافية.. كتلك التي يتعرض لها الآن في العراق وأفغانستان وسابقاً في فيتنام. إن نزول القوات الأمريكية على الأرض، ودخولها إلى التجمعات السكانية الكثيفة، يفقدها مزية التفوق الجوي، ويتيح إمكانية استنزاف العدو نزيفا بشريا موجعا لا قبل له على تحمله.

إن العدو الأمريكي ليس في أفضل أحواله كقوة إمبريالية.. بل إن وضعه الاستراتيجي في تراجع وأفول مستمر، ومن الناحية العسكرية فإن أمريكا تضع الآن نصف قواتها العاملة في العالم بأسره في العراق (٥ فرق من ١٠ فرق) ومع ذلك فهي عاجزة عن السيطرة على الأوضاع. فكيف سيكون الحال لو أن أمريكا تتعرض لاستنزاف عدة دول أخرى في نفس الوقت. وقد خفضت الولايات المتحدة قوتها في أفغانستان إلى فرقة واحدة قوامها ٥ آلاف جندي.. وقد أدى هذا الوضع إلى تراجع طموحات أمريكا في إدارة هذا البلد.. وقد أدت الحرب العدوانية على العراق إلى حدوث انتكاسات كبيرة في أفغانستان.. وتصاعد المقاومة ضد الاحتلال في ولايات الشرق والجنوب.

إن تعزيز المقاومة العراقية، وعدم السماح للأمريكان بإطفاء لهيبها، يمكن أن يكون المدخل الاستراتيجي الجوهري لهزيمة المخطط الاستراتيجي الصهيوني الأمريكي في المنطقة. فهذا المخطط اعتبر العراق هو المدخل لإعادة ترتيب أوضاع المنطقة.. وتجسيد شعار من النيل إلى الفرات.. بالإضافة إلى خطورة وأهمية الاستيلاء على ثروات بلد بحجم العراق.. لذا وضعت أمريكا كل ثقلها في هذا المشروع.. وبالتالي فإن انشغال أمريكا في هذه الحلقة سيؤدي إلى جذب كل السلسلة لصالحنا..

إن العراق الآن هو خط الدفاع الأول عن إيران وعن سوريا وعن لبنان وعن سائر الأمة العربية والإسلامية، لأن الأمريكان وضعوا العراق كمنصة إطلاق وانطلاق لتحزيم الأمة العربية والإسلامية وإحكام الهيمنة عليها بعد الوجود العسكري في الخليج وفي مختلف بقاع الدول العربية والإسلامية العميلة.

رابعاً: المؤسسات الشعبية للأمة:

نظراً لتخلف وقصور كثير من الأنظمة العربية والإسلامية، فلابد من تعزيز أواصر العمل الشعبي العربي والإسلامي.. وتطوير المؤسسات المتنوعة غير الحكومية، التي تعزز وحدة الأمة.. في المجالات المختلفة: الإعلام.. النقابات.. مؤسسات العمل الثقافي.. وأن تنحو هذه المؤسسات واللجان نحو الجدية، والخطط العملية الواقعية، بعيداً عن المظهرية والاستعراضات التلفزيونية الكاذبة.. فالأمة الآن في خطر.. وإنه لقول فصل وما هو بالهزل.

خامساً: مقاطعة الأعداء المحاربين:

﴿وإنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون﴾

شرع لنا الله التعامل مع غير المسلمين بالبر والقسط إذا هم لم يعتدوا علينا، ونهانا عن التعاون والتعامل مع المحاربين.. ولذا فإن إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني والولايات المتحدة حرام شرعاً، وهو الأمر الذي طالما تحدث فيه الإمام الخميني وهو من ثوابت العقيدة. لذلك لابد من التصدي لنغمة الحوار الحضاري مع المحاربين، أو التفاوض أو التعاون الاقتصادي.. ولابد من استجلاء هذا الموقف الشرعي وشرحه للجماهير وإلزام الحكومات العربية والإسلامية به.

وفي المقابل بذل كل الجهود الشعبية والرسمية لعزل باقي القوى الدولية عن الحلف الصهيوني الأمريكي ومرة أخرى فإن تدهور الموقف الأوروبي أخيراً تجاه (حماس) و(إيران).. يرجع إلى استهانتهم بالعرب والمسلمين، لتفرقهم، وإذا علم الأوروبيون أن العرب والمسلمين سيكافئونهم إذا ابتعدوا عن الموقف الأمريكي.. لتغير موقفهم.. ولكنهم يرون أن العرب والمسلمين يخضعون لأمريكا التي تذلهم وتستعبدهم.

ودائما وأبدا نعود إلى نقطة المبتدأ.. "الوحدة".. ويجب عدم الإقلال من شأن هذا المبدأ بحجة أن معظم الأنظمة تابعة للأعداء... فالوحدة مبدأ إلهي لا يسقط في أي زمان أو مكان.. وعلى ما تبقى من دول عربية وإسلامية مستقلة أن تعمل وفقاً لهذا المبدأ.. فيما بينها.. وبالتواصل مع الشعوب الإسلامية.. وبدون ذلك سنخسر حتى ما في أيدينا من نواة صلبة!.

الوعي الإسلامي أولاً

الدكتور أحمد راسم النفيس(*)

أثبتت الأحداث الأخيرة المتلاحقة أن العالم الإسلامي جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر. كما اثبتت هذه الاحداث أيضا بطلان المنطق التفكيكي الذي نجح في تقسيم الأمة سابقا إلى قوميات يخاصم بعضها بعضا، ويحارب بعضها بعضاً بل ويستدعي الخلافات الحدودية والنعرات القبلية والمذهبية إسترضاءاً للكبار الذين لم ولن ترضيهم رؤية قوة واحدة في هذا المكان الاستراتيجي من العالم.

إن نظرة واحدة على استراتيجية الإستكبار العالمي المضادة للأمة الإسلامية تكشف لنا عن ركائزها الأساسية التالية:

أولاً: الاستفادة من الخلافات المذهبية القائمة بين المسلمين والعمل على تضخيمها بل وزرع المزيد من أنواع الشقاق والخلاف مثل فتنة جماعة الطالبان.

ثانياً: تضخيم نزعة الاستئثار والأنانية في المجتمعات ذات الموارد الضخمة مثل دول النفط واقناعها بأنها صاحبة مصالح قومية واقليمية مختلفة عن باقي الأقطار الإسلامية.

ثالثاً: دعم النزاعات الاستبدادية لدى بعض الحكومات العربية والإسلامية وتشجيعها على المزيد من مخاصمة شعوبها.

رابعاً: الاستفادة من الأقليات الدينية غير المسلمة المتواجدة داخل البلدان الإسلامية ودفعها إلى التحرك المضاد كما حدث في لبنان من قبل وكما هو مرشح الآن للحدوث في مصر عبر إشعال نيران ما يسمى بالفتنة الطائفية.

خامساً: زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي وتسليحه وتدريعه من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه وتشجيعه على التصرف باعتباره قوة عظمى تتمدد وتصوغ تحالفات تحقق أولاً وأخيراً مصالح هذه القوى ويمكنها سحق كل مقاومة لمشروع الهيمنة الصهيوني.

فما هو البديل؟ إذن لن يتحقق هذا البديل إلا عبر رؤية متأنية وواعية تهدف إلى تحقيق هذه الأهداف كركائز لتحقيق الأمن الإسلامي، عبر:

(*) أستاذ جامعي وباحث إسلامي – مصر .

١- ترسيخ الوعي بتوحد الأمة الإسلامية في وجودها ومصيرها وتداخل مصالحها فلا يمكن أبدا القبول بفكرة انفصال المصالح العربية عن المصالح الإسلامية وأن الدفاع عن مصالح العرب يقف عند حدود الخليج ولا يتعداه إلى "العالم الآخر" فقد أثبتت الأحداث بطلان هذه المقولة بشكل تام فاندفاع الدول العربية الخليجية النمطية إلى تلبية مصالح الغرب بتوفير نفط رخيص له أدى إلى كارثة اقتصادية على جانبي الخليج.

٢- التحالف التركي الصهيوني الأردني الأمريكي هو الآخر أكد هذا النوع من توحد المصالح والمصير بين العرب وإيران وجعل التوحد والتحالف بينهم أمراً حتمياً وضرورياً.

أما عن ركائز هذا الأمن فهي تقوم في تقديري على ما يلي:

١- وعي حقيقي لما يجمع المسلمين والسعي المستمر على تأكيد قوة هذه الروابط.

٢- إقامة نظام إسلامي للعلاقات المشتركة تقوم على العدالة والتضامن في العلاقات بين هذه الدول فلا تجور دولة على مصالح دولة أخرى سواء في قضايا الحدود أو المسائل الاقتصادية لمجرد إن هذه الدولة تمتلك القوة اللازمة لإحراج الدولة الأصغر والأضعف.

٣- اعتبار "الموالاة الإسلامية" مبدأ أساسيا في العلاقات بين هذه الدول عملاً بقوله تعالى ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ فمصالح المسلمين مقدمة على مصالح الشرق والغرب وبهذا تتأكد أواصر المودة والموالاة بين هذه الدول.

٤- إقامة نظام للعدالة الداخلية والتأكيد على مواثيق حقوق الإنسان داخل هذه الدول حتى لا نفاجأ بمأساة مثل مأساة الشعب العراقي في عهد صدام الذي تحول قطاع كبير منه إلى لاجئين في كافة بلدان العالم، أو مأساة التطهير العرقي التي حدثت في أفغانستان.

ولذا أقترح إنشاء "مجلس إسلامي لحقوق الإنسان" منبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي تكون مهمته الحفاظ على حقوق المسلمين المضطهدين داخل وخارج بلدانهم وبهذا تزول عن جبين المسلمين وصمة ان مراقبة أوضاع حقوق الإنسان عندهم لا بد أن تكون من واشنطن أو لندن.

٥- إنشاء " منظمة للأمن الإسلامي " تبدأ أولا على مستوى الخبراء لتصوغ مجالات الاتفاق السياسي والأمني بين الدول الإسلامية وتقدم تقاريرها لمؤتمر القمة الإسلامية ثم تتطور بعد هذا لتعقد جلساتها على مستوى السياسيين لتناقش القضايا الامنية ومكافحة المخدرات والإرهاب.

تعزيز مبدأ الشمولية

الدكتور سهيل زكار*

إن فكرة ومقومات الأمن الإسلامي شاملة، من العقيدة إلى الاقتصاد الى الجيش إلى عدم التدخل بالشؤون الداخلية، إلى محكمة عدل إسلامية وإيجاد مرجعية إسلامية. والمسلمون اليوم لا يمتلكون أي نوع من المرجعيات، وعندما يتطور المؤتمر الإسلامي الى إيجاد نوع من المرجعية، و هذه المرجعية ستكون وفق رغبات المسلمين. وبإمكانها ان توجد حلولا وأن تبرز العالم الإسلامي كقوة عظمى في القرن المقبل وهذا أمر ضروري وملح، إذا أراد المسلمون وحكامهم البقاء والاستمرار لتحقيق الأماني وحفظها، من قبل الله تعالى وممن ورثوا النبي (ص) من الائمة رضوان الله عليهم.

ثمة اختراقات هائلة للأمن الإسلامي، سواء من ناحية الاضطراب الداخلي. وأخشى ما أخشاه اليوم هو الاضطراب ا لفكري والعقائدي.

ونحن اليوم في العالم الإسلامي، لا نمتلك خطابا نقدمه، لا لأنفسنا ولا للعالم في القرن المقبل، فنحن دين الإسلام، دين التكامل، لذلك ندعو المسلمين جميعا للوحدة.. عند ذلك يكون ما أنجزناه هاماً فقد آن الأوان لكي يتم شيء من هذا القبيل.

وأرى، أنه بحكم العلاقات المتميزة بين دمشق وطهران، يمكن لهاتين العاصمتين القيام بعمل واحد، ولنتذكر أمراً هاماً، أنه في طهران عقد المؤتمر الإسلامي في دورته الأخيرة والرئيس الأسد لم يمثل سورية فحسب، وإنما تكلم بلسان العرب، وكان في الوقت نفسه يتحدث، بلسان المسلمين، وإذا حدث تطور ما بين هذين البلدين المجاهدين، فمن شأنه أن يكون إيجابيا ومفيدا، سيما أن التعاون فيما بينهما مازال مستمراً في مناخ من التفهم الكامل.

ومن الضرورة بمكان، إيجاد انطلاقة جديدة بين هذين البلدين، فنحن عرضة لهجمات ماحقة لاسيما من الغرب. ونحن مهددون بوجودنا أيضاً، فعندما نتحدث عن الأمة فلدينا أولويات الوجود وكل ما يتعلق بذلك، هو الاساس بالنسبة لمفهوم الأمن الإسلامي. الغرب الان يتجه إلى التوحيد تتزعمه الولايات المتحدة الأميركية، إنه نوع جديد من الصليبية مراهن، علينا أن نتذكر إن كانت تساند الصرب للقضاء على المسلمين في أوروبا لأن روسيا تريد أن تصنع خطاً أرثوذوكسياً بدلاً عن حلف وارسو وحلف الناتو الآن وهو الحلف الكاثوليكي أعلن

(*) مؤرخ سوري- نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب

منذ سنوات حربه الصليبية ضد المسلمين، وأميركا تعلن حربها ضد إيران، لأن إيران مسلمة، وكذلك ضد سوريا وهكذا.. فالقضية قضية وجود بالأساس الأول. و كل ما يدفع الخطر عن المسلمين يتجسد في مفهوم الأمن الإسلامي. وكذلك كل ما يدفع الخطر من عقيدتهم هو أمن إسلامي.

وقد ان الاوان لنقدم هذه العقيدة بصيغة قرانية محمدية علمية حديثة للعالم.

وأن ننفي ما الصق بالإسلام، ونحن لدينا كل البراهين على أن أميركا هي دولة الإرهاب في العالم.. وأول شروط الأمن هي أن نمتلك الإرادة الحرة والإخلاص والأمل بكل المسلمين ويفترض بكل دولة إسلامية بأن تكون من بين حماة الأمن الإسلامي، وبشكل عام تقع مسؤولية الأمن الإسلامي على دول إسلامية وعلى راسها إيران، وبعض البلدان العربية، على الرغم من ممانعة أميركا والغرب لإرادة تلك الدول في هذا المنحى.

فعلينا إذن أن نعمل للحاضر والمستقبل. ولا نطلب من الماضي، أكثر من الماضي، لان الحاضر جاثم بكلكله على صدورنا. والمستقبل لا ندري كيف سنواجه من خلاله كل القوى المحيطة بنا. ويجب أن تناقش شتى الدول الإسلامية مصيرها، وقضاياها المعلقة، يجب أن تتجه العقول والقلوب إلى المستقبل، وذلك كله مرتبط بالأمن الإسلامي ومن موجباته.

الأمن مع مراعاة التنوع في الدول الإسلامية

الأستاذ خالد الفاهوم(*)

الأمن الإسلامي هو الصيغة التي تجمع الشعوب الإسلامية كافة وعدد نفوسها اليوم يزيد على مليار ونصف المليار نسمة، من إندونيسيا حتى المحيط الأطلسي. إن ما يربط أقطار العالم الإسلامي هو ما نسميه بالأمن الإسلامي انطلاقا من رفض قيام أي صراع بينها، وتغليب مصلحة الأمة على المصالح الضيقة المحدودة، ووصولا إلى تحقيق الأمن والحياة الحرة الكريمة والتقارب والتحابب والتجاذب بين البلدان الإسلامية في مختلف أرجاء العالم.

ونستطيع القول بأن الأمن الإسلامي هو عبارة عن وحدة كلمة هذه الأمة التي يجمعها المؤتمر الإسلامي المطلوب في تقويته وتدعيمه ليصبح أكثر فاعلية وتحركا.

لقد ذكر الإمام الخامنئي في اجتماع قمة طهران الإسلامية في كانون الأول من عام ١٩٩٧، بأن المسلمين جمعتهم وربطتهم مصالح معينة، فنحن جمع وربط بيننا القرآن الكريم الذي جعل بيننا رابطاً أبدياً ليس له انقطاع. هذا الرابط الذي جعلنا جسداً واحداً هو الأمة الإسلامية بالرغم من وجود فواصل تاريخية وسياسية وجغرافية.

لقد اعتنقنا هذا الرابط يوم اعتنقنا الإسلام وليس أمامنا خيار آخر، فالإختلافات والتباينات بل حتى النزاعات ليست سوى سحابة تنقشع بسرعة.

ثمة تنوع عوامل كثيرة في العالم الإسلامي، لكن الإسلام الذي وحد هذه الأمة استطاع ومن خلال أدواته العملية الصحيحة أن يزيل كل ما من شأنه أن يعيق مسيرة تكاتف وتلاحم أبناء الأمة الواحدة. ومثل هذه الأدوات ضرورية وواجبة لإثبات قدرة المسلمين على الصمود والاعتلاء المدني والعلمي ومنها اعتماد الثقة بالنفس والمبادرة إلى خوض الميادين المختلفة في الحياة الإنسانية.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

(*) رئيس البرلمان الفلسطيني في المنفى

﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ إن تنفيذ مضامين الآيات الشريفة الماضية هو من الشروط الضرورية جدا لنهضة العالم الإسلامي وتحقيق ما نسميه بالأمن الإسلامي.

إننا نأخذ أوروبا مثالاً على ضرورة التكافل والتكامل الامني، فهذه القارة التي هيمنت على العالم طيلة القرون العشرة الماضية، كانت دولها تتصارع فيما بينها للسيطرة على إفريقيا و آسيا وأميركا. وكانت تقع حروب ضارية بين أقطارها. وأبسط مثال على ذلك التناحر العميق الذي كان سائداً بين ألمانيا وفرنسا. لقد وقعت بينهما ثلاث حروب في القرن الاخير. الاولى عام ١٨٧٠ والثانية عام ١٩١٤ والثالثة عام ١٩٣٩. وكانت حروباً دامية ممزقة هدمت البلاد الأوروبية. ورغم كل هذه الأحقاد اجتمعت أوروبا ووجدت أن من مصلحتها ألا تتصارع على هذه الدولة أو تلك، بل أن تجتمع وتتناصر في إطار واحد، لهذا تعاونت ألمانيا مع فرنسا وهما عدوتان لدودتان وليس ثمة ما يجمع بينهما مثل المسلمين.

إن العمل بمفهوم الأمن الإسلامي يتطلب التعمق بالأصول والمنطلقات التي توضح مضمون هذا المفهوم، لذا المطلوب هو التعمق في دراسة القرآن الكريم في كل البلدان الإسلامية. ونحمد الله أننا لا نجد بلداً إسلامياً يقول أنه لا يريد القرآن. علينا الاقتداء بالقرآن ثم أن نتقارب اقتصادياً لأن العالم الإسلامي بشكل عام فقير ولا يعتبر قطبا اقتصاديا عالميا يحسب له حسابه لسبب واحد هو أنه ممزق. ولو انه أعطى الأولوية في صادراته ووارداته للبلاد الإسلامية لما بلغنا هذا المستوى من التردي كما أن علينا رفع مجالات التعاون الثقافي في المدارس والجامعات ولا سيما الاختصاصية بالقضايا التقنية الحديثة. نحن أيضاً مطالبون بتوحيد المناهج الدينية والأخلاقية وهو ليس بالأمر الصعب. واكثر من ذلك علينا أن نتقارب عسكريا وأن نتبادل القوة مع بعضنا البعض ومساعدة أحدنا للآخر ضد اي غزو يأتينا من الخارج.

إن إسرائيل مثال على غياب التعاون العسكري بل والسياسي ايضا بين البلدان الإسلامية ولهذا فإن المسؤولية الملقاة على منظمة المؤتمر الإسلامي، كبيرة جدا، فعلينا التحرك بفعالية أكبر في تعاطيها مع الأحداث الإقليمية والدولية المتسارعة ومن المهم جداً، تنفيذ قراراتها لتزداد قوة ومنعة، وأرى أن الرئيس محمد خاتمي في قيادته الدورة الحالية للمنظمة يبذل كل ما بوسعه لتفعيل دورها أكثر واكثر في المستقبل. واحسب أن مثل هذا الإجراء يعد من أهم الخطوات اللازمة لإرساء الأمن الإسلامي بالمعنى الذي تريده كيهان العربي في هذا التحقيق وشكرا.

من أجل مفهوم ثقافي للأمن

العلامة السيد كامل الهاشمي(*)

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة ١٢٦، ويقول عز من قائل: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص ٥٧.

الأمن حاجة بشرية واجتماعية أساسية لا يستقر الإنسان ولا ينمو المجتمع في ظلّ غيابها وانعدام أجوائها.

الأمن والإيمان: شرّع الإسلام أحكاماً خاصة بالأمن ترتكز على قاعدة احترام الحق، وربط الأمن بالإيمان ممّا يجعله يستند إلى أساس تكويني يتمثل في الاعتراف بأول حق يتقرر في ذمّة الإنسان وهو حق الله عليه في الإيمان به وتوحيده، ومن هنا قال تعالى في مقام شرح محاجة إبراهيم (ع) مع قومه: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ◆ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ◆ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ◆ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام ٨٠-٨٣.

الأمن والمكان: جعل الإسلام بقعة معينة من الأرض آمنة لا يجوز إبراز أيّ

(*) مفكر إسلامي من البحرين.

مظهر من مظاهر العنف والخشونة في ظلها، وهي مكة المكرمة. فاعتبرها بلدا حراما، وتوعد من يمارس أيَ ظلم فيها بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿ والْمَسْجِد الْحرام الَذي جعلْناهُ للنّاس سواء الْعاكفُ فيه والْباد ومن يُردْ فيه بإلْحادٍ بظُلْم نُذقْهُ من عذابٍ أليم ﴾ الحج ٢٥.

الأمن والزمان: وكما قرر قاعدة للأمن في المكان فقد قرَر الإسلام قاعدة للأمن في الزمان فحرَم القتال في أشهر الحرم فقال تعالى: ﴿ يسألُونكَ عن الشّهْر الْحرام قتالٍ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌ عن سبيل اللّه وكُفْرٌ به والْمسْجد الْحرام وإخْراجُ أهْله منْهُ أكْبرُ عند اللّه ﴾ البقرة ٢١٧.

ارتباط الأمن بأول بيت وضع للناس: قال تعالى: ﴿ إنَ أوّل بيْتٍ وُضع للنّاس للَذي ببكّةَ مُباركًا وهُدًى لّلْعالمين ◆ فيه آياتٌ بيّناتٌ مّقامُ إبْراهيم ومن دخلهُ كان آمنًا وللّه على النّاس حجُ الْبيْت من اسْتطاع إليْه سبيلا ومن كفر فإنَ الله غنيٌ عن الْعالمين ﴾ آل عمران ٩٦-٩٧.

القيمة التأسيسية لهذه الأفكار: نعتقد أن هذه الأفكار التي طرحها الإسلام في مجال الأمن تفتح لنا آفاقاً واسعة لتأصيل الكثير من قواعد التعامل السياسي والاجتماعي وحتى الأخلاقي بين الأطراف المتعايشة على قاعدة الإنسانية فضلاً عن الأطراف المتعايشة على قاعدة الدين الواحد. وهو الأمر الذي نطمح كمسلمين أن نرى تفعيله في الواقع المعاش للمسلمين؛ وفي تجربتهم السابقة في تجاوز هذه الحقيقة الكثير من المرارة التي تكفي لإدراك قيمة هذه الأفكار والتأسيسات الإسلامية، وضرورة قيام مجمل المسارات السياسية والاجتماعية في حياتنا على ضوء هذه المقررات والتأسيسات، إذ أن الأمن حاجة لا غنى لأيَ إنسان عنها، وفي ظل توافرها واستمرارها يبدع الإنسان ويتطور.

حضارتنا وأمننا

الأستاذ صالح الورداني(*)

الأمن مطلب حيوي ومصيري للمسلمين فبدون الأمن لن يكون هناك كيان ولا حضارة ولا وجود ففي ظل الخوف لا تنهض الأمم.. والأمن إنما يرتبط بالاقتصاد فلا أمن بدون اقتصاد ولا اقتصاد بدون أمن وهو ما يتضح من خلال قوله تعالى في سورة قريش.. (١) لقد كانت رحلة الشتاء والصيف تمثل عماد الحركة الاقتصادية لقريش قبل الإسلام وقد نتج عن هاتين الرحلتين تحقيق الأمن والاستقرار الذي هو وليد الأمن لقريش وغيرهم من العرب الذين كانوا يجتمعون بها ويستظلون بظلها...

- **الإطعام أولاً:**

إن مفهوم الإطعام يعني تحقيق الاكتفاء الذاتي والاقتصاد المستقر وهو ما يجب أن تسعى إلى تحقيقه الشعوب الإسلامية كمقدمة ضرورية لتحقيق الأمن فإن الشعوب التابعة للغير المرتبطة باقتصاده شعوب غير آمنة.. وهذا هو حال العالم الإسلامي اليوم الذي يدين بالتبعية الاقتصادية للغرب المتربص به المعادي لدينه.. من هنا فإن المسلمين في حالة خوف والغرب في حالة أمن ولا مخرج للمسلمين إلا بالتحرر الاقتصادي وتحقيق عامل الإطعام الذاتي.. وقد وهب الله سبحانه بلاد المسلمين شتى الخيرات التي من الممكن أن تحقق الاكتفاء الذاتي والإطعام الدائم إلا أن ارتباط حكومات المسلمين بالغرب يحول دون ذلك. وعلى ضوء ما سبق يمكن القول إن المرتكز الأول لقيام الأمن الإسلامي هو الاقتصاد الذاتي الذي سوف يدفع الخوف عن المسلمين..

- **الغزو الثقافي:**

ومن أجل تحقيق الأمن الإسلامي يجب على المسلمين أن يغلقوا جميع المنافذ في وجه الغزو الثقافي القادم من الغرب الصليبي. فإن نجاح هذا الغزو من شأنه أن يؤدي إلى انهيار الأمن من النفوس وسيطرة الخوف عليها وجعلها صيدا سهلا للغرب..

إن الهدف من الغزو الثقافي هو تهديد أمن المسلمين وتفتيت عقائدهم ومن ثم هو في مقدمة المخاطر التي تهدد الأمن الإسلامي..

(*) باحث إسلامي من مصر.

ونظرا لكون المجتمعات الإسلامية اليوم مفتوحة الأبواب أمام المد الغربي بشتى صوره وأشكاله فإن قضية الأمن تصبح مهددة ومن العسير تحقيقها..

- **قوة الردع:**

لماذا لا تشكل الدول الإسلامية قوة ردع خاصة بها لحسم الخلافات والصراعات التي تجري بين هذه الدول؟

إن واقع الدول الإسلامية اليوم ليفرض وجود هذه القوة من أجل تحقيق الأمن الإسلامي دون الاستعانة بالقوى الخارجية التي من شأنها أن تهدد أمن المسلمين وهو ما نراه واقعاً في عدة بقاع من العالم الإسلامي اليوم..

إننا نطالب التيارات والهيئات والرموز الإسلامية أن توحد كلمتها وتطلب من حكوماتها تحقيق هذه المطالب الثلاثة الملحة من أجل الحفاظ على كيان الأمة وتأمين مستقبلها ودعم مسيرتها نحو التقدم والنهوض.. إن الخروج من دائرة التبعية الاقتصادية.. وصد الغزو الثقافي.. وبناء قوة الردع الإسلامية..

هذه المقومات الثلاثة هي مرتكزات الامن الإسلامي، وإن تحقيقها يتطلب في المقام الأول بعث عقيدة الأمة ورفع راية الإسلام. فبدون العقيدة الإسلامية لن تستطيع الأمة أن تحقق الاستقلال الاقتصادي وتصد الغزو الثقافي وتقيم قوة الردع الإسلامية.. إن العقيدة هي التي حققت الأمن للغرب.. وحققت الأمن لليابان.. وحققت الأمن للكيان الصهيوني في فلسطين.. ولا يمكن تصور أن الغرب الصليبي أو الكيان الصهيوني يتربص بالإسلام والمسلمين ويتآمر ويعلن الحرب عليهم بدون عقيدة يتسلح بها فهذه العقيدة هي التي دفعت عنه الخوف واهلته لضرب الأمن الإسلامي..

الأمن والأمان

العلامة السيد محمد الموسوي(*)

(الأمن الإسلامي) مصطلح جديد يحتاج إلى إيضاح لمعناه وحدوده أولاً كي لا يختلط هذا المصطلح بالمصطلحات السائدة المشابهة كالأمن القومي والأمن الهندوسي.. إن تلك المصطلحات تنطلق من نظرة أحادية لقومية معينة أو جماعة معينة أو بلد معين لتضع أمن هذه القومية أو الجماعة أو البلد هدفاً أساسياً بغض النظر عن أمن الآخرين. بل تتجاوز ذلك في أحيان لكي تقلق أمن الآخرين، في سبيل المحافظة على أمن هذه الجهة الواحدة. بينما (الأمن الإسلامي) قائم على أساس أمن المسلمين وأمن غير المسلمين في وقت واحد. لأن المنطلق الذي ينطلق منه هذا المفهوم هو قاعدة (ا لعدل والإحسان القرآنية) والتي تشمل المسلم وغير المسلم بل وتشمل الإنسان وغير الإنسان، إذ لا إهمال لحق أحد في الأمن كائناً من كان أو ما كان. فالأمن الإسلامي مفهوم واسع يهدف إلى توفير العدل وهو أساس الأمن لكل مسلم وغير مسلم. هذا من حيث المبدأ.

ويتخذ (الأمن الإسلامي) بعدا هاما عندما يواجه المسلمون خطرا خارجيا أو داخليا سواء كان الخطر عسكريا أو اقتصادياً أو ثقافيا أو سياسياً أو غير ذلك ومواجهة الخطر الخارجي تختلف عن مواجهة الخطر الداخلي، ولكل منهما أدواته وأساليبه الخاصة به. فعلى صعيد مواجهة الخطر الخارجي فإن أهم مقتضيات الأمن الإسلامي وركائزه هو قاعدة الاستعداد القرآنية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) والخطاب القرآني جماعي فلابد أن يكون (الإعداد لهم) جماعيا وفي غياب الحكومة المركزية التي تجمع كل مسلمي العالم وهي حكومة الإمامة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يتحتم اليوم على دول منظمة العالم الإسلامي إعداد برنامج عملي للأمن الإسلامي في مواجهة الخطر الخارجي مهما كان شكله، حتى خطر حرب المياه أو الحرب ضد الأخلاق والتي يحركها ضدنا أعداؤنا عبر الفضائيات والإنترنت وغيرها. ولا يمكن لبرنامج الأمن الإسلامي أن يكون ناجحاً عملياً دون أن يأخذ وسائل العصر وأدواته في الاعتبار كي يستفيد منها وحتى لا تكون مواجهتنا للأعداء بأساليب غير متكافئة. ولذلك لابد لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن تدعو عددا من الخبراء المسلمين لوضع استراتيجية واقتراح سبل عملية لوضع

(*) رئيس مجلس علماء الهند.

لبنات الأمن الإسلامي المنشود. ولا يقتصر الأمن الإسلامي على أمن الدول الإسلامية بل يشمل أيضاً أمن الأقليات المسلمة في العالم والتي عانت وتعاني من أخطار كبيرة نتيجة لغياب التوازن الاستراتيجي بينها وبين خصومها وهذا التوازن المطلوب هو الذي يحقق الأمن الإسلامي لها. فمذابح المسلمين في البوسنة وكوسوفا والهند وغيرها لم يكن لها لتحدث لو كان المسلمون يمتلكون آليات فاعلة للدفاع عن أنفسهم، كما يدافع اليهود عن أي يهودي في العالم من أي خطر. مع مخالفتنا الكاملة لمبدأ (الأمن اليهودي) القائم على الأنانية والتعصب، لكن حماية اليهود لأي يهودي ودفاعهم عنه، صفة نحن أولى بها منهم، لكن اكتفاء الكثير من المسلمين بالقشور دون اللباب جعلهم يتركون (الاخوة الإسلامية العالمية) ويأخذون بالعصبيات التي تفرقهم وتشرذمهم، وهكذا غاب (التناصر الإسلامي) وحل محله التخاذل.

والأمن الإسلامي هدف لا تحققه الأنظمة بمفردها، إذا لم تشارك جماهير الأمة في تربية إسلامية حقيقية يعي المسلم فيها أن كل مسلم في العالم هو أخوه وإن الاخوة الإسلامية أوثق من القومية والعرقية والإقليمية وغيرها، والبعد الثقافي للأمن الإسلامي أساس في تثبيت ركائزه في نفوس المسلمين، وهنا يأتي دور برامج التعليم والعلماء والمثقفين وحملة الأقلام والخطباء ووسائل الإعلام. إن الخلل الفادح في تربية بعض المسلمين يجعلهم ينظرون إلى أمنهم ومصالحهم بمعزل عن امن ومصلحة إخوانهم في دولة إسلامية جارة لهم، وكأن الأمة قد انقسمت إلى فرق ودول وشعوب ليس لها إلا شأنها الخاص المنفصل عن الشأن الإسلامي العام.

إننا نعاتب المربين والعلماء في دول إسلامية غنية اقتصادياً ونحن نرى الرأي العام في بلادهم لا يعير اهتماما للأمن الإسلامي في بلاد فقيرة كاليمن والصومال وكشمير، وهذه تربية جاهلية مهما حاول أصحابها تجميلها بالمصطلحات الوطنية ولكنها تبقى بعيدة عن روح الإسلام وتعاليم القرآن الذي جعل (التقوى) وليس المال أساسا للتكريم بين المسلمين.

وإضافة إلى توفير الأساس التربوي والثقافي للأمن الإسلامي، (لابد أن يسعى حكام المسلمين إلى تشكيل آلية عسكرية تدعم التوازن الاستراتيجي بين المسلمين) وغيرهم وتمنع من انتهاك حقوق المسلمين من قبل غيرهم. وليس في هذا اي عيب أو تجاوز للقوانين الدولية وهذه الدول الأوروبية مجتمعة في حلف الناتو، فلماذا لا يكون للمسلمين حلف عسكري إسلامي لحماية الأمن والاستقرار؟

إن الجيوش الإسلامية الموزعة في مختلف البلدان الإسلامية، ستكون أكثر قوة وأوسع خبرة وأشد ردعاً إذا كان بيننا تعاون وتنسيق وتبادل خبرات. وها هي بعض الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي كتركيا والأردن تشارك في مناورات عسكرية مع جيوش أجنبية طالما عادت المسلمين ولا تزال. فلماذا لا تقوم منظمة المؤتمر الإسلامي بتنظيم تعاون ومناورات

عسكرية مشتركة بين الجيوش الإسلامية؟ ولماذا يلجأ جيش مسلم إلى جيش كافر ضد جيش بلد إسلامي، بينما الجيوش الإسلامية الكثيرة عاجزة عن نصرة المظلوم بين المسلمين؟

"إن الظاهرة المؤسفة حقاً هي أن بعض الجيوش الإسلامية تتعبأ وتتهيأ وتستعد لمواجهة الأخوة والجيران المسلمين أولاً بينما لا تولي اهتماماً حقيقياً لمواجهة أعداء المسلمين".

إن الأمن الإسلامي الضروري لا يمكن أن يتحقق بدون الية عسكرية فاعلة يشارك فيها المسلمون جميعاً في الأدوات والوسائل كما هم مشتركون في الهدف. ونعترف هنا أن هذا طريق طويل لم تبدأ به الدول الإسلامية عملياً لأسباب خارجية وداخلية جعلت من مجرد الحديث عن تعاون عسكري إسلامي من أشد المحظورات التي لا يسمح بها الغربيون والأميركان، بينما يسمحون لانفسهم أن يقيموا الاحلاف والمعاهدات العسكرية ضد مصالح المسلمين. وأوضح أن أكبر خطر يتحقق من التعاون العسكري الإسلامي إنما يقع على الصهاينة الغاصبين لفلسطين، الذين يريدون التعامل مع العرب والمسلمين كدويلات متشرذمة لا يربطها رابط ولا يجمعها جامع وهذه هي النظرة التي رضي بها بعض حكام المسلمين وقبلوا بها حفاظا على منافع ضيقة بينما المصلحة الحقيقية هي مواجهة المخاطر والتحديات والأعداء كأمة واحدة تشكل طاقاتها- إن اتحدت- قوة ضاربة على وجه الأرض.

وهناك أساس أخر لا يمكن إغفاله في الامن الإسلامي وهو (الأمن الاقتصادي) فالأمة التي تعيش تحت رحمة اقتصاد الآخرين لا يمكن أن تكون آمنة مستقلة. وهذا ما شعرت به الدول الأوروبية المتناحرة فدعاها إلى تأسيس السوق الاوروبية المشتركة في أواخر الخمسينات من هذا القرن والتي تطورت حتى أصبحت اليوم اتحادا أوروبيا وقوانين موحدة وعملة اقتصادية موحدة وهي اليورو الذي يتوقع له أن ينافس العملة الاميركية التي تبتلع اليوم اقتصاد أكثر دول العالم.

إننا ندعو ونكرر الدعوة إلى سوق إسلامية مشتركة تكون أساسا للأمن الاقتصادي للمسلمين وهي بدورها جزء لا يتجزأ من (الأمن الإسلامي) ومجموع المقومات الاقتصادية في العالم الإسلامي يشكل عناصر نجاح مؤكد لهكذا سوق يتمتع أصحابها بأغنى الموارد الطبيعية وبسوق استهلاكية تشكل خمس سكان المعمورة.

وكما أن الأمن الإسلامي المنشود سيشكل رادعا ومانعا يحمي أرواح الناس الآخرين لابد أن يكون لهذا الأمن آلية تمنع وقوع نزاعات داخل العالم الإسلامي تقلق أمنه الداخلي أولاً وتهدر طاقاته ثانيا وتضعفه أمام أعدائه ثالثا. وحرب نظام صدام ضد الجمهورية الإسلامية ثم غزوه للكويت وما عانته الأمة الإسلامية من خسائر فادحة من جراء ذلك دليل واضح يؤكد ضرورة وجود آلية إسلامية للأمن داخل العالم الإسلامي تمنع وقوع هكذا كوارث.

والمبدأ القرآني في حل النزاعات داخل المسلمين قائم على مرحلتين عمليتين متتاليتين:

الأولى: قيام الأمة بمحاولة الإصلاح ووضع الأمور في نصابها الصحيح (فأصلحوا بينهما) والثانية: مقاتلة الباغي من الفريقين المتقاتلين. وهي اداة فاعلة في ردع الباغي بجعل الأمة الإسلامية مطالبة شرعاً بمقاتلته إذ لا حياد ولا مصالح ولا حلول وسطى في مقابل طائفتين من المسلمين تتقاتلان وقد بغت إحداهما على الأخرى وليس الحكم الشرعي إلا (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) ولو كانت الأمة الإسلامية قد وقفت من عدوان نظام صدام على الجمهورية الإسلامية موقفا قرانيا (محاولة الإصلاح أولاً ثم مقاتلة الباغي) لما استمر هذا العدوان ثمانية أعوام. ولما تجرأ هذا النظام على غزو الكويت ونهب أهله المسلمين، والفتك بهم.

إن العالم الإسلامي ممثلاً اليوم بمنظمة المؤتمر الإسلامي بحاجة ماسة إلى الية لفض النزاعات الداخلية تماماً كما هو الحال بين الدول الأوروبية اليوم. والخص ما مضى بالقول:

١- بأن الأمن الإسلامي ضرورة استراتيجية ومسؤولية شرعية على كل مسلم.

٢- وانه يبدأ بترسيخ حقيقة الاخوة الإسلامية التي تعني إننا نشكل جميعا أمة واحدة لها لغات مختلفة والوان مختلفة وأوطان مختلفة لكن ديننا الواحد هو الذي يجمعنا كأمة واحدة.

٣- ثم إن هذا الامن الإسلامي يحتاج إلى الية عسكرية لتعزيزه يشارك فيها المسلمون حسب إمكاناتهم لتأمن أوطانهم من العدوان وحقوقهم من الانتهاك.

٤- كما أن الأمن الاقتصادي ضرورة لترسيخ الامن الإسلامي ويكون ذلك بإنشاء سوق إسلامية مشتركة سعيا نحو تكامل اقتصادي اسلامي.

٥- كما أن إيجاد الية لفض النزاعات الداخلية ضرورة لا يستغني عنها العالم الإسلامي تقوم على الإصلاح ثم الردع إن بغت إحدى الطائفتين المتقاتلتين ورفضت الامتثال للحق.

الأسس الاستراتيجية

للأمن الإسلامي

الدكتور صبحي الجابي(*)

من الضروري أن نصيغ مفهوماً للأمن الإسلامي وأن نبني له الأسس ونضع له الاستراتيجيات المناسبة. وهذا منوط برأيي في منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن الجوهر النظري للدعوة الإسلامية إلى تأسيس الأمن الإسلامي هو أن الدفاع عن العالم الإسلامي يجب أن ينبع من داخله وأن يعتمد على قواه الذاتية. والأمن الإسلامي وحدة لا تتجزأ، فإذا تجزأ انهار الأساس.

أولاً- مفهوم الأمن الإسلامي:

إننا نبحث عن مفهوم الأمن الإسلامي في فترة هي جسر ينتقل عليها العالم من نظام قديم إلى نظام جديد. وثمة وقائع ملموسة تتراكم على جسر العبور من أبرزها زوال الاتحاد السوفييتي كقوة دولية عظمى منافسة للولايات المتحدة، وتعاظم منزلة الولايات المتحدة في النظام العالمي حتى أصبحت في المنزلة الأعلى. وتصميم دول أوروبا الغربية على تكوين وحدة سياسية اقتصادية كبرى، وانفراد الولايات المتحدة في التأثير المباشر والنافذ على شبكة العلاقات والأمن في العالم الإسلامي.

ويمكن أن يندرج مفهوم الأمن الإسلامي في ثلاثة اتجاهات:

الأول: يرى أن الأمن الإسلامي مرادف للأمن الوطني، والثاني ينظر إلى الأمن الإسلامي على أنه مطلب إسلامي منشود، لم يتحقق بعد، ويرسمه في إطار ما ينبغي أن يكون. أما الثالث فيرى أن الأمن الإسلامي ليس سوى مرادف للأمن الإقليمي.

يدور مفهوم الأمن الإسلامي، في المرحلة الراهنة، حول مجموعة من الأسس والمبادئ التي تضمن قدرة الدول الإسلامية على حماية الكيان الذاتي لها من أية أخطار قائمة أو محتملة، وقدرتها على تحقيق الأهداف الإسلامية.

(*) باحث استراتيجي- سورية.

ويمكن تعريف الأمن الإسلامي بأنه: "هو ما تقوم به مجموعة الدول الإسلامية التي يضمها نظام جماعي واحد (منظمة المؤتمر الإسلامي) من إجراءات في حدود طاقتها للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل، مع مراعاة المتغيرات المحلية والدولية.

وهناك تعاريف أخرى لمفهوم الأمن الإسلامي:

أ- هو قدرة الدول الإسلامية على حماية قيمها الداخلية من أي تهديد خارجي (مفهوم اجتماعي).

ب- هو مجموعة المبادئ التي تفرضها أبعاد التكامل بين الدول الإسلامية في نطاق التحرك الخارجي (مفهوم سياسي).

ج- هو القدرة العسكرية على حماية الدول الإسلامية أو الدفاع عنها إزاء أي تهديد خارجي (مفهوم عسكري).

ويمكن الاتفاق على تعريف موحد لمفهوم الامن الإسلامي وهو:

قدرة الدول الإسلامية مجتمعة على تحقيق اغراضها المشتركة، وحماية هذه الدول وحضارتها ومصالحها إزاء أي تهديد خارجي يتعارض والشرعية الدولية.

وهذا يتطلب إنشاء جيش إسلامي للمحافظة على السلام والأمن في المنطقة.

ثانياً- مقومات الأمن الإسلامي:

يمكن فهم مقومات الأمن الإسلامي من خلال التطرق إلى بعض أهم محاور الأمن الإسلامي:

١ - المحور السياسي:

كان العالم الإسلامي، في عصر القطبية الثنائية، موضع التنافس الواضح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وكان هذا يعني ان للعالم الإسلامي قيمة سياسية لدى الكتلتين. أما وان هذا التنافس قد انتهى دوره، فمن الطبيعي ان يتغير مقدار هذه القيمة صعودا في نواح، وهبوطا في نواح أخرى. وإن كانت نواحي الهبوط اكثر من نوا حي ا لصعود.

ومن الطبيعي أن يتأثر الأمن الإسلامي بمقدار تلك القيمة ومعانيها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، فإذا خرجنا من إطار الاقتصاد والاجتماع والعلوم، واقتربنا من التاريخ والحضارة، فقد نجد في رواسب التاريخ وذكرياته وتياراته ما يولد حركات وتوجهات ومذاهب لا تجد مبتغاها في مذاهب الغرب وفلسفاته.

وثمة من يتنبأ باحتكاك الحضارات، احتكاكا يتعدى التلاقح والتعاون والتوالد. ويصل عتبة التنافس والتصارع. ويشير هؤلاء المتنبئون إلى الإسلام وحضارته وتاريخه. ويرون أن

هناك احتمالاً يتمثل في مذهب حضاري بديل يطرحه أهل الرأي والاجتهاد من المسلمين. وفي هذا المجال نذكر ما جاء في كتاب الرئيس الأميركي الأسبق نيكسون "انتهزوا هذه الفرصة". فقد نبه نيكسون في هذا الكتاب إلى أن العالم الإسلامي يشكل أكبر تحد للسياسة الأميركية. وقال إن على الولايات المتحدة أن تمارس سياسة إيجابية لإعطاء الدول الإسلامية "مكانها المناسب" في النظام العالمي الجديد. وقد ترددت هذه المقولة بأشكال مختلفة في دراسات سياسية استراتيجية غربية كثيرة.

٢- المحور العسكري:

لابد للغرب- بقيادة الولايات المتحدة- وبواسطة آليات الشرعية الدوليه وأجهزتها أن يأخذ في الحسبان مناطق محددة من العالم، يرى أن مصلحته تقتضي أن يضعها دائما موضع التدقيق والاهتمام، فيقيس ميزان القوى فيها، ويرصد مشكلاتها وما يمكن أن تؤدي إليه من زعزعة للاستقرار واضطراب في الأمن. ولا نخطئ القول إن أدرجنا العالم الإسلامي في ذلك الحسبان. ولا نرى ضرورة لتكرار الأسباب والعوامل التي تدرج منطقتنا في قائمة الولايات الامنية والاقتصادية الغربية، وإنما نريد أن نشير إلى نقاط ثلاث تطفو على سطح تلك الأسباب والعوامل وهي:

الحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري والتكنولوجي وإدماجها في إطار المنطقة عضواً طبيعياً فيها، ومراقبة دورة السلاح والتحكم بها، وتعزيز نظام عدم انتشار الاسلحة النووية تعزيزا يشمل د ول العالم الإسلامي دون إسرائيل.

وفي جميع الأحوال، فإن دورة الأسلحة في العالم، أي انتقالها من البلدان الصانعة المصدرة إلى البلدان المستوردة، ستخضع لنوع من الرقابة والتسجيل والتدقيق. وقد يمتد ذلك إلى المضايقة التي تبلغ حد المحاصرة أو شكلاً من أشكالها. وقد شهدنا نموذجا لذلك في محاولة البحرية الأميركية التصدي لسفينتين قيل أنهما تحملان صواريخ من كوريا الشمالية إلى سورية وإيران، ثم ثبت بطلان ذلك.

٣- محور الصراع مع إسرائيل:

شكل تفكك الاتحاد السوفييتي في ١٩٩١/١٢/٢٥ عاملا هاما في تغيير ميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط لصالح إسرائيل، فمع بدء هذا التفكك بدأت هجرة اليهود السوفييت تتدفق على الأراضي العربية المحتلة، وهي هجرة ذات نوعية متفوقة ومتخصصة ومتعصبة. وأخطر ما في هذه الهجرة المستمرة حتى اليوم، تأثيرها على الأمن الإسلامي من خلال تأثيرها على مستقبل الصراع مع إسرائيل.

ثالثاً- سبل تدعيم الأمن الإسلامي وتقويته وإبرازه للوجود:

إن الأمن الإسلامي متعدد الجوانب والأبعاد، فهو لا يقتصر على الأمن العسكري، بل يتعداه إلى المجتمع من جوانبه كافة. كما أن التهديد العسكري الخارجي لم يعد هو الشكل الوحيد للتهديدات الموجهة للأمن الإسلامي، فهناك أشكال أخرى من التهديدات، منها ما هو خارجي، ومنها ما هو داخلي مثل: عدم الاستقرار السياسي، وعدم التكامل الاجتماعي، والحروب الأهلية، وفشل تجارب التنمية. وبذلك يتجاوز مفهوم الأمن الإسلامي حدود القوة العسكرية للدول الإسلامية، ليتسع نطاقه ويشمل جوانب وأبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية وأيديولوجية، وعلمية وتكنولوجية.

عناصر الأمن الإسلامي:

١- تحديد العدو وأنصاره (إسرائيل والقوى الصهيونية والإمبريالية المساندة له وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية).

٢- تحديد مبادئ العمل الاستراتيجي.

٣- تحديد الأهداف.

٤- تحديد الوسائل.

المشكلات الراهنة للأمن الإسلامي:

١- غياب الإرادة الإسلامية الواحدة.

٢- إهمال القوة الذاتية الإسلامية.

٣- عدم القدرة على صناعة الأسلحة في معظم الدول الإسلامية.

٤- وجود خلافات بين بعض الدول الإسلامية.

الأفق المنشود للأمن الإسلامي:

١- عمل ميثاق لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

٢- حل المشاكل العالقة بين الدول الإسلامية.

٣- السعي لإقامة سوق إسلامية مشتركة.

الأمن الإسلامي
في ظل الأحادية القطبية

الدكتور: حامد البياتي(*)

من الحقائق السياسية التي يقرها الأعداء قبل الأصدقاء أن الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني قد أحدثت صحوة إسلامية في طول العالم الإسلامي وعرضه، بل إنها أحدثت وبدون مبالغة وعياً إسلاميا في أنحاء العالم الذي شهد صحوة إسلامية في الكثير من البلدان.

وقد طرحت هذه الصحوة الإسلامية مصطلحات جديدة في عالم السياسة والعلاقات الدولية، بل إنها أرست مفاهيم جديدة في علم السياسة وطرحت معادلات جديدة في ساحة الصراع والتنافس الإقليمي وليس هذا محل مناقشتها.

ومن القضايا الجديدة التي طرحت في المنطقة مفهوم الأمن الإسلامي كمفهوم مرادف للأمن الوطني أو الإقليمي أو القومي... إلخ، وهذه المبادرة بطرح موضوع الأمن الإسلامي للبحث والنقاش مبادرة واعية ومتقدمة وحميدة ومشكورة لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في العالم الإسلامي ولمصلحة الشعوب الإسلامية.

وأعتقد انني في هذه العجالة أحاول ان اشير إلى نقاط قد تكون بديهية وواضحة في أذهان المثقفين والمفكرين ولكن لا بد من البدء منها والانطلاق لتحديد مفهوم الأمن الإسلامي.

١- إن النظام العالمي الجديد يتميز بوجود قوة كبرى واحدة هي الولايات المتحدة ومحاولة انفرادها بالهيمنة على مقدرات شعوب ودول العالم وخصوصاً ما يسمى بدول العالم الثالث وذلك بعد سقوط نظام القطبين عقب انهيار الاتحاد السوفيتي. ورغم وجود مجلس الأمن الدولي ووجود خمس دول دائمة العضوية في مجلس الأمن ووجود الفيتو الا ان الولايات المتحدة تتحدى مجلس الأمن الدولي في فرض قراراتها او القيام بأعمال عسكرية خارج نطاق مجلس الأمن.

٢- إن العالم اليوم يشهد تكتلات سياسية واقتصادية وعسكرية كبيرة ومنها الاتحاد الأوروبي أو السوق الأوروبية المشتركة التي تحاول أن تعادل التوازن سياسياً واقتصادياً مع قوة الولايات المتحدة الأمريكية.

(*) باحث اسلامي من العراق.

٣- إن المسلمين في العالم يتجاوز عددهم المليار وربع المليار نسمة وهو ما يعادل ربع سكان الكرة الأرضية، وإن الدول الإسلامية تمتلك الكثير من الثروات البشرية والطبيعية والاقتصادية ولكن العالم الإسلامي لا يكاد يشهد تحالفا سياسيا أو اقتصاديا أو عسكرياً واحدا. بل إن العالم الإسلامي يعاني من الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية لما يسمى بالدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة. ومن هنا يمكن القول أن الأمن الإسلامي يعني أمن العالم الإسلامي والتعاون المشترك لدول وشعوب العالم الإسلامي للوقوف في وجه أي عدوان خارجي ضد هذه الدول والشعوب. كما أن الأمن الإسلامي يعني أيضاً التعاون ضد أي تهديد داخلي من دول العالم الإسلامي ضد بعضها البعض أو من أية ظواهر مرضية تصيب هذا العالم مثل التطرف والإرهاب وغيره.

أما الوصول إلى هذه المرحلة المتقدمة من التعاون المشترك بين دول العالم الإسلامي فيمكن أن يبدأ بخطوات بسيطة تتمثل في توقيع اتفاقيات عدم اعتداء بين الدول الإسلامية وهي الحد الأدنى من هذه الاتفاقيات. ويمكن أن يتحقق ذلك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي مثلا. ثم تتطور هذه الاتفاقيات إلى اتفاقيات دفاع مشترك على الصعيد العسكري ضد أي تهديد أو عدوان خارجي أو انتهاكات لحرمات العالم الإسلامي وإبادة لأبنائه.

كذلك يمكن التفكير في توقيع اتفاقيات اقتصادية بين دول العالم الإسلامي أو سوق إسلامية مشتركة مشابهة للسوق الأوروبية المشتركة وهذا يحقق التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي.

إن الانطلاق من منظمة المؤتمر الإسلامي لجعلها تكتلات سياسياً وإعلامياً حقيقياً للعالم الإسلامي وتطوير هذا التكتل إلى تكتل اقتصادي ودفاعي وأمني وعسكري من شأنه أن يكون إطاراً لتحقيق الأمن الإسلامي للشعوب والدول الإسلامية في المستقبل. ويمكن أن يقف هذا التكتل أمام أية اختراقات للعالم الإسلامي من قبل الدول الأخرى.

إن السياسات العدائية التي حكمت دول العالم الإسلامي والتي كانت نتيجة الأطماع الاستعمارية والسياسية لبعض الأنظمة الشاذة مثل نظام صدام حسين (البائد) في العراق ساهمت إلى حد كبير في تكريس الشعور بعدم الثقة الذي وصل إلى درجة الاحتراب الفعلي واستخدام القوة لفض المنازعات. ففي غضون عقد من السنين شهدت المنطقة الخليجية ثلاثة حروب مدمرة كان لها الأثر البالغ في دفع المنطقة إلى ما هي عليه الآن من الدمار العسكري والاقتصادي.

إن تطبيق نظام الأمن الإسلامي يمكن إن يكون الفرصة الذهبية لتجنيب المنطقة والعالم الإسلامي الكوارث والحروب الداخلية من جهة ويمكن أن يشكل إطاراً للدفاع المشترك عن دول وشعوب العالم الإسلامي في داخل الجغرافية الإسلامية وفي البلاد الأخرى.

المسلمون قدوة في مفهوم الأمن

الدكتور منصور الجمري(*)

كل فرد ولكل أمة قيم ومنافع ومصالح أساسية يسعى الفرد وتسعى الأمة لحفظها. والإنسان يتجه- بفطرته- لضمان حقوقه في جو من السلم والهدوء والطمأنينة، وبما أن الإنسان في أي مكان وزمان، هو اجتماعي بطبعه، فإنه يهدف للعيش مع الآخرين بسلام وفي جو خال من الفوضى والقلق والاضطراب، مع ضمان حقوقه التي توفر له إمكانية التطور الإنساني.

الحديث عن الأمن في عصرنا الحالي يرتبط بالحديث عن أمن المجتمع ضمن حدود معينة (أمن الدولة)، والأمن بين دولة وأخرى، هو الأمن الدولي الذي يتحدث عنه ميثاق الأمم المتحدة، الأمن الدولي من خلال الأمم المتحدة نظام حديث نشأ بعد فشل عصبة الأمم المتحدة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، الأمن قبل نشوء عصبة الأمم كان خاضعاً - بصورة صريحة - للقوة التي تسيطر على أكبر بقعة في العالم، ولهذا فإن بريطانيا كانت تهيمن بنظامها الأمني PAX BRITANICA لمدة طويلة امتدت منذ نهاية القرن السابع عشر حتى مطلع القرن العشرين، وحاليا، فإن الهيمنة الأمريكية PAX AMERICANA تفرض نفسها من خلال القوة الأمريكية الاستراتيجية، فبالرغم من وجود الأمم المتحدة ونظامها الأمني، إلا أن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة تحدد المسار والاتجاه العام للسياسة الدولية. فالمصالح الأمريكية الحيوية تمتد على أي بقعة استراتيجية من الناحية الجغرافية أو من ناحية الثروة (كالنفط) المتوفرة في تلك البقعة. والحفاظ على تلك المصالح والمنافع لها الأولوية في تحديد القرار السياسي.

هناك "الأمن اليهودي" المطروح تحت عناوين مختلفة، وكل يهودي له الحق أن يهاجر أو يساعد على الهجرة إلى فلسطين، وإسرائيل تعتبر نفسها مسؤولة عن كل يهودي في خطر في أي بقعة من العالم. ولهذا فإن يهود أثيوبيا يتم نقلهم بصورة خاطفة عندما تحل المجاعة هناك في مطلع الثمانينات.

والمآخذ المطروحة ضد الأمن اليهودي هي التمييز ضد "غير اليهود" واعتبار حياة اليهودي افضل من حياة غيره. وكذلك الأمر بالنسبة للأمن القائم على خدمة المصالح القومية لدولة عظمى مثل بريطانيا العظمى (سابقاً) والولايات المتحدة (حالياً).

(*) باحث إسلامي بحريني_ رئيس تحرير مجلة الوسط في البحرين.

في اعتقادي أن الدين الإسلامي الذي اشتق اسمه من السلم ليس أمراً اعتباطياً فالدين الإسلامي يؤمن بضرورة تحقيق الأمن والطمأنينة، وبما أن الدين الإسلامي دين عالمي، فإن السلم المطروح إسلامياً ينبغي أن يكون عالميا ، بمعنى أن السلم لجميع بني البشر - القائم على الاحترام المتبادل وضمان الحقوق للجميع سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن الأمن بين المسلمين ينبغي أن يكون قدوةً للآخرين.

فما حدث في كوسوفا، والبوسنة، ومأساة أهل فلسطين، كلها قضايا ساخنة وتعطي مؤشرا لا يليق بالإسلام وأمة الإسلام التي قال عنها القرآن الكريم ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

المسلمون اليوم هم أقل البشر إحساساً بالأمن، وهذا راجع لأسباب ذاتية — داخلية وأسباب خارجية، وربما أن الأسباب الداخلية هي التي تسمح بوجود الأسباب الخارجية.

كما ينبغي لنا أن نلاحظ أن طرح مفهوم " الأمن الإسلامي " يلزم أن لا يقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها مفهوم الأمن اليهودي أو الأمن القومي.

فالأمن القومي (للدول العظمى مثلا) والامن اليهودي له مقومات القوة الاستراتيجية التي تفرض نمطاً معينا من الأمن على الواقع.

ولو حاول المسلمون تقليد هذا الفهم فإن عليهم أيضاً أن يفرضوا ما يريدون من خلال القوة الاستراتيجية — إن كانت متوفرة لديهم.

وبما أن "الأمن الأوروبي" أفضل من نموذج الأمن اليهودي أو الأمن القومي الأمريكي فالدول الأوروبية التي كانت تتحارب فيما بينها بدأت مسيرة التكامل الاقتصادي (عبر السوق الأوروبية المشتركة) منذ العام ١٩٥٧، وفي الوقت ذاته كانت تدعم هذه المسيرة التكاملية الاقتصادية بذراع عسكري (حلف الناتو) (NATO) واتحاد أوروبا الغربية (WEU).

ثم طورت مسيرة التكامل الاقتصادي بإدخال الجانب الاجتماعي (حقوق العمال وحقوق المواطن.. الخ) ثم وحدت القوانين التجارية والصناعية والفنية، لتحقق بذلك أمناً أوروبيا متكاملا.

ولقد طرح المفكر مالك بن نبي فكرة كومنولث إسلامي (سوق إسلامية مشتركة) لبدء مسيرة تعزيز الحالة الإسلامية وخلق نظام أمني اجتماعي قائم على اعتماد مصالح المجتمعات الإسلامية على بعضها البعض.

فما دامت اقتصاديات المجتمعات الإسلامية مفككة وما دامت الأطر الاستراتيجية (تحالفات سياسية وعسكرية) متفرقة فإن الحديث عن أمن إسلامي لا يتعدى الجانب النظري.

المحور الثالث

الأمن الإسلامي في منظور
إيران الثورة والدولة

ان الامن الإسلامي هو مطلب حيوي وهام لشعوب المنطقة كافة كما وزادت أهميته وحيويته بعد ان اتهم الإسلام نفسه وصار مطلوبا منه أن يقدم صكوك البراءة والتنازلات الكثيرة. هذا الأمن له معززات تدعمه وتمده بأسباب الحياة.. أول هذه المعززات بلا شك هو بزوغ شمس الجمهورية الإسلامية في إيران التي قدمت مشروعها الحضاري المتميز. هذا المشروع وضعته الجمهورية الإيرانية موضع التطبيق وقدمته للعالم كمشروع حضاري إسلامي كما ونقدم نحن هنا مشروعا اخر أسميناه مشروع مجلس التعاون لأقطار العالم الإسلامي وهو مشروع نظري بحث تم عرضه في ندوة عقدناها في دمشق وهو مشروع قابل للتنفيذ ويعد رافدا قويا لمنظمة المؤتمر الإسلامي إذا أريد استلهامه.

ولقد انتصرت الثورة الإسلامية المباركة في إيران، قبيل سنوات من انتهاء الحرب الباردة، وكأن الإرادة الإلهية قدرت أن تكون هناك قوة لاجمة للغطرسة والاستكبار في هذا العالم، واختار المولى عز وجل طهران، لحمل هذه المسؤولية العظيمة رغم كل المشاكل والصعوبات، ايذانا بتدشين دولة المستضعفين الذين تقع عليهم مهمة قيادة البشرية ووراثة الارض. قال تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين﴾.

لقد غدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية العنوان الاهم في معادلة الصراع بين الخير والشر، وبين الإسلام كله والكفر كله، في عصرنا الراهن، وإزاء ذلك صار لزاما عليها أن تعرض مشروعها الحضاري الإسلامي دون أية مواربة او ضبابية. انطلاقا من القواعد والأصول التي أرساها الإمام الخميني (قدس سره الشريف)، يتضامن جهاده وتضحياته التي سطرها مع الشعب الإيراني المؤمن جنبا إلى جنب.

ولئن استطاعت إيران ان تترجم المبادئ الإسلامية السامية على الصعيد الداخلي في مختلف المجالات، فإنها ترجمت سياساتها في ما يتصل بمسؤولياتها حيال الامة الإسلامية برمتها بمواقف وممارسات نظرية وعملية كانت وما تزال محط انظار العالم كله ومبعث إعجابهم بمستويات متفاوتة.

وحيث اننا نتناول هنا موضوع (الامن الإسلامي) فقد ارتأينا تقديم منظور إيراني مقارب لهذا البحث، وهو عبارة عن خطابين تاريخيين، الاول هو لسماحة الإمام السيد على الخامنئي قائد الثورة الإسلامية ، والثاني لسيادة الرئيس محمد خاتمي.

وتنبع أهمية هذين الموضوعين في انهما يقدمان تجربة زهاء عقدين من مسيرة إيران الثورة والدولة المسيرة التي اثبتت عمليا إمكانية نجاح المشروع الإسلامي وديمومته استنادا الى

استقلالية القرار السياسي، النابعة من المصلحة الإسلامية العليا، وبهذا يمكن أن نتصور أهمية هذا المنظور فيما لو قررت الأمة الإسلامية شعوباً وحكومات، اتخاذ موقف موحد من قضاياها المصيرية ولا سيما القضايا ذات الارتباط من الكيان الإسلامي حيال المخاطر والتحديات المحدقة به من كل جانب ومكان.

وكانت إيران الإسلامية أهم معززات الأمن الإسلامي إضافة إلى النهضة الإسلامية التي تعم العالم الإسلامي هذه الأيام، والتي كان من أهم نتائجها أيضاً قيام حزب الله واستقطابه لكافة الفئات اللبنانية ووضع مخطط استراتيجي شامل وثورة مسلحة أدت إلى تحرير الأرض اللبنانية أو معظمها لأول مرة في التاريخ الحديث وهزمت إسرائيل وخرجت مندحرة.

الأمة الإسلامية ومستقبلها في فكر الأمام الخامنئي

ألقى قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله السيد علي الخامنئي خطاباً تاريخياً في مراسم افتتاح الاجتماع الثامن لقمة منظمة المؤتمر الإسلامي في طهران أمام ملوك ورؤساء وممثلي حكومات البلدان الإسلامية، وفيما يلي نصه الكامل ستأخذه مثالاً لتطوير العلاقات الإسلامية- الإسلامية لا سيما مع الدولة العربية ونموذجاً يحتذى في العلاقات الدولية والمواقف الناجحة إعلامياً ودبلوماسياً(*):

بسم الله الرحمن الرحيم..

في هذا التجمع الأخوي الذي يريد أن يصدح بلسان المسلمين في العالم أود أن أبدأ حديثي بحمد الله وشكره. حمداً لك اللهم على نعمة المعرفة والتوحيد والعبودية والمحبة، حمداً لك اللهم على اخوة الإسلام وعلى تكريم الإنسان وعلى تعليم الصبر والتوكل وعلى التوصية بالإحسان والمروءة.

وأصلي وأسلم على محمد المصطفى (ص) عبدك ورسولك الذي نشر راية التوحيد والعدل ورفع صوت تكريم الإنسان، فحرره من عبودية كل شيء وكل شخص سواك.

وأسلم على آل بيته الطيبين وصحبه المنتجبين ومن اهتدى بهداهم وعلى جميع عباد الله الصالحين.

وأرحب ترحيباً أخوياً من الصميم بكل الضيوف الأعزاء قادة وزعماء العالم الإسلامي ورؤساء الوفود وكل الأعضاء والأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة والأمين العام لهذا المؤتمر وسائر الضيوف الأجلاء.

أيها الاخوة والأخوات.. لقد تجمعتم الآن في بيت من بيوت الإسلام وقاعدة من قواعده، ومضيفكم وإن كان هو رئيس الجمهورية رسمياً فإن كل إيراني يرى نفسه مضيفاً لكم في بلد الإيمان.

(*) يذكر أن طهران قد احتضنت القمة الإسلامية للمرة الأولى في تاريخ إيران في الفترة ٩- ١١ شعبان ١٤١٨هـ (٩- ١١) كانون الأول ١٩٩٧م.

أيها الأعزة.. جمعنا هذا ليس جمع أصحاب ربطتهم مصالح معينة وتستطيع مصالح أخرى يوما ما أن تفك رباطهم.. لا، نحن اخوة ربط بيننا بالقرآن رابطاً أبدياً ليس له انقطاع وجعل منا رغم الفواصل التاريخية والجغرافية والسياسية جسدا واحدا هو الأمة الإسلامية. لقد اعتنقنا هذه الرابطة من يوم أن اعتنقنا الإسلام وليس أمامنا خيار اخر. الاختلافات والخلافات بل حتى النزاعات ليست سوى غبار يمس وجه هذه الحقيقة ويمكن غسله بزلال الحكمة والعقل والحلم.

لنتطلع إلى هذا التجمع العظيم وهذا اللقاء التاريخي بهذا المنظار كي نستطيع ان نستثمره لصالح شعوبنا وأمتنا الإسلامية الكبرى.

أيها الاخوة.. أيها الأعزاء.. حديثي في افتتاح هذا الحفل اركز على ثلاثة موضوعات لاخرج منه بنتيجة وهذه الموضوعات هي: الإسلام والأمة الإسلامية والمؤتمر الإسلامي وافاق المستقبل.

١ - الإسلام:

الإسلام في فجر بزوغه وفي يومنا هذا طريق نحو عالم جديد مقرون بحياة سعيدة تتضمن كل ما يتطلبه صلاح الإنسان وفلاحه. الام البشر الأصلية التي سعى الإسلام لإزالتها كانت على مر العصور والازمان ولا تزال واحة لا تتغير وهي: الفقر والجهل والوان التمييز والنزاعات وانعدام الأمن ثم الوقوع في شراك المادية والخصال الدنيئة.

والإسلام دين الإنسانية والاعتدال والتعقل والتسليم أمام إرادة رب العالمين وهكذا كانت كل الأديان دون شك قبل أن تمسها يد التحريف. لذلك قدم الدواء لهذه الادواء الإنسانية بطريقة عقلانية لا يشوبها الإفراط ولا التفريط ودعا الإنسان إلى الذكر والتضرع والارتباط الداخلي برب العالمين، وعلمه وأوصاه أن يكافح الشرور والعدوان والظلم والفساد وأن يواجه باستمرار ما في نفسه من جموح الذات والأنانية واستفحال الأهواء.

أحكام الإسلام الاساسية تبلورت بهذا الشكل، ومنهج الإسلام للحياة الفردية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية نما من هذه الجذور، وعلى هذه الأسس بالذات، ولمعالجة تلك الادواء المزمنة الدائمة يقيم الإسلام نظامه السياسي حيث العدالة الاجتماعية والحريات المختلفة والسلام العادل ومكافحة الظلم والعدوان والعلاقات بين الجنسين والعلاقات بين كل أفراد المجتمع وبين المجتمعات، وهكذا تزكية النفس والعلاقة الداخلية بين الإنسان وربه.

البشرية اليوم، رغم الظواهر البراقة الجذابة المعيشية، تعاني من نفس الالام التي عانت منها على مر التاريخ. اكثر شعوب العالم فقيرة وتسيطر اقلية قليلة على اكثر ثروات

المعمورة. أكثر الشعوب محرومة من التطور العلمي وتتخذ فئة علمها وسيلة للسيطرة على غيرها. لظى الحروب تستعر في بقاع عديدة من العالم ويتوجس الناس في غيرها خيفة من اندلاعها والتمييز بين بلدان العالم على الساحة العالمية وبين الطبقات في أغلب البلدان ظاهرة مشهودة. مادية الغرب تكتسح الاجواء واغراءات المال والبطن والشهوة طغت على النفوس ثم ان مظاهر الصفاء والبساطة والسماحة والإيثار قد تركت مكانها في قسم عظيم من العالم للخداع والتامر والحرص والحسد والبخل ولغيرها من الخصال الدنيئة.

العالم تطور بشكل واسع وسريع في حقول العلم والتقنية والآلة لكن الأدواء المزمنة القديمة لا تزال تفتك بالبشر والعقبات الأساسية لا تزال قائمة دونما تغيير.

الليبرالية الغربية والشيوعية والاشتراكية وغيرها من المدارس جربتها البشرية وثبت فشلها والإسلام اليوم كما في السابق هو شاطئ النجاة والبلسم الوحيد وصوت الإسلام اليوم لا يزال كما كان قبل أربعة عشر قرنا يدعو البشرية يقول: ﴿لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

المهم الكشف عن الوجه الناصع للإسلام ومعرفة جهود الاعداء الحقودين خلال قرون التقت مع تصرفات الأصدقاء الجهلة الغافلين خلال قرون أطول لتشوه وجه الإسلام النيِّر، ولتزيد عليه أو تنقص منه غرض او عن ذوق جاهل، ولان الاذواق المريضة والمصالح الدنيوية كانت ولا تزال تفعل فعلها في تعتيم صورة الإسلام من قبل اهله فان الهجوم الإعلامي لأعدائه يزيد على ذلك بكثير بطرق مدروسة خبيثة.

أحد محاور هذه الجهود الضخمة التي يبذلها الأعداء في هذا المجال الهجوم الإعلامي الشرس الضاري على إيران الإسلام بعد إقامة دولة الإسلام في هذا البلد. وللتعتيم على نداء هذه الثورة الكبرى جندوا طاقاتهم لتوجيه التهم لها ونشر الأخبار الكاذبة عنها. ما قالود كذبا عنها. ما قالوه كذباً عنا ونسبوه الينا اصبح بسبب تكراره مملا ثقيلا على الاسماع.

وكان أكثر المرجفين نشاطاً الصهاينة ووسائل الإعلام الصهيونية العالمية المعروفة وعملاء الاستكبار وفاقهم جميعاً الأمريكيون اي كل أولئك الذين تضرروا من هذه الثورة، أكثر من غيرهم.

أيها الاخوة المسلمون. انطلاقا من هذا فان مهمتنا الكبرى هي معرفة الإسلام ونشره وترسيخ ما بيننا من أواصر التعارف.

٢- الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية هي الثمرة الأولى لنهج الإسلام السياسي/ الإنساني.. هذه الأمة بدأت من مدينة النبي على منورها أفضل الصلاة والسلام وشقت طريقها بصورة مدهشة إعجازية نحو تكونه الكمي والنوعي. لم يمض نصف قرن على هذه الولادة المباركة، حتى ضرب الإسلام بجرأته في ما يقرب من نصف أصقاع الحضارات القديمة المجاورة إلى إيران وروما ومصر ثم بعد قرن أقامت حضارة باهرة وحكومة عزيزة مقتدرة في قلب العالم تمتد من سور الصين. شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً وأحراش سيبيريا شمالا والمحيط الهندي جنوباً.

في القرنين الثالث والرابع الهجريين وما بعدهما قامت حضارة باهرة لا تزال بركاتها العلمية والثقافية مشهودة بوضوح في الحضارة العالمية الراهنة. لكن المغرضون الغربيون حاولوا في سردهم لقصة تاريخ العلم والحضارة، أن ينظروا بعين الإجمال والإهمال لهذه النهضة العلمية والحضارية العظيمة، وأن يؤرخوا للعلم بدءاً باليونان والرومان وينتقلوا مباشرة إلى النهضة الأوربية حتى كأنَ الموت عفا على العلم والحضارة لألف سنة ثم عاد الى الحياة مع النهضة الأوربية فجأة!! لكن الحقيقة إن القرون الوسطى كانت عصر جهل وظلام ووحشة للغرب وأوربا فقط، وكانت للعالم الإسلامي بأصقاعه التي تفوق أوروبا أضعافاً وتمتد من الأندلس حتى الصين عصر سطوع ويقظة وعروج علمي.

الهدف من هذه العودة إلى التاريخ ليس تفاخراً بالماضي. بل الهدف التأكيد على أن الطاقة التي أوجدت هذه الحضارة متمثلة بالإسلام ومعارفه الحياتية لا تزال بين ظهرانينا وينادينا بقوله (ياأيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم).

الإسلام أثبت قدرته على دفع أبنائه نحو الاعتلاء المدني والعلمي والعزة والاقتدار السياسي. والإيمان والمثابرة والحذر من التفرقة، شروط ثلاثة لازمة لتحقق هذا الهدف الكبير والقرآن يعلمنا بقوله: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

وبقوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

وبقوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

عدم توفر هذه الشروط الثلاثة ساق الامة الإسلامية اليوم إلى وضعها المؤسف، خلال القرنين الماضيين على الأقل، كان للأعداء المتربصين المخططين وبعض الحكومات الإسلامية الهزيلة إلى جانب عوامل وظروف تاريخية وسياسية مختلفة السهم الأوفى في إيجاد هذا الوضع. ونحن اليوم نرث هذه التركة الثقيلة.

في استقراء العوامل الخارجية للوضع الحالي، أرى أن هجوم جبهة الاستكبار ذو أثر أكبر من غيره.

نحن نطلق كلمة "الاستكبار" على منظومة تستند إلى قدراتها السياسية والعسكرية والعلمية والثقافية والاقتصادية وإلى نظرة تمييزية للنوع البشري، فتنطلق لفرض سيطرة مقرونة بالاستخفاف والاستهتار على المجموعة الإنسانية الكبرى أعني الشعوب والحكومات والبلدان، فتضغط عليها وتستثمرها وتتدخل في شؤونها وتنهب ثرواتها. وتتعنت في تعاملها مع الحكومات وتظلم في تصرفها الشعوب وتستهين بمقدساتهم وتقاليدهم.

المثال البارز لهذه الظاهرة: الاستعمار، ثم الاستعمار الجديد.

وأخيرا الهجوم الشامل السياسي والاقتصادي والإعلامي بل حتى العسكري الذي يشنه أساطين الاستعمار القديم وورثتهم فارضين علقمه على الشعوب جهارا بدون قناع.

القوى الغربية في هذا الهجوم الفاعل استثمرت تطور العلم والتقنية وبعض الخصال القومية لشعوبها. نحن لا نلوم العدو، إنما اللوم على أولئك الذين يوفرون فرصة انتصار العدو وعوامل اندحارهم بما يحملونه من أنانية وحب عافية وضيق نظر.

الغرب في هجومه الشامل قد استهدف أيضا إيماننا وخصالنا الإسلامية، وفي ظل متاعه العلمي الذي يحس الجميع بحاجتهم إليه، يصر على تصدير ما ابتلي هو به إلى مجتمعاتنا من ثقافة التسيب والإباحية وعدم الالتزام بالدين والأخلاق. وهذا المستنقع الأخلاقي الآسن سيبتلع دون شك في مستقبل ليس ببعيد حضارة الغرب القائمة ويبيدها من الجذور.

العالم الإسلامي على أثر الغزو المعادي والعوامل الداخلية الموروثة من الأجيال السابقة في وضع مأساوي لا يحسد عليه! الفقر والجهل والتخلف العلمي والضعف الخلقي وأفظع من كل هذا سيطرة الأعداء الثقافية وأحياناً السياسية من جهة، والمشاكل الكبرى مثل قضية فلسطين ومسألة أفغانستان ولبنان والعراق وكشمير والبوسنة والهرسك والقوقاز وغيرها من جهة أخرى، تشكل قائمة طويلة من المسؤوليات الإلهية والإنسانية أمام الحكومات والشخصيات السياسية وقادة العالم الإسلامي.

يجب أن نأخذ زمام المبادرة بأيدينا لقد كان الزمام حتى الآن بيد العدو، وكان دورنا ترديد المزيد من الشكوى والعتاب.

فلسطين على الساحة التاريخية تبدلت إلى إقطاعية صهيونية على أثر عشرات المبادرات التي أقدم عليها العدو. بدأت بشراء أرض الفلسطينيين ثم تواصلت عبر تسليح الصهاينة المهاجرين، ثم إثارة الحرب الداخلية وإعلان تقسيم فلسطين، ثم احتلال أجزاء جديدة من هذا البلد الإسلامي العربي ثم احتلاله بأجمعه، وإضافة أجزاء من مصر وسورية والأردن إليه، وهنا بادرت البلدان

العربية المجاورة لفلسطين لمرة واحدة فقط وأخذت زمام المبادرة بيدها وتمثل ذلك بحملة مصر وسورية في رمضان ١٣ هجرية(*)، وهي وان لم تحقق النتائج المرجوة كاملة بسبب التعاون الأمريكي الإسرائيلي وتهاون البلدان الإسلامية، فقد سجلت مفخرة للجبهة العربية وحررت أجزاء من الأراضي العربية. بعد ذلك عاد الصهاينة وحماتهم وعلى رأسهم أمريكا إلى أن يمسكوا بزمام حركة الساحة في إطار شعارات التسوية وفي اتجاه تثبيت الاحتلال الغاصب لفلسطين، جارين وراءهم كل خصومهم حيثما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

كان ينبغي علينا نحن الدول الإسلامية أن نقدم مساعدات أكثر جدية لدول المواجهة من أجل إنقاذ فلسطين.

فيما مضى بعض حكوماتنا لم تتوان حتى عن توجيه طعنة إلى ظهر دول المواجهة. والمثال البارز لذلك حكومة إيران في عهد بهلوي، كانت إيران آنئذ مع الأسف مأمناً للصهاينة ومساعداً حميماً للكيان الصهيوني.

هذا الوضع لا يتناسب مع العزة الإسلامية، وهو بعيد كل البعد عن علاج ما يلم بالأمة الإسلامية. كل البلدان الإسلامية يجب أن تتحمل السهم المناسب في استعادة الحق الفلسطيني، وأيضا لابد أن يخرج العالم الإسلامي من حالة الانفعال إلى حالة المبادرة والإقدام. هاتان المسئوليتان يتحملهما فعلاً الشباب المؤمن الغيور الفلسطيني واللبناني، بكل وجودهم فتحية لهم.

معارضتنا لما يسمى بمحادثات السلام في الشرق الأوسط إنما هي لأنها غير عادلة ولأنها استكبارية، ولأنها مهينة، ثم لأنها غير منطقية. مبدأ ما يسمى بالأرض مقابل السلام يعني أن الصهاينة يعيدون أرض البلدان المجاورة لأخذ الاعتراف بملكيتهم لفلسطين!، أي كلام أكثر إجحافاً من هذا الكلام؟ وما هو الجواب الذي يمكن تقديمه للشعب الفلسطيني العريق في معاملة الغبن هذه؟.

ومن سخرية الدهر أن العدو الصهيوني رفض هذا أيضاً، ولم يرض بتنفيذه!! ألم يحن الوقت أن يكون للعالم الإسلامي رداً مناسبا لهذا السلوك الاستكباري؟.

لو رتبنا علاقاتنا على أساس من الأخوة لاستطعنا ذلك. ماذا تستطيع أمريكا أن تفعله أمام اتحاد جبهة إسلامية تمتد من إندونيسيا حتى شمال إفريقيا؟!.

إن الاستكبار يراهن اليوم على حالة التمزق في هذه الجبهة، أما أن الوقت لأن نرص الصف لصالحنا؟ حضور عدو كالكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي كان بإمكانه أن يقرب بين صفوفنا.. لكن الأيدي الاستكبارية الخفية أبعدت هذا الخطر من طريقها، وعملت

(*) حرب أكتوبر ١٩٧٣.

على أن نخشى من بعضنا أكثر مما نخشى العدو! الوساوس والأكاذيب والإعلام المضاد، جعلت البلدان الإسلامية تخشى من بعضها خطأ ودونما مبرر. منذ ثمانية عشر عاما حتى الآن يعمد مهندسو السياسة الاستكبارية، إلى بث سمومهم بتخويف جيراننا في الخليج الفارسي من إيران الإسلام التي تحمل راية الاتحاد والاخوة. انا أعلن ان أي خطر لا يهدد أي بلد إسلامي من إيران الإسلام.

إيران الإسلام ببركة حياتها في ظلال أحكام القران الكريم تتطلع اليوم أكثر مما مضى لاتحاد العالم الإسلامي وعزته واقتداره.

نحن الإيرانيون ببركة إيماننا بالإسلام ورغم مؤامرات العدو الإعلامية، حافظنا على وحدتنا الوطنية بشكل فريد وخلاف ما يدعيه العدو ويرغب فيه، وسعنا دائرة الحضور الجماهيري، والانتخابات الباهرة التي جرت هذا العام لاختيار رئيس الجمهورية نموذج لهذا الحضور المتزايد.

الحكومات متسجمة، والمسؤولون تربطهم علاقات حميمة، وبين الحكومة والشعب روابط عاطفية مفعمة بشعور الثقة.

كل مساعينا العلمية والسياسية والاقتصادية والثقافية تقوم على أساس ما علمنا الإمام الخميني من الاعتماد على النفس بعد التوكل على الله سبحانه. ونحن ببركة هذه الثقة بالنفس استطعنا أن نعيد إلى بلد خرب متخلف ورثناه من العصر البهلوي وازداد خراباً خلال الأعوام الثمانية من الحرب المفروضة البناء والنماء والنشاط الفعال. هذه الظاهرة نشاهدها في بعض البلدان الشقيقة أيضاً، لكن الاهم من ذلك كله هو العزة والاقتدار السياسي. شعبنا وحكومتنا بفضل التمسك بالاسلام والمشاركة السياسية الجادة استطاعا ان يقتلعا جذور التدخل الأجنبي في بلادنا.

الامة الإسلامية بأجمعها أيضاً متعطشة إلى حالة تسودها الثقة بالنفس والعزة والاستقلال، وعلينا أن نسعى جميعاً على هذا الطريق، هذه مسؤولية تاريخية وكل الاجواء متوفرة ليستعيد العالم الإسلامي عزته واقتداره وكامل استقلاله.

ولو أن تنسيق المساعي على هذا الطريق بحاجة إلى مجمع متمركز فنحن نمتلكه، إنه منظمة المؤتمر الإسلامي، فلنلق نظرة على هذه المنظمة وآفاق المستقبل المرتقب.

٣- منظمة المؤتمر الإسلامي و آفاق المستقبل:

٢٧ عاما مضت على حريق المسجد الأقصى الذي أدى إلى ولادة هذه المنظمة. ظروف عالمنا المعاصر جعلت هذه المنظمة أمام مسؤوليات أكثر جدية من قبل فهي تستطيع أن تكون

مظهر اتحاد حقيقي بين البلدان المسلمة في مسائلها ومصالحها المشتركة. باسم أعضائها تنطق وتطالب وتنفذ وبدعمهم المالي والاقتصادي والسياسي تتحرك بين أعضائها رابطاً لحل مشاكلهم، ولتكون مركز لقاء وعنصر تنسيق حيثما لزم التحكيم. وتنصح حيثما نفع النصح.

العالم الإسلامي اليوم، رغم أن حصته في التجارة العالمية أقل بقليل من ٢٠٪ وهي نسبة سكانه إلى سكان العالم، غير أن المقدار الخاص بتجارته الداخلية بين البلدان الإسلامية أقل بكثير من هذه الحصة أيضاً.

هذه المنظمة تستطيع أن يكون لها دور فعال في المسألة الاقتصادية الحساسة ذات التأثير على سياسة هذه المجموعة أيضا. بعض بلداننا تحظى بإمكانات طبيعية وإنتاجية وطاقات علمية وصناعية وثقافية قيمة مما تحتاجه بلداننا الأخرى احتياجاً مبرماً. هذه المنظمة تستطيع أن تنهض بدور فاعل في تبادل منطقي عادل لهذه الإمكانات.

هذه المنظمة تستطيع أن يكون لها دور فعال في المسألة الاقتصادية الحساسة ذات التأثير على سياسة هذه المجموعة أيضا. بعض بلداننا تحظى بإمكانات طبيعية وإنتاجية وطاقات علمية وصناعية وثقافية قيمة مما تحتاجه بلداننا الأخرى احتياجاً مبرماً. هذه المنظمة تستطيع أن تنهض بدور فاعل في تبادل منطقي عادل لهذه الإمكانات.

جماعات كبيرة من المسلمين اليوم ودائماً يعانون من آلام مضنية تتطلب حلا عاجلاً، على سبيل المثال تتعرض الآن بعض الولايات الأفغانية مثل باميان إلى مجاعة عامة وتقترب من برد قارس شديد والشعب العراقي يعيش واحدة من أكبر محنه التاريخية ويعاني من نقص في الغذاء والدواء وارواح الملايين من أبنائه وخاصة الأطفال في خطر. وفي الجزائر مذابح رهيبة ترتكبها أيد خفية لتتهم بها الإسلاميين ولتشوه بها وجه الإسلام، وفي البوسنة وكشمير والصومال وقره باغ وبقاع أخرى يواجه المسلمون مشاكل جادة. منظمة المؤتمر الإسلامي تستطيع أن تشكل لجانا خاصة وتضع مشاريع عمل فاعلة يشترك فيها كل الأعضاء لحل هذه المشاكل.

لتنشيط هذه المنظمة في المسائل المرتبطة بين الأعضاء لا نحتاج إلى شيء ولا إلى أحد سوى الإرادة الجماعية والمساعدات المالية من الدول الإسلامية الغنية، المعارضة المحتملة من البلدان التي تتضرر من اتحاد المسلمين لا تستطيع أن تقف في طريقنا إلا إذا أوجدت تزلزلاً في إرادتنا حين كان المسلمون في منطقة البلقان يتعرضون لإبادة وحشية وكان أولئك المسلمون يدافعون لوحدهم عن هويتهم الإسلامية أمام جموع عسكرية منظمة مهاجمة وجموع

متفرجة. كان من المفروض أن يكون مثل هذا المركز متواجد ليخفف عن بعض الام أولئك الأخوة، وليكون ثقلاً في ميزان المعادلات العالمية لصالح ذلك الشعب المظلوم.

والآن، فإن حضور الاساطيل الأجنبية وخاصة أمريكا بعددها وعدتها في الخليج الفارسي وهو بحر إسلامي ومركز هام للطاقة في كل العالم يؤدي إلى انعدام الأمن.

وجود منظمة إسلامية مقتدرة يستطيع من جهة أن يرغم الأجانب على سحب شرورهم، وذلك بمنطق العزة والاقتدار الإسلامي، ويستطيع من جهة أخرى أن يزيل مبررات هذا الحضور، كما أنه بإمكانه أن يرسل متى اقتضى الأمر قوات من نفس البلدان الإسلامية لصيانة أمن هذه المنطقة وسلامها.

والآن تعاني أقليات مسلمة في بعض بلدان العالم من التمييز والظلم والسلوك المتعصب أشد المعاناة. مساعدة هؤلاء واجب كل المسلمين، غير أن المساعدة الجادة المطلوبة في إطار العلاقات الدولية بحاجة إلى مركز إسلامي دولي. واي مركز أنسب من منظمة المؤتمر الإسلامي؟!.

عشرات المهام تنتظر التنفيذ، وكل واحدة منها تلقي مسؤولية على جميع البلدان الإسلامية. وما ذكرناه نموذج لذلك. وفي كل هذه المواضيع لا تستطيع أية حكومة إسلامية أن تؤدي ما يؤديه مركز دولي إسلامي.

أيها الاخوة.. أيها الضيوف الأعزاء.. تعالوا نغتنم الفرص متكلين على حول الله وقوته ونتقارب ونقوي مركز الاتصال بيننا.

المؤتمر الإسلامي يجب أن يتابع قراراته حتى التنفيذ الكامل كي يكون لهذه الاجتماعات عطاء لشعوبنا. ولابد أن يستطيع تأسيس برلمان لمجالس البلدان الإسلامية، وأن يخطط لديوان عدالة إسلامي وأن يكون نيابة عن خمسة وخمسين بلداً إسلامياً ومليار وبضع مئات الملايين من السكان، من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وطالما كان حق الفيتو قائماً فليكن العضو السادس من الأعضاء الذين يملكون هذا الحق في ذلك المجلس.

هذه آفاق مستقبل هذا المؤتمر، وبهذا سيستطيع أن يرسم آفاق مستقبل الأمة الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحوار الحضاري من أجل الأمن

السيد محمد خاتمي*

إن ما يجمعنا نحن المسلمين هو الإسلام والإسلام مبني على كلمتين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. الحقيقة الواحدة تتطلب امة واحدة ومتحدة والطريق الواحد نصل إليه من اتجاهات متعددة.. فالإسلام يوحدنا كامة من جهة ويامرنا بالتعايش والمودة مع الامم الأخرى من جهة أخرى ودين الإسلام دين شامل ومتسع بقدر اتساع الرحمة والمحبة الإلهية.

قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾

جاء هذا العصر ليمتحن المسلم في قدرته على التعامل مع الظروف الصعبة للعالم المعاصر وتعتبر السياسة والعلاقات الدبلوماسية بين الدول أهم اختيار للشعوب والدول الإسلامية في عالم اليوم الذي يعم فيه العنصرية والفقر والحرب والإرهاب وانعدام الأمن.

وحيث أن الإسلام دين الأخلاق والتعارف فهو الحل لخروج العالم من هذا الوضع المخيف الذي هو فيه لانه يريد الدين للإنسان وليس الإنسان للدين لذا فنامل أن توضح ميزات للعالم كله وهذه إحدى فوائد منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن ماضي الإسلام والمسلمين الحضاري كان يرتكز إلى الكلمة والحوار والموعظة الحسنة وهذا بحد ذاته يعني الامن للناس جميعا.

يدين العالم لثقافتنا بالكثير فقد قدمت له حضارة اليونان العظيمة بعد أن حفظتها من الضياع وأضافت إليها الكثير الكثير وعلمت الغرب التسامح والروح العلمية والديمقراطية التي يتباهى بها اليوم.

وقد آن الأوان أن تعود هذه الثقافة وتتكلم عن الحوار والسلام والتعايش بين الدول والشعوب وإن قرآننا الكريم الذي هو معجزة الكلام أكبر دليل على أن ثقافتنا تمتاز بالحوار والتسامح ورفض العنف والإكراه والدعوة إلى السلام والأمن.. والآن تأتي الدعوة إلى حوار الحضارات من جانبنا نحن المسلمين..

جوهر عالم اليوم من جهتين جهة ضيقة الأفق تحمل أفكار عنصرية وتلجا للعنف وجهة مستكبرة تطلب السلطة والسيطرة، الأولى تشوه الدين والثانية تشوه مفاهيم الحرية

(*) رئيس الجمهورية الإيرانية. بتصرف من كلمته امام مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في طهران أيار ٢٠٠٣.

والديمقراطية.. ونحن باسم الإسلام نزيل الغشاوة عن هاتين الجهتين اللتين تخيفان العالم بالإرهاب والقطبية الأحادية وندعو إلى الحرية والعدالة والأخلاق وسلطة الشعب والسلم والأمن.. ونعلن أن ذلك كله ينبع من الإسلام.

لذلك فعلينا أولا أن نبتعد عن التشتت والتفرقة ونقدم إسلامنا الى العالم، إسلام العدالة والسلام والحرية والأمن... وان تستقل دولنا من قراراتها عن سلطة الدول الاخرى وتستفيد من إمكاناتها الكثيرة مادية ومعنوية حتى تأخذ موقعها الرفيع في عالم اليوم، عالم الغد.

امامنا اليوم موضوع حق وحرية الشعب الفلسطيني في تحديد مصيره وهو أهم موضوع لنا في عالم اليوم فالمسجد الأقصى ليس مسجدا او مكانا مقدسا فقط بل هو مظهر التحرر والعدالة والبعد عن التعصب فالمسلمون منذ فتحهم بيت المقدس سواء في المرة الاولى او بعد تحريره من الصليبيين برهنوا على تسامحهم الديني مع الاديان الاخرى بعكس ما يفعل الصهاينة اليوم من قتل وسلب وترويع للشعب الفلسطيني المظلوم.. لذلك فعلينا هنا في هذا المؤتمر ان نعلن حمايتنا اللامتناهية للشعب الفلسطيني وندعم مقاومته الصلبة والشجاعة للاحتلال ولإرهاب الدول المنظم الذي تقوم به إسرائيل.

ثم أمامنا أيضاً الشعب العراقي المظلوم فانه في هذه المرحلة بالذات يحتاج إلى مساعدات لا نهائية من كل الدول والشعوب المسلمة والحرة في العالم. فقد مرّ هذا الشعب بتجارب مرة من سلطة نظام استبدادي قمعي جرّه إلى حربين مع جيرانه وأضاع منه موارده الإنسانية والاقتصادية والثقافية، واليوم فهذا الشعب نفسه أمام ظروف صعبة أخرى ولكننا بانتظار ان يتمتع بنظام سياسي منتخب ويستلم زمام اموره بنفسه لذلك فعلى كل الامم ان تدعمه في ذلك.

ونحن المسلمين نطالب ومطلبنا مشروع ومنطقي أن تبدأ الأمم المتحدة إعادة بناء العراق وتستلم المساعدات وتحسن توزيعها وتعمل على أن تقوم حكومة منتخبة بأسرع وقت ممكن وترسل مندوبيها إلى الأمم المتحدة كما وتنادي بقيام ائتلاف عالمي لأجل السلام وتعلن أن جر الدول للحروب هو نتيجة السياسات التي تدور حول العنف والفردية والاستبداد.. وان منع الحرب يعني اقتلاع جذورها وهو الحرمان والاستبداد، والظلم والقمع والاستكبار من الإرهاب وانعدام الأمن.

رغم أن القسم الأعظم من الثروات البشرية والاقتصادية والاستراتيجية للعالم موجودة في الدول الإسلامية إلاّ أن الكثير من الدول الإسلامية تعاني اليوم من الفقر والارهاب والطغيان ومن مشاكل داخلية خطيرة كما هو الحال في افغانستان والصومال.. كما ان ايران تعترف ان تطورها لا يتناسب مع أهميتها التاريخية والاقتصادية وإمكانياتها العظيمة وذلك لانها مرت بظروف غير عادية لكنها يمكنها التغلب على ذلك بالإرادة القوية والاتحاد.. وكذلك

علينا جميعاً الوصول إلى التكنولوجيا الجديدة كما على منظمة المؤتمر الإسلامي أن تكون أكثر فعالية في المجال الدولي كما وأن تسعى في الوقت نفسه إلى الوحدة السياسية كما أن يكون زيادة التعاون المالي والاقتصادي والجمركي والاجتماعي والثقافي أهم هدف للدول الإسلامية..

وإن وجود منظمة مصرفية إسلامية وإذاعة إسلامية وتلفزيون إسلامي ووكالة أنباء إسلامية ومنظمة الثقافة الإسلامية وفضائية إسلامية مشتركة.. وغير ذلك كلها تمهد الأرضية اللازمة لإيجاد موقع قوي للدول الإسلامية بين القوى العظمى في العالم شريطة أن نعلن جميعاً أننا نقوم بتفعيل هذه المنظمات وأن نمتلك الإرادة القوية اللازمة والطاقة للاستفادة القصوى من هذه الإمكانيات في كل المجالات لما فيه خير شعوبنا بل أمتنا الإسلامية.. نعم ليس لنا حتى نأخذ المكانة التي تليق بديننا، الدين المنجّي للبشرية قاطبة، ليس لنا إلا التعاون وتوسيع نطاق علاقاتنا فيما بيننا..

في عصر العولمة ليس هناك دولة لا تحتاج إلى غيرها. فلماذا لا يكون هذا الاحتياج والمساندة بين دول وشعوب محبة وقريبة في أفكارها ودينها وقلوبها؟

صار العالم قرية صغيرة في عصر تبادل المعلومات وعصر الفضائيات والتكنولوجيا المتقدمة فلنبن معاً بيتنا الإسلامي الصغير..

لنتكل على الله ولنعاون بعضنا بعضا نحن المسلمين المظلومين لبناء عالمنا، عالم كله سلام وحوار وحرية وعدالة من أجل كل شعوب العالم.

المحور الرابع

مشروع مجلس التعاون لأقطار العالم الإسلامي

المشاركون في ندوة مجلس التعاون لأقطار العالم الإسلامي
دمشق- فندق سمير أميس- تموز ١٩٩٧.

من اليمين الصحفي حميد حلمي زاده- الدكتور رفعت السيد أحمد- الدكتور علي عقلة عرسان- السيد عبد الله نظام- الدكتور زهير غزاوي- الأستاذ مجدي أحمد حسين.

لعلنا لن نكون مثاليين حينما ننطلق في دعوة إلى ايجاد مجلس للتعاون بين البلدان الإسلامية في العالم، مادمنا نتحرك بثوابت مقبولة ومتفاهم عليها وحددتها المواثيق والأعراف الدولية في راهننا المعاصر في قوانين ومعاهدات باتت تؤثر في المواقع والتطورات المختلفة سلباً وإيجاباً.

ففي حين تتجه تماثيل القوة والمال لإحكام سيطرتها على العالم في إطار مسميات مختلفة "كالعولمة" و"الشرق أوسطية"، وهما اللتان تجتمعان معا تحت مظلة الأحادية القطبية للاستكبار الأميركي، باتجاه مزيد من التفتيت والتشرذم لأبناء أمتنا الإسلامية المجيدة، نجد وبكل أسف دعوات هنا وهناك لإدخال "إسرائيل" المجرمة في المنظومة العربية والإسلامية تحت ذريعة "الالتزام بالمواثيق والوفاء بالعهود الدولية"!؟.

وأمام هذا فإننا نجد أنفسنا مدعوين الى تبني الحق والعدالة والإنصاف في التعامل مع ذواتنا وأقراننا من بني أمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، بعيدا عن المهاترات أو الركض وراء السراب، فشعوب العالم الإسلامي أمست تعاني من أشكال التقيؤ والغثيان من فرط ما اهتضمت من الإذلال والاستعباد على أيدي حكامها وأسيادهم الاستكباريين من أكلة السحت ومصاصي دماء المستضعفين في العالم.

لقد شهدت منطقتنا والعالم وما تزال مجالس وتحالفات حملت بعضها أهدافا مرحلية وانفرطت لتحل محلها صيغ أخرى جديدة تتناسب وتطلعات أصحاب القرار الدولي في حين بقي البعض الآخر منها، يراوح في مكانه لا يجد حولا ولا قوة يزحزحانه عن الركود والترهل.

وأمام هذا وذاك هناك أكثر من سبب يدعونا للتفكير الجدي بمشروع تعاوني إسلامي لمواجهة التحديات الخطيرة، فإذا كان عدونا التاريخي قد سبقنا وأنجز تحالفات إقليمية خطيرة تهدد كيان الأمة، فلماذا لا نتحالف في الوقت الذي يجمعنا أكثر من عامل مشترك، وفي مقدمة ذلك ضرورة الأمن المشترك الذي يعزز سلامة واستقرار أجزاء العالم الإسلامي المهددة من قبل الكيان الصهيوني.

لقد أقصت الثورة الإسلامية في إيران النفوذ الاميركي من منطقة إسلامية واسعة، وسياسة إيران المبدئية كرست واقع الاستقلال في جزء مهم من خارطة العالم الإسلامي، ومواقف الجمهورية الإسلامية تجاه القضايا المصيرية كانت ولا تزال عنصرا فعالا من عناصر المواجهة مع العدو الصهيوني.. فإذا افترضنا أن هناك إمكانية لقيام محور يضم إيران الى جانب بعض الدول العربية والإسلامية لتعزيز التعاون بين البلدان المستهدفة، فإن النتائج هي لصالح الأمة حتماً ولغير صالح إسرائيل والسياسة الأميركية بالتأكيد.

مـن هذا المنطلق بادرنا إلى عقد هذه الندوة في دمشق لفتح حوار حول هذه القضايا، أملاً في الوصول إلى استنتاجات مفيدة على هذا الصعيد، بمشاركة الشخصيات التالية:

١- د. علي عقلة عرسان- سوريا.

٢- السيد عبد الله نظام- سوريا.

٣- المستشار الدمرداش العقالي- مصر.

٤- د. زهير غزاوي- فلسطين.

٥- أ. مجدي أحمد حسين- مصر.

٦- أ.زياد نخالة- فلسطين.

٧- د. رفعت السيد أحمد- مصر.

** الدكتور علي عقلة عرسان(*):

إن في رأس المحاور في هذه الندوة الإشارة إلى عناصر القوة والضعف في الأمة الإسلامية، وكيفية اختزال السلبيات وكمدخل لمشروع تعاون إسلامي وعمل على الأرض بعيداً عن الإنشاء والخطابة، فالعالم العربي لا تنقصه القرارات والتوصيات ولكن ينقصنا التنفيذ وتجسيد ما نفكر فيه ليكون منطلقاً على درب واضحة تؤدي إلى نتائج ملموسة تحقق رؤية لهذا المشروع الكبير.

لم يكن عبثاً جهد الإمام الخميني طاب ثراه في الدعوة إلى مشروع حضاري إسلامي، ولم يكن هذا الطرح وهذه الرؤية بعيدة عن معطيات واقعية ومكونات وعناصر موجودة كخلفية وكواقع يمكن أن نكشف فيه أكثر مما هو ملموس لإقامة حالة مغايرة في العالم الإسلامي السائد ولإيجاد قوة بالمعنى الشامل للقوة المعنوية والمادية، معنوية بتفرعاتها ومادية بتفرعاتها.

ليكن هناك مركز إشعاع وكتلة بشرية واقتصادية متكاملة وثقافية تستطيع أن تقول كلمة وتدافع عن موقف وتدعو إلى رؤية في هذا العالم على أسس حددها الشرع وهي محددة بحكم انتماء العالم الإسلامي إلى عقيدة أساسها القرآن ومن مقوماتها الحديث والسنة.

من هذا أخلص إلى أن عناصر القوة والضعف في الأمة الإسلامية يمكن الإشارة إليها في محورين:

عناصر قوة معنوية وهذه تستند إلى قيم إسلامية ترتبط بالأخلاق والاعتقاد وشرط الحياة وشرط السلوك المرضي عنه أو المنتدب إلى فعله. وهذه القوة مشتركة بين المسلمين وهي في أساس تكوين الشخصية الثقافية الإسلامية العامة، وحين نعي مقومات هذه الشخصية وعناصر القوة فيها، فإننا ننطلق إلى أهدافنا من خلال وعي وايمان ورؤية، الوعي بمن نحن وما لدينا وماذا نريد، والإيمان بأننا مكلفون، والحياة تكليف من الخالق برسالة سامية حدودها محددة علينا أن نعمل لها وأن لا نكون صفة للشيطان الاخرس الذي يرى الحق ويبقى صامتاً.

وهناك عناصر معنوية ترفض الاستغلال والاستعمار والجور على الحريات والحقوق، وترفض الشر وما يبنى عليه وما ينطلق منه أو يؤدي إليه وبالتالي تكون منطلقاً للعدل واحترام الناس وإلى دفع الضيم والحيف والأذى عن البشر كافة لأن الإسلام جاء للناس كافة.

(*) أمين عام اتحاد الكتاب والأدباء العرب في سورية.

وأيضا النظرة المستقبلية للحياة لأن الإسلام أيضا دين مستقبلي، إضافة إلى هذا فإنها تبدأ من طاقة المسلمين وتريد أن تأخذ انطلاقا منهم بعملية تغيير شاملة في العالم لتضع حدا لأشكال الاضطهاد والاستعمار والعنصرية.

وإذاً هناك عناصر قوة حقيقية ثقافية وأخلاقية (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) و(الدين المعاملة) فهما تلخيص للإيمان والسلوك، مما يؤدي إلى تكامل في الجانب المعنوي.

أما في الجانب المادي، فهناك عناصر قوة منها امتلاك العالم الإسلامي لأكثر من ٧٠٪ من الطاقة التي يحتاج إليها العالم وهي البترول بشكل عام، وامتلاك هذا العالم لقوة بشرية في حدود مليار و٢٠٠ مليون إنسان أي خمس سكان العالم تقريباً، وامتلاك هذا العالم لسعة جغرافية وتنوع بشري ومراكز استراتيجية فيها منافذ هامة على العالم منها (مضيق جبل طارق) و(مضيق هرمز) و(باب المندب) و(قناة السويس) والبسفور والدردنيل وهي أهم المراكز والشرايين التي تربطنا بالعالم.

وهناك تنوع اقتصاد وغنى في الثروات المادية الموجودة في باطن الأرض تنتظر الاستثمار أو مكشوفة وتستثمر بأشكال مختلفة.

ولكن الملاحظ أن كل هذه الطاقة المتنوعة واقعة تحت تصرف الاستعمار إذ يستنزفها ويبقينا جهلة على ما نحن عليه وبما لدينا وأيضا يبقينا مستضعفين لا نسلك طريق الحرية ولا نملك طريق القوة التي ندافع بها عن قرارنا وشخصيتنا وسيادتنا وحقوقنا وحتى عقيدتنا التي تنتهك بأشكال مختلفة أو يساء إليها بأشكال مختلفة ولا نستطيع أن نفعل شيئا وآخر الأمثلة وأوضحها هو ما يجري من احتلال قوامه (٤- ٥) ملايين صهيوني يغتصبون أرضا عربية إسلامية وما يجري من تهويد للقدس ولكل فلسطين وما يجري في العراق وغيرها أيضا.

وهناك عدد من السلبيات ومنها تفرق العالم الإسلامي وعدم وضوح حقيقي إيجابي وسليم ومبني على العلم والفقه لما هو إسلامي وعدم الوضوح هذا يجعل هناك نظرات واجتهادات حول الإسلام في حين لا يملك هؤلاء مقومات الاجتهاد أو المجتهد. وهناك تطرف في العالم الإسلامي بين قوميات متناحرة وهناك سلبيات تتعلق بين من يختار العلمانية كمفهوم يحارب حتى الإسلام والظاهرة الإسلامية والمد الإسلامي ونحن نستشعر ما جرى في تركيا أثناء حكومة أربكان في مجال التعليم حيث قامت قيامة التيار المناهض في تركيا واسقط التيار الإسلامي وهناك أزمة ثقة وجهل بين بلدان العالم الإسلامي وبعضها مع البعض الآخر فنحن لا نعرف عن ماليزيا بالشيء الكامل ولا عن الإسلام في آسيا الوسطى وكذلك كل البلدان العربية والإسلامية تجهل بعضها البعض.

هذه السلبيات ويضاف إليها عدم وجود سكك حديد تربط بين بلدان هذا العالم ولا خطوط طيران منتظمة ولا تحويلات العملة، وهناك حالات من التبعية بعضها ثقافي وبعضها اقتصادي وجزء منها سياسي وهي تبعية تفرقنا وتريدنا أن نتناحر فهناك صراع عربي-عربي، وعربي إسلامي، وإسلامي إسلامي وكله يخدم الصهيونية والاستعمار.

وهذه السلبيات يمكن التغلب عليها إذا امتلك المسلمون رؤية سليمة لعقيدتهم خاصة وانهم مستهدفون هم وعقيدتهم وأيضا مستهدفون بالتدريج بأن يؤخذ كل قطر على حدة ومستهدفون بإثارة نعرات طائفية وإقليمية ومذهبية حتى تتحقق المقولة التي رفعت في عام ١٩٩٠ والتي أطلقها الغرب وهي (كما شهد القرن الحالي انهيار الماركسية والشيوعية سوف يشهد القرن القادم انهيار العروبة والإسلام) ولن يكون هذا إلا بأيدي المسلمين والعرب وأبناء المنطقة بالدرجة الأولى حيث يستخدمون كأدوات وتستنزف طاقاتهم بأشكال مختلفة.

** **العلامة عبد الله نظام**(*) :

نحن عندما نقول بأننا نريد أن نعمل سوقا إسلامية أو أن يكون عندنا مجلس تعاوني إسلامي لابد أن ينطلق هذا الكلام من جهة مشتركة أي لا يمكن أن تقوم أي مجموعة بعمل من الأعمال إلا وأن تكون هناك روابط بينها، ورابط الأمة الإسلامية الأساسي هو الإسلام، ونحن مأمورون في الكتاب الكريم أن نقيم مفهوم الأمة الواحدة، وهذا واجب شرعي وليس قضية مصلحية، وعندما نقول واجباً شرعيا فمن خلال قوله تعالى (وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) فهذا يعطي للقضية قوة وبعدا عقائديا كبيرا لا يقوم على اساس المصلحة المادية لأننا بلاد ضعيفة يمكن أن تأكلها البلاد القوية بل هناك واجب رباني وإلا فنحن محاسبون على التقصير إذا لم نقم به.

هذا يمثل عنصر قوة في تركيب الأمة الإسلامية وثمة عنصر اخر ففي الأمة الإسلامية قوى كامنة كثيرة جداً لكنها لم تخرج إلى عالم الفعل فلا تزال كلها في الخلافات وبعض القضايا غير الصحيحة بحيث يكون لذلك تأثيره على البنية الفكرية للأمة المسلمة.

ولا يمكن أن نقيم حكومة إسلامية سواء على مستوى مجلس أمة او مجلس تعاون أو حكومة أو على أي مستوى كان اذا لم يكن المسلمون اقوياء ويملكون خلفية فكرية صحيحة فالكثير من القضايا تغلق عقل الإنسان فلا يتفتح ولا يتعامل تعاملاً صحيحاً مع الموقف.

(*) باحث إسلامي سوري.

ومن عناصر القوة المنهجية في الحياة الإسلامية، فالإسلام هو منهج حياة، وثمة مفارقة إذا لم نتخطاها بطريقة من الطرق فما هو الإسلام؟ هل هو الشهادتان؟ أم أن هذا عبارة عن مصطلح لمسمى الإسلام، فهذا هو جزء من الإسلام.

إن الإسلام في الحقيقة هو منهج حياة فأين هو؟ هل يمكن أن يكون إطاره إطاراً فردياً أو أن هذا الإطار لابد له من رعاية اجتماعية وحكومية بحيث يكون الاتجاه العام اتجاهاً إسلامياً.

وفي الحقيقة، فإن الإسلام ليس منهجا شخصيا ففي كثير من الحالات نقزّم الإسلام، فقد نجمع بين العلمانية والإسلام، ويمكن للإنسان أن يصوم ويحج ويصلي وأخلاقه حسنة ويكون إنساناً مسلماً لكن الأمر أبعد من ذلك فالإسلام منهج حياتي وثقافي ففي ولادة الإنسان آداب وأحكام إسلامية وما بينهما في كل شيء آداب وأحكام إسلامية فالأمة الإسلامية بدون أحكام لا يمكن أن تكون أمة إسلامية.

وفي القضايا المنهجية ثمة قضية هامة جداً وهي قصة الواجب الكفائي، فهذا الواجب لم يأخذ بعد حجمه الصحيح من التفكير والنظر. فالواجب الكفائي هو كل ما يكون سببا لقوة المسلمين أو ضروريا لحياة المسلمين فهذا يكون واجباً على جميع المسلمين عليهم أن يقوموا به على نحو الكفاية، فلا يمكن أن تكون أمة بدون نشاط زراعي أو بدون طبابة، ففي الواجب الكفائي يعني أن تكون لدينا كفاية زراعية ويقوم عدد من الأشخاص تتحقق بهم هذه الكفاية بحيث يغطون حاجات الأمة وهكذا في الطبابة وغيرها جنباً إلى جنب مع العلوم الشرعية بدون أي تقديم حتى في الأهمية لجانب على آخر فهذا عامل من عوامل القوة في الإسلام وهو بحاجة إلى أن يثقف الناس به.

**** المستشار الدمرداش العقالي(*) :**

فهمت من عنوان الندوة وهو مفهوم بالضرورة أن المطروح هو التعاون بين ماهو قائم في عالم المسلمين فكيف نصل إلى ذلك؟.

ألفت النظر إلى أن الآية الكريمة الموضوعة محوراً للحوار ختمت بأشد ما يختم به تحذير عن المخالفة ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ فهذه من خواتيم الآيات التي ختمت بأشد العقاب عند المخالفة لماذا؟.

لأن المطلوب لكلمة (تعاون) أن هناك ثنائية أو ثلاثية أو رباعية إذ ليست هناك أحادية هناك لقاء الأمة الإسلامية على مراد الله منها فلو تحقق ذلك لما احتجنا إلى التعاون لأن الأمة

(*) خبير في القانون عضو مجلس الشورى المصري سابقاً.

الإسلامية الواحدة تصبح هي الجواب عن كل تحد ويصبح وجود المسلم ضمنها متعاوناً تلقائياً فنحن هنا في محاولة للتوفيق بين ثنائيات وثلاثيات ورباعيات وهذا التوفيق يعتمد على الآتي: أن نحسن الفرز للقضايا الأهم فالمهم ومن لطف الله تعالى أن الإسلام يقوم في قضاياه على تفاضل وتكامل تفاضل بمعنى أن هناك قضية تفضل قضية أخرى مع النزعة التكاملية وهي أن الكل هو الإسلام والتفاضل في مشكلتنا المعاصرة يضع الجهاد ضد العدو على قمة اهتماماتنا فالأمة التي تروم التوحد لابد أن تنظر إلى القضية الأهم والجمهورية الإسلامية واسأل الله أن يوفق غيرها من دول الإسلام لابد لها أن تعنى بجعل الجهاد في مواجهة العدو الكافر هو الرد الحقيقي الذي لا يحتمل بديلاً لأنه مصداق لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾.

فنحن الآن مستهدفون ليس فقط في عنصر واحد من عناصر تكويننا بل في أصل وجودنا والتحدي الآن ليس موجهاً إلى السنة في مصادرهم عمن يأخذون عن الصحابة أو عن غيرهم ولا إلى الشيعة في مصادرهم عمن يأخذون عن أهل البيت أو عن غيرهم انه موجه إلى كلمة (لا إله إلا الله) لكي يهدم قاعدة وجود الموحدين في الأرض وعلى هؤلاء أن يصبح التلاقي لديهم فورياً وحتمياً للحشد في قضية الجهاد.

والجهاد يستتبع طبقاً للقاعدة الفقهية (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب) التعاون في البنية الاقتصادية والبنية الثقافية وهذه التعاونيات لا تحجب الجهاد واعتقاد أن المدد السماوي لهذه الأمة هو الأساس فمهما أعددنا من قوة فلن نكون أكثر قوة من أعدائنا، فالله جعل ميزان النصر للأمة الإسلامية إعداد ما في الطاقة ثم صدق التوكل على الله لكي يكون هناك مجال لبروز الإعجاز الإلهي، فلو تصورنا أننا لا نخوض معركتنا مع العدو إلا إذا كان إعدادنا يفوق إعداده، فقد اتكلنا على الأسباب الأرضية وحدها وغيبنا ما هو معد لنا من أسباب النصر الإلهي ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ فأختم فيما بدأت به التفاضل بين القضايا يجعل الجهاد هو القضية المطروحة، والتعاون فيها أن لا نقبل في نظام ولا من دولة أن تجعل الجهاد قضية ثانوية أو متأخرة أو تقبل التاويل والتطبيع.

والله تبارك وتعالى توعدنا في ختام سورة محمد بتوعد غريب فيه نفير للأمة وفيه ضمان للمنهج الإلهي، نحن المحتاجون إلى الإسلام والإسلام غير محتاج إلينا فقد تكفل الله بحفظه وإنقاذه عندما دعانا في قوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء. وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فالأمة الإسلامية المعاصرة على حافة الاستبدال إن هي لم تصدع بأمر ربها بأن تذيق اليهود بكل ما توعد الله إياه، ﴿وإذ تاذن ربك ليبعثن

عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾، فهذا توعد الهي لليهود، فاما أن نكون في مصاف هذا التوعد وأسبابه وإلا نستبدل، فنحن ندافع عن كياننا وشرفنا بالانتساب إلى العقيدة الإسلامية، ويقيني أن علم التوحيد لن يختفي عن الأرض، ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ بإعزاز دينه حسبما يشاء.

وتسألني كيف يكون التعاون بأن ترفع الامة علم الجهاد فتقيم الحجة على الامم الإسلامية الأخرى القاعدة عن الجهاد ولقد قلت للأخوة في الجمهورية الإسلامية ولا زلت أقول إياكم أن تساوموا على العقيدة الجهادية في هذه الجمهورية، وأقول للجمهورية العربية السورية التي حفظ الله لها إلى الآن صمودها في وجه هذه الهجمة الفاشية، مزيدا من الصمود والتلاحم مع القوى الإسلامية المخلصة حتى تسير العجلة فتشد المواكب الراكدة والمترددة، والانهزامية والاستسلامية. لان الجهاد إذا توهجت جذوته فانه سيشد الآخرين.

** **السيد عبد الله نظام**(*) :

عودا لبعض النقاط التي وردت في مداخلتي، أقول إذا أردنا التعاون لابد أن تكون هناك أرضية للتعاون واثرت بعض المسائل بهدف تهيئة هذه الأرضية وإلا فلو كانت الأرضية قائمة كان التعاون قائماً لكنها غير موجودة، فنحن لدينا نزعات استقلالية في عالمنا الإسلامي، وهي لا تعطي اي دور للعقيدة على الإطلاق، فنحن يمكن أن تكون لدينا دول إسلامية وإن كان ذلك مخالفاً للإسلام، لكنه كواقع مقبول، غير انه لو كان هناك محل للإسلام في هذه الدول فإنها يمكن أن تلتقي على أساس الإسلام.

** **الدكتور زهير غزاوي**(*) :

إن الحديث عن الاخطار التي تواجه العالم الإسلامي، هو حديث ذو شجون ويطول بحجم هذه الاخطار والعقبات وما هو مطروح من امثلة لها كالشرق أوسطية يحتاج إلى اختزاله إلى مسافة طويلة من الكلام ولكني احاول ان أختصر لأقول عندما انهارت الدولة العثمانية كان الغرب قد وضع البديل لحكم المنطقة الإسلامية فلقد كانت تلك الدولة تمتد إلى مسافات كبيرة في الأرض الإسلامية رغم استقلال الأطراف أو كثير من الاطراف.

(*) باحث ومفكر إسلامي سوري.

(*) باحث فلسطيني.

لهذا كان الصراع بين الاستعمار القديم والجديد حضاريا وكان البعض في المنطقة استفاد منها بالتأكيد من أجل الاستقلال الوطني فكانت النتيجة ومع الأسف هي الانتقال من هذا الاستعمار إلى ذاك.

ولابدا من الآخر فأقول تمكنت الولايات المتحدة الأميركية عبر سلسلة من الانقلابات العسكرية في مناطق الوطن الإسلامي من ترتيب الامور لكي نصل إلى المرحلة التي نحن عليها وليس غريباً أن نرى سلسلة من الأنظمة العسكرية التي تحكم الوطن الإسلامي من إندونيسيا حتى أقصى المغرب.

هذه السلسلة من الأنظمة الدكتاتورية تم ترتيبها من قبل الولايات المتحدة الأميركية والمخابرات الأميركية لهذا تبدو فكرة طرح تعاون إسلامي أمام هذه العقبة صعبة ولكنها ليست مستحيلة.

من جهة أخرى فقد استطاعت الولايات المتحدة في صراعها مع الاستعمار القديم ان تحقق مقولتها في جعل العالم كله قرية واحدة تحكمها هي.. اي انها هي مختارها ونصل اليوم في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين الى ان الولايات المتحدة وباعتراف الجميع هي القطب الاوحد في هذا الكون وما يهمنا في المنطقة هو النظام الشرق أوسطي وامتداداته ومعروف لديكم قواعد هذا النظام فهو يرتكز على أساس مهم وهو توزيع الادوار الإقليمية في المنطقة وأحب أن أشير إلى أن مصر تحديدا كأكبر دولة إقليمية وأعود بعد ذلك إلى الدول غير العربية فأقول إن مصر حاولت في زمن الرئيس جمال عبد الناصر أن تحصل على دور إقليمي ولكنها لم تأخذه بل بالعكس فقد تمكنت الولايات المتحدة من توريط مصر في لعبة إقليمية أكثر من أن يكون لها دور إقليمي.

*** سؤال: فكرة الشرق أوسطية المطروحة الآن بقوة على الساحة الاقتصادية تحديداً كيف تقيمون أثرها في الهيمنة على السوق العربية والإسلامية؟**

** **د. غزاوي:**

عندما طرحت الشرق أوسطية اكتشفت الدول العربية إنها حرمت جميعا من أي دور إقليمي في مناطقها في منطقة الشرق الأوسط ولابد لي ان أوصي ان مصطلح الشرق أوسط قد توسع كثيرا ليشمل دولا مثل أفغانستان ودولا في إفريقيا ويضم أيضا تركيا التي دخلت في هذا المصطلح لغايات محددة رغم انها عضو في الحلف الأطلسي فإذا أخذنا هذه الحصيلة الطويلة نجد أن الشرق اوسطية تشمل باكستان ايضا وهذه محكومة بأن تكون اسرائيل هي الدولة ذات الدور الإقليمي الأول تليها تركيا ولا احد اخر.

وفي المقابل طرح (مارتن هنريكو) مهندس النظام الشرق أوسطي، وهو يهودي وسفير أميركا في الكيان الصهيوني وكان مساعد وزيرة الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، يقول مارتن هذا "لقد اكتمل عقد الحركة الصهيونية في الاستيلاء على وزارة الخارجية الأميركية"! ويتساوق مع هذا محاولة الاحتواء المزدوج لإيران والعراق، ثم محاربة (الإرهاب) المتمثل بالدول التي تخرج عن السيطرة تحت إطار الإرهاب واستغلال المصاعب الداخلية فيها وتقسيمها وابتدأت المرحلة بالعراق ثم بليبيا ثم جاء السودان وجرى تهديد دول أخرى كسوريا وايران.. والآن احتل العراق بالكامل فماذا بعد؟

ليس من شك في ان النظام الشرق أوسطي يأخذ جانباً اقتصادياً أيضاً ولكن ليس هو المهم فالمهم فيه هو الجانب الأمني الذي حددته الولايات المتحدة في السيطرة على المنطقة من قبل إسرائيل تحديداً وبنيابة تركية.

• سؤال: في قبال ذلك يرتئي البعض ممن ينظر للواقع الجديد أن الاحتواء المزدوج الذي تمارسه أميركا لكل من إيران والعراق يراد له أن يصب في النهاية في مشروع الشرق أوسطية فما هو رأيكم بذلك؟

**** د. غزاوي:**

ما قيل عن الاحتواء المزدوج لإيران والعراق فلعلم الولايات المتحدة إن إيران لا يمكن حصارها عبر وضع جغرافيا سياسية فقد وضعت عقبة سياسية في العراق للفصل بين اي تحالفات ثنائية إسلامية ذلك أن هناك (تابو) على اي تحالف إقليمي ثنائي إسلامي وهناك مراقبة شديدة لأية تحالفات ثنائية أو ثلاثية يمكن أن تنشأ.

يتلو ذلك، كما يحدد مشروع نظام الشرق أوسطي السيطرة الكاملة على النفط في دول الخليج (الفارسي) وهذه السيطرة التي تمت بعد حرب الخليج الثانية أصابت عصفورين بحجر.

أولا: منع أي مشروع استقلالي اقتصادي اساسه النفط.

ثانياً: تم تركيع أوروبا التي كانت تتنافس للحصول على بعض المشاريع في نفط الشرق الأوسط بحيث أنها لم تأخذ إلا الفتات أو ما تسمح به الولايات المتحدة الاميركية، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة الأميركية اللاعب الرئيسي في المنطقة مانعة من دخول أية دولة أوروبية على الخط، وحيدت الصين- وهو عمل مهم جداً- لكي لا تدعم الحركات الشعبية في المنطقة عن طريق جعلها الدولة الأولى بالرعاية الاقتصادية.

كيف تتصور أميركا النظام الشرق أوسطي؟ هناك تصور أميركي ومراقبة دقيقة للأوضاع في العالم الإسلامي كاملاً، وفي اعتقادي إن أميركا لا تفكر فيما يطلق عليه القضاء على الإسلام لأنها تعلم أن ذلك مستحيل، فالأيديولوجيا لا يمكن القضاء عليها بأي حال من الأحوال لأنها في قلوب الناس وأميركا لا تفكر بالقضاء حتى على الأيديولوجيا الماركسية مادامت هناك أحزاب شيوعية في الولايات المتحدة نفسها، بل تريد السيطرة الاقتصادية على العالم الإسلامي وجعل الرغيف أهم من العقيدة. والحقيقة إنها مغامرة أميركية ليست محسوبة كثيراً فلا زلت أعتقد أن الأيديولوجيا أهم من الرغيف والأيديولوجيا الإسلامية بطبيعة الحال ذات أهمية كبيرة جداً في حياة الفرد المسلم وهي تتصل أيضاً بشعوره بالخلاص وتحقيق مطالبه الحياتية والأخروية وعلى رأس الحياتية الحرية والديمقراطية والتكافؤ في توزيع الفرص والثروات، فكل ذلك يحتويه الإسلام بالتأكيد وفيه اجتهادات كثيرة يتفق عليها الجميع من المجتهدين المسلمين، ولهذا السبب كان الإسلام نظاماً اجتماعياً تطمح الولايات المتحدة إلى استبداله لكي يصبح النظام الغربي هو طموح المسلمين بديلاً عن أي نظام إسلامي حقيقي.

لهذا فإن الولايات المتحدة الأميركية تسعى لمنع أي تواصل إسلامي حقيقي، وأذكر في هذا المجال أن تأثيرها انتقل إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بطريقة مؤثرة عندما ألغى المسلمون في اجتماعهم ما قبل الأخير (الجهاد) كمقولة أساسية من مقولات المسلمين. هذا الإلغاء تم بضغط أميركي واضح.

ولهذا فإنني أعتقد أن حذف مقولة الجهاد من تبعات حرب افغانستان إلى الأبد، بمعنى أنه لم يعد هنالك شيء يسمى الجهاد، ونسيت في هذا المجال الحركة الصهيونية. فعندما وزعت الأدوار في النظام الشرق أوسطي فإنها وزعت بوجود أكبر حشد عسكري أميركي وأوروبي في منطقة الخليج، ولقد كان المطلوب من هذا الحشد أن يكون موجها عمليا إلى قوى التحرر العربي من جهة وإلى أي طموح إيراني غرباً من جهة أخرى.

لقد تحدثت عن النظام الشرق أوسطي كعقبة فهل يمكن إزالة هذا النظام أو توقع حلول ممكنة للتصدي لهذا النظام، فالذي يعمل لابد أن يتفاءل وإلا ترك العمل ليتقاعد والذي يعمل في المجال الثوري يحمل ذات التفاؤل وأنا أتحدث مع زملاء في هذه الندوة يحملون طبيعة تفكيري أو تفاؤلي ولكن العقبات كما نرى خطيرة جدا، وسوف نواجه إن أردنا إزالة هذه العقبات بتهم تقع تحت طائلة الإرهاب طبعاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لابد أن يستثار هذا النظام أو ذاك عندما يشعر بأن التعاون قد خرج على الخطوط الحمر فالمهمة ليست سهلة. أما المهمة التي

قد تكون أسهل فهي إزالة القواعد العسكرية الموجودة تحديداً في الخليج وهذه القواعد إذا استطاعت القوى العربية والإسلامية من أجل إزالتها مع إدامة الاحتكاك مع الكيان الصهيوني وقتاله اليومي كما تقوم بذلك القوى الجهادية الفلسطينية والاخوة في (حزب الله) في جنوب لبنان، فإن ذلك سيساعد على التعجيل بإزالة القواعد العسكرية.

أما تركيا، ففي الحقيقة، تشكل خطراً كبيراً على الجهود الإسلامية لتحقيق تعاون اقتضته الآية (وتعاونوا على البر والتقوى) لأنه قد تم ترتيب الأمور في تركيا بما يجعل من المبكر الحديث عن صعود مد إسلامي يستطيع أن يقاوم. ولكن ظهور (الرفاه الإسلامي وما تلاه من أحزاب إسلامية كلما خطر واحد ظهر اخر) يجعل القوى العربية والإسلامية تتفاءل ضمن عوامل أخرى تدعو إلى التفاؤل.

د. عقلة عرسان:

كان بودي أن اشير إلى نقاط أخرى في المحور الذي تطرق إليه الاستاذ الدكتور زهير غزاوي. فمن النقاط التي تثار في هذا المحور (العولمة) والقواعد العسكرية والشرق أوسطية وغير ذلك فهي موضوعات حساسة وتحتاج إلى البحث فيها بالتفصيل، فيمكن أن أشير إلى مسألة في موضوع الشرق أوسطية والمتوسطية بإيجاز، فأقول: إن مشروع الشرق أوسطية بصيغة الطرح الصهيونية الأميركية الجديدة، هو كما تعلمون مشروع قديم لكنه أخذ صيغة مغايرة نسبيا في العمل والاجتهاد والتنفيذ والتخطيط، وهو يرمي بالدرجة الأولى إلى تفتيت الهوية الثقافية والاقتصادية للمنطقة وجعل إسرائيل جزءا من النسيج الاجتماعي والسكاني والأمني والثقافي والتاريخي والسياسي والاقتصادي للمنطقة بوصفها عنصر قوة فيها وقائدا لتحالف ومهيمناً في المجالات الاقتصادية والأمنية المختلفة حتى أن شمعون بيريز في دعوته الشرق أوسطية كان يربطها بمقولات منها انه (ان لنا ان نتخلص من جامعة الكراهية لنقيم محلها جامعة شرق أوسطية) يعني بجامعة الكراهية (جامعة الدول العربية) ليقيم محلها جامعة شرق أوسطية يكون هو المؤسس فيها والداعي إليها، وعند وضعها في الحسبان يتم شمولها بإيران وتركيا وسوريا والعراق والأردن وفلسطين فهو يضع ترتيباً أساسيا للصراعات في المنطقة تكون مستمرة لتبقى إسرائيل سيدة المنطقة.

* سؤال: هذا الحلف الذي يترأسه الآن كل من (إسرائيل) وتركيا والمزمع حسب رأيكم أن يتوسع مستقبلاً، ما هو تقييمه من وجهة النظر الأميركية كراعية لمثل هذه التحالفات؟.

**** د. عقلة عرسان :**

هذه النقطة خطيرة جداً لاسيما إذا أدركنا أن الولايات المتحدة وراءها وتخطط لها، وتشكل أجنحة للحلف الأطلسي بعيدا عن سيطرة أوروبا، وتريد إبقاء منطقة الخليج والجزيرة ببترولها تحت الهيمنة المباشرة بشكل كامل، وهي من الأهمية بمكان لأنها:

١- تريد أن تحصر سوريا والعراق وتفرض عليهما سلاماً ما لا سيما بعد احتلال العراق.

٢- تريد من مصر أن تنكفئ خارج آسيا العربية والمنطقة الإسلامية الحالية لتلتفت إلى بعض الجراح في إفريقيا، وتضع مصر دائما في الطوق.

٣- خلقت بؤراً في المنطقة بين إريتريا وإثيوبيا والسودان ومصر لإلهاء وإشغال العالم الإسلامي في تلك المنطقة.

فالقضية إذن، المتوسطية التي تدعو إليها أوروبا كعامل رديف لتصبح إسرائيل جزءاً من نسيج المنطقة لكن بطريقة مغايرة.

هذا الأمر يؤثر على العالم الإسلامي "انه يجري في هذا العالم وبأدواته وشعوبه وطاقاته وقدراته. وعلينا أن نلفت النظر إلى خطورة هذا لنستخرج العالم الإسلامي من الفخ الأميركي الغربي الاستعماري الصهيوني الذي يريد أن يضعه في حالة استلاب وهي حالة مناقضة للمشروع الذي ندعو إليه "مشروع التعاون". فهناك مشروع تصادم، ومشروع تحالفات ضد بعضه البعض الآخر، وهذه عقبة تقف في طريق أي مشروع تعاوني، وأيضاً هناك حالة تخلف مستمر لأنها حالة استنزاف لكل الطاقات المادية والبشرية والاقتصادية مستقبلاً، فيبقى العالم الإسلامي دون نهضة علمية وتقنية لامتلاك السلاح والأمن الغذائي والعسكري، وبالتالي فإنه يبقى في المصيدة وهذه قضية هي من أخطر القضايا.

أما (العولمة) التي لابد أن نلامسها بشكل ما فهي محاولة وضع العالم في السلة الأميركية أو الدول الثماني الصناعية وفتح كل أبواب الشعوب أمام نهب جديد.

* سؤال: أستاذ مجدي تحدث السادة عن مسألة التبعية كإشكالية كبيرة في وجه أي مشروع نهضوي أو تنموي فهل لكم أن تقفوا عند هذه الإشكالية وتوضحوا لنا أبعادها ومؤدياتها؟.

**** الأستاذ مجدي أحمد حسين(*) :**

إن أهمية الفكرة المطروحة في هذه الندوة هي مسألة تحقيق التعاون الإسلامي على المستوى الاقتصادي. وهذا يثير قضية بالغة الأهمية تريد منا أن نبحثها ونجدد الفقه فيها.

فالفقه الموروث لم يتعرض لمثل هذه المشكلة لأنها لم تكن موجودة أساساً فلقد كان العالم الإسلامي هو السيد، الفقه الموروث في جميع المذاهب لم يضع كلمة واحدة في قضية التبعية كآليات وإن كان هناك تحذيرات عدم موالاة الكفار وعدم موالاة المشركين.

يضاف إلى ذلك السيادة الاقتصادية الاستعمارية التي مرت بها دولنا كذلك تحتاج إلى تجديد فقهي في كيفية التعامل مع الأوضاع المستجدة.. والكتب القديمة ليس لديها إجابة ولقد قدم الإمام الخميني (رض) نماذج هامة جداً في مقالاته وخطاباته عن فكرة التبعية والاستقلالية في السلوك اليومي واستبدال كل شيء مستورد من السلوك الغربي في المأكل والملبس والمشرب والعلاج وما إلى ذلك لقد كان فتحاً جديداً في فقه التحرر من التبعية فنحن نسينا بعض الثوابت التي أشار إليها السيد عبد الله نظام عن الواجبات الكفائية ونسينا أن الكتب الفقهية تتحدث عن الزراعة كواجب كفائي وتعودنا على الاستيراد لأبسط أدوات حياتنا ولم يكن ذلك موجودا في الفقه لان المجتمع الإسلامي لم يكن مجتمعاً يستورد هذه الأشياء من الخارج فامتداده من الأندلس إلى الصين كان يكفيه كل تلك الموارد.. فالاعتماد على الخارج ظاهرة جديدة ولابد من التنبيه إلى أن التحرر لابد أن يكون من هذه الآليات المستقرة.

وكان من الصعب أن تكون هناك إمكانية عملية لمواجهة هذه التبعية بدون دول مستقلة ومن هنا تأتي أهمية الجمهورية الإسلامية والدول المستقلة في العالم العربي حتى لو لم تكن ملتزمة بشكل كامل بالإسلام فالاستقلال هو النقطة الأولى نحو عودة الحضارة الإسلامية ولا ينبغي أن ننسى بديهية أن الإسلام يعني الاستقلال وكل نظام يرفض التبعية للنموذج الغربي فإنه يضع الخطوة الأولى على طريق الاستقلال وطريق الإسلام معا.

* سؤال: **على هذا الأساس فالمسألة هي في جانب مهم منها مسألة أنظمة الحكم القائمة؟**

**** الأستاذ مجدي حسين :**

إن نقاط القوة في أنظمة الحكم تتمثل بكتلة قومية إسلامية محورها الجمهورية الإسلامية فكل الدول العربية غير الخاضعة للنفوذ الأميركي والتي لا تتلقى تعليماتها من

(*) أمين عام حزب العمل في مصر.

واشنطن هي جزء من هذه الكتلة والنظم الإسلامية كالسودان وماليزيا مع إيران وسورية وليبيا والعراق فهي كتلة تاريخية يمكنها أن تحقق أساس السوق الإسلامية المشتركة.

هذه الأنظمة هي القادرة جميعها أو جزء منها في تحقيق ذلك حتى في علاقاتها الثنائية كالعلاقات السورية الإيرانية فتلك خطوات على الطريق إذ ليس ممكناً أن نعلن عن سوق إسلامية مشتركة بين ليلة وضحاها بل لابد أن ننسج نسيجاً كما نشأت الدولة الإسلامية منطلقة من الجزيرة على الشام وعلى إيران ومصر وشمال إفريقيا وكذلك فإننا نستعيد وحدة الأمة بالتدريج بدولتين ثم ثلاث ثم أكثر فأية علاقات ثنائية بين دولتين عربيتين أو إسلاميتين هي خطوة على طريق ذلك.

فالوحدة مطلب إسلامي، والاستقلال هدف إسلامي ألا ترون كيف أيدنا الوحدة اليمنية بدون تحفظ لأننا اعتبرنا توحيد اليمن الجنوبي واليمن الشمالي عملاً إسلامياً بغض النظر عمن يحكم هذه الدولة الموحدة. ومسألة الوعي تتطور والإسلام يأخذ وضعه الرسمي تدريجياً. فمن الأفضل أن نكون عشرين بلداً من أن نتفتت إلى ستين بلداً، كأن يكون العراق ثلاث دول والسودان دولتين والجزائر كذلك فنحن نؤيد كل تقارب عربي حتى لو لم تعجبنا الأنظمة التي تقوم به، فأنا أؤيد التقارب المصري- المغربي على المستوى الاقتصادي وأؤيد أي تقارب مصري- أردني رغم تحفظاتنا على السياسة الأردنية، وأي تقارب إيراني- تونسي.. فالعلاقات المشتركة تصب في صالح الأمة وليس في مصلحة الحاكم الزائل فما يبقى هو العلاقة المؤسسية، فنحن نرى انه تم تمزيق أوصال الأمة بحيث أصبح أي عضو في الجسم لا يتصل بالعضو الآخر كما لو كان في غرفة إنعاش لا يجري الاتصال به إلا عبر جهاز.

فنحن لا نعرف أخبار إيران وأفغانستان إلا من وكالة الاسيوشيتدبرس الأميركية(طبعاً صارت الفضائية الإيرانية وغيرها مصدراً مهماً للمعلومات لدينا). فنحن نتحدث عن الأمة وليس لدينا خطوط طيران ولا صحف متبادلة ولا وكالات أنباء تتصل ببعضها البعض فهذه الكتلة المبدئية يمكن أن تؤسس لسوق عربية إسلامية مشتركة، وأعني الدول التي لا تخضع للقرار الأميركي أياً كان نظام حكمها.

* سؤال: لكن ألا ترون أن النظرة إلى أنظمة الحكم هي غيرها للشعوب؟.

** **الأستاذ مجدي حسين:**

هذه هي الدائرة الضيقة، أما الدائرة الأوسع فهي التعامل مع الجميع لأن الحكومات في النهاية هي مدخل للتعامل مع الشعوب فلابد لك أن تدخل من خلال مداخل رسمية والاستثمارات تتطلب اتفاقات مع الحكومات ودخول الصحف كذلك. فأي تصور رومانسي

بين الشعوب دون العلاقات مع الحكومات هو تصور يعني الزلة بين الشعوب فأنا أريد أن أضع الية أن العلاقة الأخوية الإسلامية تصبح مؤسسة مادية أفضل من أن تكون علاقاتها مركزية مع أوروبا وأميركا.

فالعلاقات التجارية البينية هي في الحد الأدنى بين (٥٪- ١٠٪) كحد أعلى، فالبلاد المستقلة تقدم نموذجاً لشكل أضيق متحلل من الشكل الواسع الذي يفترض أن تكون كل البلاد الإسلامية منضمة إليه وهكذا أي أن تكون هناك سوق لكل هذه البلاد، ولن يكون جاداً ما لم تكن هناك نواة من الجادين، وإيران قدمت أمثلة جيدة في هذا المجال في ال(اكو) والاتحاد الأسيوي بل حتى مع بلدان غير إسلامية كتجمع بحر قزوين، وقمة الثماني في اسطنبول، فهذه الأشكال تتكامل ولا تتعارض، والأكثر جدية يستمر ويبني، فلابد أن تكون ثمة دوائر وليس هناك لحظة صفرية لإعلان مثل هذه السوق أي ينبغي أن نغزلها وننسجها مرتين وثلاثة وأربعة، والدول المستقلة عن السيادة الأميركية هي المرشحة للريادة في هذا الصدد.

*** سؤال: هناك إثارة في مسألة السوق الإسلامية المشتركة وهي هل من الضروري أن نمر بالمراحل التي مرت بها السوق الأوروبية المشتركة أم بالإمكان اختزال تلك المراحل وصولاً لبلورة هذه السوق؟.**

**** المستشار الدمرداش العقالي:**

لو كنا نقول بقول الشاعر (وداوني بالتي كانت هي الداء) فإذا كان الاستعمار يهدف لاحتواء إيران والعراق(*) وأوقد حرباً بين البلدين تركت قرارات كثيرة وهو يراهن إنها غير قابلة للعلاج أليس هناك من تحد إسلامي يجمع إيران والعراق وسورية مرحلياً في سوق مشتركة مفتوحة الحدود لا تحتاج العبور من الغرب وتصبح كل دولة من هذه الدول الثلاث طرفاً في محور إسلامي آخر فإيران إلى جانب محور إيران- سورية- العراق تكون في محور إيران- الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

وهذان المحوران يخلقان جذباً وتحدياً للإمكانيات التركية وقد يجذب تركيا وينمي المشاعر الإسلامية فتتغلب على العزلة العلمانية.

وبالمثل لو استطاعت السوق الإسلامية المشتركة أن تبدأ جزئياً بين دول آسيا- إندونيسيا- ماليزيا- ومعها السعودية والجزيرة العربية بحكم التعامل الواقعي بين إندونيسيا والشواطئ الخليجية والعربية فكلما تشكل عدد من الأسواق الإسلامية فلا تناقض أن يلتئم الكل بعد ذلك.

(*) هذا الكلام كان قبل احتلال العراق وزوال نظام صدام حسين.

وبالنسبة لمصر فإن الاستعمار يراهن على فصلها عن السودان اقتصادياً واجتماعياً حتى عقائدياً فيما يمكنها أن تجمع نفسها مع السودان وليبيا في سوق واحدة واذا خلقت هذه المحاور من السوق الإسلامية المتعددة طريقاً للسوق الواحدة.

*** سؤال: كيف ينظر الأستاذ زياد نخالة إلى موقفي إيران وسورية إزاء عملية (السلام) وتبعاتها منذ الشروع بها وحتى الآن؟**

** الأستاذ زياد نخالة (أبو طارق) (*):

إن الحديث عن أهمية الموقف الإسلامي الإيراني والعربي السوري يقودني إلى القول بتداخل المحاور المطروحة للمناقشة في هذه الندوة وارتباطها مع بعضها البعض.

وبالأخص نريد قاعدة ثابتة نستند عليها في هذه المحاور.. وكل الأساتذة هنا يقتدون بمنطق ما هو واقع أكثر من رغبتهم وافكارهم وبالتالي فاننا نبحث عن هوية وعن وطن وعن ذاتنا التي تريد أن تصنع سوقاً عربية او اسلامية مشتركة في إطار عام للتعاون.

فلا زلنا نعيش في سايكس بيكو كدول وكمؤسسات وكأفراد وكمواطن عربي يعيش ذلك في داخله في كل مكان وبالتالي من هنا تنشأ المشكلة وليست هي في إمكانية أن نفعل ذلك، بل الأزمة ثقافية وسياسية تترك بظلالها على خطواتنا التي يمكن أن نمارسها.

وللأسف تحاول بعض الدول أن تتفلت من الهيمنة الغربية للمنطقة بكافة اشكالها اميركية أو فرنسية وفي الاقتصاد والسياسة والامن. لكن حقيقة الامر ان هذه المحاولات ليست قوية لانها تمثل شريحة من هذه الأنظمة؟ إنها تمثل شريحة معينة وبالتالي فهي غير مدعومة من الشعب فلا تستطيع أن تتخذ موقفا واضحا ومحددا.

فالمواطن العربي لماذا يعطي موقفا بالدفاع عن المقدسات الإسلامية التي تهان في الخليل. إن حالة الكمون واللامبالاة تجاه حدث من هذا القبيل هي ليست صدفية ولا نتاج اللحظة بل نتاج ثقافة تاريخية ابتدأت منذ الغزو الفرنسي الغربي على المنطقة العربية الإسلامية، فقد حصل بهتان ديني وحضاري وعدم انتماء للعقيدة والوطن والدين وانحصر الاهتمام بالذات والبحث عن لقمة العيش.

(*) الأمين العام المساعد لحركة الجهاد الإسلامي فلسطين.

* سؤال: هل يحق لنا أن نتفاءل بثمار طيبة توقف أو تحدّ من عملية الهرولة نحو الكيان الصهيوني جراء هذا التعاون الثنائي الإيراني- السوري؟

** الأستاذ زياد نخّالة :

المطلوب أن نعرف حقيقة المشكلة ونحن إذ نجلس هنا لابد أن نعرف أن هناك متغيرات كثيرة، وهناك آمال ولا أقول كبيرة، لكنها على الطريق ولم تأت النتيجة للحظة من تعاون الجمهورية الإسلامية والجمهورية العربية السورية، فهذا يمكن أن يكون مثالاً لطبيعة العلاقات في المنطقة.. فالعلاقات التراكمية لا يقل عمرها عن ١٥ عاماً وهي التي أعطت إمكانية التصدي لمشروع انتشار إسرائيل في المنطقة حيث وضعت عقبات أمامه، لكن المؤمل أكثر من ذلك بكثير، فموضوع الممانعة المتوقعة من سورية لم تأت فجأة بل من جراء ثقافة معينة ترسخت في ذهنية الشعب السوري من خلال انتمائه العربي.

وفي المقابل، في الجمهورية الإسلامية، فإن هذا التحدي للسياسة الغربية لم يأت من فراغ بل مستمد من مفهوم الإسلام ومفهوم الوطنية الإيرانية والدفاع عن الوطن، فهذه المفاهيم مفقودة لدينا في الثقافة داخل فلسطين المحتلة؟! ولا نستطيع أن نعلمها لأطفالنا في المدارس وفي المؤسسات وفي الصحافة، وبالتالي تكمن الأزمة هنا، واختم مداخلتي بأن العلاقات السورية- الإيرانية هي نموذج الحد الأدنى الذي يمكن أن يحتذى به في طبيعة العلاقات العربية- الإسلامية، وليس في الواقع العربي مثال يمكن أن يكون خطة أولى باتجاه تنسيق مواقف حقيقية وفاعلة في ظل الهجمة الصهيونية في الهيمنة على المنطقة العربية.

د. رفعت السيد أحمد(*) :

ثمة ملاحظة على الحوار وهي ينبغي أن يكون لدينا ما يمكن تسميته بتحرير المصطلحات، فنحن نستخدم مصطلحات يوردها الغرب إلينا ونستهلكها بل ونستمتع باستهلاكها ونتداولها فتصبح جزءاً من معيننا وخطابنا الثقافي مما يؤثر على تحليلنا ورؤيتنا لأية قضية، فمصطلح (الشرق أوسطي) مصطلح مضلل إذ ينبغي أن نقول بوضوح انه مشروع الهيمنة الإسرائيلية والأميركية على ثقافة واقتصاد الأمة، وإذا اضطررنا إلى استخدامه في أسوأ الظروف نضعه بين قوسين، وألا نشيع مثل هذه المصطلحات، بل نحاول امتلاك بدائلها، وهكذا مصطلح (العولمة) و(التطبيع).

(*) باحث مصري رئيس مركز يافا للدراسات في القاهرة.

وثمة ملاحظة ثانية، ما هي القضية التي نعالجها؟ فنحن نريد أن نقيم مجلساً للتعاون الإسلامي سليماً ورصيناً، ولدينا - على الأقل- ثلاثة نماذج في المنطقة العربية الإسلامية. لدينا مجلس التعاون العربي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمر الثماني في اسطنبول، فينبغي الانطلاق من نقد هذه النماذج وإبراز مواطن الضعف والقوة فيها لتجاوزها أو لتطوير قوتها ووضع خلاصة في الإيجابيات بشكل جيد ومتجاوز وسليم، فليست لدينا دراسات نقدية كلية صحيحة على هذه النماذج التي تمت فعلاً، وكلها أخفقت بشكل ما.

وفي تصوري أن أحد أهم أسباب إخفاقها هو الاستبداد السياسي والابتعاد عن قضية فلسطين في داخل مشروع هذه التنظيمات.

فالاستبداد السياسي يفشل أي مشروع للاتحاد الإسلامي العربي، تخلف اقتصادي وتبعية ولدينا فقدان للقرار السياسي وتبعية لقوى الاستكبار وليس الاستعمار وهذا مصطلح يجب أن نحرره، والفضل في ذلك للإمام الخميني وللسيد محمد حسين فضل الله في تذكيرنا بقوى الاستكبار لا قوى الاستعمار.

هذه القضايا: تخلف.. تبعية.. فقدان الاستقرار السياسي.. الكيان الصهيوني المزروع.. يؤدي بعضها إلى البعض، فإذا بدأت بفلسطين فسوف تصل إلى تخلف سياسي، وإذا دخلت إلى تحرير فلسطين فسوف تنتهي بفقدان الاستقرار والاستقلال السياسي ثم تنتهي إلى التخلف الاقتصادي الذي يراد أن توضع في داخل مربعه، ومن هنا لابد ان يكون المشروع المطروح لمجلس تعاون إسلامي قائم على الاقتراب من هذه القضايا الاربع: التخلف وما يصاحبه من قضايا التنمية، والاستبداد السياسي، ولو تفحصنا مثلاً في فشل مجلس التعاون الخليجي لرأينا ان هناك استبداداً سياسياً ولماذا فشل مجلس التعاون العربي، لأن هناك استبدادا سياسيا ولماذا سيفشل مشروع الثمانية، لأن ما موجود من ديمقراطية في إيران- انتخاب العشرين مليون- ليس موجودا في تركيا، فالاستبداد السياسي يصاحبه الاقتراب من قضية فلسطين مما يؤدي إلى إخفاقها.

فإذا اقتربنا من هذه القضايا الأربع فإننا سنبني مجلسا للتعاون الإسلامي، هي مناقشة الحلف العربي- الإسلامي. فأنا أتصور أن ما يسمى بمازق العروبة والإسلام مفتعل ومضلل ويليق رفع اللبس عنه في الإشارة إلى أن ما يجمعهما اشتراكهما في صفتين: (التحررية) و(التوحيدية) فإذا اقتربنا من المضمون الحقيقي لذلك فسوف نقترب من المضمون الحقيقي لحلف عربي إسلامي.

وحتى نكون موضوعيين ونخرج من هذه الندوة ببعض الثمرات اقترح ما يلي:

١- أن نعدّ كنخبة عربية وإسلامية قاموس مصطلحات عربي- إسلامي بما يروج من مفاهيم مضللة على الثقافة والفكر الإسلاميين.

٢- إعلان ميثاق للمقاطعة للهيئات وللسلع والبضائع يعمم على صحافتنا ولو لمدة شهر واحد. هناك في مصر حملة تتم في بعض الصحف من هذا القبيل على مجموعة رموز لإعداد هذا المشروع.

٣- تشكيل وفود ثقافية لإحياء المراكز القائمة في المحاور الإسلامية، وأنا أتكلم هنا على المستوى الثقافي والشعبي.

هذه هي مقترحات بسيطة نخرج بها من ندوتنا كبداية لتشكيل مجلس التعاون الإسلامي.

* مدير الندوة: د. عرسان، بودنا لو تفضلتم بملامسة النقاط العملية بتكثيف الضوء عليها خاصة وإننا بعد هذه المقدمات نتجه إلى البلورة.

**** د. علي عقله عرسان:**

هناك في تصوري وضع رسمي في العالم الاسلامي عملي نسبيا، وهناك وضع مثقفين وشرائح واعية، ووضع شعبي قد يكون مغايرا أو مضادا أو متوافقا نسبيا.

فالوضع الرسمي الحكومي في العالم الإسلامي لعظمه ارتباطات بقوى الاستكبار أو بمنحى مغاير للتوجه الإسلامي المبني على فهم حقيقي وسليم للإسلام نتيجة تغريب في التربية واختيارات لمعطيات ثقافية واستقلاليات قطرية تقوم على اي مفهوم لوحدة إسلامية أو وحدة عربية.

من هنا اقول بضرورة قيام تعاون منظم على أرضية برنامج مشترك لقوى وأحزاب وتيارات إسلامية أو قومية إسلامية تؤمن بمنحى التعاون الشامل وهذه القوى تعمل في اتجاهين في آن واحد:

اتجاه الضغط على الحكومة لتقيم علاقات أكثر سلامة، وعلاقات وطيدة مع العالم الإسلامي ثنائية أو ثلاثية أو عبر محاور أو عبر المنظومات القائمة، وتفعيل دور هذه الحكومات الثقافي- التجاري- الصناعي بكل المجالات ودور اخر لها داخل أقطارها بالتوجه بطروحاتها لاوسع فئة ممكنة من الناس ولاسيما للأجيال الصاعدة ولو في المدارس واماكن الشباب والتجمعات السكانية الكبيرة وفي الإعلام بضرورة اقامة حالة وعي.

المهمة الثانية أن تتعاون مع قوى وأحزاب وتيارات مماثلة لها في اقطار إسلامية أخرى، ونقيم علاقات ثنائية عملية لتقديم صورة حقيقية عن الواقع، وأوجه التعاون الممكن، وأوجه التواصل الثقافي والإعلامي ومن ثم الاقتصادي بشكل عام، اي أن تعمل هذه القوى كلوبي داخل اقطارها وضمن علاقات ثنائية مهمة كعلاقات اوسع في المستقبل.

إن قوى الضغط هذه يمكن أن تطور قدراتها وعلاقاتها الثنائية في المجالات الاقتصادية، الإعلامية، التربوية.. الخ بشكل كامل ويلتقي ممثلون لها في إطار مجلس تعاون أعلى ولو كل سنتين أو ثلاث مرة ولو لتقديم تقارير عامة لمعرفة أين وصلنا وماذا يمكن أن نعمل بشكل عملي وملتزم كما ويمكن ان نبادر في الجانب الإعلامي والثقافي ومراكز الابحاث- تحديدا- إلى خطة تضاف إلى ما اقترحه د. رفعت لتقديم ملفات متكاملة عن كل بلد في الجانب التربوي- الثقافي لأن أساس التغيير هو تكوين وعي وثقافة وإرادة مشتركة وليس مجرد تمنيات أو مطالب، وهذا التكوين لابد له من تفاعل ثنائي اي أن نربط الناس بصلات معينة ونضغط باتجاه أمور بسيطة لكنها مهمة ولا تؤدي الى مطالب قوية بإقامة سوق مشتركة مباشرة او وحدة عالم إسلامي لان في القضية عقبات كثيرة فلماذا لا نشجع على قيام سكة حديد تربط بين بلدان العالم الإسلامي خاصة وانها تؤدي إلى قيام علاقات بشرية واقتصادية وإلى تواصل، فمثلاً سكة الحديد التي وصلت بين طهران وطاجكستان- طريق الحرير- فلماذا لا يصبح هناك خط بغداد- دمشق- بيروت- تركيا فهو شريان حيوي فيه مصلحة الجميع وليس فيه تهديد مباشر للاستعمار حتى لا نواجه باحباطات، وخط الحجاز الحديدي الذي كان على العهد العثماني والذي كان يصل إلى مكة. الآن مقطوع بسبب قرارات سياسية لا غير فنحن ناخذ جملة من المعطيات البسيطة ونعمل عليها باصرار لتتحول إلى حقائق على الأرض ولن يستطيع أن يغيرها نظام سياسي او اي حكومة لأنها تصبح مرتبطة بمصالح الناس وقائمة على الأرض بشكل جيد.

ثم أريد أن أتوقف عند نقطة طرحها الدكتور رفعت وهي (العروبة) و(الإسلام) وان هذا المصطلح زائف. هناك قضية يجب ان ناخذها في سياقها التاريخي في الوطن العربي، فلقد عزف على موضوع القومية العربية في فترة من الفترات وربط بأبعاد لم تتضح معالمها فيما بعد، وكان هذا العزف نتيجة لعزف اخر. وذلك عندما عمل الاستشراق الألماني الاستكباري على تنمية الطورانية وكان وراءه بعض اليهود ليجعلوا من القومية التركية مهيمنة على الإمبراطورية وملغية لسواها من القوميات، فاستفزاز قوميات أخرى عملت على ان تتحرر من تلك القومية وربطت أيضاً بتغذيات لقوى اخرى وادت إلى فرط عقد السلطنة العثمانية بكاملها، وكانت خلافات في مناطق أخرى من العالم الإسلامي ولكن كانت هناك قوى عربية مسيحية وإسلامية فالحديث عن العروبة مقابل الإسلام يأخذ أكثر من منحى، فقد نتناوله من الناحية الطائفية أو العلمانية من قبل اتجاه قومي أو من الاتجاه الإسلامي داخل الوطن العربي، أو قد نأخذه من ناحية العروبة في مقابل الإسلام في الاقتتال بين العراق وإيران، فقضية قومية هناك وقومية هنا. وانتقلت إلى معاداة وكانت سورية واعية لذلك، وقد

تنشب حرب إسلامية- إسلامية، أو قومية- إسلامية، لذلك فإن هذا الموضوع بحاجة إلى لون من التمحيص لمعرفة الواقع الجغرافي والديموغرافي الموجود وأرجو أن تتذكروا خطورة أن تقوم مراكز أبحاث بتعاون مع ال (سي.اي.ايه) والموساد وسواها بعقد مؤتمرات لوصف حالات الأقليات والتهيئة لتفجير حروب الأقليات المضطهدة الأمر الذي سيفجر حروباً متوقعة على أرض العالم الإسلامي وأخرى طائفية وحروب بكل المعاني الأخرى.

وأريد أن أؤكد على فاعلية مجالس معينة ويجب أن نخرج من دائرة البيروقراطية والمنظمات الوراثية أو الكرتونية التي لا عمل لها إلا مناسبات وخطابات ونريد أن ننتقل إلى تفعيل العلاقات الإسلامية- الإسلامية على الأرض فالتجار في فترة من الفترات ساعدوا على أن تصبح إندونيسيا بلداً إسلامياً بعلاقات وبسلوك فلماذا لا نقيم علاقات الناس مع بعضها البعض الآخر فهذه الثنائيات من قبيل المراسلات والصداقات والأقنية الأخرى المكنة تمد جسوراً للثقة والتعاون على أرضية المنفعة سواء بين الأفراد والأقطار أو التجارة الثنائية القطرية هي ممهد بشكل أصيل لعلاقات أخرى وتوسيع سوق عربية مشتركة ونحن نبارك ما قام به (أربكان) في الدعوة للدول الثماني.

***مدير الندوة: اسمحوا لي أن ننتقل إلى السوق الإسلامية المشتركة، ما رأي الدكتور زهير بهذا؟**

** د. زهير غزاوي:

أثارت الندوة تساؤلات في ذهني حول ما هو ممكن وما هو مستحيل فلقد طرح الأستاذ المستشار مسألة السوق الاقتصادية المشتركة وبما أنني أراها مستحيلة لأن الاقتصاد في إطار الرقابة اللصيقة من قبل التروستات والكارتلات في هذا العالم.

الاقتصاد هو أحد الخطوط الحمر التي تقع وتشن الحروب المباشرة من أجلها وهو أصبح الآن شعار القرن الواحد والعشرين، الحصار الاقتصادي والهيمنة الاقتصادية من قبل الشمال باتجاه الجنوب، وبالتأكيد التخلف هو غالبا سمة اقتصادية ونحن في تخوم القرن الواحد والعشرين نجد أن هناك هوة حضارية اقتصادية وتقنية على اعتبار التقنية جزء من الاقتصاد بين الشمال والجنوب، بمعنى أن الشمال وأميركا تحديداً في عصر الذرة وإما نحن فلازلنا في عصر البخار نستورد التقنية ولا نتقن استخدامها.

هذا الفارق يجعل دول الجنوب تابعة شئنا أم أبينا، فأي محاولة للتحرر وإنشاء سوق مشتركة تؤدي إلى حرب حقيقية، وأعتقد أن الاستبداد السياسي لا يسمح بسوق ولا بخوض حروب أو بحروب مفتعلة هدفها تدمير الأمة كما فعل (صدام حسين) في حربيه الشهيرتين.

وأتساءل: هل الثقافة أو الحلف، الثقافة هو خارج إطار الرقابة اللصيقة حتى نطرحها كمجال للتخطيط من أجل تعاون مثمر بين الدول الإسلامية. أي هل يمكن أن تكون هناك منظمة ثقافية إسلامية غير خاضعة للحرب علماً أن الثقافة حالة حضارية تؤدي فيما تؤدي اليه إلى تقنية أفضل والخروج من ربقة التخلف فلقد كنت آتمنى لو استطعنا أن نضع أسساً عملية لتحالف إسلامي أو لتعاون ثقافي إسلامي لكي نترك الاقتصاد جانباً لأن كل ما نطرحه في هذا المجال هو مجرد شعارات لا غير والسبب هو التابو والخطوط الحمر.

وأتساءل: هل الثقافة في إطار شن حرب. أقول وربما كان لدى الاخوة اضافات مختلفة أو إثارات، إن الثقافة لازالت خارج الإطار فلا تشن الحرب من أجل وحدة ثقافية إسلامية أو عربية إسلامية ولا زلت أقول أن الإسلام كأيديولوجيا رغم كل ما يشاع من حرب ضد الإسلام لازال خارج إطار أن تشن حرب من أجله، ولو أن الإسلام مغلف بالحروب التي تشن ضده الآن بما يسمى (الإرهاب) كحجة للقتال ضد الدول التي تطرح الإسلام شعاراً ونظاماً للحكم، فالإسلام بطبيعة الحال ثقافة، فهل أن التعاون الثقافي في إطار إسلامي كأيديولوجيا هو خارج إطار الحرب؟

نحن نعلم أن الإسلام كأيديولوجيا محارب في كثير من الدول بطريقة ذكية بمعنى أن الحرب لا تشن على كلمات أو مبادئ (لا إله إلا الله). (الصلاة). (اغلاق المساجد) الخ. ولكنها تشن بطريقة ذكية كما أشرت فيما سبق إلى إبراز أن الإسلام لصيق بالتخلف وان المؤسسات الإسلامية متخلفة وان التغريب مرادف للتقدم.

وكما تعلمون إننا كلنا الآن نشن حرباً على العلمانية أو التغريبية العربية الإسلامية وكان شعارنا في ذلك (محمد عابد الجابري) باعتبار ان هذا التيار يسعى إلى إقناع الرأي العام الإسلامي بأن متابعة التمسك بالإسلام سيؤدي إلى تخلف العالم الإسلامي عن سد الثغرة في التقدم بيننا وبين أوروبا.

والواقع إن الإسلام كسجل للقيم ونظام للحياة، أطلق العقلانية من عقالها بدلا من تكبيلها وان التخلف المزعوم لا يتحمل الإسلام مسئوليته على الإطلاق بل على العكس فإن الإسلام اليوم حافز على المقاومة والتقدم معا.

**** السيد عبد الله نظام :**

بالنسبة للسوق المشتركة لاشك أن القضايا الاقتصادية لا تنفصل عن القضايا السياسية وبالتالي فهي محكمة للقضايا السياسية وبشكل عملي فإننا إذا استطعنا أن نخرج خارج إطار الأنظمة في العالم العربي ليس لدينا إلا مجال واحد هو المجال الثقافي وهذا ليس عبر مؤسسة

ثقافية إسلامية لأن هذه المؤسسة ستكون خاضعة للأنظمة الإسلامية اي لابد من التعاون الشعبي أو الشخصي بين المفكرين والمثقفين بحيث يكون هناك تواصل وتفاعل فيما بينهم وتشجيع للكتابة ولعقد مؤتمرات، نشرات، مسرح، سينما، التي يمكن ان تعالج القضايا الهامة التي سوف تحطم المنطقة كقضايا الشرق اوسطية او العولمة بحيث يتعرف الناس حتى العاديين على افكار هذه القضايا وما ستلحقه بالافكار الإسلامية والعربية في المستقبل فيما لو تم لها النجاح.

وعلى الجانب الآخر لابد ان يكون هناك امل لبناء قاعدة جديدة من الشباب والنشء الجديد الذي يعي هذه المفاهيم أي مراقبة حركة التربية والتعليم بشكل اساسي ولو خارج الإطار الرسمي.

ولدينا مشكلة العالم الإسلامي والعربي وهناك نوع من الخوف وعدم الثقة بين الحركة الإسلامية عموما وبين الانظمة الحاكمة، فالحركة الإسلامية في الكثير من الحالات أرادت أن تصل إلى الحكم اي كان مشروعها مشروع حكم بينما يمكنها أن تمارس مشروع الامة وليس مشروع الحكم فنحن كحركة إسلامية مدعوون إلى تنوير الجيل وتثقيفه وبيان أبعاد الإسلام الصحيح وتأجيل مشاريع الحكم الى فترات لاحقة وظروف انسب من الظروف الحالية خصوصا بعد الثورة الإسلامية في إيران فاميركا ليس لديها استعداد لمشاهدة ظاهرة إسلامية أو بلد إسلامي اخر حيث ستكون المواجهة أشد واعقد.

فإذا نما نوع من الثقة بين الحاكم والمحكوم والحديث عن الحكومات التي لا ارتباط لها أو ارتباطها ضعيف بالجهات الاجنبية فبدلا من ان تدخل في مواجهة مع الانظمة تكون ربيت الأمة واذا استطعت ان تربيها يمكن في المستقبل ان تثور واقع إسلامي جديد بطريقة او بأخرى وفي ظرف انسب.

وهناك قضية تخلف أرى فيها دافعا للانظمة شاءت او ابت في المستقبل، وإذا ما طبق النظام العالمي الجديد للاقتصاد بعد اتفاقيات (الكات) خصوصا في المراحل الاخيرة بعد ان يحصل الانفتاح الاقتصادي ستجد هذه الحكومات نفسها مضطرة لا من أجل مصلحة الامة بل من أجل دافع الاستمرار لأن الحاكم لا يمكن ان يستمر في ظل اقتصاد محطم فحفاظا على مصلحته سوف يرى انه إذا تعاون مع الأنظمة الإسلامية الأخرى لاستنقاذ الاوضاع الداخلية للحفاظ على نفسه وعلى بلده فواقع التخلف إذا أعطي حجمه من الدراسة وابرزت أهميته يمكن أن يكون طريقا يساعد على إنشاء سوق اسلامية ولو كان غير مرغوب فيها دوليا.

** **الأستاذ مجدي حسين**

هناك نقطتان، فأنا أختلف مع الأراء التي طرحت والتي تصعب من التعاون الاقتصادي فأنا أرى أن التعاون الاقتصادي في الظروف الحالية أسهل من التعاون الثقافي فبعض الأنظمة تخاف من الثقافة ولكنها لا تخاف من سلعة الصابون أو أية سلعة أخرى على اعتبار أنها لا تحمل أيديولوجيا فنحن كحركة مثقفين لدينا طريقتان: الضغط على الحكومات من أجل التعاون وتشجيع وحفظ المبادرات عند رجال الاعمال فهم خائفون أكثر من اللازم فهناك حركة عبر الحدود وبإمكان رجل الأعمال أن ينتقل، وتجربة رجال الأعمال الاتراك المحسوبين على (الرفاه) الذين يسمون (الموسياد) مختصر رجال المال فقد أصبحوا كتلة اقتصادية افتتحت عدة شركات عملاقة ولها علاقات عبر الحدود مع كل العالم الإسلامي والعربي والأوروبي، وتقدر عقودها بعدة مليارات دولار سنويا، وشركة واحدة صادراتها أكثر من صادرات مصر كلها ولها خمسون سنة من العمل وهي استقلالية وليست إسلامية.

وثمة فكرة طرحها (أربكان) وإيران بدورها تطبقها، وهي فكرة عدم الخضوع للدولار كعلاقة تبادلية بين العالم العربي والإسلامي فأنت حينما تذهب إلى أي بنك في مصر لا تجد أية عملة للتحويل غير الدولار ولا تجد الليرة السورية مثلاً. فالدينار الإسلامي الذي طرحه أربكان عملت إيران تطبيقات له.

وفي الاتحاد الأسيوي للتجارة هناك دول إسلامية واخرى غير إسلامية كسريلانكا والنيبال وباكستان. فهذه الدول تعمل بتجارة المقايضة، ويقود هذا الاتحاد محافظو البنك المركزي واتسع التعامل لعشرات الملايين من الدولارات وقد بدأ ب (٢٦) مليون دولار.

فالعبودية للدولار ولاء لا معنى لها ويمكن إنجازها بالمقايضة أو بعمل دينار وهي كالعملة الأوروبية الوهمية للمقايضة، أي انني استخدم اموال الدولة الإسلامية الصديقة التي اتعامل معها واعتبرها مقبولة عندي. فهذا قرار سيادة. فحتى السفارة الأميركية تعمل بذلك، فهي تأخذ موارد القمح بالعملة المصرية وتضعها في بنك مصر وتستخدمها في مصر. فإذا كانت أميركا تستخدم الجنيه المصري فلماذا لا يتعامل البلد العربي الاخر بالجنيه المصري أو الريال الإيراني. فالمسألة بحاجة إلى قرار سيادة للاعتراف به، فهذه هي اكثر مسالة اخافتهم من أربكان. وبعد قمة الثماني رأوا أن المسألة اخطر مما كانوا يتصورون. وكان الاستعداد للانفتاح على سوريا أحد الأمور التي أثارت الجانب الاخر، هذه هي فكرة الدينار التي افزعتهم في حين أن العراق كان يتعامل مع الأردن بأن يعطيه البترول وبالمقابل فان رجل الاعمال الأردني يعطي الدينار الأردني، وإسرائيل كذلك تصدر أسلحة بمليون دولار سنويا إلى افريقيا

التي لا توجد فيها سيولة مالية، فتحصل إسرائيل على ماس ومعادن أخرى فعصر المقايضة لم ينته كما يشاع.

والحكومة المصرية وصلت إلى هذا، فهي تعمل اتفاقات حرة مع المغرب والأردن وتحسن العلاقات مع ايران وهذا يصب في مصلحة الأمة في النهاية، وفي نفس الوقت لابد من نشر الوعي بين رجال الاعمال العرب والمسلمين. وفي أغلب الدول ليس هناك محاذير سياسية.

**** د. عقلة عرسان:**

الموضوع الثقافي أو العمل الثقافي- في تصوري- يمكن أن يكون خارج حدود القطيعة التي قد تحدث بين بلد وآخر او بين مجموعة من البلدان والدليل على إمكانية ذلك أن عمليات الاختراق الثقافي من قبل الغرب أو الصهاينة تتم في عالمنا برغم استنفار بعض الجهات لعدم تحقيق ذلك فكيف لا يتم تواصل ثقافي حقيقي رغم قطيعة الانظمة مع بعضها البعض فنحن نقول أن بإمكان الثقافة أن تقيم جسوراً حقيقية بين الشعوب ولاسيما في العالم الإسلامي لأن الأرضية المشتركة في التكوين العام أكثر مما يفرق أو يبعد ولذلك ينبغي أن تستثمر هذا بوعي وحكمة وعصرية وليس بخطاب احترازي إن صح التعبير.

ونقطة اخرى أريد أن ألامسها وهي ما ورد من مصطلح الإسلام كأيديولوجيا فانا لا احب التعامل مع هذا المصطلح فهناك أيديولوجيا إسلامية قامت على أرضية العقيدة ولكن الإسلام بالدرجة الأولى هو التسليم لله وعمل من خلال أرضية إيمان وليس معطى أيديولوجي كالمعطى الماركسي أو الغربي وقد تنشأ على أرضية العقيدة الإسلامية أفكار تشكل منظومة فكرية معينة تسميها أيديولوجيا ولكن الإسلام كأيديولوجيا فإني أحبذ الابتعاد عن هذه الكلمة لاسيما وأن المداخل التي راحت تتطرق إلى هذا الموضوع تقول بضرورة النظرة المتساوية إلى الماركسية كأيديولوجيا والإسلام كأيديولوجيا في حين لا يمكن التساوي بين مقولات كارل ماركس في رأس المال والقرآن الكريم الذي نزل على محمد (ص) في قضية مغايرة جوهرياً في التوجه والتكوين.

* مدير الندوة: هل ثمة إضافة في هذا الخصوص؟

**** د. زهير غزاوي:**

حول إمكانية سوق إسلامية اقتصادية مشتركة ولمتابعتي لهموم ومرارة التجارب الإسلامية في هذا المجال، هناك تجربة إيران في الحرب وقضايا التحويل وتمويل عمليات شراء السلاح من الخارج والسوق السوداء لحركة الدولار وغيرها.

أحب أن أقول إن عمليات المقايضة جرت بشأنها محاولات والإشارة التي تفضل بها زميلي إلى رجال الأعمال فيها الكثير من المرارة لأنه ليس هناك رجل أعمال مسلم في هذا العالم ليس مرتبطاً أو مودعاً في أحد البنوك الرئيسية المعتمدة في العالم لإعطاء ضمانات الاستيراد والتصدير، فهناك شيء أساسي استطاعت الولايات المتحدة أن تكونه في هذا العالم هو أن تكون بنوكها هي المرجعية الأولى والأخيرة لإعطاء الثقة في الاستيراد والتصدير في العالم، ولهذا لو افترضنا أن هناك عقداً سورياً وشركة قبرصية لاستيراد البطاطا، وقد نظم العقد وسيدفع الثمن، وسورية تودع في بنك مانهاتن أربعة مليارات دولار فيذكر في العقد أن الوسيط هو راي (جيس بنك مانهاتن) فأميركا هي التي تعطي الضمان لأي عقد صغير ولو كان استيراد البصل، لهذا لم يستطع أي من دول الجنوب أو غيرها أن تتجاوز هذه العقبة. في محاولة (أريكان) وغيرها يأتي رجال الأعمال وليس فيهم من يستطيع أن يتجاوز هذه النقطة.

وأشير مثالاً إلى التجربة الإيرانية في شراء السلاح إن هذه كبدت إيران والآخرين في قضايا التبادل كذا قتيل في روما ولندن وزيورخ، فعدد القتلى الذين سقطوا على طريق التبادل جعل الكثيرين يحذرون من هذا الطريق فهناك مافيات قتل وحكام يسقطون، لذا أحذر من مسألة استسهال سوق إسلامية مشتركة لأنها بحاجة إلى قرار سياسي وقوة اقتصادية وإرادة في التصدير ولا نستطيع فصل السياسة عن الاقتصاد بأي حال من الأحوال، فلقد اندمج الثالوث: السياسة والاقتصاد والايديولوجيا.

**** الأستاذ مجدي حسين:**

(تعقيباً على مداخلتي د. عرسان ود. غزاوي): هناك ملاحظتان: أولاً، أريد أن أوضح أنني عندما قلت أن الاقتصاد أسهل من الثقافة لم أكن استبعد الثقافة لأن موضوع ندوتنا هو الاقتصاد والسوق، فخفت أن يكون الحديث عن الثقافة يأساً من موضوع الاقتصاد وبالتالي فلا أمل في السوق المقترحة في المدى المنظور.

فالثقافة كالماء والهواء ولا يستطيع أحد أن يمنعها وبالفعل هناك تفاعل ثقافي وإن لم يكن مرضياً، فحينما زرت إيران في عام ١٩٨٦ أثناء الحرب، ولم يكن مسموحاً زيارتها بل العراق فقط، وعندما اكتشفوا ذلك عند عودتي وضعوني في اللائمة إلى اليوم لكن هذا لا يمنع التفاعل وقد دخلت كتب الامام الخميني (رض) مصر عبر ألف طريق، وطريق الإذاعات الموجهة موجودة.

وبالنسبة للاقتصاد لا أهون من المشكلات، ولكن هناك وسائل وطرق للحلول. فالاتفاق بين الحكومات يمكن أن تحل المشاكل بأن لا أدع بنكاً أميركياً أو أوروبياً كطرف بين دولتين

إسلاميتين لكنني اقول إن السوق يمكن أن تنشأ لمبادرات صغيرة وتكبر وليس معناه أن ليس هناك عقبات ولكننا نعمل من خلال برنامج نطالب به الحكومات، وما ذكرته من اتحاد حقيقي في اسيا بدأ قبل الثورة الإسلامية في إيران أي قبل عام ١٩٦٧ فهناك رغبة في الاستقلال لدى البعض.

لقد قرأت في (تشرين) مخاطر الشراكة الأوربية على الصناعة التحويلية السورية. وهو ما تقراه في الصحف المصرية أيضاً. فرجال الأعمال في مصر أيضاً قلقون من الشراكة الأوروبية التي ستدمر الاستقلال لأنها تعمله بمعدلات يمكنني ان أواجهه في رفع الحماية الجمركية عندما تقوى صناعتي، وهب إنها لا تقوى فهل ندمرها من أجل قدسية (الكات) فأنا يمكن أن أرفع الحماية الجمركية بعد عشرين سنة بين البلاد الإسلامية لا أمام أوروبا وحدها.

فالحل الحقيقي في التوجه، فالهند دولة هامة جداً وثبتت في الاختبارات إنها دولة مستقلة عن القرار الاميركي في الاتفاق النووي. والصين تحولت، فهونغ كونغ تضاعفت صادراتها اكثر من الصين على صغرها فصادرات الصين ١٥٠ مليار دولار وصادرات هونغ كونغ ١٨٠ مليار دولار اي اكثر من كل القارة، هذه القارة تحولت صادراتها منذ وقت قريب فاصبحت ٣٠٠ مليار دولار.

فالصين عندها شيء تاريخي وهو عدم الرغبة في الانخراط في الصراعات الدولية فهي تتوغل ببطء ورقة وهي اكبر قوة مهيأة في القرن القادم لمناطحة أميركا. ولا ننسى انه أيام أزمة تايوان بأن الصين البلد الوحيد الذي هددت بضرب اميركا بالصواريخ النووية، حيث قال مسؤول صيني ان لدينا صواريخ يمكن أن تضرب (لوس أنجلس).

والهند الأن لديها صواريخ (٢٠٠٠- ٣٠٠٠) كلم ولدى إيران حسب التقارير الدولية صواريخ تصل إلى مدى ٢٠٠٠ كم فأعتقد ان توجه الملف الآسيوي ينبغي أن يكون هو توجه العالم الإسلامي، فهي ليست لديها مخططات استعمارية، بل وتعمل على الحاسوب في الربح والخسارة للعلاقات وهي تحتاج إلى النفط الموجود في العالم الإسلامي، والسودان استفادت أيضا من هذه النهضة الاسيوية.

ومصر عندما شعرت بالضيق من اميركا اتجهت إلى الصين اكثر وإلى ماليزيا. كما قيل في الغرب إن للحضارة ثلاثة مراكز، ولقد حذر مؤرخ اميركي من تحالف الاسلام مع الكونفوشيوسية.

ففي ذلك قدر من الصحة والسياسة الاميركية لها حساباتها والدول الاسيوية ليست معادية لنا وهي أيضا متنافسة مع الغرب- حسب تحليله- وهذه نقطة قوة من الناحية الاقتصادية، فأي تجمع إسلامي لابد أن يستفيد من ذلك، فهذا يضعف احتكار الدولار ويضعف وضع البنوك الغربية في إنها المخرج الوحيد، إن هذا هو تحد وعلينا أن نتحرر منه.

* سؤال: أستاذ زياد برأيكم كيف يمكن حشد الموقف الجماهيري الإسلامي لمجابهة التحديات القادمة؟

** أ. زياد نخالة :

أحب الإشارة إلى ملاحظة وهي أن وضع الشعوب في المنطقة العربية والإسلامية هو أفضل بكثير لما كان عليه قبل عشرين عاماً، وخاصة إزاء الخطر الصهيوني- الأميركي، فهناك حالة وعي شعبي وكان دور المثقفين بارزا في إظهار هذا الوعي، فهذا الوعي يمكن أن يضغط على الأنظمة حتى تلين من مواقفها حيال العلاقات الثنائية بينها بالرغم من المواقف المتباعدة سياسياً.

فحالة التقارب التي تتم في المنطقة ليست معزولة عن هذا الوعي الشعبي فنلاحظ مثلا في مصر رغم اتفاقيات كامب ديفيد والضغط الأميركي لكن الموقف المصري يتحرك باتجاه الموقف السوري ولو ببطء شديد، ويمكن مع المستقبل أن تحدث تحولات إيجابية وبإمكان المثقفين أن يدفعوا هذا الوعي لتقويته واستمراره.

** د. رفعت سيد أحمد :

لقد قدمت في هذه الندوة مجموعة مقترحات من بينها المقترح الذي قدمه الأستاذ (مجدي أحمد حسين) وهو أن يتم عقد مؤتمر قومي- إسلامي ثقافي بين المفكرين العرب والمسلمين قبل مؤتمر القمة الإسلامية يتداول سبل تشكيل نواة لمجلس تعاون ولتقارب ولوحدة إسلامية كأقصى الطموح.

وأقترح من بين الملفات المهمة والساخنة التي تطرح على القمة ملف المياه. فكما لا تستطيع أن تستغني عن الدم في جسدك فإنك لا تستطيع الاستغناء عن المياه أيضا فالدم يساوي الماء في العالم الإسلامي، وهناك حروب ستنشأ إن لم تكن نشأت بالفعل حول ملفات المياه، والقضايا في العالم الإسلامي ليست مركبة بل مكعبة فإذا بدأت بقضية ستصل إلى الأخرى بالضرورة، فإذا بدأت بملف المياه ستصل إلى القدس مباشرة. وإذا بدأت بملف التطبيع وهذا هو ملف آخر ينبغي أن يطرح على هذه القمة.

فما يسمى بالتطبيع وسميته أنا التطويع الصهيوني للمنطقة وللمثقفين وللسياسة في العالم العربي، ملف التطويع ينبغي أن يثار ويطرح على القمة. الخلافات الحدودية بين الدول الإسلامية. والملف المفتعل لما يسمى بالأقليات.

وملف القدس المركزي، وأنا أستخدم باستمرار عبارة الشهيد الدكتور (فتحي الشقاقي)- رحمه الله- فلقد كان يقول انك لكي تقيس صدقك تجاه قضايا أمتك بشكل حقيقي قس المسافة بينك وبين القدس.

هذا الملف بكل تفاصيله وتداعياته ومستوياته وأجزائه ينبغي أن يكون الملف المركزي أمام المؤتمر.

هذه هي بعض الإشعاعات التي طرأت في ذهني.

ان يدعى إلى اجتماع موسع لمراكز البحث في العالم الإسلامي يضم الجهات المعنية لمتابعة قضايا بصفتها مجالس أو تجمعات ذات طابع ثقافي أو اقتصادي عام، وهذه تضع مذكرة ترسلها إلى وزراء خارجية الدول الإسلامية وإلى الأمانة العامة لمؤتمر القمة الإسلامي.

أما موضوع السؤال، أقول هناك مشكلات صغيرة أو كبيرة بين إيران وبين بعض الدول العربية وإيران في ذلك تتحمل مسئوليتين او ثلاث:

مسؤولية أولى إنها عامل دافع باتجاه الصحوة والوحدة في ان معا في العالم الإسلامي. وهي تدرك ما تفعل وتدرك المخاطر والدور الذي يمكن ان تقوم به في هذا المجال ومن موقع إدراكها لذلك، أقول بضرورة معالجة كل القضايا العالقة التي تشكل منغصات أو تحدث بؤر توتر أو تنسف جسور الثقة بين إيران وبين الدول العربية.

أنا متفائل جداً من الخطوات التي اتخذتها ايران حيال التفاعل والتواصل مع السعودية ومع مصر. فهي مؤشرات إيجابية جدا، لكن هناك بعض القضايا التي يجب على إيران ان تقتحم فيها الساحة لتحلها، كقضية (الجزر) لئلا يتخذ منها الأميركيون دائما ذريعة للتفجير فهذه القضية يجب أن تحسم لأنها بالنتيجة ديار الإسلام شئنا أم أبينا، حتى إذا أرجأنا فتح هذا الجرح إلى ما بعد دفع الخطر عن الأمة كلها وهذه قضايا يمكن أن تحل بالحكمة الإيرانية والحكمة العربية على أرضية الإسلام والاقتناع بأنه لا يمكن صد العدو في الوقت الذي نقيم فيه بؤرا للعدو بأجسادنا.

والنقطة الأخرى المهمة، وانا اتمنى ان نصل إلى محور (بيروت- دمشق- بغداد- طهران) بكل معانيه، لكنه يشكل مخاطر، وايضا يجب أن تسبقه إجراءات.. لاسيما وان إيران مطالبة بأن تحمل راية الإسلام التي اختارتها، وحمل راية الإسلام ليس معناه التقوقع وانما الدخول مع الآخرين على أرضية من الثقة والاقتناع وعدم الخوف، وقد لا تكون هذه الامور موجودة ولكن بما أن الاستكبار يروج لها بشكل او باخر فعلينا ان نواجهها ونقطع الطرق امامها.

يضاف إلى ذلك تعزيز الموقف الإيراني- التركي على الصعيد الشعبي، فنحن نعرف أن الشعب التركي مغلوب على امره في بعض القضايا ويراد زج هذا الشعب في مواجهة شعب مسلم

آخر، وهذه خطة صهيونية- أميركية تريد أن تضرب مسلمين بمسلمين بشكل أو بآخر فعلينا أن نبذل كل الجهد لإحداث وعي شعبي في الساحة التركية ووعي ثقافي ووعي من خلال التواصل مع الرفاه وسواه لأن الصلات أعمق وأمتن ويجب أن لا تخضع إطلاقاً لافتعالات الطورانية والصهيونية المختفية خلفها والسياسة الإيرانية قادرة على المبادرة في هذا المجال سواء من خلال توجيه الإمام الخامنئي أو من خلال رئيس الجمهورية الجديد الدكتور خاتمي أو من خلال الخبرة التي اكتسبها ولايتي.

** **السيد عبد الله نظام:**

في نظري إن التحسن الذي يظهر على السطح في العلاقات الإيرانية العراقية والإسلامية الأخرى كمن يضع وجها مستعارا يخفي الحقيقة عن الناس وهي شدة الهجمة الإسرائيلية والعمل الذي يقوم به إسرائيل والتصريحات التي يطلقها شارون وغيره في كل يوم عن الأرض المحتلة والمواقف الأميركية الضاغطة والداعمة بشكل مستمر بدون أي تحفظ، أي بعبارة أخرى لو كان الموقف الإسرائيلي والأميركي غير المعلن الآن فإنني أعتقد أننا لم نكن نشهد هذا التحسن الملحوظ، لعلاقات بين الجمهورية الإسلامية والأنظمة الأخرى والمسؤولية هنا ليست على الجمهورية الإسلامية وإنما هي على الأنظمة.

لذلك إلى أي حد وإلى متى؟ هذه قضية غيبية لا نستطيع الجزم بها الآن طالما بقي الموقف الإسرائيلي بهذا الشكل والموقف الأميركي كذلك فيمكن ان تستمر هذه التحسنات لتجميل الصورة الخارجية أما فيما بعد فسيعود كل شيء إلى ما كان عليه سابقاً لان طبيعة القرار السياسي في أكثر الأنظمة العربية الإسلامية ليس قراراً محلياً وإنما هو يملى من الخارج وبالتالي فإن الجمهورية الإسلامية ستجد نفسها في مقابل مواقف مسبقة ومشخصة.

طبعاً ليس هناك في السياسة شيء اسمه مستحيل إذ ينبغي على السياسي أن يحاول ما استطاع أن يذلل العقبات ويستفيد من الفرص لكنني أقول ذلك من خلال الشك في استمرارية هذه المرحلة على المدى البعيد.

والأمر المهم هو أن خطاب الجمهورية الإسلامية كلما كان خطاباً أكثر مرونة أو بعيداً عن إثارة القضايا التي تسبب صراعاً في المنطقة كالطرح الأيديولوجي المتشدد أحياناً فالمفروض أن يصبح خطابها تأكيداً على أنها ليست خطراً على المنطقة ليعطي الطمأنينة للشعوب الخليجية وبعض الدول الأخرى فهذا يساعد على المدى البعيد على تذليل هذه العقبات.

** **الدكتور زهير غزاوي :**

بحكم معرفتنا بالشارع العربي أزعم ان الاخوة الموجودين هنا أغلبهم ليسوا رسميين يتصلون بشعوبهم مباشرة وزاروا البلاد العربية ولمسوا نضج الشارع العربي فهم أقدر على توصيفه بالتأكيد فالمثقف والكاتب هو ضمير هذا الشعب والقادر على التكلم باسمه غالبا بصدق.

لقد استطاعت الثورة الإسلامية في إيران ان تكون زلزالا في المنطقة من زاوية انها استفزت الشارع العربي باتجاه نموذج ثوري أخاف الإمبريالية فعلاً حتى أن مقولة تصدير الثورة التي طرحتها إيران الإسلامية والتي أثارت كل ذلك الضجيج لم تكن في الواقع إلا توصيفا لما حدث وهو أن الثورة قد صدرت مما أدى إلى خوف الأنظمة العربية من ذلك وجعلها تسارع إلى قطع العلاقات مع إيران كما نعلم، وربما كان الخوف الأكبر متمثلاً في دول المغرب العربي ومصر.

فنحن نعلم أن مصر طرحت مفهوم الامة الذي قال عنه سماحة السيد منذ زمن بعيد من خلال حركة الإخوان المسلمين وأذكر انني استمعت إلى المحاكمات التي جرت في الستينات في مصر وطرحت فيها الكثير من ملامح التوجه نحو إسلام الأمة وليس اسلام الحكم. وهذه قضية مسجلة في وثائق.

وعلى أية حال، هناك كما نلمس في الشارع العربي حملة ليست مغرضة يقوم بها الكثيرون من كتاب السياسة العرب تخوف من تنامي الدور الإيراني على صعيد بروز الحالة القومية في إيران وهذه ستبرز شئنا أم أبينا. وانا أتفاءل أن المؤسسة الإيرانية قادرة على أن تلجم هذه النزعات فايران ذاتها دولة اممية ففيها خمس قوميات وهي تقوم بحل مشكلاتها الداخلية حتى الآن بكفاءة.

أتمنى أن تشجع إيران او تدعم بما تملك في الإطار الإسلامي امتلاك العرب لدور اقليمي في دولهم أكثر مما هم يمتلكونه.

صحيح إن دور مصر الحالي وللأسف انها كانت ذات دور متميز في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لكنها فقدته بعد ١٩٦٧ ولكن لا يضر ان تدعم ايران دورا لمصر يخلصها من الهيمنة الاميركية بدعم اقتصادي للقاهرة يساعد على تفعيل دور سياسي افضل.

والدور السوري المصري إذا قلنا مجازا انه يشكل تحالفا فهو عمليا لا يشكل تحالفا. هو اتصالات دبلوماسية حذرة حتى الان وهناك شكوك دائمة بين الأطراف، ذلك أن النظام المصري برهن انه أمين للإملاءات الأميركية. واضرب مثالا بسيطا انها أخذت دور الوسيط بين سلطة الحكم الذاتي في فلسطين وإسرائيل مما اثار اشمئزاز الشارع العربي ولكننا كمثقفين نثمن دور الشارع المصري.

**** الأستاذ مجدي أحمد حسين:**

أعتقد إن العلاقات الإيرانية- العربية دخلت في مرحلتين. الأولى. بعد قيام الثورة. حيث أخذت شكل التفاعل العنيف وما ترافق معها من مسألة تصدير الثورة لكن الثورة في الحقيقة ليست سلعة حتى تصدر ولكن ثمة إشعاع ثوري ينتشر. وكان من حق الثورة في ذلك الوقت أن تأمل بانتشار لهيبها في الخارج، خاصة وأنها ثورة إسلامية عالمية وهي ليست ثورة وطنية محلية فقط ولاشك أن هذا المد قد حدث وإن لم يأخذ شكل ثورات تؤدي إلى تغيير أنظمة الحكم بشكل مباشر لكن حدث نوع من التفاعل في المنطقة العربية ولعل حزب الله والتحالف السوري الإيراني، والمد الإسلامي في فلسطين والجزائر ومصر. كل هذا كان للثورة تأثير فيه. وأذكر أن مصر شهدت مظاهرات عارمة عندما جاء الشاه لاجئاً وكانت مجلة (المختار الإسلامي) وجريدة الشعب نفسها مؤيدتين للثورة.

ثم بوغتت الثورة بالحرب لمنع هذه الحالة لإشغال واستنزاف الثورة. وبعد الحرب فإن استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية في إيران بدأت تدخل مرحلة ثانية وهي مرحلة الدولة وليس هذا عيباً، فالثورة يمكن أن ينتقل تأثيرها بقوة المثال والنموذج، فهناك نجحت تجربة الشورى والديمقراطية. فلم نعد بالضرورة ننقل التجربة الغربية فقط بل أصبحت ثمة نماذج أخرى متناسبة مع عقيدتنا وظروفنا أكثر. ويمكن أن تكون أكثر رقياً حتى من الديمقراطية الغربية.

وأيضاً قوة المثال والنموذج في النجاح الاقتصادي وفي التصنيع العسكري، فنحن نقرأ افتتاح مصنع للدبابات إيراني ١٠٠٪ تشارك فيه (٦٠) شركة إيرانية متضافرة. فهي انتقلت إلى مرحلة الانتشار بالنموذج دون التخلي عن المثال والرسالة. وأنا أؤيد الانفتاح الذي يحدث من قبل إيران تجاه الدول العربية وكافة الحكومات العربية، والحقيقة إن هذه الحكومات هي التي رفضت أن تمد يدها بل بالعكس كانت تدعم العدوان. ما يقوم الآن هو العودة إلى الحق تقريباً.

المحور الخامس

المشروع الإسلامي بين
مقومات النهوض وتحديات المواجهة

في ١١ أيلول/ سبتمبر من عام ٢٠٠١م تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية إلى أكبر هزة، فقد هوجمت في عقر دارها وهي التي لم تكن تحسب قط أن يداهم جزيرتها الواعدة مثل هذه العاصفة الهوجاء لأنها اعتادت ان تكون في منأى عن بؤر التوتر والاضطرابات في أنحاء العالم فإذا بها تنال ضربة كبرى موجعة في الصميم أطاحت بالهيبة التي اصطنعتها لنفسها وجهدت واجتهدت في صيانتها طيلة القرن الماضي.

لقد شغل هذا الحدث حيزا كبيرا من الجدل والسجال في الأوساط الدولية وهو أمر طبيعي ولا يدعو إلى الاستغراب والحيرة- بلا شك- لكن ما يثير الدهشة والريبة معا أن تكون ردود الفعل الغربية- الامريكية منصبة كليا على العالم الإسلامي- حصرا- وكأنه لا أعداء للولايات المتحدة في هذا العالم الفسيح سوانا.

إن هذا الامر يجافي الحقيقة والواقع بشكل أكيد لأن أمريكا بسياساتها الهيمنية والاستغلالية خلقت لنفسها مناوئين ومعارضين لا عدد لهم. ولهذا يتبدى لنا أن تهمة "الإرهاب" التي أعدت سلفا لتسويغ الحملة الاستكبارية الجديدة على منطقتنا لا أساس لها من الصحة وقد تم التطبيل لها في المحافل الغربية والصهيونية على مدى العقود القليلة القادمة لتشويه صورة الإسلام الناصعة وقد ان الاوان حسب رأي أباطرة القوة والمال لقطف ثمار جهودهم المكثفة باتجاه صد المد الإسلامي الذي أخل بموازين القوى العالمية والمطامع التوسعية خلال الربع الأخير من القرن العشرين.

ولابد هنا من التنويه إلى أن علينا أن نخرج "جماعة طالبان" من دائرة الحالة والصحوة الإسلامية لأن هذه "الجماعة" مثلت للأسف الشديد العمى في أبعد أشكاله وشكلت حقبة كارثية مظلمة من تاريخنا المعاصر كما أنها نموذج ينبغي التوقف عنده بالدراسة والتمحيص لئلا يتكرر مستقبلا فيجر وبالا على المسلمين، كان الاستكبار العالمي بأمس الحاجة إلى مثله لمزيد من الإساءة إلى الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السمحة وأتباعه المؤمنين النجباء.

من هنا فإن المشروع الإسلامي يقف اليوم أمام مفترق شائك من الطرق يتطلب منه إعادة تقييم مسيرته- إيجابا أو سلبا- فبينما يخوض المجاهدون صراعا لا هوادة فيه ضد المحتلين والغزاة في فلسطين ولبنان ومناطق أخرى من العالم الإسلامي، فإن ثمة حاجة ملحة للعمل على إدارة الحالة الإسلامية إقليميا وعالميا. إدارة سليمة تعزز نقاط القوة فيها وتنير معالم الطريق السوي من جانب وتصحح الانحرافات وتقوم الاتجاهات الخاطئة من جانب اخر وهو ما نتوخاه، من خلال هذا المحور.

المشروع الإسلامي وأدوات دحر التآمر الاستكباري الصهيوني

آية الله الشيخ محمد باقر الناصري(*)

* أين سيكون موقع الإسلام في الصراع العربي الصهيوني في خضم التحالف الغربي الاستكباري الراهن؟

** أدرك العدو والصديق أن العصر والمرحلة هو عصر الإسلام ونهوضه والصحوة الإسلامية باتت حقيقة واقعة لا تقبل الشك منذ النصف الثاني من القرن العشرين وإلى اليوم، وإن القرن الحادي والعشرين أكد هذه الحقيقة. ومظاهر الصحوة الإسلامية ونهوض الامة الإسلامية وانتشارها في افاق العالم باسره اكبر شاهد على هذه الحقيقة.

ولعل التحالف الغربي الاستكباري كما اشرتم اكبر شاهد على ذلك، بل جاء كرد فعل للاستكبار العالمي على الصحوة الإسلامية والتي بعثت القلق في نفوس الاستكبار العالمي بكافة فصائله من صهيونية وماسونية وصليبية وغيرها. ولم يات على الإسلام والامة الإسلامية طيلة خمسة عشر قرنا من عصر الإسلام المبارك ان بلغ انتشار الإسلام والمسلمين إلى ما بلغه اليوم، حتى دخل كل دولة وكل ركن قصي في العالم، وجاء انتشار الإسلام والمسلمين- رغم معاناتهم في الانتشار واسبابه- جاء مؤشرا على مسار الوعد الإلهي ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون﴾ ومما يمتاز به المسلمون انهم ينقلون وبشكل فردي وعفوي كثيرا من لوازم إيمانهم بالإسلام واهتمامهم بشعائره واحكامه بما في ذلك مساجدهم ومؤسساتهم وصحفهم وغيرها، وكلها عوامل اسهمت بابقاء الإسلام باعتباره الرقم الصعب في الصراعات الدولية والإقليمية، وإن الصراع العربي الصهيوني ومنذ بداياته أواخر القرن التاسع عشر وإلى اليوم هو صراع ضد الإسلام ومثله وقيمه..

وإن التخطيط للكيان الصهيوني في فلسطين، ومنذ وعد بلفور المشؤوم عام ١٩١٧ بل وقبله كان واضح الاهداف والقسمات، انه ليس صراعا قوميا ولا اقليميا كما يصر البعض من العرب على تصوير الصراع مع الصهيونية بانه صراع ضد العرب او ضد الفلسطينيين، بل هو ضد الإسلام والمسلمين، وإن القضية الفلسطينية هي قضية الإسلام والمسلمين الأولى، وهذا

(*) رئيس جماعة العلماء المجاهدين في العراق.

ما أكدته الأحداث في الانتفاضة الفلسطينية المباركة بكل شعاراتها وتضحياتها وشهدائها الذين يؤكدون انهم شهداء الإسلام وحملته والمدافعون عنه، والإسلام هو الذي أعطى للانتفاضة الفلسطينية الأخيرة الصورة الحقيقية للشعب الفلسطيني المجاهد باسم الإسلام، وقد أدرك الشعب الفلسطيني بكافة فصائله بأن دوام الانتفاضة وقوتها يكمنان في الشعار الإسلامي الذي شد إليهم الأمة الإسلامية والشارع الإسلامي من عرب وغيرهم وإن التحالف الغربي الصهيوني بكل ما أوتي من قوة ومن إمكانات، فإنه وقف ذاهلاً مهلوعا لصبر المسلمين الفلسطينيين وإصرارهم على الحرب والجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، متحدّين كل آلات الموت والدمار وإمكانات الصهاينة وما يمدهم به الاستكبار من الأسلحة والدعم المادي والمعنوي كما يعرف ذلك الجميع.

وعليه فسيكون موقع الإسلام في هذا الصراع هو القائد والمحرك ولن يكون للتحالف الغربي الاستكباري، أي تأثير يذكر في حرف الشارع الفلسطيني والعربي والإسلامي عن شعاره الإسلامي العتيد.

* ما هو حجم القضية الفلسطينية في الصراع الحضاري القائم بين الإسلام والغرب؟

** القضية الفلسطينية تمثل قلب قضايانا الإسلامية ومحورها الأساس، وهذا ما تنبه له قادتنا وعلماؤنا الإعلام وفي مقدمتهم الإمام الراحل الخميني (أعلى الله مقامه)، فلم يغفل عنها لحظة واحدة منذ أكثر من أربعين عاماً مضت قبل نجاح الثورة الإسلامية وبعدها.

فقد أكد رحمه الله تعالى على أهمية القضية الفلسطينية والدور الخطير الذي تلعبه الصهيونية في هذا الصراع التاريخي المرير، كما أن الصهاينة هم أنفسهم أدركوا أهمية الصحوة الإسلامية وأهمية الثورة الإسلامية منذ أيامها الأولى. حتى أنّ قادة الصهاينة وزعماء (إسرائيل) لم يملكوا أعصابهم عند نجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ واشتهر عنهم القول: أنه جاء دور الزلزال ولم يقولوا مثل ذلك في الأحداث القومية وغيرها ولم يهتموا بكل أنواع الشعارات والثورات والانتفاضات في المنطقة كاهتمامهم وهلعهم من قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه وصحبه الأبرار) وتغيرت مجريات الأحداث في ما سمي بالصراع الحضاري بين الإسلام والغرب بشكل واضح وصريح منذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران.

وقد ظن الصهاينة وأسيادهم أنهم تمكنوا من وأد صوت الإسلام ومحاصرته منذ مئات السنين، بعد أن تمكنوا من الترويج للأفكار القومية والاشتراكية وأمثالها مما استوردوه من الغرب.

كما أن علماءنا المجاهدين ومراجعنا الواعين تنبهوا أيضاً منذ أكثر من خمسين عاماً إلى خطر القضية الفلسطينية وخطورة المخططات الصهيونية على مجمل قضايانا الإسلامية.

حتى أن الإمام الراحل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (رحمه الله تعالى) تحرك منذ أكثر من سبعين عاماً وقام بجولات معروفة وقصد القدس الشريف لشد أزر المجاهدين الفلسطينيين والتأكيد على أهمية القضية الفلسطينية ومسؤولية جميع المسؤولين عنها.

وتابع (رحمه الله) مسعاه في توعية الأمة لمخاطر المخططات الصهيونية وحين ذعي للمؤتمر الأمريكي في بيروت بعنوان (إحياء ودعم المثل العليا للأديان)، وكان المخططون لذلك المؤتمر يهدفون إلى حشد الطاقات في قبال المد الشيوعي السوفيتي وهو في الواقع لتكريس هيمنة أمريكا والصهيونية العالمية رفض الشيخ كاشف الغطاء الانجرار وراء تلك المشاريع المشبوهة وقال كلمة صريحة في بيانه التاريخي الذي صدر ووزع في العالم الإسلامي تحت عنوان (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) وبحمدون هي المدينة اللبنانية التي أعدت حينها لذلك المؤتمر المشبوه.

وكذلك بقية علمائنا أمثال الشهيد حسن البنا، حيث وقف وقفة رسالية وأعدّ من الأخوان المسلمين فصائل جهادية لنصرة الشعب الفلسطيني ومحاربة الصهيونية وكذلك كثير عن علماء الإسلام في عالمنا الإسلامي، حيث أكدوا خطورة المشروع الصهيوني وضرورة أسلمة القضية الفلسطينية، ونظر علماء الحركة الإسلامية عموماً للقضية الفلسطينية على أنها منطلق لكلا الفريقين فالمسلمون بما يقدسونه من الأقصى والقدس ومهد الرسل ومسرى الحبيب محمد (ص) يشعرون بأن الواجب يملي عليهم جميعاً أن يحموا هذه الديار ويقيموا الحكم والإدارة الإسلامية في القدس وعموم فلسطين ويعتبرونها أرضاً إسلامية وملكاً إسلامياً فعلياً، مع أن المسلمين طيلة امتلاكهم للقدس وفلسطين كانوا يقيمون العدل ويحترمون كافة أهل الأديان ويعدون الأقصى ليكون مهوى أفئدة كافة اتباع الديانات.

ولازال المشروع الإسلامي والشعار الإسلامي الذي يحث على الجهاد والمحافظة على القدس وفلسطين من منطلق احترام الأديان والأنبياء وحماية جميع المقدسات وحراستها لمن يتعبد فيها ويقدسها والتاريخ يؤكد ذلك.

أما الصهاينة فهم عنصريون معتدون وجميع أفعالهم السابقة والفعلية تؤكد انهم يكنون الشر لجميع البشر ولجميع الأنبياء والرسل ولجميع الديانيين في الأرض سواهم. ويقومون يومياً بمختلف الجرائم ويسلبون أملاك الناس وأمنهم وأموالهم ويشردون الملايين من الفلسطينيين ولا يتورعون عن أي نوع من أنواع الجرائم، بالإضافة إلى أن اليهود ومن ورائهم الصهيونية العالمية، لا يهدفون إلى وجود مسكن ومأوى للعديد من الملايين اليهود الذين جيء بهم من شرق الأرض وغربها، بل ليجعلوا فلسطين منطلقاً لمشاريعهم الاستعمارية الخرافية للهيمنة على العالمين العربي والإسلامي وبسط نفوذهم على كافة العالم حسب أوهام

شريرة ونزوات شيطانية لا يخجلون من الإفصاح عنها أحياناً في جعل القدس وفلسطين قاعدة ومنطلقاً لهيمنتهم وهيمنة من يدعمهم على العالم كافة، وهذا ما تكشفه مجمل الاعيبهم ومشاريعهم الصهيونية التي تصر على احتلال أرض الفلسطينيين وطردهم بالقهر والقوة وافتعال الأزمات لإيجاد المبررات لهم في تعطيل كل مشاريع التسوية والإصلاح، وكذلك التحايل على جميع القرارات الدولية والمواثيق التي هم طلبوها واقروها، كما يصرون على حرمان ملايين الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم وبيوتهم ومعابدهم من مسلمين وغيرهم.

ويخطئ من يتصور أنهم يريدون حلولاً سلمية للقضايا الفلسطينية وهناك من مفكري الغرب والعالم من يؤكد أن الوضع الصهيوني لليهود بالتوجه إلى فلسطين وإغراء يهود العالم في الهجرة إلى فلسطين واعطاء الامتيازات لمن يهاجر الى فلسطين، وأحيانا محاولة تهويد فصائل بشرية مجهولة ومشردة كالفلاشا في إفريقيا والمنبوذين في الهند والخزر في العالم، هو بهدف التخلص من شرورهم وجرائم المتشردين منهم، وتنظيف العالم من كافة اليهود واتباعهم. وجمعهم في فلسطين ليتخلص الغرب من شرورهم وهذا عمل وان كان بالظاهر هو تعاطف مع اليهود وأمانيهم، لكنه في الواقع بهدف تنظيف العالم من شرورهم وخرافاتهم، وهو عمل شرير لا تقره الشرائع ولا تصدقه سنن الكون والحياة. لانه يظهر العطف بدفع اليهود الى ما يسمى بالوطن اليهودي الى ظلم وتجاوز اخر على حساب سكان فلسطين الأصليين من عرب ومسلمين وغيرهم وقد أثبتت الايام فشل هذه الأوهام وبدأ آلاف من المهاجرين اليهود يتحركون للهجرة الى فلسطين والهرب من جحيم المشاريع الصهيونية المبنية على زرع الأحقاد والعدوان الدائم، وحمل السلاح بما لانهاية له.

وإلا فأي عاقل يرضى بأن يعيش في بيوت ومزارع ومساكن قوم موجودين فعلا بالقرب منهم في مخيمات البؤس والشقاء؟!

وأي عاقل يرضى أن يعيش في القرن الواحد والعشرين في مجمعات المستوطنات اليهودية، والتنقل بين قرية وقرية وبين بيت وبيت في سيارات مصفحة ومدرعات مجنزرة وترى المستوطنين يحملون الأسلحة بما لا يثقل كواهلهم بحملها فضلاً عن استعمالها.

والأيام تثبت يوما بعد يوم فشل سياسة الاحتلال والسلاح التي لا تجر الا الى الخراب والدمار والقتل وترويع الجميع.

مما جعل الهجرة المضادة من فلسطين الى خارجها تتضاعف حتى جاوزت أكثر من عشرين بالمئة وتزداد نسبة الهجرة اليهودية المضادة يوما بعد يوم بعد أن فقد الغزاة والمستوطنون الامن والاستقرار وتبددت كل أوهامهم بالجنة الموعودة في فلسطين.

والأيام القادمة شاهدة على مزيد من شقاء اليهود ودمارهم إذا أصروا على صم أسماعهم عن كل هذه المعطيات. خاصة بعد يقظة الأمة الإسلامية ونهضة الشعب الفلسطيني ونمو حركات الجهاد الإسلامي في أوساطه.

* الكل يجمع على أن المستقبل للإسلام ولكن ما هي شروط ذلك؟ وما هي المستلزمات التي يجب توفرها لتحقيق هذا الأمل؟

** ينطلق الإيمان من أن المستقبل في الصراع الحضاري الفكري والسياسي للإسلام من عدة ثوابت. اهمها: الايمان بوعد الله تعالى ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا..﴾ وسنن الله في الحياة، واجماع عقلاء البشرية، هو أن البقاء للافضل مهما طال السرى، وتمادى الغي وطال ليل الظلم والفساد في الأرض.

فإن الإسلام هو الوريث لكل الديانات والإيديولوجيات والمنتظر لإقامة العدل الإلهي في الأرض وإن الدين الإسلامي هو المكمل لكل اشواط الانبياء والرسل والديانات لصريح قول الرسول الأكرم (ص) (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق).

إلا أن الله تعالى أجرى الأشياء بأسبابها، يقول عز اسمه: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..﴾ والأمة لن تنتصر وتحظى بما تصبو اليه بمجرد حملها للشفاء الإسلامي وصريح الأمر بأن الله لن يعين المظلومين والمحرومين الا إذا تصدوا لظالميهم ومغتصبيهم بكل ما يعني التصدي، وبذلوا ما يمكنهم من البذل.

وان من أولى قواعد النصر والظفر بالاهداف بعد الفراغ من العقيدة الصالحة، أن يوفروا عناصر الغلبة التي أرادها الله تعالى وطلبها من رسله وأنبيائه ويمكن إجمالها بالأمور التالية:

أولا: لابد من التزام الأمة بما تنادي به من المبادئ والشعارات والمثل، فالله تعالى يقول محذرا وموبخا ﴿يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

ثانيا: لابد من العيش في رحاب الجديد النافع من اليات ووسائل العمل التي دعا الله تعالى إليها: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة..﴾.

ثالثا: لابد من استعداد الأمة لتقديم الغالي والنفيس في سبيل أهدافها ومن أهمها: الصدق مع الله تعالى ومع النفس الذي هو مقدمة حتمية للصدق والقبول والتأثير في الأمة..

رابعا: لابد من فرز الأهداف الكبيرة واعتمادها للعمل بأولوياتها وعدم التشاغل بصغائر الأمور والأمور الهامشية التي أخذت من العاملين الكثير من أوقاتهم وجهودهم.

خامسا: لابد من اعتماد الآليات الناجحة بين الإسلاميين انفسهم والاصغاء إلى الرأي الآخر واحترام الاجتهادات والإبداعات المناسبة لإدارة الصراع الحضاري المادية والمعنوية، وخاصة

الإعلام الذي صار له دور هام وفعال في مضمار الصراع والمواجهة، وقبال كل هذا الزخم الهائل المتطور من الإعلام المعادي المرئي والمقروء والمسموع، والقرآن صريح بوجوب التصدي الإعلامي ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتين من كل فجٍّ عميق ليشهدوا منافع لهم..﴾ ﴿وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾. ويقول الإمام العادل علي أمير المؤمنين عليه السلام (وإن ظنت الرعية بك- حيفا فاصحر لهم بعذرك..).

وعقد القرآن الكريم سورة كاملة للشورى وتبادل الآراء واحترام الرأي الآخر خاصة من القيادة لبقية الأمة فيقول تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر..﴾ ويقول عزَّ اسمه: ﴿وأمرهم شورى بينهم..﴾.

* بعد تخطي مرحلة الصحوة الإسلامية وقيام تجربة الحكم الإسلامي في إيران، وظهور حالات إسلامية تتفاوت بين الإفراط والتفريط في العالم ما هي عقبات تقدم المشروع الإسلامي وما هي عوامل نهوضه بلحاظ الأوضاع والتطورات الراهنة؟

** لا شك أن نهوض الصحوة الإسلامية ونموها شهد أعظم حدث تاريخي وهو نجاح الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية في إيران وشكل ذلك النصر حافزاً للكثير من الشعوب الإسلامية على التحرك والثورة.. إلا أن المعروف أن حفظ الثورات واستمرارها مهم جداً في تاريخ القوميات حتى اعتبر الكثيرون أن دوام الثورة واستقامتها لا يقل أهمية عن قيامها.

ومن هنا كان للثورة الإسلامية عوامل ومميزات ومن أهمها هو مؤسسها الراحل الإمام الخميني (طاب ثراه) والتفاف الأمة حوله وسهر القائد والقيادة وتضحياتهم الجسام في الدفاع عن الثورة الإسلامية في إيران وصمودها بوجه أعداء الثورة وأعداء الإسلام.

كما أن للأسس الرصينة التي شيدها الإمام الراحل وصحبه الأبرار وتأكيد سيادة القانون واحترام إرادة الشعب عبر مجالسه التشريعية والقضائية والتنفيذية. الدور الهام في حماية الثورة وصيانتها وإدامتها ورد عاديات الاغتيال عنها.

ولذا فإن من أهم ما يضمن سلامة المشروع الإسلامي خاصة في وجه المستجدات والأوضاع التي تتفاقم يوماً بعد يوم ضد الإسلام والمسلمين. هو عمل المسلمين على صيانة حرية الشعوب الإسلامية ومواجهة تيارات الانحراف والاستبداد وعوامل الغرور والطيش السياسي أو الخضوع والانبطاح من بعض حكام المسلمين وولاة الأمر فيهم للقوى الاستكبارية المهيمنة تحت شعارات العولمة وغيرها من الوسائل المشبوهة التي يطرحها الاستكبار العالمي.

* هناك ضرورات لترتيب البيت الإسلامي داخليا لمواجهة التهديدات الخارجية ما هي مقترحاتكم في هذا الإتجاه؟

** من أهم ما يجب على الإسلاميين والحركة الإسلامية المعاصرة وهي في مواجهة هذه التهديدات الشرسة الظالمة اللجوجة، تبني الوحدة التي دعا إليها الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا وكنتم على شفا حفرة..﴾. والوحدة قوة والفرقة ضعف، ولأن سياسة أعداء الإسلام (فرق تسد).

كما أن تعاون الإسلاميين وإشاعة روح العدل والإصغاء للرأي الآخر وعدم الإقصاء أو التفريط بأية قوة إسلامية.. كلها عوامل تمنح المسلمين مزيداً من القوة والمنعة وتصدُ عنهم عاديات المستكبرين في الأرض، وتمنح الإسلام والمسلمين أعظم الفرص لتوسيع رقعة الصحوة الإسلامية.

والعالم اليوم يتجه إلى مزيد من التكتل وفي كل يوم نسمع للغرب عنواناً للاتحاد والتجمع فبالإضافة إلى مشروع العولمة الذي نحسُ أنه يستبطن غير ما يظهر ويكرس حالة الهيمنة الاستكبارية لسحق الوجودات الصغيرة.. ومشاريع التجارة العالمية وكلها مشاريع تستبطن الكثير من الأفكار والغايات السياسية رغم ما بينهم من موارد الافتراق والتخاصم كما يقول الله تعالى: ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى..﴾ لهذا فالمسلمون أولى بالتعاون والتوحد ومساحات الاتحاد والتعاون كثيرة متعددة وهي بحمد الله في الإسلام أكثر من غيرها.

آفاق واعدة على
طريق نهضة الأمة

الأستاذ خالد مشعل(*)

* ما هو تعريفكم للمشروع الإسلامي وما هي مقوماته في الوقت الحاضر؟

** المشروع الإسلامي في تعريفنا هو الذي يعيد للأمة هويتها الحضارية وإلى الالتزام بدينها والتواصل مع تاريخها بحيث ينعكس هذا في حياة الأمة الراهنة أي الحياة السياسية العسكرية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وليحكم و ليتحكم بما ينسجم مع هويتها وانتمائها بدينها وثوابتها وبما يحقق مصلحة الامة بحيث تحقق لها العزة والكرامة والتقدم والازدهار والرخاء والتطور والوحدة والتماسك الداخلي وانتصارها على الاعداء وتخلصها من القوى الغاشمة من الاحتلال الموجود في أرضنا وخاصة في فلسطين بشكل أساسي- ويرتكز هذا المشروع أولا على اجتهادات تتفاوت من بلد الى اخر وإن كانت تلتقي في الجوهر وإن كانت أيضا فيها تعددية ومنها ما يركز على الجهاد ومنها ما يركز على جوانب أخرى ومنها ما هو متشدد قليلا ومنها ما يميل إلى التساهل قليلا لكنها في مجموعها تشكل هذا المشروع الإسلامي الذي يتجاوب مع الصحوة الإسلامية التي بعثت في غالبية الساحات العربية والإسلامية.

إذن فإن مكوناتها هي أشكال ومحاولات متعددة في الساحات العربية والإسلامية قد لا ينظم بينها ناظم واحد. وأيضا لكل مشروع مكونات داخلية متفاوتة من مكان لآخر، فمنها ما يغلب عليه الجهاد العسكري وخاصة في الساحات التي فيها احتلال كما يجري في فلسطين ومنها ما يغلب عليها البعد الاقتصادي والتركيز على القضايا الاقتصادية في الدول مثلما هو في ماليزيا ومنها ما يغلب عليها الجانب السياسي والثقافي والفكري. ومنها ما حقق الانتصار ووصل إلى الدولة كما جرى في إيران وكما جرى في السودان ومنها ما لا زال حركة سياسية موجودة في بلادها.

* ما هي أهم إشراقات المشروع الإسلامي خلال ربع القرن الأخير؟

** كان انتصار الثورة الإسلامية في إيران اول بداية للمشروع الإسلامي، وهي ثورة كبيرة، أصبحت ملهمة للثورات والحركات النضالية في العالم العربي والإسلامي. كما جاءت

(*) رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين (حماس).

التجربة في السودان عام ١٩٨٩ بعد ١٠ سنوات من التجربة الإيرانية، ثم حصلت تجارب أو أسميها أشكالاً من المشاركة في السلطة في الأردن و في الجزائر كما حصل شيء من هذا في تركيا.

إذن هناك تجارب بالمشاركة أيضا- ومن الإشراقات في المشروع الإسلامي طبعا تجربتنا الجهادية في فلسطين وقد تمثلت في انتفاضة ١٩٨٧ ثم انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ وقد ادت القوى الإسلامية دوراً مهماً وواضحا في هذا الاتجاه كحركة حماس وحركة الجهاد وكان لها انعكاساً على مجمل الأداء النضالي الفلسطيني حيث أن الصبغة الإسلامية كانت لها الأثر البالغ حتى في ظل وجود قوى مؤطرة أخرى ولكن الجهاد والنضال الفلسطيني أصبح مرتبطا بالدين وبالتاريخ وبالهوية بعد ان كان في الماضي بعيدا عن هذه التوجهات. لذلك راينا في انتفاضة عام ٢٠٠٠ (انتفاضة الاقصى) تجليات جهادية كبيرة كما برز ذلك في عمليات حركتي حماس والجهاد حيث إن الحركة الإسلامية لم تحقق اداءا جهاديا فقط بل إنها في انتصارها جارت الجهاد الأفغاني في انتصاره على الغزو السوفيتي سابقا، لكن للأسف بعد ذلك فإن النزاعات التي جرت في أفغانستان أضعفت هذه التجربة.

أخيراً أقول إن أهم تجليات المشروع الإسلامي انها قدمت رؤية للأمة و للمستقبل رؤية ثقافية أعاد لها الهوية وقدمت مجموعة أدبيات وإنتاجا ثقافيا وفكريا متميزاً أعطت للأمة لونها المتميز وأصبحت الأمة في مرحلة المخاض باتجاه المواءمة بين إرثها الحضاري الثقافي الديني وبين متطلبات العصر، وأحسب أن الأمة تسير في ظل هذا المخاض إنشاء الله إلى الامام وبالاتجاه الصحيح.

* كيف تقيمون العلاقات القائمة بين التيارين الإسلامي والقومي راهنا؟

** للأسف في الخمسينيات والستينيات وإلى حد ما في السبعينيات ظلت هناك قطيعة بين التيارين وكان كل تيار ينظر بعين الريبة للتيار الآخر ويتعمد إقصاء الآخر وخاصة في فترة صعود التيار القومي الذي وصل إلى السلطة، وكان هو السائد، وكان التيار الإسلامي ينظر إليه على أنه لم يعطه فرصة وإنه يحاربه، وعندما أصبحت الموجة للتيار الإسلامي أيضا في فترة من الفترات كان التيار القومي يرى أن التيار الإسلامي لا يعطيه فرصة ويرفض منطق التعددية، ولكن الحمد لله في الثمانينيات والتسعينيات بشكل خاص، أصبح هناك تقارب حقيقي بين التيارين والجميع اقتنع بضرورة التعايش والسير معا وتعامل الجميع بمفردات التعددية، بالرأي والرأي الآخر والبعد عن التنابذ أو التقوقع المنفرد عن الآخرين، واعتقد أن هذه التجربة من التجارب الإيجابية وهو ما رأيناه في الساحة الفلسطينية، حيث تضم المعارضة الفلسطينية كل التيارات الوطنية والقومية والإسلامية وهو ما رأيناه أيضا في لبنان، حين التقت كل القوى على دعم برنامج المقاومة وساندتها وقد رأينا بعض هذا في الأردن، وإلى حد ما في مصر. أعتقد أن هذه التجارب معقولة وحتى التيار القومي الجديد أصبح متعايشاً مع

الديـن فقـد مضـت فـترة بـدا فـيها أن فكرة الدين مستبعدة من طرح التيار القومي والآن أصبح الديـن قاسماً مشـتركاً بـين الجمـيع إسلاميين ووطنـيين وقوميين. لقد أصبح الدين في الغالب الأعم قاسماً مشتركاً بين الجميع مع اختلاف الأسماء طبعاً.

* إلى أي مدى استطاع المشروع الإسلامي أن يتخطى العقبات التي تعترضه؟

** المشـروع الإسلامي نجـح نجاحـاً كـبيراً في الميدان الاجتماعي وقـدم تجربـة مميزة في العمـل الخـيري وتقديـم الخدمـة للـناس وتخفـيف المعانـاة، سـواء في الـبلاد المستقرة أو في الـبلاد المـنكوبـة- فهـذا المشـروع لا شـك نجـح نجاحـاً كـبيراً. والمشـروع الآخر الذي نجح فيه هو الجانب الـثقافي والتربـوي والجانـب الأخلاقـي في المجـتمع. إنَ المشـروع الإسـلامي كـان له دور كـبير في نظافـة المجـتمع وعودتـه إلى أصـالته وأخلاقه. في فترة من الزمن كان هناك غزو ثقافي وفكري وغـزو أخلاقـي كـبير، أدى إلى مفاسـد هائلـة في المجـتمعات الإسـلامية، فجـاء المشـروع الإسلامي لـيعالج هـذا الغـزو ولـيعيد الأمـة إلى أصـالتها والحمد لله انـتشر الالتزام بالإسلام وارتياد المساجد، والإقـبال عـلى الله سبحانه وتعالى، وحب الخير والعمل الخيري وتوظيف مال الصدقات والزكاة لصـالح الأمـة كمـا انتشـر المظهـر الإسـلامي و العـام وانـتشرت أيضـاً الـرعاية للأطفـال ولـلأولاد والمدارس وأقـيمت بنـى تحتـية كـبيرة في هذا الاتجاه. حافظت على المجتمع العربي الإسلامي من الغـزو الخـارجي، وكـان هـذا نجاحـا كـبيرا- إن الـنجاح الـذي حققه المشروع الإسلامي أنه قدم نموذجـا جـيداً بالـتعامل مـع الآخـرين وهـذا مهـم للتعايش بين المسلمين والمسيحيين والتعايش بـين العـرب وغـير العـرب في مجـتمعات كـل حسـب مكانـه وفي المجـتمع الإسـلامي حيـث تتعدَد الأعـراف والتقالـيد، ولهـذا فـإن هـذا الـتعايش حاجـة مهمة في تماسك المجـتمعات. وقدم المشروع الإسـلامي نجاحـاً في المـيدان الجهـادي كمـا قلـت وأثبتـت المقاومـة الإسـلامية بصـورة عامـة أنها أكـثر فاعلـية بمـا توفره للمقاتل من رؤية داخلية وتعلق بالآخرة وسعي للشهادة في سبيل الله تعـالى والاسـتعانة بنصـر الله تعـالى، الأمـر الـذي يمـثل زخمـاً هـائلاً لدى المجاهد المسلم. المشروع الإسـلامي نجـح أيضـاً في بلـورة صـيغة معقولـة للعلاقـة مـع الأنظمـة وإن حصـلت حـالات في الصـدامات واسـتنزفت الأمـة والـدول العربـية الإسـلامية، وهـذا شـيء لم يكـن جـيداً. وكـانت نقطة لم تكن بمصلحة الأمة، بصرف النظر.

* تـرى أيـن الخلـل في هـذا المضمار؟ هل هو نـتيجة شطط في منهجية المشروع الإسلامي في بعض البلدان؟ هل الخلل في الديكتاتورية ؟

** بصـرف الـنظر عن سؤال على من يقع الخطأ فإن تجربة الصدام مع الأنظمة هي من الـنقاط السوداء الـتي لا نقـرها ولا تخـدم المشـروع الإسـلامي ولا تخـدم مشـروع الأمة، لذلك فقد قلـت أن هـذه الحـالات أقـل بيـنما الحـالات الأكـثر شهدت تلاقياً على صيغة معقولة في العلاقة

بين المشروع الإسلامي والأنظمة، حتى وإن مرت بتعثرات، لكن هذا التعايش وهذه الصيغة هما مظهر إيجابي لمصلحة الأمة. ومهما كان الأمر تبقى هناك تحديات ربما تحتاج إلى جهد أكبر.

وما يلزم المشروع الإسلامي الآن بذل جهود مضاعفة من شأنها إيجاد حلول للتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية، التحدي الاقتصادي، العولمة، التقدم العلمي والتكنولوجي، الكفاية الذاتية للمجتمعات العربية الإسلامية التي تعاني من الضائقة الاقتصادية والمالية وبعضها يعاني من قلة مصادر المياه ومصادر الطاقة وبعضها يعاني من إيجاد صيغة داخلية لاستيعاب الآخر وهناك تحدي الأقليات، كل هذه الأمور بحاجة إلى صيغة معقولة. إذن هناك تحديات معاصرة للمجتمعات العربية الإسلامية خاصة في ظل هذا العالم المنفتح المتعدد، في ظل العولمة، في ظل تغيير الخريطة الدولية. لاشك أنه نشأت مجموعة من التحديات تواجه الأمة على الصعد السياسية والاقتصادية والعلمية هي بحاجة للمعالجة و أعتقد أن هذا تحد كبير لا يواجه المجتمع الإسلامي وحده بل يواجه الأمة كلها لكنني أعتقد أن المشروع الإسلامي إذا ما أعطى الفرصة مع المشاريع والتيارات الأخرى ومع الحكومات أنفسها، يمكن أن يقدم ويكون له إسهامات مؤثرة وفاعلة إن شاء الله.

إن المشروع الإسلامي في ظل تعدد اشكاله ومشاريعه وأطره بحاجة إلى نوع من المرجعية و قد تكون مسألة إيجاد المرجعية الواحدة ليست سهلة بسبب تعدد الجغرافيا واختلاف الظروف بين دولة وأخرى واختلاف المؤثرات الاجتماعية التي تحكم كل مجتمع. فالتعدد شيء طبيعي، ولكن وإن تعددت المرجعية فإنه ينبغي على الأقل أن يكون حد أدنى من التوافق بين أشكال المشروع الإسلامي والتوحد على قواسم مشتركة تخفف من السلبيات وتدفع بهذا المشروع إلى مزيد من الوسطية الراشدة المتوازنة. أعتقد أن مثل هذا الأمر مطلوب ويحتاج إلى جهد كبير من أطراف المشروع الإسلامي عبر الحوار والتفاهم والبحث عن القواسم المشتركة.

* هل حازت القضية الفلسطينية على مساحة مهمة في المشروع الإسلامي سواء على صعيد المنطقة العربية أو الإسلامية أو على امتداد الساحة العالمية؟

** إن القضية الفلسطينية على صعيد الشعار وعلى صعيد الفكرة وعلى صعيد العاطفة لاشك أنها تحظى بالأولوية لدى كل المشروع الإسلامي في جميع الساحات، وفلسطين هي في الصدارة وهي في القلب، وكل أبناء المشروع الإسلامي في كل مكان يتعاملون مع قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني أو الصراع مع العدو الصهيوني باعتبارها القضية المركزية للأمة، قلت هذا على صعيد الفكرة وعلى صعيد الشعار وعلى صعيد العاطفة، أما على صعيد الفعل والمشاركة الحقيقية، فإن الأمر أقل وضوحاً والإسهام أقل مما يلزم. لاشك

أن هناك تفاوتاً بين حركة إسلامية وحركة مقاومة وبين مشروع وآخر وبين دولة وأخرى وهذه لمسناها كأبناء فلسطين سواء في حركة حماس أو غيرها هذه هي ملاحظاتنا.

نحن الأمة لم ننتقل بعد إلى موقع المشاركة الحقيقية في قضية فلسطين بما للقضية الفلسطينية من أهمية وخطورة وانعكاس علينا جميعاً، ولا سيما أن العدو الصهيوني الذي نتصدى له في فلسطين يشكل خطورة على الأمة جميعا وهنا نجد التفاوت وبصراحة نجد أن بعض المشاريع الإسلامية والحركات الإسلامية تنشغل بأولوياتها المحلية وربما البعض منها يتعامل مع قضية فلسطين باعتبارها قضية مهمة ولكن ليس فيها تلك المركزية، بينما توجد حركات إسلامية حتى وان كانت بعيدة عن فلسطين تتعامل بتركيز أكبر مع الصراع مع العدو الصهيوني.

لاشك أن انتفاضة الأقصى شكلت منعطفا مهماً، لأنها أعادت العالم العربي والإسلامي إلى المشروع الكائن في كل مكان بالقضية الفلسطينية. رأينا هذا في الساحات العربية والإسلامية، رأيناه حتى في الغرب وبالمهجر حيث الجاليات الإسلامية تتفاعل مع فلسطين خاصة أن العنوان كان هو الأقصى والمسجد الأقصى المبارك هو رابط مهم، وهناك من حصروا القضية الفلسطينية في إطار الفلسطينيين لمجرد الإقليمية- لقد جاءت حركة حماس الإسلامية في الساحة الفلسطينية لتعيد قضية فلسطين إلى عمقها العربي والإسلامي خاصة وأن ما يربط فلسطين بأمتها شيء كبير- الأرض نفسها المباركة- القدس- المسجد الأقصى الشريف، هذه المقدسات لا شك أنها تربط الأمة ربطا وثيقا والحمد لله فان انتفاضة الأقصى كانت نقطة مهمة ومع ذلك فإننا ما زلنا نطمح بالمزيد لأن قضية فلسطين بحكم البعد الديني والإستراتيجي والسياسي والمصير المشترك تهم الأمة كلها خاصة وأن المشروع الصهيوني يستهدف الأمة جميعها وثبت أن الصهاينة لم يتركوا مشروعا إلا وحاولوا ملاحقته وليس فقط دول الطوق لان المشروع الصهيوني لم يستهدف الأردن وسوريا ومصر بل امتد أيضاً للدول التي خلفها.

* هناك من يدعو إيران إلى ترك القضية الفلسطينية لأهلها فما رأيك في ذلك؟

* لا شك أن الساحة الإيرانية واحدة من الساحات التي رغم بعدها الجغرافي عن فلسطين كانت الأميز في تفاعلها مع القضية الفلسطينية وأنا قلتها مراراً بأن الثورة الإسلامية المظفرة في إيران بقيادة الإمام الخميني (رحمه الله) قلبت الأولويات وقلبت الصورة بين إيران التي كانت منحازة للغرب وتصنع العلاقات مع إسرائيل، إلى إيران المنحازة لأمتها الإسلامية والتي تعطي الأولوية لقضية فلسطين. فالساحة الإيرانية على المستوى الرسمي والشعب، كانت من الساحات المميزة في تفاعلها مع قضية فلسطين. وإعطائها الأولوية لقضية فلسطين كقضية مركزية وإيران تعتبر إسرائيل هي العدو المشترك والغدة السرطانية كما باعتراف الإمام

الخميني (رحمه الله) وإنَ تخصيص يوم للقدس، لا شك هو مظهر من مظاهر الرعاية والعناية للقضية الفلسطينية.

إنَ الإمام الخميني (رحمه الله) لقد رفع شعار يوم القدس العالمي ومارسته إيران فعلياً على الأرض، لكن هذا لا يكفي وحده ليحرك الأمة كلها، الأمة جسم كبير متعدد الجغرافيا ومتعدد الظروف السياسية ومتعدد البيئات ومتعدد المؤثرات التي يخضع لها في الشرق والغرب لذلك فإن مثل الجسم الكبير المترامي المشتت الذي تمارس عليه الضغوطات المختلفة، بحاجة إلى آليات عديدة وجهد ضخم ومرحلة كبيرة من الزمن حتى يتحرك هذا الجسم الكبير.. هو مثل المصنع الذي يضم عددا كبيراً من الالات تحتاج إلى جهود كبيرة و إلى توفير اليات في كل بلد إسلامي لتحريك الجهد الشعبي لصالح قضية فلسطين. نحن في الساحة الفلسطينية مثلاً رفعنا شعار إن القدس هي للأمة كلها، وان فلسطين قضية المسلمين الأولى، وهذا الشعار رفعناه ومارسناه على الأرض، لكن هذا لا يعني أن الأمة تحركت تلقائياً.

* ما هو تعريفكم للمشروع الغربي وما هي مكوناته؟

** المشروع الغربي ليس مشروعاً واحداً، هو مشروع في النهاية موجود بأشكال مختلفة في أوروبا وفي أمريكا، لكن هذا المشروع بما يعنيه هنا بتعامله مع العالم العربي الإسلامي. إن المشروع الغربي ينطلق من جملة رؤى واولويات فهو يؤمن بحوار القوة ويحاول بامتلاكه للقوة وانفراده بالقوة ومنع الآخرين من الوصول إلى مصادر القوة وفرض هيمنته على العالم، هذا المشروع يحاول أن يسيطر اقتصاديا على العالم خاصة وأنه يملك القدرة الصناعية والزراعية والتقنية ويوظفها في غرض الهيمنة الاقتصادية من خلال التعاون مع العالم كسوق مفتوحة لبضائعها وكمصادر للمواد الأولية والطاقة وإن كانت مستنبتة في تلك الدول ولكنها ينبغي أن تصب في المصب الغربي وبأرخص الأسعار- الغرب عنده هذا الاستهتار في هيمنته الاقتصادية على العالم وهو يحاول ان يهيمن سياسياً على العالم وخاصة العالم العربي والإسلامي- الغرب هنا يمارس سياسة النفاق وازدواجية المعايير فهو مثلاً في بلاده يرفع شعارات الديمقراطية- العدل- حقوق الإنسان- ويمارسها بصورة عامة وإن كان هناك استثناءات وهناك قدر من الخروج عن هذه الشعارات حتى في بلاده ولكن بصورة عامة تحكمه هذه الشعارات وتحكمه هذه النظم القائمة على الانتخاب الحر وعلى الديمقراطية وعلى نظام السوق الحر والاقتصاد المفتوح وحقوق الإنسان. ولكنه مع الآخرين ولا سيما في العالم العربي والإسلامي لا يمارس ذلك إلا وفق مصالحه، فمثلا ان كان هناك ديكتاتورية في بلد عربي او إسلامي ما، وهذه الدكتاتورية تحافظ على مصالح الغرب فهو يؤيدها ويسكت عنها، واذا راها لا تحقق مصالحه، يهاجمها.

إذن هو لا يتعامل مع هذه الدول انسجاماً مع الشعارات المرفوعة ولكن للأسف يتعامل معها انطلاقاً من مصلحته كذلك الغرب بامتلاكه القوة المتفوقة والاقتصاد الأقوى والتكنولوجيا المتقدمة ونفوذه العام، يحاول أن يفرض نموذجه الاجتماعي والثقافي على الآخرين. إن الغرب يريد أن يصدر هذا إلى العالم خاصة في زمن العولمة، بمعنى أن الغرب يحاول أن يعولم نمط حياته في المأكل والمشرب واللباس والعادات والثقافة والاهتمامات المختلفة، يحاول إن يعولم نمطه الثقافي والاجتماعي ونمطه الحياتي اليومي، وكل ذلك يصب في تيار الهيمنة بحيث يصبح العالم مرآة وانعكاساً لا أكثر ولا أقل للحياة الغربية. هذا هو المشروع الغربي وهذه هي رؤية الغرب وفي ظل هذا ماذا فعل الغرب، أنه قام بسياستين خطيرتين السياسة الأولى هي زرع إسرائيل في وسط الأمة زرعها وهو اليوم يرعاها ويدعمها ويشترط لها أن تكون متفوقة على المحيط العربي والإسلامي، لماذا؟ لأنه يريد أن يوظف هذه الأداة الصهيونية لإضعاف الأمة حتى يضمن هيمنته عليها، إذن فإن المصلحة الغربية تقاطعت مع المشروع الصهيوني على الرغم من أن للمشروع الصهيوني له أهدافه الأخرى، ولكن تقاطع المصلحة يستعمله الغرب لإضعاف الأمة وتمزيقها ومنعها من الوحدة ليضمن الهيمنة الدائمة عليه.

والسياسة الثانية للمشروع الغربي في استهداف الأمة أنه كلما رأى حالة نهوض في الأمة يحاول أن يحاصرها ويضعفها، ولهذا رأينا كيف أن الغرب يعرقل حالة النهوض مثلاً في الاستقلال، وعندما تأتي الثورة الإسلامية في إيران وتقدم نموذجاً لمشروع إسلامي مستقل بدل التبعية التي كان يمثلها الشاه فهو يحاربه، أو يحاربه اقتصادياً كما جرى في ماليزيا وإندونيسيا او يحاربه عسكريا كما في باكستان في السلاح النووي، او إيران في حرصها على تطوير قدراتها الصاروخية وامتلاك القوة النووية أو غير ذلك من الأمور وعندما تكون هناك حركة جهادية في الأمة تسعى للظفر بحقوقها ومحاربة المحتلين يحاول الغرب أن يحاصرها.

باختصار هناك محاولة لمنع أي حالة نهوض في الأمة تجعل الأمة تستقل عن الغرب، هذه هي السياسة الغربية من هنا فإن بعض كتاب هذه السياسة الغربية يتحدث اليوم عن صراع الحضارات ولأنه لا يريد لغير الحضارة الغربية أن تكون ولا إن يكون هناك من يرفع راسه ليستقل اقتصادياً او سياسياً او ثقافياً او عسكرياً. وكما يلاحظ الجميع فإن الغرب يتساهل مع بعض الاستثناءات خارج الإطار الإسلامي، هو لا يقسو على الهند عندما تحاول أن تنهض نووياً كما يقسو على باكستان او على إيران مثلاً. إن هذا الجزء من خصوصية الموقف الغربي هو ضد مصالح الأمة العربية والإسلامية.

* بين المقاومة المشروعة والإرهاب أين تقفون اليوم؟

** إن العدو الصهيوني حاول أن يصطنع للغرب عدواً جديداً فإذا كانت أولويات الغرب في أيام الحرب الباردة متجهة إلى العداء مع الشيوعية و الاتحاد السوفيتي الذي يمثلها فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، أراد الصهاينة أن يستفزوا طاقة الغرب وأن يدفعوه باتجاه معاداة الإسلام والمسلمين. إن الإرهاب عملياً لم يظهر إلا في أوروبا وأمريكا وفي العالم الغربي وبحكم الانحلال الأخلاقي عندهم وانحلالهم من الضوابط المختلفة وضعف دور الدين عندهم وطغيان الجريمة. والجريمة عندهم تحولت من جريمة عادية فردية إلى جريمة جماعية ومنها إلى جريمة منظمة ومن ثم إلى الإرهاب الذي مورس عندهم بشكل واضح، نحن نرى المقاومة في لبنان وفي فلسطين بأنها مقاومة مشروعة لانها تقاتل احتلالا ظالما وهذه لا يمكن تسميتها بالإرهاب بالعكس، نحن نعرف بأن إسرائيل هي التي تمارس إرهاب الدولة المنظم، وللأسف فإن الغرب يدعم هذا الإرهاب ويسكت عنه و يدعمه كما تفعل أمريكا، أو كما تفعل أوروبا التي أحياناً تسكت عنه وأحيانا تدعم إسرائيل.

نحن لا ينبغي أن نتخوف من هذا، ينبغي ألا نقع فريسة الخوف من كلمة الإرهاب، وعلينا أن نتمسك بحقنا في أرضنا وفي مقدساتنا وفي قدسنا ومن ثم نتمسك بحقنا في مقاومة المحتل وفي دعم حركات المقاومة حتى نعيد حقوقها ونطرد الاحتلال ولا نبالي بأية اتهامات تتعلق بالإرهاب خاصة أن إسلامنا هو أكثر الشرائع والأديان إنسانية، فهو دين حضاري منفتح على الدنيا، دين إنساني أخلاقياته ليست أخلاقيات محلية بل أخلاقيات عالمية إنسانية، وأعتقد بأن الإرهاب هي صنعة غربية وتحريض أمريكي صهيوني ونحن كعرب على عكس ما يزعمون ضحايا الإرهاب الصهيوني والامريكي.

* ما هي رسالتكم للحكومات والشعوب الإسلامية؟

** رسمياً مطلوب عدم الرضوخ للضغط الأمريكي أو الغربي إذا كان الغرب وبخاصة أمريكا له أولوياته ومصالحه، فإننا كعرب ومسلمين لنا أولوياتنا ومصالحنا أيضاً وعلى الحكومات العربية والقيادات الرسمية أن تنحاز لمصلحة الشعوب العربية ولمصلحة الامة وألا تنحاز لمصالح الغرب. هذا هو الموقف المطلوب من الحكومات وعلى القيادات والأنظمة العربية أن تسعى للسير في اتجاه الاستقلال عن الغرب في كل شيء وهذا يقتضي نهوضا صناعياً وزراعياً وعسكريا وثقافياً وتكنولوجياً وعلمياً. القيادات العربية معنية أن تحدث هذا النهوض لأن هذا هو الذي يجعلنا نمتلك القوة مع هويتنا الحضارية الإسلامية وهذا هو الذي يدفعنا إلى الاستقلال وعلينا ألا نصبح ضعفاء أومن الدول التي تضطر ان تخضع للغرب بسبب ضعفها أو مشاكلها أو أزماتها المختلفة.

أما على الصعيد الشعبي في هذه الظروف فأعتقد أن الشعوب أكثر إدراكا لهذا وأكثر تحررا وأرى أن على الشعوب أن تلتفت إلى هويتها الحضارية والإسلامية و أن تصبر على كل الضغوط التي تجري عليها من الغرب وأن ترفضها وأن تظل منحازة لفكرتها الإسلامية وهويتها وأن تتفاعل هذه الشعوب بحيث تنهض بأنفسها وتكون شعوبا منتجة وشعوباً معطاءة و شعوبا حية وتعتمد على ذاتها وحتى لو مرت في فترات من التضييق والحصار الاقتصادي عليها أن تصبر ما دام هدفها الاستقلال، وألا تكون شعوبا استهلاكية، لأن الغرب يغزونا ويسعى لأن يحولنا إلى مجتمع استهلاكي لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن المنتجات الأمريكية والغربية التي هي معظمها ترفيهية واستهلاكية نحن بحاجة إلى أن تترابط الشعوب بينها وتعطي أولوياتها لعلاقاتها داخل الأسرة العربية الإسلامية وليس لعلاقاتها مع الدول الغربية، هذه هي أولوياتنا وما هو مطلوب منا في عملية المواجهة لمشروع الاستكبار الغربي وهيمنته.

الدعوة الإسلامية طريقاً للنهوض

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي(*)

* كيف تعرفون المشروع الإسلامي، ماهيته، معالمه؟

** مع الأسف لا أجد هنالك في الساحة الإسلامية ما يمكن أن نسميه مشروعا إسلاميا معدا للتنفيذ فمن المعلوم أننا عندما نقول أن هنالك مشروعاً أياً كان نوعه فمعنى ذلك أن هناك خطة مرسومة تم إنضاجها وأنها معدة للتنفيذ وأن كل المراحل النظرية قد تمت لإعدادها ولإظهارها في طور الساحة العملية. أعتقد أن هذا المشروع بالمعنى الذي افهمه لم ينجز بعد لأن المناخ الذي لابد من إيجاده هو مفقود حاليا، بقطع النظر عن الأسباب الكثيرة وإذا كنت تتصور معنى غير الذي أفهمه لكلمة المشروع الإسلامي فارجو أن يتضح ذلك.

* نحن نريد استعراض التجربة الإسلامية خلال فترة الربع قرن الأخيرة. أرجو أن تنطلقوا من هذا المعطى؟

** أعتقد أنه إذا أردنا أن نكون متفائلين وأن نتصور أن هنالك مشروعا معدا فينبغي أن يكون هذا المشروع هو مشروع إقامة الوحدة الإسلامية، لأن أي عمل إسلامي ينهض بواقع المسلمين اليوم لا يمكن أن يتم إلا بعد تحقيق هذه الوحدة الغائبة اليوم. فالمشروع العظيم والكبير الذي يجب أن يهتم به المسلمون جميعاً هو مشروع إيجاد الوحدة الإسلامية كهدف استراتيجي يضم شمل المسلمين جميعاً ليتأتى لهم أن ينفذوا من خلال ذلك آمالهم وطموحاتهم الإسلامية وأعتقد أن هنالك لا أقول مشروعا إسلاميا يهدف إلى الوحدة بل هنالك آمال إسلامية كثيرة تطوف برؤوس لا أقول كل الدول الإسلامية بل بأكثر الدول الإسلامية والدول العربية ومنها النداء بالوحدة الإسلامية والوحدة العربية ووحدة الشعوب الإسلامية ووحدة الأفكار وهذا نداء متكرر.

منظمة المؤتمر الإسلامي تجربة على هذا الطريق وهي إن دلت على شيء فإنها تدل على أن هناك مشروعاً كامنا في أذهان قادة المسلمين يهدف إلى التحول من هذه الشرذمة التي يعاني منها العالم الإسلامي إلى نوع من التضامن الحقيقي هذا هو المشروع الذي ينبغي أن نبحث عنه وينبغي أن ننطلق منه إلى آمالنا الإسلامية.

* لا أحد يشك في أن الوحدة الإسلامية مطلب مصيري وهام لكن ألا تعتقدون أن أحد العوامل التي أدت إلى الفرقة والتجزئة هي اختلاف المشارب و الآراء لدى علماء الدين فالناس يتبعون رموزهم وكبارهم ومعلميهم، أليس كذلك؟

(*) أستاذ الشريعة في جامعة دمشق – سورية.

** أعتقد أن الخلافات التي تنبع من أفكار اجتهادات العلماء على المستوى الشعبي ليست هي العامل لغياب الوحدة نهائيا، وما كان الخلاف الدائر بين علماء المسلمين ومفكريهم يوما ما. سبباً لتشرذم العالم الإسلامي، السبب الحقيقي لتفرق العالم الإسلامي سياسي والسبب السياسي يتجلى في واقع القادة والحكام لا في واقع الشعوب والعلماء والأدباء والمفكرين، ولكي تكون منصفين كانت الأصابع التي لعبت دوراً كبيراً في هذا العامل السياسي ليست أصابع داخلية وإنما هي أصابع تسربت إلى العالم الإسلامي من الخارج، وهي أصابع الدول الكبرى ففعلت ما فعلت وخططت وأنضجت خططها و استطاعت أن تثمر هذه الخطط وأن تنفذ مآربها من ورائها، فتحيل وحدة العالم الإسلامي في يوم من الأيام إلى تشرذم وشتات. لا أريد أن أعود إلى ماضي الخلافة الإسلامية لكنني أريد أن أصور لك الواقع الذي وصلنا إليه اليوم. نحن ننظر فنجد أن هنالك خطابات تصدر إلينا من الغرب لتحويل الجامعة العربية إلى جامعة ميتة جامدة لا حراك فيها وتحيل واقع الدول العربية إلى دول متقاسمة.

إن ما وقع في الخليج هو مظهر لهذه الحقيقة والحرب الإيرانية العراقية أيضاً وموضوع الباكستان وعلاقتها بالهند وواقع الجمهوريات الإسلامية الناشئة اليوم والتي لم تستطع أن تحقق أحلامها في الوحدة، كلها كانت مثالا لهذه الحقيقة.

إذن هناك خطط ترمي إلى بعثرة العالم الإسلامي وأنا وقعت على وثائق تنطق بهذا، مثالاً لذلك تقرير صادر عن مجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٩١ يتحدث عن خطر العالم الإسلامي على الغرب ثم يتحدث عن العلاج الذي ينبغي أن يواجه به خطر الإسلام. أول بند من هذا العلاج هو إثارة التناقضات فيما بين المسلمين- البند الثاني تقليب المسلمين على بعضهم البعض إلى آخر البنود الأخرى ولا مجال للحديث عنها وهناك تقرير آخر رفعه وليم كليفورد مدير علم الإجرام في أستراليا في أواخر السبعينيات رفعه بعد سلسلة مؤتمرات دعت إليها الجامعة العربية لمكافحة الجريمة. فقد كتب وليم كليفورد تقريراً من ثلاثين صفحة يحدث الغرب عن خطورة يقظة إسلامية متوقعة في العالم العربي ومن ثم في العالم الإسلامي ويفترض أن هذه اليقظة إذا تمت وتضافرت مع امتلاك العرب لينابيع البترول سوف تكون عاملاً من أكثر العوامل للقضاء على الحضارة الأوروبية. لذلك يقول كليفورد: يجب العمل فوراً على وضع اليد على ينابيع البترول ويجب العمل على إبقاء العلاقة بين العرب والإسلام علاقة تقليدية ويوصي بتفكيك المجتمع العربي الإسلامي.

فالسؤال هنا لماذا الغرب مهتم بتفكيك العالم العربي الإسلامي؟! الجواب لأن أي مشروع يريد العالم الإسلامي أن ينهض به لإحياء ذاته وإعادة قوته متوقف على هذه الوحدة.

* في مقابل هذا ما هي مكامن أو مقومات النهوض الموجودة في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر؟

** بمقدار ما أنا متشائم من وضع قادة العالم العربي الإسلامي فإني متفائل من واقع الشعب العربي والإسلامي. فأنا الاحظ أن أنشطة العالم العربي و الإسلامي على مستوى الشعوب تتجه بجد وباهتمام بالغين لإزالة الصدأ ولجمع الشمل ولسد الثغرات. مثلاً سلسلة المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك للتقريب بين المذاهب ظاهرة من هذه المظاهر - الندوات والنداءات والكتابات التي ترسل واللقاءات التي تتم والآلام التي يعبر عنها بالنسبة لمشكلة تفرق المسلمين والتشرذم كل هذا يتم على الصعيد الشعبي ولا يتم على الصعيد السياسي وعلى صعيد القادة منه شيء. لذا أقول أنا متفائل بالنسبة لحركة الشعوب ووعيها، فهي تدرك خطر التفرق وتدرك أن أي خطوة من الخطوات البناءة لا يمكن أن تتم إلا بعد تأسيس هذه الوحدة. طبعاً نحن نعلم أن الشعوب لا تملك إلا أن تصطف وأن تتحد وتتلاقى في ظل مؤتمرات وندوات. أما القدرة على اتخاذ القرار فهذا يعود للقادة.

* على مستوى حركات التحرر الإسلامي ألا تشعرون أن هناك انعطافة حصلت بعد فترة الصحوة الإسلامية المعاصرة، ما هو رأيكم ببعض الاتجاهات السلبية التي أدت إلى تشويه صورة الإسلام عند الآخرين؟

** الحركات التي تعنيها هي التي تدخل تحت اسم الصحوة الإسلامية والواقع أنه قد تسربت إليها عوامل إجهاضية. لقد قلنا ولا نزال نقول أن الصحوة الإسلامية تحتاج الى من يقودها وتحتاج إلى ترشيد ولقد رأينا نتائج فقدان المرشدين لها.. والصحوة الإسلامية عندما لا توجد ضمانات لترشيدها، تؤدي بأصحابها إلى خلاف خطير. ماذا تعني الصحوة الإسلامية؟ إنها تعني تحول المسلمين الذين كانوا تائهين وشاردين عن الإسلام إلى الالتزام بصراط الله، مع اليقين أنها نهج السبيل مع العاطفة المشحونة التي تجعلهم يلتزمون بهذا النهج. في هذا العصر الذي كثر فيه المشكلات والخلافات بين أصحاب هذه الصحوة بسبب عدم وجود مرجعية عالية، امتدت هذه الخلافات وتعمقت إلى أن تحول ذلك إلى خصام بل تحول إلى تكفير. هذا هو ما آل إليه الصحوة الإسلامية. في الواقع إن هذا الأمر لم يتسرب من علمانيين ولا ليبراليين ولا من أحد وإنما نبع من داخل مناطق الصحوة الإسلامية وسبب ذلك يعود لعدم وجود المرجعية.

إذن نحن لم نستفد شيئا من هذه الصحوة إلا بأفراد بمعنى أننا اكتسبنا وجود أشخاص كانوا شاردين عن الإسلام ثم اتجهوا للإسلام. هذا كسب بيد أنه لم يتكون من هذا الجمع كتلة متحدة بل بالعكس فإنَ هذه الصحوة فجرت فقاقيع الخلافات.

السؤال هنا: ما العلاج؟ مرة أخرى أقول لا أدري. من سوء الحظ أو حسن الحظ لا يمكن ترشيد الصحوة الإسلامية وجعلها تتضافر لتكون منبعا لوحدة إلا عن طريق المرجعية العالية، متمثلة بالدولة الإسلامية، في الجامعة الإسلامية الواحدة. عندما توجد وتتسامى فوق الخلافات السياسية فإن رجل الشارع سيثق بهذه الجامعة لأن الجميع يسلمون أنفسهم لهذه المرجعية والجامعة الإسلامية الغير موجودة.

* من الجوانب المهمة في راهننا المعاصر، ظهور إنجازات قيمة اجتذبت محبة ومودة وتعاطف الجماهير الإسلامية عالميا وهي تجارب حزب الله- المقاومة الإسلامية حماس- الجهاد الإسلامي- ما هو موقع هذه التجارب في إطار المشروع الإسلامي؟

* هذه التجارب التي تتحدث عنها هي التي تشكل عزاءنا في الواقع، إلى جانب ما نراه من واقع الآن لا يبعث مع الأسف إلا التشاؤم. لكن دائما هناك عزاء وكما يقول الربانيون (ما من جلال إلا وفيه جمال). إن هذه الحركات التحررية التي تنبع من الروح الجهادية الصافية من الشوائب موجودة لكن دعني أقول لك ما النتيجة التي يمكن أن تصل إليها حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي وحزب الله ومن ورائهم الطاقات الإسلامية التي تفور وتغلي في طريق البناء وفي تحرير المجتمع الإسلامي باتجاه القضاء على أخطبوط الاستعمار الجديد بوجه عام. وما هي الآمال التي يمكن أن نعلقها على هذه التجارب الإسلامية فعلا والتي تتعاطف معها جماهير الإسلام؟. أنا لا أجد هنالك طريقة، ذلك لأنني أعود فأقول أن هذه التجارب لابد أن توجد بتعاون جاد بينها وبين قادة العالم الإسلامي وحكامه، على سبيل المثال فإن سورية الآن ترعى رعاية حقيقية هذه الحركات، وهذا ما ينبغي أن يكون، لكن حدثني عن عدد الدول الإسلامية الأخرى التي تؤيد مثل هذه التجارب والتي تحتضنها، أنا لا أستطيع أن أعدّد لك شيئاً لأن الحكام يقفون منها موقفاً عدائيا.

إذن ما نتيجة هذا الجهاد الذي يستمر من قبل حزب الله وحماس والجهاد وما هو المآل أخيرا-المطلوب أن تتضافر جهود قادة العالم الإسلامي والعربي الآن مع هذه الحركات.

* هل تعتقدون أن هذه الحركات سوف تواجه في النهاية طريقاً مسدوداً، هي الآن أثبتت مكانتها حتى أنها فرضت إرادتها على الحكام بحيث جعلتهم يستجيبون طوعا أو كرها لمطالبها ولوجودها؟

** أنا لا أعني بالطريق المسدود أن عملهم سيبوء بالفشل وأن هذه الأعمال الجهادية الرائعة ستقف. لا أنا أقصد أن الهدف هو القضاء على الاحتلال الإسرائيلي وتطهير الأرض من براثن هؤلاء المغتصبين أليس كذلك؟ لكن هذا التطهير بهذا الشكل لن يتم بمجرد وجود حركة حماس وحزب الله و الجهاد، هذا سيستمر ولا أقصد بالطريق المسدود أنها ستنتهي إلى

حد ما أو أنها ستتراجع وتموت- لا- لكن استمراريتها شيء وقطف ثمراتها شيء آخر ويتوقف قطف ثمراتها على أن تمتد يد القادة السياسيين إلى هذه الحركات.

دعني أقول أن أمريكا كررت أكثر من مرة أن حزب الله وحركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي مدرجة في قائمة الإرهاب. أين هي الدول العربية و الإسلامية التي هبت لتقطع ألسنة المتخرصين وتقول بنشيد واحد متناغم ان هؤلاء ليسوا بارهابيين وإنما هم حراس للحقوق الإنسانية التي تتظاهرون بحمايتكم لها.

* إلى متى سوف تبقى الأنظمة مسيرة من قبل القوى الكبرى؟ أكيد أن الجماهير الإسلامية لن تتحمل هذا إلى الابد وبالتالي الا يجب ان تحسب الحكومات حسابا لهبة الشعوب وغضبة الأمة؟

** أنا أستطيع أن أنقل لك رؤيتي إلى واقع العالم الإسلامي شعوبا وحكاما فاقول بان شعوب العالم الإسلامي تغلي كالمرجل. لا شك في هذا ولا ريب. في حين أن قادة العالم الإسلامي شغلهم الشاغل التكتيك السياسي. ولكن ينبغي أن نقوم بما يلي:

** على الخطاب الإسلامي أن يتجه إلى هدفين الهدف الأول تعميق عوامل الوحدة الإسلامية في المجتمع الإسلامي وذلك بالتركيز على الجامع المشترك في مبادئ الإسلام وطي كل عوامل الخلاف الفرعية التي لعبت دورا كبيرا فيما مضى واليوم بتشتيت وتفريق وإثارة النعرات. بالنسبة للهدف الثاني واقصد التوجه بهذا الخطاب إلى الآخرين، ينبغي أن يكون لسان حال المسلمين معرفا بحقيقة الإسلام من حيث هي ثوب صاغه الله عز وجل على قدر الحقيقة الإنسانية. فيجب أن يكون خطابنا محببا للإسلام في نفوس الآخرين ولاسيما أن الصهيونية العالمية تحاول أن تزرع كراهية الإسلام في قلوب الغربيين، مهمتنا أن تجتث هذه الكراهية ونصور الإسلام تصويراً إنسانياً كما تنزل من عند الله سبحانه وتعالى وان نبرز أن إسلامنا إسلام واحد وأنه لا ينقسم إلى إسلامات عنصرية وإسلامات مختلفة كما يصوره الغرب اليوم بأن الإسلام متشرذم في مجتمع المسلمين.

* من هو المسؤول عن بلورة الخطاب الإسلامي اليوم؟ لانه مع الأسف لا يوجد مرجعية واحدة لينبثق الخطاب الإسلامي منها. بل عندنا مرجعيات متعددة؟

** هي مرجعيات متعددة غير متفقة مع الأسف وغير متحدة، عندما تتحد هذه المرجعيات ويتكون منها مجلس إسلامي عالمي أعلى. وعندما تصبح منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة إسلامية لا منظمة سياسية تكون مرجعا لكن هذه المرجعية غير موجودة الآن.

*ما هي مكونات الخطاب الإسلامي الذي يكون اولاً متصالحاً مع نفسه ومفهوماً من قبل الآخرين ثانياً؟

** أجيبك على سؤالك إلى متى سيبقى هذا التناقض بين تطلعات الشعوب الإسلامية وبين انحباس القادة في سجن السياسة أقول: أنا لي أمل كبير بأن الحل سيأتي لكني لا أستطيع أن أضع صورة مرئية لهذا الحل. أملي بالله عز وجل. أنا ممن يثق ثقة كبرى في الالتجاء إلى الله (عز وجل) وأن هؤلاء الشعوب الذين نتحدث عنهم أنا أعلم أن كثرة كاثرة منهم يدعون الله بخشوع آناء الليل وأطراف النهار، من أجل زوال هذا الهم الجاثم على صدر العالم الإسلامي إن هذا الالتجاء لا أشك ولا أرتاب بأنه يثمر عندما يكون صادراً من الأعماق. كيف ستأتي النتيجة؟ لا أعلم، لكن مما أتصوره أن الله سبحانه وتعالى يرسل قادة وحكاماً آخرين ليصلحوا ولا يفسدون وليجمعوا الشمل قدر الاستطاعة فيتخذوا من السياسة خادماً للمبادئ لا أن يتخذوا من المبادئ خادماً للسياسة.

*نحن متهمون بالإرهاب كيف يجب أن يقف الخطاب الإسلامي في مواجهة هذا الافتراء، هل علينا أن نتلقى نحن الاتهامات فقط. ثم أليس من حق الرواد أن يصفوا المشروع الغربي بالصفات التي تنطبق عليه؟

** هذا العمل ضروري جداً ومقابلة هذا الدجل الغربي وفضحه أمر ضروري ولكن أعود وأقول لك من الذي يملك أن يتخذ هذا القرار في العالم الإسلامي.

* العلماء يمكن أن يجلسوا مع بعض الآن لاتخاذ مثل هذا الموقف؟

** الجسر الممتد بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي حالياً هو قادة العالم العربي والإسلامي. أنا وكثيرون في كل البلاد العربية والإسلامية في محاضراتنا وندواتنا وفي كتبنا نتحدث عن الدجل الغربي في هذا الصدد ونبين الفرق بين كلمة الإرهاب الذي كلنا نقاومه وبين دفاع المعتدى عليه عن حقوقه وهذا شيء واضح ومتبلور ولكن ما الثمرة التي جنيناها من وراء هذه الأقوال والندوات؟ أنا أستطيع أن أعدد لك ندوات كثيرة عقدت خلال شهر واحد على مستوى العالم العربي لكن حصيلتها صفر. لأن هذه الندوات إن لم تترجم سياسياً وتنطق بها أفواه القادة في مواجهة القوى الكبرى تموت في مهدها.

* طبعا هذا شيء طبيعي عندما يكون العلماء أتباعاً للحكام وليس العكس بينما الناس تأخذ الفتوى والمواقف من العلماء بمعزل عن حكامهم؟

** ليس هذا القول صحيحاً فالعلماء يتكلمون ويتحدثون ويضعون النقاط على الحروف ويلقون بالجرم على الغرب ويبينون أن الغرب هو الضالع بالإرهاب، ومع ذلك كلامهم لا يصل إلى سمع الغربيين لأن الأداة التي توصل هذا الكلام إلى مسامع أولئك هي أداة للساسة والقادة فهم يشيحون بوجوههم ويغضون الطرف عن هذا ولا يرددون ما يقوله علماؤهم. إذن فالعلماء ليسوا تابعين للحكام لأنهم يقولون ما يشاءون لكن كلامهم في واد وسياسة الحكام في

واد آخر هذا هو الواقع. الآن في الأردن والقاهرة والخليج وفي معظم البلاد العربية الكلمات التي تقال والخطب الرنانة التي تلقى والمقالات التي تنشر أكثر من أن تحصى لكن مع الأسف لا يتأثر القادة بشيء من هذا لأنهم سجناء واقعهم السياسي.

* أخيرا ماذا تقولون بشأن المشروع الإسلامي المعاصر؟

** أنا لا أؤمن الآن إلا بمشروع إسلامي واحد هو مشروع إعادة وحدة الأمة الإسلامية بصيغة ما. هذا هو المشروع المنتظر والذي يعتبر دوره دور الأساس من البناء. أي مشروع آخر فوقي مآله إلى الانهدام لأن أي بناء إذا لم ينهض على أساس سيتهاوى. أنا أعلم بأن الأمة ينبغي أن تعلن وأن ترفع عقيرتها وأن تدعو حكامها بالأساليب المختلفة إلى أن يتضامنوا وأن يتحدوا وأن يكونوا فيما بينهم كتلة إسلامية واحدة بأية صيغة من الصيغ. طبعاً إن الشعوب هم مكلفون بهذا لكنهم لا يملكون إلا ألسنتهم، ونظراً إلى أنهم لا يملكون إلا ألسنتهم إذا هم مكلفون أن يرفعوا صوتهم.

نحو مشروع إسلامي
نهضوي متكامل

العلامة الشيخ عفيف النابلسي(*)

* هل يمكن الحديث عن مشروع إسلامي واحد برأيكم؟

** الحديث عن المشروع الإسلامي في أبعاده النهضوية وأشكال التحديات المطروحة أمامه يمتد إلى مجمل الظاهرة الإسلامية العميقة المغزى والتطلعات والأهداف المحسوسة منها وغير المحسوسة والتي تجمع في بواطنها خارطة من القيم المتفاعلة التي تتجه المحاولات للكشف عنها كالصلات المتشابكة بين السياسة والدين وبين الأيديولوجيا والشريعة وبين القانون والمجتمع والتاريخ.

وإذا كان مصطلح المشروع الإسلامي يختفي وراء ستار من الغموض ويحتمل ألوان الالتباس بسبب تعددية الارتباطات وطبيعة النظرة إلى مبادئ الإسلام وقواعده وأيضا تلك الصيغ المتعلقة بفهم النص القرآني واستخداماته المتشعبة إلى غيرها من المستلزمات العقلية والأخلاقية والعملية التي تحدد إصدار التوجهات والأهداف وصياغتها على أساس مشروع إسلامي يحاول التماس أصول الشريعة والعمل على تطبيقها وممارستها على أرض الواقع.

وعلى الرغم من وجود رؤى ونظرات خاصة تسعى الجماعات الإسلامية لمنهجتها وتأطيرها وفق نسق معرفي وفكري يقوم على التشكل والتحقق ضمن دائرة الإسلام التي تتسع لمختلف التمايزات في وجهات النظر والاجتهاد والتي خرجت إلى فضاءات المجتمعات الإسلامية في شكل تيارات وحركات إسلامية لها خطابها الديني وموقفها السياسي التي تسعى لتحقيقه انطلاقاً من رؤيتها وتشخيصها للأصول الإسلامية والمفاهيم القرآنية وكيفية تناولها وتوظيفها في النظام المعرفي والسياسي والثقافي للمجتمع.

فإنه وعلى الرغم من وجود انقسامات مذهبية حادة وانتماءات حزبية متعددة واتجاهات فكرية خاصة فإن ذلك لا يلغي في يقيني، بالكامل إمكانية الحديث عن مشروع إسلامي واحد تنضوي تحته الرايات الحزبية والمذهبية والفكرية.

* ما هو تعريفكم للمشروع الإسلامي وما هي مكوناته؟

(*) رئيس هيئة علماء جبل عامل في لبنان.

** المشروع الإسلامي الذي لا بد من تعريفه وصوغه وتحديد مصطلحه: هو المشروع الذي يستجمع الكليات الإسلامية دون أن تشكل الجزئيات محوراً أساسياً في تركيبته ودون أن ينفي الخصوصيات الناشئة من طبيعة المجتمع وبيئته الثقافية وهو الذي يوحد الهويات المذهبية والحزبية في بوتقة الضمير العام للإسلام وهو الذي يستطيع أن يرسم الخطوط العريضة لحركة المسلمين طبقاً للأهداف والاستراتيجيات التي لا تحتمل التأويل ولا يحيطها التعقيد أو يقعدها التناقض والاختلاف.

المشروع الإسلامي هو الذي يقوم على أساس حركة إسلامية في المجتمع يكون الإيمان الديني للأركان والثوابت والأصول أحد الاحتياجات الملحة التي تؤكد على الوحدة والشمولية والاندماج في المظهر العقيدي والحضاري الواحد وهذا الأمر يستدعي نبذا لكل أشكال الانقسامات والتشرذمات واستبعاداً لواقع المصادمات والانتهاكات المتبادلة بين المسلمين وكل ما يؤدي إلى تفتيت الإرادة الواحدة وتشويهها وحرفها اتجاه مواقف عدائية لا تتوافق وجوهر الإسلام وقيمه، وبطبيعة الحال فإن هذا التوجه لا يعني إطلاقاً إلغاء للتعدديات الفكرية والحزبية والمذهبية إنما يعني تنظيم الاختلاف على أساس الأدبيات الإسلامية في التعامل والسلوك كما يعني خنق الخلافات التي تمهد الأرض جيداً لمزيد من الأمراض والآفات والأخطاء والانحرافات على أكثر من مستوى وفي التاريخ والدين والسياسة والمجتمع إلى غيرها من التشوهات القيمية والحضارية التي تعمق أسباب التخلف وتلصقها بالإسلام. والتوجه المطلوب يفترض دفع المسلمين نحو العمل ضمن القواسم المشتركة في العقيدة والفكر والشعور والإرادة وداخل الفاعليات المصلحية المتبادلة في السياسة والاقتصاد والإدارة.

والمشروع الإسلامي نراه في امتلاكه القدرة على التجديد في الفكر كما في اليات الممارسة وأساليب العمل وهو معرفة بالماضي تراثاً ووعي بالحاضر واقعاً واستشراف بالمستقبل متطلبات وتحديات ومن ثم فإنه حركة حية تدعو إلى اجتهاد كثيف في سبيل إخراج الدين من حلقات المريدين الضيقة إلى ميادين الحياة بآفاقها الرحبة والفسيحة وإلى توصل الشروط والمقدمات والوثائق بكل الأسباب الكفيلة بهدم الكتل الجليدية المحيطة بجوهر الدين وأصوله الثرية ومحاولة اكتنانه مقتضى الدين واستبانة أهدافه ونقلها واستيعابها في مسالك الحياة ومؤسسات المجتمع وجماهير الناس.

والمسؤولية تتأكد بقوة عندما ينطلق المشروع الإسلامي من مقاومة التصورات والأوضاع الموروثة التي تحيط بالمسلمين وتقعدهم عن الفعل والحراك والمشاركة في صنع مستقبل الأمة علماً وثقافة وحضارة وكذلك في الاستجابة لمقاصد الدين المتنوعة في الاعتقاد والسلوك إلى مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد في عملية تتوخى سد الفجوة التاريخية الهائلة التي تعمقت بفعل الارتخاء والكسل واللامبالاة التي صاحبت حياة المسلمين وفكرهم ونهجهم السلوكي.

* ما هي العقبات التي ينبغي للمشروع الإسلامي أن يتجاوزها لبلوغ أهدافه؟

** سيكون المشروع الإسلامي في مواقف صعبة معقدة إذا لم يقدم المسلمون على الاعتراف بالمشكلات واستبدالها بالحلول السليمة التي ترضي الطموح وتحقق الآمال. فالمعركة من اجل الثبات ومن ثم الانشغال بمسببات النهوض وما يرافقها من تحديات ومواجهات لن تكون موجبة إذا اعتمدنا فقط على بقايا الإيمان الساذج غير المحصن بالعلم والمعرفة والوعي بتحولات العصر. لا يكفي أن نحلل واقع الأمة وما أصابها من تلوث فكري وفوضى اجتماعية واختلال اقتصادي واضطراب سياسي تمثل بالعديد من الحروب الأهلية والطائفية والمذهبية إلى تزايد البطش والاستبداد بحق الناس البسطاء الذين يلاحقون لقمة عيشهم في أجواء بائسة، ليكتمل الإصلاح العام. لا، ليس بهذا وحده رغم أهمية تشخيص الواقع كي لا نتهرب من المشكلة التي نعيشها بالفقر إلى الأوهام والخيال وضروب المثالية. ونلجأ بدون تدبر ونتيجة للفراغ الخطير إلى ترديد شعارات الوحدة والتوحيد المبهمة دون أن يصاحبها تطور عملي يؤدي إلى تخفيف احتمالات التأزم في واقع تشكل التناقضات والتعدديات خطرا حتميا في تجسيد التالف والتكامل واستشراف الأبعاد والافاق الروحية لوحدة الامة والحضارة في ثقافتها وحياتها المشتركة.

وهنا ضرورة أن يحمل المشروع الإسلامي بالإضافة إلى هموم الواقع دارسا ومحللا حقائقه ووقائعه، مستجمعاً احتياجات الأمة المادية منها والفكرية والثقافية والفنية الإنسانية لإرضاء ظمئها وإرضاء الرغبات الخاصة للمجتمعات، أن يتأسس فكر ديني متجدد مفتوح على السياسة بانشغالاتها وأشكالها المتعددة ووظائفها ووسائلها المتبدلة والمتنوعة للإطلالة على المستقبل بفكر مستقبلي مستنير لا يقف عند حدود الواقع والراهن وإنما يتخطاه لاستشراف الخصائص المستقبلية والاتجاهات التي تحاول المجتمعات والأمم السير فيها رغبة في التزام التطور ومواكبة الاهتمامات المتزايدة للإنسان في شتى المجالات وإذا كنا نشدد على مسألة التجدد والتطور والتقدم استبعاداً للسكونية والجمود التي مرت بها الأمة وأدت إلى تدهور حالتها ونقوص قيمتها فإننا لا نلاحظ ذلك إلا من داخل الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية والمبادئ والقواعد التي اعتمدها الاسلام في مساره التاريخي ضمن ميادين الحياة الإنسانية، لا الابتكار خارج المنظومة الإسلامية ولا استجرار البدائل والحلول بعيدا عن غايات ومقاصد الشريعة حتى لا نقع في حقول الاغتراب عن الذخائر والأصول الإسلامية أو نسقط في حواضر الفكر الغربي ونماذجه المختلفة.

* وكيف يمكن المواءمة بين الأصالة والتجديد في مثل هذا الخطاب؟

** لكي يحوز المشروع الإسلامي على الاصالة والغنى في التأثير وامتلاك قابلية التواصل مع **التكوينات المجتمعية** الإسلامية، يفترض به الإحاطة بالبرامج والبدائل والتوجهات لا الاكتفاء

بالعموميات والخطاب السياسي والاخلاقي الذي ينظر إلى الواقع ويكشف علله في دون التدخل لتغيير هذا الواقع والنضال لإزالة بنيته التي تضغط باتجاه معاكس لما هو مطلوب، وستبقى مسألة استشراف المستقبل بمعنى العمل على طرح قضايا المستقبل والإسهام في تأصيل الحلول المناسبة لها على ضوء مفاهيم الإسلام وفي إطاره النقطة المحورية في علاقة المسلمين مع تحولات العالم أمماً وشعوباً وقوميات وأدياناً على الصعد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. لذلك فإن على المشروع الإسلامي أن يختزن فكرة مواكبة المستقبل فكراً وعلماً ومتطلبات وتحديات وعليه أن يقدم التصورات الإسلامية للمجتمعات الإسلامية وغيرها بعيداً عن المثالية وترديد المسائل الأصولية المنغلقة في الزمان والمكان والتركيز على تلبية الحاجيات المستجدة في مختلف الحقول دفعاً لتحديات الحضارة المعاصرة ووفق منهجية حديثة تقرأ الوقائع وتفاعلاتها والظواهر ودلالاتها وطبقاً لمقتضيات المصلحة وإدراكاً للكليات والتزاما بالمقاصد الإسلامية وأولوياتها.

* ما هي عناصر تحصين المشروع الإسلامي من الشطط والانحراف وكيف يمكن حشده عملياً لخدمة تطلعات الأمة؟

** علينا أن نحاذر أولاً من تداول مصطلح (المشروع الإسلامي) كمجرد إيديولوجيا وشعار لا علاقة له بالأصول الإسلامية ولا ارتباط له بالمسلمين ولا هدف له في تكوين الاجيال الملتزمة المؤمنة القادرة على النهوض بأعباء الشريعة الرامية إلى بناء مجتمع إسلامي واحد متكاتف ومتآلف ومتوحد، متطلعاً إلى الفكر الإسلامي الصافي ومنظومته المادية والثقافية في كل ما تحتوي من إمكانات التطور والتغيير والتقدم لملامسة المجتمع العالمي ومحاكاته في ثقافته وفكره وحضارته وموجهة التحديات النابعة منه والمنبعثة من نظامه.

وفي سبيل أن يستكمل المشروع الإسلامي حركته ودوره وصلاحيته كاتجاه ديني سياسي يشير إلى مكامن الخلل داخل المجتمع وما يتعرض له من مشكلات وأزمات من خارجه تهدد الكيان الإسلامي ونظامه وبناه الأساسية، انطلقت المقاومة لإصلاح الداخل وتأهيل الأفراد والجماعات بالتربية الإسلامية والتقويم الأخلاقي وبنفس الوقت قامت المقاومة لردع الأعداء الذين يتربصون بالإسلام وقواه وفاعلياته وجماهيره الحية الذين أخذوا بأسباب التعبئة النفسية والسياسية والعسكرية دفاعاً عن حياض الإسلام ومقدساته. إذ إن توسل الحوار أو التزام طرق المفاوضة في ظل الانتهاكات والاضطهاد والقمع وعمليات واستخدام العنف وقتل الأبرياء بدم بارد، لا يمكن معه نشد أي مسعى إيجابي وإنما هي كلها محاولات تنطوي على مكر ولا تأتي إلا بتكريس الظلم والفساد وتشريع الانحراف في عالم انقلبت فيه الموازين واختلت المعايير وسفهت القوانين والأنظمة التي تعطي للمظلوم حقه ونسترجع له كرامته. والتجربة التي خاضها المسلمون في أنحاء شتى من هذا العالم وما زالوا يعيشونها واقعاً مريراً لم

يتضح أنها حققت اعترافا للضعفاء بحقوق أو مكتسبات أو مصالح أو حتى أبسط ما شرعه الله للإنسان، فالعالم أصبح للأقوياء والحكومات تلتزم شريعة الغاب منهجا وسلوكا ولم يعد للحق والعدالة والمساواة وزنا أو اعتبارا أو قيمة، وفي العلاقات بين الدول وبين المجتمعات وبين الأمم والشعوب والقوميات غدت لغة المصالح هي الحاكمة بمعزل عن شرعية القانون إن كان هناك قانون عادل أو المبادئ والأعراف الإنسانية والأخلاقية. أمام واقع وعالم في هذا المستوى من الاستهتار بالقيم والحقوق الإنسانية واختزال وهضم واغتيال لحياة الإنسان واعتبارها سلعة تباع وتشترى وأمام هجمات استعمارية إمبريالية بربرية حاقدة تكرس الاستبداد وتشيع الفوضى والفتن في عالم المسلمين وعالم الدول الفقيرة تغمط خلالها حقيقة وجودهم الشاملة، فهل يبقى غير المقاومة والجهاد سبيلاً لتحقيق الإرادة والكرامة واستعادة الحقوق والمكتسبات من أيدي الظالمين الذين أكثروا في البلاد الفساد وخربوا الديار ودمروا الأوطان وسفكوا الدماء البريئة. إن المقاومة وقوة الصمود والتصدي هي أضمن طريق وأسلمها على الإطلاق لإحقاق الحق وإقامة العدل وتوفير المساواة وأي طريق اخر يستخدم منطق التبعيض في الحقوق او المهادنة أو المساومة تحت حجج وذرائع يبدو ظاهرها مقبول لن تجر إلا الخيبة تلو الخيبة ولن تمهد إلا لعودة الاستكبار بطرق ملتوية بأشكال متخفية.

وفي هذا المجال نشير إلى أن المقاومة بأشكالها المتنوعة وخصوصاً منها العسكرية جاءت في نطاق الطموح الذي طالب به المشروع الإسلامي لبلوغ الأهداف والغايات التي تحقق للأمة المسلمة عزتها وكرامتها وتكشف عن مدى قدرتها وإمكانياتها التي تجعل منها أمة ناهضة منطلقة على أساس قيام الدولة العالمية العادلة. والمقاومة الإسلامية على سبيل المثال في لبنان خير مصداق على ما نقول حيث أنها أبانت كيف أن استخدام القوة يمكن أن يقود إلى النجاح والانتصار وإن المراهنة على الوسائل السلمية مع عدو وأعداء لا يفهمون إلا لغة القوة هي مراهنة فاشلة. ولقد أدت المقاومة الإسلامية خدمات جلى وحققت صحوة إسلامية مباركة أعادت الاعتبار للذات الإسلامية والثقة للمسلمين بأنفسهم، وأن الالتزام الواضح بالإسلام أصولاً ومبادئ ومناهج وسلوكيات يمكن أن ينقل المؤمنين من مكانة الضعف إلى وهج القوة والعزة. وفي هذا الإطار أسست المقاومة بأعمالها البطولية نهجا نهضوياً على مختلف المستويات جعلت أبناء الأمة يحتذون به نموذجا رائدا يرسم معالم الإسلام الآتي بقيمه وتراثه وفكره الخلاق.

إن المقاومة اثبتت أن بإمكان المسلمين فيما لو وحدوا إرادتهم وكلمتهم وتضامنوا فيما بينهم أن يجروا الامور لحسابهم لا لحساب الأعداء وان بمقدورهم تكريس وجودهم في وجه الغطرسة والاستبداد وأن يصنعوا التاريخ وأن يقدموا النموذج الحركي للإسلام لا النموذج الساكن الذي لا يهتم لبناء الواقع على أسس إسلامية والانطلاق به نحو المستقبل المليء بالتحديات.

وقريب من مسألة المقاومة التي ربما تتحدد في الإطارات المحلية أكثر من كونها عالمية بسبب طبيعة التواصل بين المسلمين وعدم قدرتهم على الاحتشاد والتوحد، لردع العدو داخليا كان أو خارجيا وذلك لانعزال النخب الحاكمة عن تاريخها وشعبها، وسقوطها سياسيا في مواقع معادية للأمة وصراعاتها مع الخارج وأيضا بسبب تشرذم الكتل المسلمة في كانتونات ودول منقسمة ومنكفئة على نفسها.

* ما هي محددات المشروع الإسلامي وما المطلوب لإزالتها؟

* يأتي الصراع مع الاستكبار العالمي أحد المحددات الرئيسية التي يحملها المشروع الإسلامي والذي يتميز بشموليته وتعدد مراتبه ومواقعه. فالطابع الهجومي التي ينتهجه الاستكبار العالمي ضد الإسلام أمة ودينا وحركة ومشروعا هدفه إجهاض كل المحاولات الرامية إلى عودة الإسلام إلى حركة الحياة والفعل والتأثير في الفرد والمجتمع وفي نشر مفاهيمه الداعية إلى العدالة الاجتماعية وإلى التحرر من العبودية والاستعمار ورفض كل أشكال الهيمنة والتسلط. ولذلك فإن الحركات الدينية التي تستهدف بناء الفرد على أسس إيمانية وتغذيتها بالمعطيات السياسية وتعبئته لكي يبذل مزيدا من الجهد والاستنفار وقوة الاستعداد للمعارضة والرد على كل العناصر العدائية التي تريد احتواء الإسلام بأساليب ثقافية واجتماعية وسياسية وعسكرية، تستحوذ على رد فعل الاستكبار الذي يعلن الحرب على هذه الحركات ويهددها بالويل والثبور وعواقب الأمور إن هي استمرت على نهجها في تعقب أفعال وممارسات الاستكبار والتخلص من قيوده والخروج على قوانينه وأعرافه، كما أن على هذه الحركات أن تكف عن التعبير عن تطلعاتها النهضوية في توحيد الصفوف وتجنيد العزائم والتعلق بآداب الإسلام الحركي ونظامه الشامل وأن توقف كل أشكال المواقف العملية التي تتوخى النضال من أجل التحرر من الاستعمار. وإلا فإن أدوات الاستكبار ووسائله قادرة على سحق هذه الحركات.؟!

إن الاستكبار لن يوقف حملاته السياسية العسكرية والثقافية على الإسلام بسبب طبيعة نظامه القائم على أساس النظرية المصلحية والنفعية وهو ما يعمل الإسلام على نقضها بنموذجه المغاير، وعليه فإن الاستكبار سيحاول منع الذات الإسلامية من الثبات والاستمرار والنهوض لإقامة المجتمع الإسلامي المستقل وغير التابع لمنظومته وشروطها التي تعمل على تفريغ ذاكرة الشعوب والامم وخصوصا منها الإسلامية و العربية من تاريخها وذاكرتها ودورها الحضاري. ومن هنا تتجلى أهمية أن يبقى المشروع الإسلامي قادرا على تعبئة طاقات الأمة واستنفار قواها في إطار برنامج متكامل لحمل مشعل الإسلام في وجه الاستكبار وغطرسته والوقوف أمام رياح الحرب التي يحاول شنها وفق مراحل وخطط مدروسة لعزل الإسلام ومنع الشريعة من أن يكون لها دور في مسار الحياة ومتغيراتها وفي تجديد الفكر وإثراء الحضارة العالمية بحضارة الإسلام ومشروعه المترابط.

التجربة التاريخية
وترشيد المشروع الإسلامي

الأستاذ جودت سعيد(*)

*ما هو دور الإنسان كقيمة في المشروع الإسلامي؟

**يا أخي الكريم أنا لي رؤية للإنسان والإسلام بحسب القرآن الكريم، ونحن عندما نعرف سنن الله في الكون والمجتمع، سنرى ونلمس بأن الكون كله يتسخر لنا من أجل هذه المعرفة. والإنسان (أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)، ولكن روح الله نفخ في هذا الإنسان وعلى أساسه أستخلف. وصار نائب الحق (تعالى) ينفذ إرادته في هذا الكون المسخر كله مجانا لأجله... هذه معان كبيرة ونحن الى الآن لم نستطع استيعاب أهداف هذه الرسالة وهذه الخلافة.

* ما هي أولويات العمل الإسلامي في الوقت الحاضر؟

** أولاً، علينا أن نكتشف القرآن من جديد، لأن التصور الذي عندنا هو ليس كل من آمن بالله عرفه. ولهذا ترى الناس يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴿ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم فأرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ نحن لا نفهم الله فهما صحيحا. وكيف نفهمه انطلاقا من هذه الرؤى القاصرة؟! إن الله (سبحانه وتعالى) غيب ولكن سننه تحت أنظارنا. القرآن يعرفنا بالإنسان كيف ينبغي أن نتعامل معه، وكيف نتعامل مع الكون. لما يقول الله عز وجل ﴿لا إكراه في الدين﴾ فان هذا شيء كبير وبلغة بسيطة فإن هذا الإنسان لا يعطي على الإكراه إلا أقل ما يمكن. لكن على الإقناع يعطي ماله وروحه.

إن المشكلات الآنية التي تشغل المسلمين، هي نتيجة لأخطاء سابقة، وهذه الأخطاء تتكرر في كل مكان وزمان، وعلى رأسها، احتقار المسلمين وإيذاؤهم وقتلهم وتهجيرهم من البلدان. هذا يحصل في الفليبين وكوسوفو والبوسنة والهرسك وكشمير وأفغانستان وفي فلسطين وفي غيرها من البلدان. إن المسلمين يقتلون في كل مكان ومع ذلك نحن ما زلنا نعبد الطاغوت. هذه هي المشكلة الأساسية. إلى الآن لم نعترف بقوة الإنسان ولا بقوة الروح بمعنى الإيمان والعلم. والقرآن هو مفتاح معرفة أسرار هذه القوة. فإذا ما اكتشفناه من جديد، صار هذا العالم كله مسخرا لنا، وعندئذ نقول له كن فيكون. أنا مؤمن بهذه الحقيقة

(*) مفكر إسلامي من سورية.

ثانياً: ثمة مشكلة كبرى جرت الويلات علينا نحن المسلمين وجعلتنا عبيداً، وهي أننا لم نصلح ذات بيننا، بينما يقول القرآن ﴿اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾. نحن إلى الآن لسنا قادرين على إصلاح ذات بيننا، لكننا نتهافت لكي نصلح بيننا وبين أمريكا، بيننا وبين إسرائيل، وهذا أمر مرفوض. خذ قرارات الأمم المتحدة، ما الذي تحقق منها لصالح القضية الفلسطينية؟ هم يضحكون علينا فيما العالم الإسلامي مكبل قاعد لا يقوى على شيء، وهو ينظر إلى ما يجري من مذابح ضد أبنائه هنا وهناك. إن مشكلتنا ليست أمريكا ولا إسرائيل ولا حتى الشيطان، مشكلة المسلمين أنهم لا يعقلون. ما معنى يعقلون، أنه يعني ربط الأسباب بالنتائج.

ولهذا فإن الغربيين لم يبتكروا لنا السيارة والطيارة والصاروخ فقط، بل ابتكروا لنا أيضا طريقة تبادل السلطة، لكن العالم الإسلامي إلى الآن ليس فيه تبادل للسلطة. منذ عهد الراشدين إلى يومنا هذا فإن المسلمين محكومون بالطاغوت وهم يؤمنون به وهم لا يولون شأنا لعقل الإنسان، لماذا؟ لأن الديمقراطية تحتاج إلى مخاطبة عقول الناس بالإقناع، بينما الدكتاتورية ليست بحاجة إلى الإقناع وإنما إلى العسكر والقوة والسيف والجلد والعصا والسوط. لقد صرنا نؤمن بأن الاستخدام الأفضل للإنسان لا يمر بالحوار والإقناع، بل بإكراهه.

أنظر إلى باكستان ماذا فعلت؟ لقد استسلمت لأمريكا، وبليلة واحدة جاء حاكم واستولى على السلطة فيها وألغى الدستور والبرلمان والمؤسسات الدستورية وقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾. يا أخي الكريم أنا أكفر بجماعة إذا عملوا مؤامرة بالليل، ونجحوا، صاروا آلهة، وإذا ما فشلوا يصيرون خونة ويعدمون، إني بريء من أن يتحول الإنسان إلى إله أو مجرم بهذه الخرافة ولهذا فإن المسلمين مطالبون بفهم رسالة الله التي جاءت إليهم والتي تهدف إلى صنع الإنسان السوي، الذي يقبل كلمة السواء.

٭ الامَ تُعزون عدم فهم المسلمين للقرآن؟

٭ بعد أن فقدنا الرشد رأينا أن كل التفاسير التي كتبت حول القرآن تبعدنا عنه نحن لا نفهم القرآن لأنهم فسروه وهم آمنوا بالقوة وخضعوا لها، ولم يعرفوا كيفية التحرر من هذه القوة.. وهذا الخضوع قائم حتى يومنا هذا وقد ظهر في آيات الآفاق والأنفس أن القوة لم تعد هي التي تحكم العالم. خذ مثلاً الاتحاد السوفيتي، فقد كان يستطيع تدمير الكرة الأرضية ثلاثين مرة. لكنه سقط وهوى دون أن يأتيه عدو من الخارج، هو سقط من الداخل ﴿أتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف﴾ لقد انهار الاتحاد السوفيتي لأنه كان يحتقر الإنسان ولا يقيم له وزناً ولم يكن يسمح له أن يتكلم أو يبدي رأيه، فرض عليه الطاعة وأكرهه على الأيديولوجيا والسياسة وتفسير الكون. بينما القرآن يقول ﴿لا إكراه في الدين﴾ فما بالك بالنظريات الوضيعة التي ما أنزل الله بها من سلطان. إن ربنا أعطى الإنسان

حق أن يكفر بالدين، وضمن لهذا الكافر أن يعيش بسلم وعدل بعيداً عن أية هيمنة ﴿فإن ألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ نحن بحاجة إلى يقظة مقرونة بالتحرر من عقدة الخوف وإذا ما أتيح لنا مثل هذا الوضع ثقوا أن أمريكا ستكون مرغمة على تلبية مطالبنا وستقول لنا: حاضر، سأفعل ما تريدون.

مشكلتنا نحن المسلمين أننا لسنا جاهزين لتغيير أوضاعنا الداخلية، ولا مؤهلين لفهم القرآن والإسلام ولا حتى لفهم قيمة الإنسان الذي خلقه الله ليجعله خليفة في الأرض.

* ألا تعتقدون بأن التحديات المحيطة بالمسلمين ستقربهم من مثل هذا الفهم؟

** إذا كانت التحديات ستعمل على تقارب المسلمين وتآلفهم، فإن هذا الوضع لا يقربهم من فهم الإسلام بالضرورة. أرجو أن ندرك هذا الأمر حتى وإن نحن صرنا قوة عظمى وتوحدنا. على سبيل المثال، ما جدوى أن نصنع منظمة أمم متحدة يوجد فيها حق الفيتو. نحن عندئذ لن نكون مسلمين لأن القرآن يقول ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ إن حق الفيتو الآن لا ينكره أحد، وإنما هو مطلوب بقوة.

أنا أحترم الثورة الإسلامية الإيرانية لأن الإمام الخميني (رحمه الله) قال بالجمهورية الإسلامية.. هذا شيء جديد، لكن هذه الجمهورية اليوم لا تحظى بقبول جميع الإيرانيين، لماذا؟ لأن هناك من يعارض التجديد والتغيير في إيران ويعارض الانفتاح على الآخر حتى أنه إذا رأى الإنسان العالم من خلال الأطباق والفضائيات فإنه سيضل.

قد يكون الأمر مرده أن فهمي للأشياء فهم مختلف، لكن بشكل عام نحن مدعوون إلى معرفة لغة الإنسان وفلسفة وجوده. وأؤكد لك أن لا خوف على دين الله أن ينهزم ولو كان الله يخاف على دينه ما قال ﴿لا إكراه في الدين﴾ نحن نريد أن نكون طاغية قبل أمريكا. ونتمنى ذلك. والقرآن عندما يروي قصة قارون يقول ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين لا يعلمون يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ إذن نحن إذا توفرت لدينا أسباب القوة والبطش سنكون مثل أمريكا بل وأسوأ، لأننا نريد أن نأخذ أموال الناس ومناصبهم ونساءهم. إن هذا تفكير كثير من المسلمين. هذه المفاهيم متجذرة فينا، ونحن إلى الآن لم نجدد إسلامنا.

* ما مدى تأثير قراءة التاريخ في صياغة المشروع الإسلامي الراهن؟

** لو تتبعت بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم مثل (يعقلون، يسمعون، يبصرون، يتفكرون، يتدبرون) وغيرها لوجدت أن معناها جميعا تؤكد على الإنسان ينبغي أن يستفيد من التاريخ. التاريخ هو الذي يعلمنا بالعواقب وبه نميز الصواب من الخطأ. إن الأوروبيين لم يسلطهم الله علينا عبثا. إنهم استطاعوا أن يكفروا بالطاغوت، فيما نحن لا نزال نؤمن به، من من العالم الإسلامي استطاع أن يتحرر من هذا الطاغوت وهذا الفرعون. رسالات الأنبياء كانت

قائمة على الدعوة إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت. نحن عبدنا الطاغوت واجتنبنا الله، وهذا أمر ليس هينا.

إن أمريكا ليست صاحبة المشكلة.. وإني لا أعتبرها صنما لكن ايماننا بها هو الذي يذلنا أمامها. الصنم لا حول له ولا قوة لكن عندما تؤمن به يصبح قوة غير قابلة للاختراق. ولاجل أن نعرف الطاغوت قص الله علينا قصة في القرآن وهي قصة فرعون. أرجو ان نفهم هذه الأشياء بدقة.. هم (القوى الكبرى) يضحكون علينا، ويدعون أنهم يبحثون ويتدارسون مشكلاتنا.. ليست هناك مشكلات عصية على الحل ولكن هذا الحل يجب أن يقوم على أرضية صلبة.

مشكلة فلسطين قابلة للحل مؤكدا، لكن لنراجع التاريخ المعاصر ولنر: الم تحل مشكلة الجزائر بمليون شهيد وتم طرد فرنسا؟ فماذا حدث في الجزائر؟ ألم يقتل في هذا البلد أكثر مما يقتل في فلسطين الآن؟ المسلمون في الجزائر هم على مذهب واحد هو المذهب المالكي والقوميون واليساريون لا يمثلون قوة مؤثرة هناك لكننا نرى أن المسلمين يقتل بعضهم بعضا في هذا البلد. هذه جاهلية يا أخي، فأنا عندما أقول باللاعنف فان الديمقراطية هي اللاعنف، وأرجو أن يفهم الذين يسمعون هذا الكلام، طريقتي في التفكير. فالديمقراطية هي أن يتفق جميع الفرقاء على الا يلجاووا الى العنف، بل اللجوء الى التفاهم والتحدث إلى الناس فاذا استطاع إقناعهم واختاروه بدورهم. فهو المؤهل لقيادتهم.

* هل ثمة إمكانية لتحقيق ما تقولونه في عالم تحكمه موازين القوة والعضلات؟

** القريشيون كانوا يستقوون بعضلاتهم امام الرسول (ص) أيضا فماذا كانت النتيجة؟ دعني اقول لك عندما تنتصر العضلات على العقل، نكون قد آمنا بان العقل لا قيمة له والعضلات لها قيمة، ولهذا ترانا قد استكنا امام الذين يملكون القوة في الداخل، وفي المقابل نرى زعماءنا وسادتنا قد رضخوا أمام الذين يملكون القوة في الخارج.

ما كانت قوة العضلات والتحكم موجودة في صدر الإسلام، لكن لما جاء معاوية بن ابي سفيان إلى الحكم فانه جاء بالسيف وعاد بنا الى الهرقلية والجاهلية ورجعنا الى الكسروية ايضا حيث عبادة الأقوياء وحسب. فالقرآن- إذا- يقول لنا: لن تفهموا الوحي الإلهي الا من واقع التاريخ ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾، وثمود وعاد وفرعون ذو الأوتاد هؤلاء طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب.. وفي ضوء هذه القصص القرآنية نستطيع القول: ألم تر كيف فعل ربك ببني أمية؟ ببني العباس؟ بروما؟ بالاتحاد السوفيتي؟ لكن الذين يزيلهم يصير مثلهم ويقول قائلهم بعدئذ ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.

إن عملية التغيير تتطلب منا أن نزيل الاستكبار والاستضعاف في ان معا لان المستكبر مثل أمريكا مستعد لاستضعاف الناس وهو لن يتنازل عن غطرسته إلا إذا خرجنا نحن من

عبوديته ولذلك فإن مهمة الإسلام أن يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وعلى هذا الأساس انتصرت الثورة الإسلامية في إيران على الشاه وعلى أمريكا. هي لم تنتصر بالسلاح والقوة وإنما بالفكرة، والإيرانيون يستحقون مزيداً من الانتصارات كلما ازدادت قوة العلم لديهم وكلما انحسر دور الرجعيين والخرافيين الذين يعيقون مسيرة الثورة والدولة في إيران.

* برأيكم متى بدأت الصحوة الإسلامية المعاصرة؟

** الصحوة الإسلامية ليست وليدة السبعينات كما يتصور. الصحوة الإسلامية بدأت منذ جمال الدين الأفغاني. إذن هي لم تنزل علينا فجأة من السماء. إن نواب صفوي كان من الصحوة. أنا أتذكره عندما جاء إلى دمشق، كان يتقد حماساً (رحمه الله) لكنه أُعدم في نهاية المطاف. إن الخميني كان مختلفاً كثيراً عن نواب صفوي لأن الثاني ما كان يستطيع أن يقود شعباً ولا نساء، لكن الإمام الخميني (طاب ثراه) قاد الشعب والنساء في الثورة ولم يكن بحاجة إلى تدريبهم، وتمكن بعد ذلك من إعلان الجمهورية الإسلامية في إيران باستفتاء شعبي مشهور إذن بالإقناع يمكن صنع أعظم الإنجازات، وهذا النموذج الماثل أمامنا أبطل مقولة أن الشعوب لا قوة لها وأنّ الحكومات هي وحدها آخذة بنواصي القوة.

* كيف يمكن تبيان عناصر القوة في الإسلام؟

** في الإسلام قوة عظيمة قادرة على اجتذاب الآخرين. لقد أصدرت السفارة الأمريكية في دمشق في أبريل/ نيسان عام ٢٠٠١ تقريراً تحدث عن الإسلام في أمريكا وجاء فيه: إن عشرين ألف أمريكي دخلوا الإسلام. إن هؤلاء طبعاً لم يعتنقوا الإسلام إعجاباً بالمسلمين ولا بقوتهم ولا باقتصادهم ولا بعساكرهم ولا لأن المسلمين متحررون ولهم حياة اجتماعية كريمة في بلداننا، وإنما قوة الإسلام هي التي اجتذبتهم. هذا فتح كبير وهو أكبر من ضرب البنايتين (المقصود برجا التجارة العالمية في نيويورك اللذان فجرا في ١١ أيلول من عام ٢٠٠١).

إن ضرب البنايتين لم ولن يؤدي إلى شيء، لكن انظر كيف أن أولئك المسلمين المساكين الذين هاجروا من ديارهم إلى أمريكا إما هرباً وإما طلباً للرزق أو العلم، أخذوا يتحدثون للناس هناك عن الدين الإسلامي وتعاليمه وسماحته وقيمه العليا وعندما حصلت لدى هؤلاء الأمريكيين القناعة اللازمة دخلوا في الإسلام. هذا في حين أننا نحن في بلاد المسلمين ننفر من الإسلام ونبتعد عنه شيئاً فشيئاً ونركن إلى الطاغوت، فيما الإسلام يطلب منا تحرير الذات من الرعب والخوف والتزام العقل والمنطق والحوار في الدعوة والتبليغ ويمنعنا من قسر الآخرين على الدخول فيه حتى وإن كنا نمتلك القنبلة النووية. الله عز وجل منعنا من ذلك عندما قال ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ إذن من حق الآخر أن يبقى كافراً، لكنه إذا اعتدى فإن علينا أن نمنعه.

* هل يمكن تطبيق اللا عنف في جنوب لبنان في مزارع شبعا وفي فلسطين المحتلة وغيرها ونحن نواجه أعداء استثنائيين وأمامنا تحديات كبرى. أرجو إيضاح هذه النقطة بعيدا عن سجالاتنا وتناحراتنا الداخلية؟

* أرجوك يا أخي أن لا تقلق من تداعيات ونتائج أوضاعنا الداخلية. أنا لا أقيم وزناً لا لإسرائيل ولا لأمريكا ولا للإمبريالية العالمية، وإنما أرى أن المسلمين ضلوا عن دينهم. أنتم — الإيرانيين- نسيتم أيضاً أن الإمام الخميني جاء باللا عنف وغيّر داخل إيران بهذا الأسلوب وهذا شيء كبير، وأنتم لم تعرفوا قيمته حتى الآن وأنتم بحاجة مرة أخرى إلى معرفته من جديد.

إن الثورة الإسلامية عندما التزمت اللا عنف لم يعد الجيش الشاهنشاهي يستطيع فعل شيء في إيران وشُلّ عن الحركة. أنا لا أقول لا تحاربوا إسرائيل، حاربوها وأرسلوا إليها كل الجنود، لكن أنت ممنوع من محاربة إسرائيل لأن البلدان المحاذية لها تمنعك من ذلك. الفلسطينيون في الانتفاضة يقاتلون إسرائيل ويقدمون تضحيات وقد ينتصرون، لكن ماذا بعد ذلك؟ سيصير هناك حاكمٌ ما لفلسطين المحررة، وسيعمل وفقاً للسياسات الإسرائيلية على زج العرب والمسلمين الفلسطينيين في السجون.

إن المشكلة يا سيدي المحترم فينا لكننا نتنصل منها ونكتفي بإلقاء التبعية على الغير إنّ الشيطان هو الذي فعل هذا، ولهذا لما سأله الباري عزوجل: لم لم تسجد؟ قال: ﴿بما أغويتني﴾. إن ابليس افتخر بأصله المادي وقال: أنا من نار وادم من طين وما كنت لأسجد لبشر خلقته من طين. لهذا يا أخي الكريم نحن على مذهب إبليس، وهذا الذي ينبغي أن نخرج منه. ها نحن مخدوعون بالحروب هنا وهناك، يعملون لنا قنابل دخانية ويفتعلون لنا معارك وهمية ليحشدوا القوات في منطقة من أجل أن نغفل عن مشكلتنا الأساسية وإسلامنا وديننا. ديننا صار مجهولا الآن حتى صار من السهل أن يكفر بعضنا بعضا وأن يقتل احدنا الآخر بدعوى الارتداد عن الإسلام.

* أليس هذا نتيجة طبيعية للقراءات الخاطئة للإسلام؟

* لا، هذا نتيجة مواقف سلفنا الصالح، كلهم كانت قراءته هكذا. حتى في عهد العشرة المبشرين بالجنة، طلحة والزبير وحتى عائشة أولئك الذين قاتلوا علي بن ابي طالب، لم يكن لديهم قدرة على معرفة حل المشكلات بغير عنف. وحتى لما تقاتلوا بالعنف لم ينتصر الحق بل انتصر الباطل، لماذا؟ لأن الناس لم يكونوا تثقفوا إسلامياً، والذين تثقفوا ماتوا في الحروب.

هؤلاء الذين دخلوا إلى الإسلام بعد فتح مكة، لم يدخلوه عن إيمان، والقرآن سجل هذا، ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ فهؤلاء انضموا إلى الإسلام بدافع الحصول على الغنائم، وهم الذين انتصروا بعد ذلك في معركة صفين. من أجل هذا ينبغي أن

نحلل تاريخنا أيضاً، وليس هذا من الخوارق. هذه سننية قابلة للبحث، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الحاكم الراشد خذلناه في المعركة ثم قتلناه. ثم من الذين قتلوا علياً؟ إنهم أناس كانوا يقومون الليل ويصومون النهار. وقد تقربوا إلى الله بقتل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، هذا هو الفهم السائد الآن بين المسلمين، وهو أمر يتطلب الاهتمام والمتابعة المستمرة، لان مشاكل هذا الفهم تنفجر في كل مرة، وكل واحد يظن أنه هو الذي وحده المسلم والاخرون ليسوا مسلمين، وهذا أمر يرفضه الدين والعقل والمنطق.

* كيف تنظرون إلى المستقبل الإسلامي؟

** انا لا أخاف أن ينهزم الإسلام، وانا اشعر ان العالم يتهيأ رغما عنه لقبول الإسلام والرشد وحتى الديمقراطية. الامر الذي كان الانبياء يتمنونه في إطار لا إكراه في الدين ولا إكراه في السياسة، فإن أنت استطعت إقناع الناس حلال عليك. أنت تريد مني تعريف الإرهاب، أنا اقول: لا يمكن تعريف الإرهاب مادام هناك طاغوت يقول ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ﴿أنا أحيي وأميت﴾ لهذا عندما نريد أن نفهم التاريخ، سنستيقظ، ولهذا فإنني لما أنظر إلى القنوات الفضائية والحوارات التي تجري على شاشاتها، لا أجد من يفهم الأمور وحتى الذي يفهمها لا يعطيها أذنا صاغية. نحن مازلنا نؤمن بالقوة - كما اسلفت - ومع ذلك نريد أن نصلح ذات البين عند المسلمين، هذا شيء مأساوي. إذ كيف نقول بإصلاح ذات البين والديمقراطية لم تدخل بعد إلى البلاد العربية، والناس مازالوا يؤمنون بالعنف والانقلاب.

* فضيلة الشيخ، برأيكم ما الذي غاب عن بالنا كمسلمين؟

** أقول: نحن مازلنا نمضي قدما في برامجنا لكننا نغفل سنن التاريخ. لقد انقطع عنا الوحي ولم يعد ينزل من السماء بعد النبي الخاتم (ص) لسبب، وهو أن التاريخ صار دليلاً على الخطأ والصواب، بعواقبه، فإن لم تصدقوا انظروا التاريخ. إن أمريكا ستسقط كما سقط الاتحاد السوفيتي وبمجرد أن نستيقظ نحن، لن تستطيع أمريكا أن تفعل شيئاً ﴿الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ وعلينا أن نقول لامريكا: انتم شريعة غاب و نحن نريد أن نصنع منظمة للأمم المتحدة على أسس ديمقراطية، برضا الناس (الشعوب وممثلوهم)، ونحن الذين يجب أن نصنع دستور هذه المنطقة ونلغي حق الفيتو ونقلص تأثير الدول الخمسة الكبرى، على قراراتها الدولية. نريد أن نقول للغربيين بأن هذا الطريق الذي تسلكونه غير صحيح، ونلجأ إلى إبداء أرائنا بلغة العقل والحوار لا بلغة القوة. إن هذا الخطاب الذي أقول به لا يشمل الخارج فقط بل يجب أن يكون سائدا في داخلنا قبل كل شيء، من أجل صلاح المجتمع الإسلامي وخيره. ولعل إقناع الغربيين عندي أسهل من إقناع المسلمين، والسبب

في ذلك هو أن المسلمين مازالوا يريدون فتح العالم من جديد، وتقسيم الغنائم، هذا أمر فات أوانه، ولا أحد يرضى بهذا الخطاب في وقتنا الراهن، لأن الظروف الدولية تتطلب التجديد فكراً وعملاً وتعاملاً. ولهذا فقد ثبت الإيرانيون طيلة الفترة الماضية لأنهم واكبوا العصر، كما أنهم سجلوا تجربة فريدة في الديمقراطية والمشاركة الشعبية وإرساء الدولة العصرية المستنيرة. وفي الواقع كان جميلاً موقف الإمام الخامنئي عندما قال: (لا شرعية خارج جمهور الأمة) وهذا الكلام يعني: إذا لم يخترك الشعب فأنت لست شرعيا. كما انني معجب بالمنهج الإقناعي للرئيس محمد خاتمي وثباته أمام البعض ممن يظنون أنهم مفوضين من الله. إن هذا إنجاز عميق للإيرانيين وإذا ما فقدوه - لا سمح الله - فإنهم سيرجعون ويكونون مثلنا.

* هل من كلمة أخيرة؟

** فقط أريد أن أؤكد لك وأنت تتابع هذا الملف المهم بأننا نعيش مشروعا نهضوياً إنسانيا.. نحن المسلمين إذا ما استيقظنا من غفوتنا سنغير العالم. شروط قيادة التغيير حددها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾، ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ والرسول الأكرم (ص) قال: كلمة واحدة إن تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم العجم ﴿تعالوا إلى كلمة سواء أن لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا﴾ هذا هو شرح كلمة السواء. في الرياضيات نحن نضع خطين متوازيين فقط لكلمة سواء (=) أي بمعنى أعطيك كل الحق الذي أعطيه لنفسي. وإذا أنت أعطيت لنفسك حقاً أن تخطئ. فأنا لا أعطي لنفسي الحق أن أُخطئ، وسأنتصر عليك.

الهوية الإسلامية في مواجهة تحديات الواقع

الأستاذ عبد الرحمن غنيم(*)

* ما هو مصير الهوية الإسلامية في ظل تحديات العولمة؟

** مجرد الحديث عن "مصير الهوية الإسلامية في ظل تحديات العولمة " يعني أننا نسلم مسبقاً بأن العولمة "تشكل خطراً وتحدياً. وأن "الهوية الإسلامية" مهددة بسبب هذا الخطر وهذا التحدي.

وفي تقديرنا إن مثل هذا النمط من التفكير، يعكس حالة من الشعور بالعجز والخوف في عالمنا الإسلامي، ناجمة عن تجربة الماضي القريب مع الظاهرة الاستعمارية، ومع بقايا هذه الظاهرة متمثلة بالتحدي الصهيوني في فلسطين، مثلما يعكس شعوراً بالتخلف الاقتصادي، وعدم القدرة على جسر الهوة بين العالم الإسلامي وبين دول الشمال الصناعية، أو دول الغرب بصفة عامة.

* يميل الكثيرون، كلما جرى الحديث عن "العولمة" إلى استحضار الفكرة القائلة بأن الولايات المتحدة تسعى إلى الهيمنة على العالم من خلال العولمة وأن انتشار قواعدها وأساطيلها في الكرة الأرضية غايته تحقيق هذه الهيمنة. ماذا تقولون في هذا المضمار؟

** ربما ذهب البعض إلى ما هو أبعد من ذلك، فتحدثوا عن خطة يهودية ماسونية للهيمنة على العالم من خلال الولايات المتحدة، وعندئذ فإن خطر العولمة لا يتهدد "الهوية الإسلامية" فقط، وإنما يتهدد المسيحية أيضاً. وتبدو "الهوية" على هذا النحو كما لو كانت ورقة مكتوبة بالحبر السائل، إذا ما تعرضت للبلل طمست مفرداتها! وقد ينظر إلى العولمة من الزاوية الاقتصادية. وتفسر على انها صيغة أميركية للهيمنة على الاقتصاد العالمي.

ولكن علينا بداية ان نقر بأن "العولمة" ظاهرة مرتبطة بثورة الاتصالات ونقل المعلومات، وبمحاولة إيجاد صيغة تنظيمية شاملة للعلاقات الدولية. سواء كانت هذه العلاقات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، فقد بات العالم بفضل ثورة الاتصالات قرية كونية صغيرة، وبات الاقتصاد العالمي بفضل ذلك مترابطا.

(*) رئيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

ومثل هذا الوضع قد يشجع دولة قوية اقتصادية وعسكرية مثل الولايات المتحدة على التفكير بالهيمنة أو على الأقل لعب دور قائد، أوقد يشجع تجمعاً إقليمياً على ذلك. ولكن هذا لا يعني أن العولمة تعمل فقط في خدمة طرف واحد، وأن الآخرين لا يستطيعون تنظيم شؤونهم بما يمكنهم من ضمان مصالحهم وأمنهم. وعموما نحن لا نفهم كيف يمكن لمحاولات الهيمنة أن تطغى على "الهوية" إلا إذا جرت المطابقة بين "الهوية" و "الدور" ولا نظن أن مثل هذه المطابقة صحيحة. فالهوية شيء والدور السياسي والعسكري والاقتصادي شيء اخر إلا بقدر التزام الفاعلية بخصائص الهوية، والتي هي في أساسها ثقافية.

* هل ثمة احتمالات معينة يمكن ان تنتج من التصادم مع ظروف العولمة؟

** ثمة مثال طازج على النتائج غير المتوقعة التي يمكن أن تترتب على الاحتكاك في ظروف العولمة حتى في أكثر الحالات سوءاً. فبعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، اشتد الإقبال المسيحي في أميركا اللاتينية وأوروبا الغربية على اقتناء القرآن الكريم وشراء الكتب التي تتحدث عن الإسلام، مما يعكس رغبة في التعرف على "الهوية الإسلامية" وهو تطور إيجابي بلا ريب. لكن ما هو أغرب من هذا ما أعلنه نهاد عوض رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأميركي من أن أكثر من ٢٤ ألف أمريكي اعتنقوا الإسلام خلال الشهرين التاليين لأحداث ١١ أيلول. وهو أعلى مستوى تحقق في الولايات المتحدة منذ أن دخلها الإسلام!

هناك اية في القران الكريم تقودنا بشكل سلس إلى فهم العلاقة بين "العولمة" و"الهوية" وتؤطر الموقف الذي واجهه الناس في الماضي ونواجهه الآن بشكل واضح ومحدد ووجيز.

يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد ٢٥) لو أردنا بلورة مضمون هذه الآية بلغة العصر، سنجدها تحدد الأطر التالية:

١- الرسل والبينات لتوطيد الإيمان العالمي بالله الواحد الأحد الذي هو رب العالمين جميعا.

٢- الكتاب هو هنا لا يشير إلى التشريع فقط، ولكن أيضاً إلى العلم.

٣- الميزان وهو هنا رمز للعدالة ورمز للتكافؤ في العلاقات التجارية والاقتصادية، سواء كانت محلية أو دولية.

٤- الحديد وبقية المعادن اللازمة للتسليح لبناء القدرة الدفاعية.

٥- الحديد وبقية المعادن اللازمة للصناعة في شتى مجالاتها.

٦- الغيرة للدين، سواء بالتزام الطاعات، أو متابعة الدعوة، أو الجهاد في سبيل الله متى تطلب الموقف ذلك.

* ما هي معالم الهوية الإسلامية في الوقت الحاضر؟

** حين نتحدث عن "الهوية الإسلامية" في وضعها الراهن، فلابد لنا من استعراض واقعنا الإسلامي بالنسبة لهذه البنود الست، لنرى أين توجد نقاط القوة وأين توجد نقاط الضعف.

إننا نمتلك الإيمان، أو نفترض أننا نمتلك هذا الإيمان، ولكن هذا لا يكفي. فنحن خلف غيرنا في مضمار العلم، وغيرنا يمسك بميزان العدل وميزان التبادل التجاري، ويقع بأس الحديد في يد غيرنا، كذلك نحن متخلفون كثيرا عن غيرنا في الصناعة، وإذا كنا نملك نسبيا الغيرة للدين في التزام الطاعات، فوضعنا ليس مثاليا في استغلال تقنيات الإعلام المعاصر لمتابعة الدعوة والانتصار لقضايانا العادلة. كما إن ممارستنا للجهاد دون مستوى ما يستلزمه الموقف. وهناك من يسيئون لمفهوم الجهاد بممارسات تنعكس سلباً على الإسلام والمسلمين، ويسعون إلى وضعنا في زاوية "صراع الحضارات" بديلا للحوار بين الحضارات. حيث التوجيه الإسلامي واضح في قوله تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل ١٢٥) وقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت ٤٦).

* ما الذي ينبغي توفيره إسلاميا في مواجهة تحديات العولمة؟

** إن ما يجب أن نضعه في اعتبارنا ونحن نتحدث عن "الهوية الإسلامية" في مواجهة تحديات "العولمة" هو ضرورة التمييز بين الجانبين الروحي والمادي في الهوية الإسلامية. فعلى الصعيد الروحي كان الإسلام ولا زال وسيبقى صامدا ومتطورا ولا خطر عليه، وأما على الصعيد المادي فالوضع مختلف. فالحضارة الغربية هي التي تمسك بقيادة العالم ماديا، بينما هي تعاني من خواء روحي. والإسلام بحاجة إلى إيجاد نوع من التوازن على الصعيد المادي، ولا نقول التفوق. ذلك أن الغاية المأمول من التوازن او الميزان هي ان يقوم الناس بالقسط في ظل عالم انتفى فيه تاثير المسافات، وسقطت فيه عمليا الامور والحدود التي تفصل الامم عن بعضها البعض وهو عالم أكد الإسلام على أن التكامل فيه أو لنقل "العولمة" من طبيعة الأمور، إذ يقول تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم قبائل وشعوبا لتعارفوا﴾ (الحجرات ١٣).

والتعارف بين القبائل والشعوب لا يقف عند حدود المعرفة، وإنما يشمل كل اشكال التبادل الفكري والمادي التجاري، وبالطبع، فإن المأمول في هذا التبادل ان يكون قائما على التكافؤ. والتكافؤ في التبادل يستلزم تكافؤا في البنى والقدرات. ولن يتحصل هذا التكافؤ إلا بتكافؤ المعارف العلمية لدى جميع الأطراف. وهذا هو الرهان الكبير الذي يواجهه العالم الإسلامي والذي يفرض عليه انفتاحا على الآخرين للحاق بهم، وليس انكفاء على الذات يزيد من أحواله ضعفا، بدعوى أن الدفاع عن الهوية الإسلامية يستلزم هذا الانكفاء. فالهوية الإسلامية الحقة تستدعي التقدم في السباق وليس الانكفاء والانغلاق.

المحور السادس

الإتفاقيات المستحيلة

ندوة دراسة مخاطر اتفاقية واي بلانتيشن دمشق ١٩٩٨

من اليمين الاستاذ عباس البياتي- الأستاذ أبو فاخر- الحاج حسن حدرج- السيد حسين الموسوي- الدكتور علي عقلة عرسان- الصحفي حميد حلمي زاده- الأستاذ خالد الفاهوم- السيد عبد الله نظام- الأستاذ خالد عبد المجيد- الدكتور ماهر الطاهر- الأستاذ رمزي رباح

اتفاق واي بلانتيشن نموذجاً(*)

** مخاطر كبرى حملها هذا الاتفاق المخزي (واي بلانتيشن)، ولأجلها كان من المهم جداً استشراف أبعاده وسياقاته ومعالمه التهويدية، إن على المستوى الفلسطيني الخاص أو على مستوى الأمة الإسلامية جمعاء، بعمل استراتيجي شامل يسلط الضوء على الخبايا، ويحدد المسارات القادمة وفق رؤى ووجهات نظر متعددة.

لذلك دعونا إلى ندوة سياسية موسعة شاركت فيها نخبة من رجالات الفكر والجهاد والعلم من فلسطين وسورية ولبنان وإيران والعراق. وذلك في ١٩٩٨.

ولقد حددت هذه الندوة عدداً من المحاور تناولت مناقشة آثار الاتفاق على صعيد خدمة البرنامج الأمريكي- الصهيوني في المنطقة ومخاطره إقليمياً (عربياً وإسلامياً)، وكذلك دراسة الآليات المطلوبة لمجابهة الأخطار المرتقبة من تنفيذه.

الشخصيات المشاركة في الندوة:

١- الأستاذ حسين الموسوي (أبو هشام) عضو اللجنة المركزية لقيادة حزب الله في لبنان.

٢- الحاج حسن حدرج – عضو المكتب السياسي لحزب الله في لبنان.

٣- الدكتور علي عقلة عرسان – أمين عام الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب (سورية).

٤- العلامة السيد عبد الله نظام – أحد كبار علماء الدين في سورية.

٥- الأستاذ خالد الفاهوم – رئيس المجلس الوطني الفلسطيني سابقاً.

٦- الأستاذ خالد عبد المجيد – أمين عام جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.

٧- الأستاذ أبو فاخر – عضو اللجنة المركزية لحركة فتح/الانتفاضة.

٨- الأستاذ رمزي رباح – عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

٩- الدكتور ماهر الطاهر – مسؤول قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خارج الوطن المحتل.

١٠- الأستاذ عباس البياتي – أمين عام الاتحاد الإسلامي لتركمان العراق.

(*) لقد تم الاتفاق على اتفاقية واي بلانتيشن (واي ريفر) بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٩٨ في واشنطن.

* افتتح الندوة بتوجيه السؤال الأول للأستاذ خالد الفاهوم لماذا ألقت الإدارة الأمريكية بثقلها في اتفاق واي بلانتيشن؟

**أ. الفاهوم:

في الحقيقة أن نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل عرف من أين تؤكل الكتف لذلك فقد حضر لواي ريفر وهو يعرف حق المعرفة أن الرئيس كلينتون في أسوأ أوضاعه وأضعف مراحله وبالنظر لموضوعه الداخلي الذي يعرفه الجميع حق المعرفة وبالرغم من ذلك حاول الرئيس كلينتون أن يستثمر هذا اللقاء ليضغط على الوفد الفلسطيني إذ أن نتنياهو يمارس الضغط عليه وهو يضغط على الوفد الفلسطيني الذي صمد ثمانية أيام ثم انهار في اليوم التاسع.

وهنا لا بد للمرء أن يتساءل ما هي الغاية من الإصرار على توقيع هذا الاتفاق؟ هنا سأتكلم باختصار شديد أولا إنه موضوع شخصي يخص الرئيس الأمريكي بعد الفضيحة الجنسية، حيث تدنت شعبيته ويحاول كلينتون الخروج من هذا المأزق عبر إرضاء إسرائيل من خلال وجهها في اللوبي الصهيوني ويرضي وجهها الآخر في الكونغرس عله يستمر في منصبه كرئيس للجمهورية.

إذا يريد أن يحسن وضعه وصورته على الصعيد الداخلي وخاصة أنه أمام استحقاقات الانتخابات النصفية أو الفرعية حيث انهم سينتخبون مجلساً للنواب البالغ عددهم ٤٥٠ نائباً وثلث أعضاء مجلس الشيوخ ٣٢ عضواً وحوالي عشرين حاكم ولاية إذاً فالانتخابات مهمة بالنسبة للحزب الديمقراطي وخاصة أن الجمهوريين لهم الأكثرية في المجلسين لذلك يريد الرئيس تحسين صورة الإدارة الحاكمة من جهة والحزب الديمقراطي من جهة أخرى ويكسب اللوبي اليهودي الصهيوني ليساعده على النجاح في الانتخابات.

ملاحظة أخرى وهي أن عرفات سيعقد المجلس الوطني الفلسطيني لإلغاء ٢٦ مادة من أصل ٣٣ مادة من الميثاق وهذا ليس تعديلاً بل هو إلغاء الميثاق وكلينتون سيحضر هذا الحفل، وهذا غريب أن رئيس أكبر جمهورية في العالم وأقواها يأتي إلى غزة، لماذا يأتي إلى غزة إنه يريد الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط بشكل كامل ونحن نعرف أن معظم الحكام العرب مع أميركا والأميركان يحاولون اليوم إخضاع وإضعاف سورية والجمهورية الإسلامية في إيران.

- **اتفاق واي بلانتيشن في نقاطه الهامة:**

أولاً: انسحاب إسرائيلي من ١٣/١٪ من الضفة الغربية ١ ٪ من المنطقة (أ) و ١٢٪ من المنطقة (ب)، ٣/ ٩ محميات سيكون المجموع ١٣٪ والانسحاب من ١٤/٢٪ من المنطقة (ب) لصالح المنطقة (أ) وبذلك تكون ٤٠٪ من الضفة الغربية و٦٥٪ يسيطر عليها الاحتلال الإسرائيلي و ٦٥٪ من غزة تحت

السيطرة الفلسطينية و٣٥٪ تحت سيطرة الاحتلال. عندي خارطة سوف أعرضها عليكم فيها المنطقة (أ ، ب، ج).

(أ) منطقة فلسطينية هي عبارة عن قطعة من الأرض مفصولة عن بعضها البعض أما المنطقة (ب) هي منطقة أمن مشتركة ومساحتها ٢٢٪ . (ج) وهي المنطقة البيضاء مساحتها ٦٠ ٪ من الأرض.

وهذا يعتبر تفريطا بالأرض لابد أن أكون صريحاً، الرئيس السادات بالرغم من موقفنا منه في اتفاقيات كامب ديفيد فإنه كان يقول إنه لن يفرط بذرة من تراب سيناء.

والرئيس حافظ الأسد قال في أكثر من موقف ومناسبة أنه لن يفرط بشبر واحد من تراب الجولان لماذا اليوم يفرط عرفات بفلسطين؟ والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم على أكثر من صعيد لماذا يطلب من الفلسطينيين أن يفرطوا؟ إن هذا أكثر من التفريط وهذا هو أسوء شيء من الممكن أن يقدم عليه عرفات. وأضيف أن هناك حكومات عربية تحرضه وتشجعه للموافقة على الاتفاقات وحتى مصر تقول أنها موافقة على هذا الاتفاق. الغريب أن ال"سي أي إيه" تأتي بشكل معلن إلى غزة لضرب المقاومة الفلسطينية بشكل عام وحماس والجهاد الإسلامي بشكل خاص. اسمحوا لي أن أستعرض بعض التفاصيل الهامة عن اتفاق واي بلانتيشن.

يقر الطرفان بأنه من مصلحتهما الحيوية محاربة الإرهاب ومكافحة العنف طبقاً للملحق رقم واحد للاتفاق الانتقالي ومذكرة الحفظ ويسلمان أيضاً بأن مكافحة الإرهاب والعنف يجب أن تكون عامة وبأن تشمل بنية الإرهاب والبيئة المشجعة لدعم الإرهاب ويجب أن تكون "مكافحة الإرهاب" مستمرّة تعاونية على المدى الطويل بحيث لا يحدث توقف في التحرك ضد الإرهابيين وبناهم.

أولاً: الأعمال الأمنية:

أ- تحييد ومكافحة التنظيمات الإرهابية.

ب- سيعلن الطرف الفلسطيني إنهاء سياسة التسامح الخيار، صفر مع الإرهاب والعنف ضد الطرفين.

ج- يضع الطرف الفلسطيني خطة عمل يتم تقاسمها مع الولايات المتحدة على أن يبدأ تنفيذها على الفور لضمان مكافحة منهجية وفاعله ضد المنظمات الإرهابية وبناها.

د- إضافة إلى التعاون الثنائي الإسرائيلي- الفلسطيني حول الأمن فإن لجنة أميركية- فلسطينية ستجتمع خلال أسبوعين لبحث الإجراءات المتخذة لإزالة الخلايا الإرهابية وبنى الدعم التي تخطط وتمول وتدعم الإرهاب إضافة إلى هذه الاجتماعات فإن

الطرف الفلسطيني سيطلع الإدارة الأمريكية بشكل كامل على الأعمال التي يقوم بها ليجعل من التنظيمات أو فروع التنظيمات ذات الطابع العسكري الإرهابي أو العنيف خارجة على القانون مع بنى دعمها ولمنعها من التحرك انطلاقاً من المناطق الواقعة تحت سلطته وقوانينه.

ويعتقل الطرف الإسرائيلي الأفراد المشتبه بقيامهم بأعمال عنف وإرهاب بهدف إجراء تحقيق إضافي ويلاحق ويعاقب كل الأشخاص المتورطين في أعمال عنف وإرهاب.

- **منع التحريض:**

استنادا إلى ما هو متعارف عليه دوليا في هذا المجال وطبقا للمادة /١٢/ من الاتفاق الانتقالي ومذكرة الحفظ سيصدر الطرف الفلسطيني مرسوماً يحظر أي شكل من أشكال التحريض على العنف والإرهاب ضد إسرائيل وينشئ اليات للتحرك بشكل منهجي ضد كل عبارات أو تهديدات بالعنف مثل التعليم والمناهج ونصوص من القران الكريم وهذا المرسوم سيكون مشابهاً لمرسوم إسرائيلي يتناول نفس الموضوع.

- **التعاون الأمني:**

اتفق الطرفان على أن يستند تعاونهما في مجال الامن على روح الشراكة وتتضمن المذكرة على الإجراءات التالية:

أ- تعاون ثنائي سيكون هناك تعاون ثنائي عام في مجال الأمن وسيكون متواصلاً وكثيفا وشاملا.

ب- سيجري تبادل الخبرات البوليسية والقانونية في مجال التدريب وأشكال أخرى من التعاون.

ج- لجنة ثلاثية إضافة إلى اللجنة الثنائية والتعاون الإسرائيلي الفلسطيني في مجال الأمن ستجتمع لجنة رفيعة المستوى أميركية- إسرائيلية- فلسطينية كلما دعت الحاجة مرة كل اسبوعين على الأقل لتقويم التهديدات القائمة ومعالجة العقبات التي تعترض قيام تعاون وتنسيق فاعل في مجال الامن وتوجيه الخطوات المستحدثة لممارسات الإرهاب والمنظمات الإرهابية.

و ستستخدم هذه اللجنة مندوب لمتابعة مسألة الدعم الخارجي للإرهاب يعني إذا دعمت سورية أو إيران أو بلد آخر يجب متابعته لأنه دعم للإرهاب كما يسمونه و سيطلع الطرف الفلسطيني بشكل كامل أعضاء اللجنة على نتائج التحقيق التي يجريها مع المشتبه بهم من الإرهابيين الذين تم اعتقالهم وسيتبادل المشاركون اي معلومات إضافية لازمة.

- النقطة الثالثة هي مسألة الميثاق:

أما أن مسألة الميثاق لي الشرف أن أكون أحد واضعي أسس هذا الميثاق منذ أيار عام ١٩٦٤ في المجلس الوطني الفلسطيني الأول وبذلنا جهداً كبيراً وكان السيد أحمد الشقيري رحمه الله رئيس اللجنة التنفيذية قد طرح مشروع الميثاق في كل البلدان العربية وتم عرضه على الفلسطينيين في الشتات في سورية ولبنان والأردن والكويت والعراق والإمارات وغيرها وتم صياغة الميثاق صياغة نهائية حيث اصبح الدستور الذي يشكل جزءاً من شخصيتنا وهويتنا الوطنية واليوم أي إلغاء للميثاق يعني إلغاء منظمة التحرير الفلسطينية.

كما أن إلغاء الميثاق يعني تنكراً لحق شعبنا وشرعية نضاله الوطني وهذا يعني اننا أصبحنا قتلة وإرهابيين أمام شعوب العالم ولا نمت للنضال الوطني بصلة إن إلغاء الميثاق شيء خطير جداً وهنا لا يكفي أن نحلل، يجب أن نفكر بالعقل وهناك مسائل أخرى يجب أن نتحدث عنها مثل المطار و الممر الأول ولكن لا يكفي ان نخطب يجب أن نفكر بالأمر ونقول ما العمل؟ اميركا ليست دولة صغيرة وليست ضعيفة كما قال لنا ماوتسي تنغ عندما كنا في زيارة للصين عام ١٩٦٥ قال: لا تخشوا من الأميركان لانهم نمر من ورق لكنهم لهم أنياب ويريدون السيطرة على المنطقة وإخضاعها وإخضاع شعوبها وسيطبق عليها ما يطبق على الفلسطينيين والمقصود هنا سورية وايران الإسلامية وموضوع الطالبان الآن وهذا ليس مقبولاً لأنه سيضعف الإسلام والمسلمين.

* نتوجه بالسؤال للدكتور علي عقلة عرسان عن الموقف السوري من هذا الاتفاق؟

** د. عرسان:

إن اتفاق واي بلانتيشن حلقة من حلقات أوسلو التي كانت في الأصل اتفاقاً رديئاً جدا بالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني وكل ما يتصل بنضاله الوطني لأنه في اتفاق أوسلو أصلاً نص على الكثير مما تمت الاشارة إليه ومن ذلك تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني وجعل سلطة الحكم الذاتي ممثل الشعب الفلسطيني وهي في حقيقة الامر أداة من أدوات الإدارة الامريكية وإسرائيل لوضع حد لصمود ومقاومة الشعب الفلسطيني وهي كما ذكر "اتفاق أوسلو" مروّج ومسوّق للكيان الإسرائيلي عبر النظام العربي من خلال الاتفاقيات الاقتصادية والمؤتمرات التي عقدت وما تم من تعطيل التنسيق العربي الضئيل بين الأطراف العربية بعد مؤتمر مدريد كان هدفه موقفاً عربياً ورؤية على أرضية مدريد التي قبل بها الساسة العرب ولم تعجب الشعب العربي ولكنها أرضية تم فرضها بعد جملة التغيرات العربية والدولية.

إن هذا الاتفاق وفي هذا اليوم وبهذه الصيغة يضعنا أمام جملة من الحقائق الجديدة عمل من أجلها اليمين الإسرائيلي وتوصل في النهاية لتحقيق أهدافه وهي:

استفراغ الكثير مما تم النص عليه في أوسلو وهو رديء في مضمونه وجعل السلطة الفلسطينية تخسر كلياً الحلم بكيان يسمى دولة وتحويلها بموجب الاتفاق الذي تم بإشراف كلينتون إلى سلطة تابعة بشكل فعلي للاستخبارات الأمريكية CIA والموساد الصهيوني، حيث ستقدم خطة أمنية للولايات المتحدة الأمريكية وتقرَها إسرائيل حيث يبدأ التنفيذ بإشراف CIA التي لم تكن بعيدة عن الكثير من الخطط والسياسات والأعمال التي تنفذ تحت الأرض ولكنها هذه المرة هي مكلفة عملياً بالإشراف وكأنه أمام العالم أجمع نحن أمام سلطة دخلت مجندة في CIA والموساد وهذا ما يعيدنا بالذاكرة إلى قمة شرم الشيخ بعيد عملية بيت ليد إذ في ذلك المؤتمر أقرت توجهات لتعاون أمني في المنطقة لمقاومة ما يسمونه بالإرهاب وأن تتعاون دول كثيرة في هذا المجال ومنها دول عربية وكان على رأس الذين تدفعهم حماستهم لهذا تركيا والولايات المتحدة وبريطانيا بالإضافة لدول أخرى من الدول التي حضرت وشاركت في هذا المؤتمر نحن ننتقل الآن لصيغ عملية لتنفيذ هذا الذي تم الإعلان عنه في شرم الشيخ وهو ليس بعيدا أصلاً عن اتفاقيات أوسلو إذ في الاتفاق نص يبدو أن صيغته المعلنة جديدة ولكنه ضمن بصورة مراوغة قبول النص في فقرة الأمن رقم ٢.

بمقتضى بنود الترتيبات الأمنية وافق الجانب الفلسطيني على اتخاذ جميع التدابير الضرورية من أجل التصدي لممارسات الإرهاب ضد الجانب الإسرائيلي هذا النص حسم نهائياً عملية المراوغة من خلال البيان الذي أصدره كل من عرفات ونتنياهو بعد العملية التي تمت في ذلك الوقت باتهام مريع للمقاومة الفلسطينية بكل أشكالها بأنها إرهاب واستثنى من ذلك ما يقوم به الجانب الإسرائيلي لكن ألصقت بموجب الاتفاق والإعلان الذي تم في واي بلانتيشن وبموجب صيغ العمل تهمة الإرهاب بكل المقاومة الفلسطينية ومعنى هذا أن العالم شُحن بأشكال مختلفة عادلة وغير عادلة ضد الإرهاب حتى أصبح يرى كل عمل فلسطيني مقاوم وكل مقاومة على أرض تحتلها إسرائيل هو إرهاب ومن هذا المنطلق فإن الجانب الإعلامي سيلعب دورا خطيراً ليس ضد العمل العسكري فقط بل ضد كل أشكال السياسة الإعلامية والثقافية بشكل عام لأن كل أشكال العمل ستدخل في مجال الإرهاب أو التحريض عليه وقد جاءت فقرة في الميثاق تنص على ما يمكن أن نسميه وضع قناع مزدوج على الوجه الأمريكي الذي يحاول أن يتذرع بحقوق الإنسان فأخرج هذه القضية، قضية منع التحريض وقضية الدعوة لصمود المقاومة من مجال حقوق الإنسان لأن حرية التعبير حق من حقوق الإنسان مصانة لكنه أخرجها بموجب هذا النص الذي ورد في الميثاق وجعل هذا لا يتعارض مع حقوق الإنسان وهو الفقرة الرابعة من الميثاق حيث قال حقوق الإنسان بحكم القانون وفقا للمادة "١١" من

الاتفاق وبدون الإخلال بما سبق ذكره من الاتفاق (تمارس الشرطة الفلسطينية سلطاتها وتتحمل مسؤولياتها في تنفيذ ذلك الاتفاق وفقا للأعراف المتفق عليها في مجال حقوق الإنسان) إذن أخرجت كل الممارسات التي تقوم بها السلطة الفلسطينية التي ترسم لها الخطة وتشرف على تنفيذها CIA والموساد فيما يتعلق بمجال حقوق الإنسان على أنها قضايا تتعلق بحقوق الإنسان فالاتفاق أيضا قدم أو أملى على السلطة الفلسطينية أن تقدم لائحة بأسماء الشرطة الفلسطينية وهذا يعني أن هؤلاء أصبحوا مجندين لدى أجهزة الأمن الصهيونية عن طريق السلطة الفلسطينية وسيخفض عدد هؤلاء إلى "١٢ ألف شرطي" وستسحب كل الأسلحة وسيلاحق الناس بقضايا الأسلحة.

إذا نحن دخلنا في عملية تقوم بها سلطة الحكم الذاتي فهي بالتأكيد عملية أمنية مطلقة لإبادة الإرادة الفلسطينية وإبادة المقاومة الفلسطينية بعد أن حكم عليهما إما أن تكونا مع عرفات أو في مواجهة الاتفاق ومناهضته وتحرض على الإجراءات المتخذة هذا أحد الجوانب الخطيرة لهذا اتفاق.

* دكتور كيف تنظرون إلى عملية إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني؟

**** د. عرسان:**

إن موضوع الميثاق، إلغاؤه أو التأكيد على رسالة عرفات السابقة للرئيس كلينتون بضرورة إلغائه وحضور الرئيس كلينتون عمليا للاجتماع الذي سيلغي الميثاق هو نوع من التكريس الذي تم في ظل الإجماع العربي والفلسطيني الرافض لموضوع تكريس الاحتلال الصهيوني على حساب الشعب الفلسطيني وانتزاع المبادرة الشرعية من الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الأرض المحتلة ولهم حق يطالبون به وهناك احتلال سيقاومونه وسنوجه الدعوة للمجلس الوطني بصيغة رسالة من قبل رئيس المجلس الوطني على قاعدة من يحضر ومن لا يحضر لكن رئيس المجلس وجه رسالة عمليا وبالمثل رئيس اللجنة التنفيذية والمجلس التشريعي والمنظمات الشعبية وغيرها والوزارة أي سيقولون أن من يمثل الشعب الفلسطيني بصيغة منظمات نقابية أو هيئات نقابية أو مجلس وطني أو مجلس تشريعي أو سلطة تنفيذية كل هؤلاء حضروا من أجل حضور الرئيس كلينتون والجانب الآخر الذي سيوصل إليه اتفاق واي بلانتيشن هو موضوع ما يسمى الدولة الفلسطينية عندما يعلن نتنياهو على القائمين على الاتفاق أنه لا توجد سيادة بالمطلق على الأرض لكنه توجد سيادة للشعب فقط ولا يوجد جيش ولا وزارة للخارجية ولا تمثيل دولي حقيقي ثم ليعلن دولته كيفما يشاء إذا كنا نحافظ على الشكل والشكل فقط إذن فالقضايا فارغة من مضمونها بالإضافة إلى أنه بعدما تسلم شارون وزارة الخارجية يقول وكلهم يقولون أن الجانب

الفلسطيني لن يحصل على أكثر من ١٪ بالإضافة لما تم إعطاؤه سابقاً إذاً عملياً نحن نبيع كل فلسطين مقابل نسبة ٤٠٪ من الضفة الغربية وهذه النسبة لا توجد عليها أي سيادة ولا يحق لأبناء فلسطين الذين يعيشون خارجها أن يزوروها إلا بموافقة إسرائيلية فقط.

إن هذا الاتفاق في حقيقته كارثة ونهاية حتمية وإذا قيل فيه تفريط فهو اكثر من التفريط ولا بأس أن تقال هذه الحقيقة.

*** ما هي انعكاسات هذا الاتفاق على سورية ولبنان والأمتين العربية والإسلامية؟**

**** د. علي عقلة عرسان:**

إن هذا الاتفاق يقدم وفي هذا الظرف والتوقيت مع نمو التحالف التركي الإسرائيلي مع نمو جهات أخرى تدخل في هذا التحالف وتعلن عن نفسها بأشكال مختلفة أن ما ينتظر سورية وما ينتظر لبنان هو شيء مما يرضى عنه نتنياهو أو لا يكون شيء وإلا فان الضغط حاصل وقائم هناك قوة من التحالف مستنفرة على الحدود الشمالية السورية وهناك قوة مستنفرة في جنوبها وهناك احتلال والقوة السورية موزعة على جبهتين والحصار قائم بأشكال مختلفة والولايات المتحدة الأمريكية التي دفعت العرب إلى الهرولة من جديد حيث بدأها وزير خارجية موريتانيا سوف يزحفون إلى جانب إسرائيل بأمر أميركا والذين لا يزحفون سيكونون مناصرين للإرهاب وسوف يتوجب على المجتمع الغربي ودول العالم ومجلس الأمن أن يلاحقهم بصفتهم إرهابيين إذا على سورية أن ترضى بواي بلانتيشن أخرى على غرار واي بلانتيشن عرفات ونتنياهو وكلينتون وعليها أن تتنازل عن دورها القومي ودورها في المنطقة وهذا هو المطلوب.

الأرض يمكن الحديث عنها ولعب دوراً قومياً على أساس تبني القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني والعلاقة مع إيران واللقاء معها على أساس عالم إسلامي مغاير في التخطيط والاستراتيجية والتفكير هذا ممنوع بالنسبة لإسرائيل وأميركا لان التحالف التركي الإسرائيلي الأمريكي الأردني يريد ترتيب أوضاع المنطقة بما ينسجم والجيوسياسية ويتلاءم مع مصالح الأميركان والصهاينة والجنرالات الأتراك يريد أن يضع المنطقة تحت السيطرة الاستعمارية لأركان هذا الحلف بما يحقق حصاراً للجمهورية الإسلامية بحجة امتلاك الأسلحة المتطورة وذلك لحماية المصالح الأمريكية في بحر قزوين (الخزر) حيث النفط والغاز يحمي أسواقها في آسيا الوسطى ويمنع أي نهضة إسلامية أو تواصل إسلامي او اي عمل جديد.

وأنا فوجئت لحظة التوقيع عندما ظهر على المنصة ثلاثة بالدرجة الاولى يتقدمون الركب وهم صموئيل برغر مستشار الأمن القومي وهو يهودي، ووليم كوهين وزير الدفاع الأمريكي وهو أيضاً يهودي، ومادلين أولبرايت وزيرة الخارجية وهي يهودية وتعتز بصهيونيتها

وبعد ذلك نظر إلى الركب آلغور نائب الرئيس الأمريكي وهو متحمس للصهيونية أكثر من الصهاينة أنفسهم ثم كلينتون أسير فضيحة (مونيكا غيت) ثم ظهر اثنان من العربان واحد منهم يوقع ويده ترتجف والآخر يصفق والسرطان ينهش أحشاءه وكلاهما على حافة قبره.

فالقضية يعني وببساطة ليست قضية يهود وعرب، اليهود والصهاينة يشرفون على مفاوضات بين العرب واليهود وكلهم يدعمون الصهاينة ويحطمون العرب والقضية لماذا نضع أنفسنا في قفص اليهود والصهاينة في كل المجالات؟، اميركا هذه هي التي تساق بالقوة الصهيونية بشكل أو بآخر وهذا الاتفاق لمصلحة اليهود والصهيونية مئة بالمئة وضد مصلحة الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية بشكل كامل وبقي أن نقول أنه بمجرد أن عاد النتن ياهو إلى فلسطين المحتلة بدأت عملية بناء المستعمرات وعملية تهويد القدس وقال شارون كلمة لها مغزاها عندما سئل كيف وقعتم وكيف وافقتم.؟ فقال هذا كلام لكنه مكتوب على الورق، والعرب عندهم مثل يقول الكلام ليس عليه جمرك، وهذا الكلام أنا أضيف أنه ليس للتنفيذ لأنه كل خطوة ينفذها الفلسطينيون سيتقدمون نحو الحرب الأهلية الفلسطينية — الفلسطينية يعني عندما يوغل الفلسطيني بدم أخيه الفلسطيني يقدم الإسرائيلي الجزرة أو الجزرة أكثر فهل هذا اتفاق وهل هذا سلام وهل هذا عدل وهل هذه شرعية لسلطة الحكم الذاتي.، إنها حقا لا تمثل م.ت.ف التي قامت على حق وقامت على ميثاق حق ويجب أن تستمر على ذلك.

أما الواقع الجديد الذي وضعها في واي بلانتيشن فلأن السلطة هي جزء من الاحتلال أو هي تحت الاحتلال وعلى الشرعيين الذين حرموا من الأرض ويناضلون من داخلها أو خارجها ويلتزموا شرعيتهم شرعية م.ت.ف وسلطتهم الوطنية منهم فما دام الشعب العربي الفلسطيني موجوداً يبقى الميثاق موجودا.

** **السيد حسين الموسوي :**

أمام ما يجري اليوم لا نستطيع إلا أن نتذكر إمامنا الخميني (قدس سره) عندما قال إن إسرائيل غدة سرطانية يجب إزالتها من الوجود كما تذكرت سماحة الإمام موسى الصدر عندما عبر عن إسرائيل بأنها شر مطلق وأن كل مصائبنا من أميركا وهذا كلام الإمام الخميني قاتلوهم بأسنانكم وأظافركم حتى إذا لم تبق حجارة أو لم تبق سكاكين، المطلوب أن نقاتل بالأسنان والأظافر لان الصراع مع العدو الصهيوني صراع وجود، فهم يستهدفون وجودنا كعرب ومسلمين المطلوب بناء وجودنا المسألة ليست مسألة دولة عرفات ولا المجلس البلدي لعرفات المسألة مسألة إنهاء وجودنا وجود الأحرار والشرفاء وسوف أركز على المحور الثالث وهو مخاطر الاتفاق على القضية الفلسطينية.

عندما يستعد الذين سموا أنفسهم مسؤولين عن القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ويبدون استعدادهم للتنازل عن البنود الأساسية للميثاق الوطني الفلسطيني فمعنى ذلك انهم وافقوا على تصفية القضية الفلسطينية وعندما يسلموا أهلنا وشرفاءنا وشيوخنا ونساءنا في فلسطين المحتلة للمخابرات المركزية الامريكية يعني ذلك إنهاء القضية من خلال إنهاء الشعب ويشترط المحتلون الطغاة الأمريكيين والصهاينة النطق بالعربية حتى لا يكون هناك ترجمة ويسمع كل عربي ونحن لم نكن نتصور أن يصل الإذلال والإذعان لهذا المستوى ١٠٪ أو ١٨٪ أو ١٪ وحتى الواحد بالمئة إذا استطاعوا لن يبقوه لصالح أي فلسطيني أو أي مسلم فلسطيني حسب زعمهم انها لهم ونحن لم نكن في يوم من الأيام من أصحابها وأهلها فالمفروض استعادتها كلها وهم لا يكتفون بفلسطين لأن مشروعهم أبعد بكثير من ذلك فالمشروع المعلن هو من الفرات إلى النيل ولكنهم ينظرون للعالم كله يجب أن يكون تحت سيطرتهم.

إن الخطر على فلسطين خطر كامل وشامل في هذا الاتفاق فهم لم يشيروا لا من قريب ولا من بعيد إلى إنشاء المستعمرات سواء في غزة والضفة وفي كل مكان والقدس لذلك فإن اتفاق المصالح الأمريكية الصهيونية يستهدف كما أشرتم وأشار أخي الكريم كل بيئة مشجعة على ما يسمونه إرهاباً وكما تحدث الاخوة فإنهم لم يكتفوا بإلغاء الميثاق، في كامب ديفيد. ألغوا نصوصاً قرانية كريمة يعني أنهم يلغون ديننا وأنفاسنا وحريتنا إنهم يريدون إلغاء كرامتنا وكل شيء وليس إلغاء بعض الحقوق لإخواننا من أبناء الشعب الفلسطيني وأما بالنسبة لمذلة إلغاء كرامتنا فسنتحدث عنها في المستقبل. عندما يسأل شارون عما تنازلتم يجيب مجرد حضورنا معكم تنازل يعني وكما قال لن أصافح عرفات وهو لم يصافح عرفات يعني أنا أفهم أن يستهدفنا الآخرون يستهدفون كرامتنا ولكنني لم أفهم ولا أستطيع أن افهم أن نسلم كل شيء لإنسان يخسر كرامته وأخرته من أجل دنياه بعد أن يخسر من أجل غيره ولا يستفيد هو ولا أحد من حوله فهذا أمر لا نستطيع أن نفهمه.

وهذا يعني أن عرفات ومن حوله هم أجراء عملاء للصهاينة يؤمرون فينفذون فهم لا خيار لهم ولا حول لهم ولا قوة على هذا الأساس فان قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعا والقدس قدس المسلمين جميعا قدس الأحرار في كل مكان وليست مسؤولية إخواننا وأهلنا في فلسطين وحدهم هذه الأمة أمة الإسلام إن تستطيع تثبت أنها حية او انها ميتة، هذا الاتفاق هذه الهجمة هذه الجولة أننا بصدد الحديث عنها المفروض أن نثبت أمامها، إننا أحياء ونستحق الحياة وإذا لم تتحرك الأمة للدفاع عن وجودها. عن حياتها وكرامتها، فهذا يعني أنها طعنة مسمومة يجب أن ننتفض للدفاع عن وجودنا ومقدساتنا وعن مصالحنا وأحب أن أكرر ما أشار إليه الأمين العام لحزب الله في بيروت خلال مهرجان الأمة أنه لا نستطيع أن نتصور عدم وجود سكاكين بيد الشعب الفلسطيني فالذي لا يجد بندقية لا بد أن يجد سكينا هم مكلفون بحماية هذا الاتفاق من خلال تحقيق الأمن للمستوطنين

جميعاً للإسرائيليين ويسقط اتفاق عندما يسقط أمن هؤلاء المستوطنين المحتلين. فالواجب يحتم علينا جميعاً في فلسطين وخارجها أن نقتلهم ونقاتلهم، فالكل مستهدفون، فالمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان وجبل عامل والبقاع الغربي لم تدخر جهداً في قتالهم والقيام بدورنا بحمد الله ولطفه ولم ولن نقصر في مقاومة ومقارعة الأعداء المحتلين، فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ولا تركنوا للذين ظلموا فتمسكم النار﴾، وهذا الاتفاق اتفاق الظالمين ونحن لا نستطيع أن نركن للظالمين حتى لا تمسنا النار، نار الخزي والعار في الدنيا والندم والخسران في الآخرة، فإسرائيل غدة سرطانية يجب إزالتها من الوجود فهذا شعار الإيمان شعار الحق ونحن نسأل الله تعالى أن يتمكن الأخوة في فلسطين، في لبنان وسورية وفي إيران وفي كل مكان هناك الشرفاء والأحرار الجديرون بالحياة وبنصر الله والحمد لله.

*** ننتقل بالحديث مع الأستاذ عباس البياتي راجياً إياه استعراض الموقف عراقياً؟**

** الأستاذ عباس البياتي:

لا شك أن الجميع يعلم ما وصلنا إليه من تداعيات حرب الخليج الثانية "غزو العراق الكويت" وقبلها حرب الخليج الأولى التي شغلت الأمة عن قضاياها الأساسية من خلال فرض الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي استمرت نحو ثماني سنوات، وما جرته تلك التداعيات من اتفاق أوسلو ومن ثم واي بلانتيشن. كان من الممكن أن تشكل قوة الشعبين المسلمين في إيران والعراق، رصيداً قوياً للأمة في معركتها الحضارية مع العدو الصهيوني. ولكن العراق خرج نهائياً من المعادلة الإقليمية فدمر القدرات والاقتصاد، الأمر الذي شكل طعنة للتضامن العربي عبر تسفيه حركة الشعارات المتعلقة بفلسطين وتحرير القدس.

التداعيات كانت نتيجة للحجر الذي ألقى في المستنقع الراكد ليحدث دوائر عدة. وها نحن اليوم نصل للدائرة الثانية منها. أما ماذا ستكون عليه الدائرة الثالثة والرابعة فالله وحده يعلم كنهيهما كما تعلمون أن المفتش الأمريكي سكوت ريتر كشف نفسه أنه زار إسرائيل أكثر من خمس مرات ما بين عامي ٩٧-٩٨. وأكد أيضاً تنسيقه مع الجانب الإسرائيلي معلوماتياً، بصدد كمية الأسلحة العراقية وحجم التسلح، وقد زود الجانب الأمريكي بهذه المعلومات وزود أيضاً لجنة سكوم بكل ما يرتبط بقضية التسلح.

بالأمس قطع العراق علاقته مع لجنة التفتيش الدولية، ومنعها من التفتيش. وبذلك استفاد من حالة الغضب العربية نتيجة اتفاق واي بلانتيشن، ومن الحالة الجماهيرية العربية والإسلامية ليطرح الملف العراقي للتداول، تسويقاً لشعاراته وقضاياه[*].

(*) ورد الحديث قبل الاحتلال الأمريكي للعراق.

في هذا السياق، تم التساؤل حول أبعاد استراتيجية التفاوض بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني وعليه نقول: إن المفاوض الفلسطيني انطلق، من أن الوضع العربي عاجز وعليه أن يقبل بما تجود عليه به الإدارة الأمريكية وحليفتها الصهيونية، وزير العدل الفلسطيني مزيج أبو مدين قال في تصريح له أن ما تم التوصل إليه جاء، في ظل حالة من العجز العربي، بعدما رفضت الأنظمة العربية عقد قمة عربية، أصر عرفات على عقدها على مدى شهرين، هذا اعتراف وزير في السلطة الفلسطينية بخصوص ما توصلوا إليه في هذا الاتفاق.

الأمر الثاني، لقد استندت استراتيجية التفاوض الفلسطيني على قاعدة، ليس بالإمكان أفضل مما كان.

إن هذا الشعار الاستسلامي، قاد المفاوض الفلسطيني إلى الانهيار والاستسلام والانحدار.. وهذا ما جعل الجانب الإسرائيلي يدعم ويساند الأمريكان بفرض الشروط والإملاءات على الآخرين.

والأمر الثالث، إن هذه النقطة عبر عنها عرفات، الذي اعتمد دبلوماسية التفاوض، وقال نحن أمام خيارين، أما العمل الدبلوماسي، وإما الحرب الأهلية، التي ستقضي على حوالي نصف مليون فلسطيني، كما قضت الحرب الأهلية في لبنان، على ١٥٠ ألف لبناني.

وهكذا حسم الخيار لصالح العمل الدبلوماسي. وذهب عرفات في مراوغته أملا بالحصول على أرض، قاتل أبناء الشعب الفلسطيني والعربي من أجلها وبذلوا دمهم من أجلها.

أما استراتيجية التفاوض الإسرائيلية فكانت خلافاً لاستراتيجية المفاوض الفلسطيني.

انطلق نتنياهو من خلفية نصيحة والده بالتكتيك المرن ليحطم أوسلو، دون أن يخسر الغرب الأوروبي وأميركا، في حين أن المفاوض الفلسطيني فاوض من أجل التفاوض فقط.

وعلى ذلك سعى نتنياهو لابتزاز الجانب الفلسطيني من جهة، والجانب الأمريكي من جهة أخرى، فأدخل عناصر من خارج الوفد المفاوض، إلى المفاوضات، وهكذا استطاع المفاوض الصهيوني أن يربط بين مسألة الجاسوس جوناثان بولارد، وعزام عزام، بقضية التوقيع على الاتفاق، ولما ضمن النتيجة، تم التوقيع على الاتفاق.

إن استراتيجية المفاوض الفلسطيني قائمة على الوهم. أما المفاوض الصهيوني فقد اعتمد الرعاية الأمريكية المنفردة دون مشاركة أحد، بينما لم يشاهد أحد المبعوث الأوروبي إلا في لقاءات عابرة مع الوفود.

وبخصوص المرجعية، فقد استبدلت بلقاءات ثنائية منفردة بين المفاوضين الفلسطينيين، والمفاوضين الصهاينة، تلك اللقاءات كانت، وما زالت وبالاً وكارثة حقيقية في ظل اختلال ميزان القوى لصالح العدو، ومعروف إن مبادئ مؤتمر مدريد قامت على الارض مقابل السلام، أما الآن فقد أصبح الأمن مقابل السلام أي ربط الأمن الصهيوني بالأمن الإقليمي،

بحيث تتحول المنطقة بشكل عام والشرق الأوسط بشكل خاص، إلى حاجة أمنية محضة، إذن ثمة بدائل ثلاثة أحدثها العدو الصهيوني في استراتيجية التفاوض مع الفلسطينيين، وهي الرعاية والمبدأ، والمرجعية.

*** سؤال: كيف تنظرون لأبعاد اتفاق "واي بلانتيشن" على الصعيد الإقليمي في ظل سياسة الأحلاف الاستعمارية القديمة- الجديدة ومخاطرها على الأمة الإسلامية؟**

**** البياتي:**

لقد حصلت أثناء مفاوضات واي بلانتيشن، جملة من الأحداث تم النظر إليها في ظل أجواء لم تكن ملفتة للنظر، وتجلت بأبعاد خطيرة، لجهة الضغط النفسي ومن ثم لجهة ما يسمى بالنظام الإقليمي الشرق أوسطي الجديد.

وتتلخص هذه الأمور في ثلاثة قضايا رئيسيه وهي:

أولاً: انعقاد مؤتمر لندن في ذات الفترة التي عقدت فيها مفاوضات واي بلانتيشن، بحضور دبلوماسيين، وخبراء من الأردن وتركيا والكيان الصهيوني، تحت عنوان المستقبل الاستراتيجي للشرق الأوسط.

وانعقد هذا المؤتمر برعاية المركز البريطاني الإسرائيلي للشؤون العامة، وبمشاركة الاميركان، ووجهت للمؤتمرين ثلاث رسائل، من قبل يلماز ونتنياهو وولي العهد الأردني الأمير حسن. وصدر تصريح لقائد القوى الجوية الصهيونية السابق ديفيد عبري، يقول فيه أن الكيان الصهيوني مستعد لنشر صواريخ مضادة للصواريخ، في كل من الأردن وتركيا. وكذلك صرح رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية الان متران قال في تصريحه: إن الأردن منح إسرائيل عمقاً استراتيجياً مقابل مظلة وقائية.. وهكذا تزامن مؤتمر لندن، مع موتمر واي بلانتيشن، بشكل متواز، لكي يضع اللمسات الأخيرة للنظام الإقليمي الشرق أوسطي الجديد، من خلال التحالف التركي الإسرائيلي الأردني. وعلى الحلف الأطلسي أن يمد نفوذه إلى منطقة الشرق الأوسط، وخصوصاً إلى منطقة الخليج الفارسي. وهذا ما يعطي للحلف دورا حيويا في المنطقة. وهو بعد البوسنة والهرسك وكوسوفا، سيؤدي دورا مهما يوازي ويكمل الحلف الصهيوني التركي الأردني- الذراع المباشر لهذا الحلف.

ويقول مدير الشؤون الأوروبية "فيليب هورن": أن الحلف يجب أن يمد عملياته إلى الشرق الأوسط، والخليج الفارسي، وسيكون جزءاً من مواجهة استراتيجية كبيرة، تجري حالياً.

ويؤكد في مكان آخر: أن الحلف يجب أن يوضح مفهومه الاستراتيجي بصدد السلام والاستقرار لمنطقة الشرق الأوسط. وهي مسألة ملائمة لاهتماماته ومسرحا لعملياته.

وإن الأصولية الإسلامية حسب وليم كلايس الأمين العام للحلف الأطلسي، تمثل التهديد المباشر للغرب، وعلى ضوء هذه القناعة والتطورات، سيكون الدور للحلف الأطلسي فيما يسمى بالنظام الشرق أوسطي الجديد. وقد وافقت الإدارة الأمريكية، باقتراح من الكونغرس على ما يسمى بقانون الاضطهاد الديني، وتضمن خمسة عشرة إجراءاً ضد البلدان التي تعالج هذه المسألة.

وهي مدخل للتدخل المباشر، في شؤون البلدان الأخرى، لإثارة الفتن والقلاقل الداخلية، مثل البهائية في إيران، والأقباط في مصر والمسيحيين في السعودية، هل هذا ما بشر به نتنياهو "شرق أوسط من نوع آخر بحلول العام ألفين"؟!..

لذلك فان مؤتمر لندن توافق مع نوايا الحلف الأطلسي. لتكون منطقة الشرق مساحة للعمليات التركية فالشرق أوسطية، هي مؤامرة، والحلف الصهيوني التركي الأردني هو القاعدة الأساسية للنظام الشرق أوسطي الجديد، المراد تصميمه وصياغته، بشكل يهدد قضايا الشعوب، ويبدد وحدتها. ويثير فيها النعرات الإقليمية، كما يحصل في بعض البلدان، لتصل علاقات الدول فيما بينها إلى حافة الهاوية.

فالمطلوب اليوم في ظل هذه التعقيدات، منظومة إقليمية موازية لهذه الأحلاف الاستعمارية، القديمة الجديدة؟ تتشكل من الجمهورية الإسلامية في إيران وسورية.. وتم قطع شوط كبير في وضع استراتيجية في العلاقات بينهما.

إذن أصبح الخيار المطلوب لبناء هذه المنظومة، بعد الاستقطاب الذي حصل بعد واي بلانتيشن هو مواجهة واي بلانتيشن ومحاربتها وصولاً إلى محاربة المشروع الصهيوني الاستيطاني.

وأخيراً أقول إن مسألة التباكي على العراق كأرض وقدرات واستراتيجية، بعيدا عن النظام والموقف منه، ما يؤكد أن التنافس على العراق يذهب في اتجاهين، إما أن يكون حلقة في الحلف التركي الإسرائيلي الأردني، أو قطعة من التحالف الاستراتيجي السوري الإيراني العربي الإسلامي، الذي أصبح مثالا مجسدا في مجمل التصريحات والزيارات المتبادلة بين هذين البلدين.

فالعراق يشكل اليوم العقدة التي يتم التباكي عليها، بعد واي بلانتيشن، وبعد ذلك سيتم الصراع للتفريق بين المسارين السوري واللبناني وهو حسب مادلين اولبرايت تشجيع العرب على التطبيع مع إسرائيل، وسحب الورقة الكبيرة من المفاوض السوري واللبناني.

وعندها يهرول العرب للتطبيع مع الكيان الصهيوني، ليتحول الصراع مع العدو إلى صراع حدود، وليس صراع وجود، لان إسرائيل تحاول، على الدوام تقزيم الصراع مع العرب لذلك فان

المرحلة القادمة، والعقدة هي العراق، أين يكون في هذه المعادلة، وهل سيكون طعماً يستكمل الحصار على سورية وإيران، ضمن التحالف الاستراتيجي التركي الإسرائيلي الأردني؟ أم أنه سيكون ضمن العمق الاستراتيجي السوري الإيراني؟

وبالتالي هناك التواصل الجغرافي الاستراتيجي، ومن الممكن أن يكون هو أدنى درجات المانعة في وجه المشروع الصهيوني الذي يستهدف المنطقة بأسرها..

* نود الاستماع إلى مداخلة الأستاذ رمزي رباح بشأن ما دار في هذا البحث؟

** الأستاذ رمزي رباح:

أريد هنا أن أقدم تعقيباً سريعاً على بعض القضايا، التي تفضل باستعراضها الأستاذ خالد الفاهوم، مؤيداً كل ما ورد في مداخلته، ومداخلة الأستاذ الدكتور علي عقلة عرسان.

النقطة الأولى: هي أن اتفاق واي بلانتيشن. هو الاتفاق السادس. في إطار أوسلو أو عملية أوسلو الأولى في أيلول عام ١٩٩٣، والثاني هو اتفاق غزة- أريحا عام ١٩٩٤، والثالث هو اتفاق نيسان ١٩٩٤ بروتوكول الخليل. والرابع تجسد في اتفاقية القاهرة أوسلو(٢)، والخامس بروتوكول الخليل، كانون الثاني عام ١٩٩٧، والسادس وهو الحالي اتفاق واي بلانتيشن، على أن هذه الاتفاقات السيئة قدمت إطاراً تفاوضياً، لتغيير وترجمة ما سبقها من اتفاقات بسقف منخفض، وتنازلات جديدة.

إن اتفاق واي بلانتيشن هو نص مأخوذ ومشتق من بروتوكول الخليل، والمذكرة الأمريكية المرفقة التي تحدد المسؤوليات الإسرائيلية تجاه محاولة أو إعادة الانتشار، والمسؤوليات الأمنية على الجانب الفلسطيني، في إطار عملية مكافحة (الإرهاب) وتطبيق التعهدات والالتزامات الأمنية.

والنقطة الثانية: هي أن مجمل عملية إعادة الانتشار وفقا للصيغة المطروحة في إطار المرحلة الانتقالية، إذا ما التزمت إسرائيل (وإذا هذه أداة شرطية) يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وسوف تشمل (١٪) إلى مناطق السلطة من (١٣٪) التي أشار لها الأستاذ الفاهوم. وعلى هذا النحو. (٣٪) محمية طبيعية و(٩٪) من المنطقة (ب) تحت الإدارة الإسرائيلية الفلسطينية المشتركة. و(١٤,٢٪) من منطقة (ب) إلى منطقة (أ) أي إذا ما أضيفت إليها ٢٪ الموجودة في حدود المدن، مجموع المناطق التي ستكون تحت السيطرة الفلسطينية.

وإن سيطرة السلطة بالحدود المطروحة ستكون (١٨٪) وهذا يعني الانتقال إلى مفاوضات الوضع الدائم، وبيد إسرائيل (٨٢٪) من مجموع الضفة و(٣٥٪) من مساحة قطاع غزة. بالإضافة إلى القدس الكبرى، التي تشكل ٢٢٪ من مساحة الضفة الغربية كاملة، وعلينا أن نرى على طاولة المفاوضات، في

ظل تداع الوضع الفلسطيني، والانقسام الذي يجري فيه، ماذا يمكن أن يحقق الطرف الفلسطيني في مفاوضات الوضع الدائم، الذي وضع في (الثلاجة) مع الشروع بتطبيقات واي بلانتيشن. والنقطة الثالثة، لماذا يضغط الأمريكان، لإنجاز اتفاق في هذا الوقت بالذات، وفقا للمحاور المطروحة؟

إن جمود عملية السلام وتعثر المفاوضات لأكثر من ثمانية عشرة شهراً على المسار الفلسطيني، وأكثر من عامين على المسار السوري واللبناني، وتآكل مصداقية السياسة الأمريكية وانكشاف معالم السياسة الإسرائيلية. والتغطية على سياستها التوسعية الاستيطانية العدوانية، وتنامي عناصر موقف التماسك في الحالة العربية، والحالة الدولية، كما ذكر الرئيس شيراك- على سبيل المثال- أن هذا الاتفاق يموت موتاً مبرمجا. وبالتالي ينبغي البحث عن صيغ جديدة مثلاً.. كل ذلك دفع بالسياسة الأمريكية للتسريع في تقديم صيغة التسوية الراهنة، لتعويم اتفاق أوسلو، والعودة إلى الحلبة بقوة، وهذه العودة لم تقتصر على الإنجاز الأمريكي، في واي بلانتيشن، وهي عودة مقرونة بهجوم سياسي أميركي يستهدف سورية وإيران ولبنان والعراق، أي باتجاه القوى التي ترفض الترتيبات الإقليمية الأمريكية المطروحة، وهذا دفع أميركا لتحريك العملية التفاوضية على المسار الفلسطيني والضغط انطلاقا منه على كلا المسارين السوري واللبناني.

هناك حديث عن أولويات الأمن، التي أكدها رئيس وزراء إسرائيل، وأعادت أولبرايت تأكيدها في رسالة الضمانات التي أرسلتها للحكومة الإسرائيلية.

النقطة الثالثة: تتضمن قطع الطريق عن تبلور الخيار الوطني والشعبي، لإعلان سيادة الدولة الفلسطينية على أراضيها المحتلة في أيار القادم عام ١٩٩٩. حيث تبلور هذا الخيار نتيجة المرارة التي خلفها اتفاق أوسلو وانعكاساته على الشعب الفلسطيني الذي يطمح للخلاص من الاحتلال، ورفض تمديد المرحلة الانتقالية اكثر من ذلك.

والنقطة الرابعة: هي أن أميركا ذهبت شوطاً بعيدا لاستئناف التطبيع بعد توقيع الاتفاق، تحضيراً للمؤتمر الاقتصادي مجددا. وإحياء ما طرح في قمة مؤتمر شرم الشيخ- كما ذكر الدكتور علي عقلة عرسان- وهو محقق بمعنى التنسيق الأمني تحت عنوان ما يسمى بمكافحة الإرهاب. فكلينتون استفاد من نجاح هذه العملية لتعزيز مكانته بعد فضيحة (مونيكا غيت)، وطرح قضية إقصائه عن الرئاسة.

*** سؤال: ما هي برأيكم الآثار التي ترتبت على هذا الاتفاق؟**

** الأستاذ رمزي رباح:

إن آثار هذا الاتفاق، وبما اشتمل عليه من تنازلات فادحة على الصعيد الفلسطيني، يمكن إجمالها في أنه كرس من جديد المفهوم الإسرائيلي للمفاوضات، كما نصت عليه

اتفاقيات أوسلو، بمعنى أن التفاوض يجري حول أراض متنازع عليها وليس على أراض محتله. إن الحكومة الإسرائيلية أعطت الضوء الأخضر وأقرت إقامة مستوطنة جديدة في باب العمود في قلب القدس. والبناء في جبل أبو غنيم مع ما تضمنه الاتفاق ذاته ومن الملاحظ إن الاتفاق لم يقيد الحكومة الإسرائيلية بمنع توسيع الاستيطان أو مصادرة الأراضي لشق الطرق الالتفافية وبدأ الإسرائيليون يطلبون دفعة أولى من مبلغ المليار دولار لشق عشرة طرق التفافية على عشرات الكيلومترات من الأراضي الفلسطينية التي ستتم مصادرتها.

النقطة الثالثة تم اعتماد دور أمريكي مباشر للاستخبارات الأمريكية في الإشراف على الدور الفلسطيني للضغط عليه وللتدخل في قرار السلطة الفلسطينية بذرائع منها أن أميركا وإسرائيل أصبحتا شريكتين في قرار السلطة.

وإذا أردنا تناول الآثار المباشرة للاتفاق على مجمل القضية الفلسطينية فإننا نقول أن ردود الفعل المباشرة التي جاءت من جانب السلطة أو القوى السياسية والشخصيات الوطنية أو الشارع تؤشر إلى أن الاتفاق دفع الوضع الفلسطيني إلى مزيد من الانقسام وتنامي الخلافات وسوف يتعزز الخلاف والانقسام داخل الساحة الفلسطينية مع آليات تطبيق الاتفاق، مع ملاحظة الدور الأمني للسلطة وأجهزتها باتجاه المجتمع الفلسطيني الذي سيصادر الحريات العامة والتعدديات السياسية والحزبية. سوف تكون ثمة تبعية أمنية لإسرائيل وأميركا بموجب ذلك الاتفاق ويكفي أن تقدم السلطة لإسرائيل كشفا بالمشبوهين من القوى التي تدعو لمناهضة الاحتلال والاستيطان من الكوادر والشخصيات الوطنية والمستقلة بموجب اليات واي بلانتيشن.. ومذكرة التفاهم الأمني التي تؤول إلى توقيف ومحاكمة وسجن هؤلاء. وسوف تضغط إسرائيل على السلطة للقيام بتعهداتها الأمنية بأقصى ما يمكن وهي الى ذلك مستمرة في برنامجها السياسي للاحتفاظ بأكبر نسبة من الأرض الفلسطينية والتنازل عن حد أدنى منها.

وسنشهد تعطيل إعادة الانتشار في العديد من المناطق التي التزمت فيها إسرائيل بذريعة أن السلطة لا تؤدي دورها الأمني كما هو مطلوب ومرسوم لها. إذن إسرائيل ستماطل في اعادة الانتشار لأطول فترة زمنية ممكنة لفتح الباب أمام تمديد المرحلة الانتقالية إلى مفاوضات الوضع الدائم أي الممر الآمن والمطار والأمور الانتقالية والتجارية والضريبية والجمركية.

وفي هذا السياق يأتي إلغاء الميثاق دلالة على الغاء م. ت. ف كمؤسسة ومبرر وجودها وحصر التمثيل الفلسطيني في السلطة الفلسطينية أي إسقاط حقبة تاريخية تحررية من نضال الشعب الفلسطيني وتفكيك بنية المؤسسة التاريخية كإنجاز هام على طريق إلغاء الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني أي بمعنى إسقاط حق أربعة ملايين فلسطيني، إسقاط حقهم بالعودة الذي كفلته لهم مقررات الامم المتحدة، ومجلس الامن وخاصة القرار ١٩٤ وإسقاط قضية اللاجئين من الملف الدولي.

* سؤال: كيف ترون سبل مواجهة مخاطر هذا الاتفاق على القضية الفلسطينية؟

أ. رمزي رباح:

بصراحة إن الاتفاق لا يستهدف فصيلاً أو حزباً أو شريحة اجتماعية بذاتها، وإنما يطال بسلبياته كامل المجتمع الفلسطيني وان التصدي له هو توحيد المجتمع الفلسطيني وان البوادر الأولى لردود الفعل تجاه هذا الاتفاق أفصحت عن التخوف الفلسطيني من شطب مؤسساته، والخوف أيضاً من سياسة القمع التي انتهجتها السلطة، هناك مؤشرات في أحداث نابلس وأحداث غزة مع حماس والجهاد الإسلاميين لذلك نعتقد أن سياسة وطنية واقعية ومتماسكة ومشتركة تنطلق من مواجهة الآثار السلبية وتعبرَ عن ذاتها كمعارضة شعبية وسياسية فاعلة وشاملة للسلطة هي الضمانة بخيار مواصلة النضال ضد الاحتلال والاستيطان والمصادرة.

فكل الحقوق الفلسطينية هي تحت رحمة إسرائيل بموجب اتفاق واي بلانتيشن فهي الحكم والمرجع للاتفاق وهي التي تقرر أين ومتى تنفذ..

إن مراكمة القوى والرأي العام من اجل وقف أوسلو وإعادة بناء العملية التفاوضية على أساس دولي وفقاً لقرارات الشرعية الدولية، الأرض مقابل السلام والتمسك بحق شعبنا بالعودة إلى وطنه هو السبيل لإسقاط اتفاق واي بلانتيشن.

أولاً: إن توقيع عرفات على اتفاق واي بلانتيشن لم يعد بالموقع الذي يقدم فيه تنازلات أو مساومات لأن هذا الاتفاق وكل ما سبقه من اتفاقات لا يمكن وصفه بالتنازل أو المساومة بل انتقل عرفات ونهجه للارتهان للإرادتين الأمريكية والصهيونية وبرامجها العدوانية بالكامل هكذا نراه وهنا تكمن الخطورة فيما يقوم به من تزوير وتزييف لإرادة الشعب الفلسطيني الذي لا علاقة له بهذه الاتفاقيات لا من قريب ولا من بعيد.

ثانياً: إن هذه الاتفاقات التي يسمونها مشروعاً للسلام منذ مدريد وحتى واي بلانتيشن جاءت بعد جملة من الأحداث الدولية والإقليمية تمثلت بانهيار الاتحاد السوفياتي وحرب الخليج الكارثية الثانية حيث استغلت الإدارة الأمريكية هذه الأحداث وتقدمت بمشروعها لتستكمل الفوز وتحقق مشروعها الذي فرضته على منطقتنا تحت يافطة ما يسمى بالسلام بهدف إخضاع الوطن والأمة وتطويعها والتحكم بحاضرها ومستقبلها.

إن اتفاق واي بلانتيشن جاء في الواقع كمصلحة أمريكية نتيجة جملة التطورات التي حصلت خلال ثمانية عشر شهراً خلت وتميزت بتعثر المشروع الصهيوني الأمريكي نتيجة لعدة عوامل من أهمها:

أولاً: استمرار المقاومة في فلسطين- وجنوب لبنان.

ثانياً: إن هذا المشروع لم يكن أمام الشعب الفلسطيني فحسب بل أمام الجماهير العربية والإسلامية ولا أحد يصدق أن هذا هو السلام وهو الطريق لاستعادة الحقوق المغتصبة.

لقد تراجعت عملية التطبيع بشكل أو بآخر وكلنا شهدنا موجات التطبيع المتعاظمة مع العديد من العواصم العربية التي قدمت السيوف للإرهابيين الصهاينة.

توقفت عملية التطبيع هذه بعدما وصل نتنياهو إلى رئاسة الحكومة الصهيونية ليطرح مواقفه وبرنامجه وفهمه الخاص لعملية السلام.

ثم جاء بعد ذلك مؤتمر الدوحة الاقتصادي والموقف العربي والإسلامي منه هذه المواقف التي شكلت عقبة هامة أعاقت تقدم المشروع الأمريكي الصهيوني.

وبعد ذلك جاءت النتائج الإيجابية والهامة لقمة طهران الإسلامية.

وفك العزلة الرسمية عن العراق وفكفكة الحصار ولعبت سورية دورا رئيسيا وهاماً في هذه المسألة أقول لقد كانت هناك جملة من العوامل تراكمت في إطار مناهضة المشروع التسووي الأمريكي الصهيوني وعدم الاستجابة لذلك سعت الإدارة الامريكية لإنقاذ برنامجها لإعادة إنتاج هذه المسارات وتحقيق أهدافها ثم جلب عرفات من جديد كونه الحلقة الأضعف لانه مرتهن للإرادة الصهيونية والأمريكية وخلال عدة أيام في واي بلانتيشن تم توقيع الاتفاق متجاوزاً بذلك إرادة الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية وفقد كل عوامل القوة بالتنسيق مع أي طرف من الأطراف لهذا فإن عرفات لم يأت بشيء جديد منذ توقيعه اتفاق أوسلو الذي كان على هذا النحو وبعد اتفاق الخليل وغيره وهكذا استمرت التنازلات عبر هذه المفاوضات التي شهدناها وتابعناها وبالمناسبة فان عملية التنسيق مع الأجهزة الأمنية الصهيونية ليست جديدة في مطاردة وملاحقة المناضلين والمجاهدين بل أكثر من ذلك هو التنسيق مع الاستخبارات المركزية الامريكية وقالت المصادر إن مدربيهم موجودون في عدة مراكز امنية عرفاتية في الضفة الغربية وغزة وجاء ترتيب كل هذا في اتفاق واي بلانتيشن ليكون موثقا وملزما لإضفاء طابع الشرعية عليه.

إن هذا الاتفاق جاء ليكون تنازلا صريحا وقانونيا عن أرض الوطن بالكامل ولم تكن مسألة إعادة الانتشار بهذه النسبة أو تلك سوى وهم وتضليل لان السيادة والسيطرة وكل شيء سيكون بيد العدو الصهيوني وهذا ما قاله كلينتون في كلمته اثناء التوقيع على الاتفاق قال الامن لإسرائيل والفلسطينيين سيكون لهم مطار وميناء ومعبر امن وهذا ما يجعلهم يتنفسون بشكل أفضل لذلك مهما كانت دعاية إعادة الانتشار فالجانب الفلسطيني اقر بالوثائق والاتفاقات واعترف بأنه لا يملك سيادة على الأرض بل يسيطر على السكان فقط والفرق واضح جدا ما بين السيادة والسيطرة.

في هذا الاتفاق تحدث الجميع عن البعد الأمني وهنا توجد مسألتان هامتان وهما:

أولاً: إدخال الاستخبارات المركزية الأمريكية في النسيج الاجتماعي الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة لإنجاز هذا الدور.

ثانياً: المخاطر المترتبة على أداء تطبيق هذا الاتفاق الأمني من مخاطر الاقتتال الداخلي وزرع بذور الفتنة والاقتتال الداخلي هذه هي المخاطر التي تهدد أمن شعبنا.

إن الاتفاق له وظيفة سياسية على الصعيد العربي والإسلامي فضلاً عن وظيفته السياسية على الصعيد الفلسطيني وتتمثل هذه الوظيفة في تفكك المواقف العربية والإسلامية التي تحشدت في مواجهة سياسة رئيس الوزراء الصهيوني نتنياهو والضغط على قوى الصمود العربي والإسلامي وفي مقدمتها سورية وإيران وحصارها وكيل التهم لها وقد تجسدت، هذه الوظيفة في السير في طريق إعادة بناء الأحلاف العسكرية ومنظوماتها الأمنية في المنطقة مثل الحلف الصهيوني التركي الأردني وما يراد منه وكل هذا يأتي في إطار العمل من اجل إخضاع المنطقة والهيمنة على مقدراتها العربية والإسلامية.

هذه نتيجة سياسية مباشرة لهذا الاتفاق ومن يرصد ما جرى الحديث عنه مباشرة في اجتماع مارتن اندك مع عشرة من السفراء العرب يدرك ذلك الذي طالبهم بإعادة العلاقات وفتح المكاتب والممثليات والتطبيع الاقتصادي.

ومن الممكن أن نشهد سلسلة من الأحداث أهمها فتح الملف اللبناني أولاً وثانياً الملف السوري للسير في هذا الخط.

وبكل مرارة إن طرفاً يدعي زوراً وبهتاناً أنه يمثل الشعب الفلسطيني وينطق باسمه وهو مرتهن ومتواطئ مع العدو الصهيوني والأمريكي وهنا لابد أن تقول ما العمل؟

إن المسؤولية الوطنية ومصلحة شعبنا الفلسطيني تقتضي أولاً نزع الشرعية عن هذا الطرف ليس بالخطاب بل بالعمل.

وهذا ما يستدعي من القوى الوطنية الفلسطينية دعم ومساندة القوى القومية والإسلامية المجاهدة ونزع الشرعية عن عرفات ونهجه الذي لم يعد يمثل الشعب العربي الفلسطيني ولا يجوز التعاطي معه وهذا ظلم وقع على الشعب الفلسطيني الذي قاتل منذ مئة عام وخمسين عاماً على قيام الكيان الصهيوني المصطنع في فلسطين ومنذ بداية الغزوة الاستعمارية الاستيطانية وهو يقاتل ويضحي متمسكاً بأرض وطنه وكل ذرة من ترابها ورفض كل المشاريع والقرارات والاتفاقيات التي انتقصت من حقوقه الوطنية في فلسطين. نحن اليوم وبعد مرور ٨١ عاماً على إعلان وعد بلفور الذي تصادف ذكراه الآثمة اليوم وجماهير شعبنا الفلسطيني تدفع الثمن غالياً منذ بدء هذا القرن وجاءت قرارات مؤتمراته الوطنية الفلسطينية وثوراته وانتفاضاته وهباته

المتلاحقة في صلبها ووظيفتهما السياسية لترفض بالمطلق هذا الوعد الاستعماري والميثاق الوطني الفلسطيني الذي تمت صياغته في أيار عام ١٩٦٤ استلهم هذا التاريخ الكفاحي الطويل الذي عبر عنه منذ بداية العشرينات والثلاثينات والأربعينات بعد هذا هل يبقى عرفات يتحدث باسم فلسطين والشعب الفلسطيني هنا ظلم كبير يلحق بهذا الشعب صاحب التاريخ النضالي العريق والمشرف تاريخ العطاء والمقاومة والتضحية والاستشهاد.

لذلك فقد كان الشعب الفلسطيني دائماً وأبداً يجسد انتماءه الوطني لامته ويدافع عنها ويناضل في صفوفها ودفاعاً عن قضاياها العادلة.

- إذن فالمطلوب:

أولاً: نزع الشرعية عن عرفات ونهجه الذي أصبح مرتهناً للإرادة الأمريكية والصهيونية.

ثانياً: العمل الجاد لاستعادة بناء المؤسسات على أساس الالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني الذي سيلغوه بعد شهرين في غزة باللغة العربية وليس باللغة الأجنبية كما قال نتنياهو. وفي مجلس فقد أهليته وشرعيته ووطنيته في غزة هذه المدينة الصامدة والأسطورة في المقاومة التي كان العدو يتمنى لو أنها تغرق بالبحر بعد ما كبدته الخسائر الفادحة ورفعت رأس الشعب الفلسطيني والأمة العربية في مواجهته في هذه المدينة سيجري الإجهاز على الميثاق الوطني الفلسطيني الذي ألغاه عرفات عام ١٩٩٦ ولكن إلغاءه اليوم هو الإمعان في مزيد من الإهانة والإذلال لهذه الزمرة.

* ما هي الوظيفة السياسية لإلغاء الميثاق اليوم؟ والسؤال مطروح على الأستاذ أبو فاخر.

** الأستاذ أبو فاخر:

إن الوظيفة السياسية لإلغاء الميثاق واضحة تماماً لا يحق لأية سلطة فلسطينية أن تطالب بعودة اللاجئين أو القدس أو الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني وقد ألغت الميثاق الذي ينص على كل هذه القضايا.

* سؤال: ما هي بنظركم انعكاسات أبعاد هذا الاتفاق على الأمتين العربية والإسلامية؟

** الأستاذ أبو فاخر:

بطبيعة الحال إعادة القضية لعمقها العربي والإسلامي وهي كانت على هذا النحو دائماً هذه هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية وعرفات عندما يوقع أوسلو وواي بلانتيشن لا يستطيع أن يلغي هذه الحقيقة لان الكيان الصهيوني موجود بالأساس وله أطماعه وأهدافه ودوره العدواني ضد الأمة العربية والإسلامية.

المطلوب من القوى الوطنية والقوى الحية مواصلة النضال والاشتباك وصولا لتراكم نضالي لانتفاضة شعبيه تعيد الاعتبار للدور الوطني والجهادي والكفاحي للشعب الفلسطيني وترفع شعار كنس الاحتلال و طرده من فلسطين كل فلسطين.

وفي هذا السياق توجد جملة من الأخطار تتهدد القضية الفلسطينية بشكل عام التنازل عن الوطن بحد ذاته خطر وضرب وحدة الارض ووحدة الشعب خطر كبير.

ويوجد أيضا خطر وهو تبديد الهوية الوطنية الفلسطينية فالمطلوب اليوم الحفاظ على هذه الهوية.

خطر التهجير: هذا البرنامج الذي ما زال حاضرا والاتفاقيات هذه لا تضمن بقاء الفلسطينيين على أرض فلسطين وإنما هي مقدمة لطردهم من ارض وطنهم.

وخطر التهجير يرتبط ليس فقط بالظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في إطار الحكم الذاتي المحدود الذي يجعل الناس تفكر في الهجرة طلباً للقمة العيش أو الأمن.

إن خطر التهجير مرتبط ببرنامج منظم ومخطط وقادم في إطار سيناريو عشناه من خلال الدور الأردني دور النظام الذي لم يكن في واي بلانتيشن ناتج من فراغ وحضوره ليس لتقريب وجهات النظر او إزالة العقبات كما يدعون بل انه شريكا وطرفا رئيسياً في المرحلة النهائية من الحل الدائم وجود الملك حسين في واي بلانتيشن له أبعاد كبيرة وخاصة الحديث عن الدولة المزمع إعلانها يوم ٤/٥/ ٩٩ فهناك الكثير من الأحاديث عن هذه الدولة والتفكير في إعلانها والتي قال عرفات عنها انه يريد أن يبحثها عن طريق التفاهم مع الإسرائيليين والأمريكان والنظام الاردني.

على كل حال هناك عدة خيارات لهذه الدولة الموعودة في إطار أصول التصفيات النهائية للقضية الفلسطينية.

فإما أن تكون كيانا هشا في غزة فقط تحت اسم الدولة الفلسطينية وسكان الضفة الغربية سيكونون رعايا لهذه الدولة.

وأما كونفدرالية بين الكيان الصهيوني ومعازل الحكم الإداري الذاتي والأردن بجعل سكان الضفة الغربية يتمركزون في إطار هذه الدولة يقيمون في الأردن يعتبرون وكأنهم يقيمون في وطنهم، وهذا يعنى التخلص التدريجي من السكان في الضفة الغربية ليقيموا في مكان آخر وبدقة متناهية إن خطر التهجير خطر قائم وكبير في إطار الوظيفة الأمنية المناطة بالسلطة الفلسطينية المحدودة حيث تبرز المقدمة في ظهور الفتنة الداخلية وهذا ما تدركه القوى الوطنية والإسلامية والفلسطينية وتنبه من مخاطره لان العدو سيكون هو

المستفيد الوحيد لبذر الفتنة و بالرغم من ذلك فان الأجهزة الأمنية العرفاتية تندفع لتنفيذ هذا المشروع بضغط صهيوني أميركي.

* سؤال كيف يمكن أن يتجنب الشعب الفلسطيني مخاطر فتنة الاقتتال برأيكم؟

** **أبو فاخر:**

يمكن تجنب هذه المخاطر من خلال التحرك النضالي والاشتباك الدائم مع العدو الصهيوني والعمل على إعادة بناء مؤسسات (م. ت. ف) على أسس وطنية سياسية وتنظيمية وفي مقدمتها الالتزام بالميثاق الوطني وأن يشعر الشعب الفلسطيني ان له قيادة وطنية ومرجعية نضالية بهذه العوامل يمكن أن نتجنب هذه المخاطر ونستمر في نضالنا الوطني لتحرير فلسطين كل فلسطين.

** **الأستاذ عبد المجيد:**

إن الاخوة أغنوا معظم المحاور بمداخلاتهم وخاصة ما يتعلق بالاتفاق ومخاطره في كل الجوانب سواء ما يتعلق بقضية فلسطين والاستحقاقات العربية والإسلامية والإقليمية وفي سياق التحليل العام بغض النظر عن التباين التكتيكي سواء هنا أو هناك فالجميع متفق بالتحليل العام وهنا أود الإشارة إلى بعض النقاط في المحور السابق نحن اليوم أمام مشروع معادي ومترابط وعرفات وفريقه مدعوم دوليا وعربيا ولم يات هذا الاتفاق إلا بعد جهود واتصالات مكثفة سواء كانت إقليمية أو عربية أو دولية لإعادة المشروع الامريكي للسكة لمصلحة الأمريكان بالأساس وحتى أنهم وضعوا نتنياهو على سكة الشرق أوسطية بغض النظر عن المفهوم الخاص لنتنياهو واليمين الصهيوني في موضوع التسوية وأوسلو وكيف يمكن تقويضها من وجهة نظر الليكود.

وللأسف الشديد نحن في المعسكر الآخر معسكر المناهضة لهذا المشروع ما زلنا مفككين مشتتين القوى محاصرين في دوائر ومربعات متباعدة بغض النظر عن التقاطع الذي قد يحصل بين فترة وأخرى في المواقف بين أطراف هذا المعسكر.

الآن وبعد هذا الاتفاق اعتقد أن الجميع مستهدف وشعبنا الفلسطيني يعيش بمرارة وسيواجه أوضاعا ذاتية صعبة جدا سواء في الوطن المحتل أو في الشتات من هنا تأتي مسؤولية الترابط القومي والإسلامي لأنه بدون التخفيف من حدة المعاناة للشعب الفلسطيني وتعزيز الترابط ما بين تجمعاته وقواه الحية لا يمكن لمشروع المواجهة الوطني الفلسطيني أن يفلح. نحن كشعب فلسطيني جزء من هذه الأمة وتقع علينا مسؤولية كبيرة ونحن مرتبطون بهذه

الأمة لم يستطع ياسر عرفات وفريقه أن يحقق هذا المشروع لولا تراجع وانهيار الأمة في هذه المرحلة بالذات لذلك نحن نعتقد أننا مطالبون اليوم بالترابط والانسجام وتوحيد وجهات النظر المتفقة مع البعد القومي العربي والإسلامي من اجل إعادة الالتزام بقضية فلسطين والقدس.

لأن الموضوع ليس قضية فلسطين والدفاع عنها، الموضوع إذا لم نستطع الصمود كفلسطينيين وعرب وقوميين وإسلاميين فالمقصلة تستهدف الجميع كما أشرتم في مداخلاتكم إلى أبعاد واستحقاقات هذا الاتفاق.

إن أجهزة الاستخبارات الأمريكية والدور الامريكي سيعمل على إعادة هيكلة المجتمع الفلسطيني بناء على الحكم الإداري الذاتي بالصور التي يرونها مناسبة.

والحلقة الثانية سينطلقون في هذه الحلقة لإعادة ترتيب أوضاع المنطقة وهيكلتها لتمرير مشروعهم وقد تكون الساحة اللبنانية هي المرشحة في هذه الحلقة من خلال مناورات سياسية تتمثل في لبنان أولا أو جزين أولاً لانتزاع الورقة من سورية بعد الورقة الفلسطينية لإضعافها وإبقائها في دائرة محددة لحصارها في ظل التهديدات التركية حتى لا تتمكن سورية من إعادة التضامن العربي أو تحقيق الحد الأدنى منه لاستنهاض حالة شعبية.

إذن نحن اليوم وأمام هذه الحالة مطالبون بهذه المرحلة بالذات وفي هذا الفصل التاريخي أن نجري حواراً جدياً كمواطنين فلسطينيين وقوميين عرب ومجاهدين إسلاميين هذه التيارات الثلاث للوصول إلى برنامج الحد الأدنى للصمود أمام المخاطر التي تهدد الأمة بشكل جدي وأعود بالذاكرة هنا لما قاله سماحة الشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله قبل أسبوع من عقد هذه الندوة قال الحمد لله أننا نجد عاصمة عربية نستطيع أن نتكلم فيها ونبدي رأينا وموقفنا دون أن يتم اعتقالنا أو ذبحنا. المرحلة المقبلة تشكل خطراً مباشراً على هذه الحلقة سواء من قبل عرفات أو الكيان الصهيوني أو الأمريكان كلها تستهدف هذه الحلقة.

من هذا المنطلق إن الحلقة المركزية في الاستنهاض مترابطة مع بعضها البعض سواء كانت على الصعيد الوطني الفلسطيني ويوجد دور لبعض الأطراف العربية وفي مقدمتها سورية ويوجد دور إسلامي وفي مقدمته موقف الجمهورية الإسلامية في إيران فالدور الوطني الفلسطيني أشار الاخوة لجملة من المهمات تترتب علينا وأكد أنه كلما ازداد القمع على جماهيرنا في الأرض المحتلة التي يقوم بها الثنائي الصهيوني العرفاتي ستكون هناك تفاعلات كثيرة ستحدث سواء كانت منظمة أو غير منظمة ولكنها ستكون الرد العملي المناسب على القمع الصهيوني العرفاتي.

ونحن متأكدون أن نضال شعبنا سيستمر ويتواصل ويتصاعد ولكنه سيواجه جملة من المصاعب إذا لم يجد حاضناً ورافدا أساسيا خارجيا لدعمه ومساندته وإلا ستكون ردة الفعل هذه عارضة ومؤقتة وطارئة.

والجانب الآخر يتطلب من القوى الوطنية الفلسطينية بتياراتها الثلاث والشخصيات الوطنية الفلسطينية والفعاليات الوطنية لابد أن تتخذ جملة من المواقف وفي مقدمتها مواقف جريئة للرد على اجتماع غزة الذي سيعقد بعد شهرين الذي سيلغي الميثاق الوطني وتقول لهم أن عرفات وهؤلاء لا يمثلون الشعب الفلسطيني فهذه هي القوى التي تمثل الشرعية الوطنية الفلسطينية كما أننا يمكن أن لا نستطيع أن نقوم بخطوات نوعية كبيرة ولكننا نستطيع أن نقوم بخطوات متواضعة وفي مقدمتها عقد مؤتمر شعبي داخل الأرض المحتلة تشارك فيه القوى والفصائل والشخصيات المناهضة. مؤتمر في الأردن وسورية ولبنان وفي الشتات كما أن إدوارد سعيد شخص فلسطيني يدعو لعقد مؤتمر في أوروبا.

إن هذا الموضوع نتحمل مسؤوليته بشكل كبير ويقع على عاتقنا جميعاً لنقول للعالم أجمع نحن ممثلو تجمعات الشعب العربي الفلسطيني في كل أماكن تواجدنا نلتزم بالميثاق الوطني ونلتزم باستمرارية النضال الوطني وضد التفريط بحقوق شعبنا وهذا يجب أن يتم في نفس اليوم الذي سيلتقون فيه لإلغاء الميثاق بحضور كلينتون وهذه الخطوة سيكون لها مكاناً من الأهمية لتكون الرد الفلسطيني الموحد على هذه الخطوة الخيانية.

والموضوع الآخر بكل صراحة أمامنا التجربة الحية للاخوة المناضلين في حزب الله نحن كمعارضة فلسطينية ما بعد أوسلو أصبحنا محاصرين بدون تغطية سواء كانت قومية أو إسلامية.

وما عدا ذلك يوجد هناك عمق إسلامي ممثلا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية لكنه لا توجد برمجة في العلاقة الوطنية العربية والإسلامية بغض النظر عن التنسيق والتفاهم والتقارب وفي الخندق الواحد الذي نتكلم فيه كما انه لا توجد برمجة في المشروع النضالي المشترك. من هنا يقع بنظرنا على سوريا وإيران مسؤولية كبيرة وجسيمة ليس دفاعا عن المشروع الوطني الفلسطيني فحسب بل والمعارضة الفلسطينية أيضاً. فالمعارضة كما حصل مع حزب الله لولا الحضانة السورية الإيرانية لما استطاعت وأمام قوى يمينية انعزالية في لبنان أن تصمد ولكانت وقود احتراب داخلي مع هذه القوى. لكن هذه الحضانة حمت هذه القوى الحية في الشعب اللبناني التي استمرت في نضالها الوطني مع القوى الأخرى وعمقت نضالها في مواجهة العدو الصهيوني.

نحن كمعارضة فلسطينية لا نجد هذا العمق وهذه الحضانة من عالمنا العربي والإسلامي مع احترامنا لهذه البلدان باستثناء المواقف والسياسات التي تتخذها هذه البلدان بالرغم من الظروف الصعبة وإنني اعتقد أننا إذا لم نسرع في إنجاز هذا المشروع المشترك واتخاذ المواقف المشتركة فالمشروع الأمريكي الصهيوني وسياسة التحالفات القديمة الجديدة لا تستهدف الشعب الفلسطيني وقواه الحية بل تستهدف سورية ولبنان وخاصة حزب الله وإيران

وستستكمل الخطة والذي لفت انتباهي ما قدمته تركيا في الأمم المتحدة عن الدور السوري في مساندة ما يسمونه "الإرهاب" حيث قدمت عشرين صفحة في إحدى الصفحات تشير بشكل مباشر الى ان سوريا لا تاوي حزب العمال الكردستاني فقط بل تاوي منظمات إرهابية فلسطينية.

وما لفت انتباهي أن موفداً أمريكياً سيحضر لسورية قريباً وقد يطرح هذه القضايا وسيمارس الضغط والابتزاز على هذا البلد الصامد في المرحلة المقبلة. نحن اليوم بحاجة لبرنامج عملي مشترك وخطة مع قوى النهوض القومي والإسلامي وبدون ذلك سيبقى رد الشعب الفلسطيني مستمراً لا يتوقف مهما بلغت المصاعب ومهما بلغ القمع العرفاتي لتجزئة الشعب الفلسطيني. ولكن ليس بالمستوى الذي نستطيع فيه أن نسقط هذا المشروع لاننا نعتقد ان هذا الاتفاق سيطبق لان الإدارة الأمريكية حريصة على تطبيقه مهما حصل من عثرات والتعثر لن يحصل من الجانب الفلسطيني لانه ملتزم بالكامل لكن الجانب الإسرائيلي من الممكن أن يعرقل التطبيق ويسبب تبعثره إذا ما حصلت بعض التفاعلات مثل اغتيال نتنياهو أو المستوطنين أو ازدياد برامج المتطرفين أو إذا ما سقطت حكومة الليكود هذه هي الاحتمالات المتوقعة.

** **الدكتور ماهر الطاهر :**

في البداية سأحاول في هذه الندوة المفيدة والهامة والتي من الممكن أن تشكل مبادرة ترتبط بمبادرات متعددة للخروج من هذا المازق بقواسم مشتركة نضالية تجمع القوى والفصائل المناهضة للمشروع التصفوي الامريكي الصهيوني في جبهة وطنية عريضة تشكل البديل الكفاحي للنهج المفرط والمستسلم وفي البداية لابد من استعراض الظروف الذاتية والمعقدة للشعب الفلسطيني هذه الظروف التي لا يعرف تفاصيلها الكثيرون لكن الطرف الفلسطيني المتحكم بالقيادة يستغل هذه الظروف الصعبة لشعبنا وأنا اعتقد انه مورست سياسة منهجية منظمة كانت تستهدف ما يمكن ان نطلق عليه عملية الفصل وفك الارتباط بين القضية الفلسطينية والعرب وبين القضية الوطنية والبعد الاسلامي وبين الشعب الفلسطيني من الداخل والخارج - وبين أبناء فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وأبناء فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧، هذه الاستراتيجية خطيرة للغاية لكنها مورست بشكل منظم وممنهج ومدروس وحققت بعض النتائج وهنا لابد ان ندقق ونتمعن جيدا في ظروف الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده لنتلمس واقعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وذهنيته.

فالفلسطيني الذي يعيش في سورية تختلف نظرته عن الفلسطيني الذي يعيش في مخيمات غزة بالرغم من وجود ناظم عام يجسد وحدة الشعب الفلسطيني وبالرغم من هذه

الوحدة فلكل تجمع خصوصية تنطلق من هذا الواقع والظروف الموضوعية المحيطة به، فالفلسطيني في لبنان محروم من العمل ولا يمارس أكثر من ثمانين مهنة وإذا خرج من لبنان لا يسمح له بالعودة أما الفلسطيني الموجود في ليبيا فيوضع على الحدود ويصبح مصيره مجهولا وخاصة إذا كان من لاجئي لبنان الذي يرفض عودته ودخوله إلى لبنان وهناك الكثير من الفلسطينيين يعانون الأمرّين في المطارات.

إنني انطلقت من هذه النقطة لأشير إلى موضوع مهم جدا يعتبر جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية لمعاناة الفلسطينيين وجملة المآسي والمصاعب والآلام التي يعيشها شعبنا منذ نصف قرن، وبالرغم من ذلك فإن شعبنا مرتبط بقضيته بقوة وكان ومازال مستعداً للتضحية والكفاح بالرغم من كل الظروف ولكن ما يهمنا هنا أنه يجب أن ننتبه لعملية فك الارتباط هذه العملية ذات الأهداف المتعددة والمخاطر المباشرة على جماهير شعبنا ووحدته الوطنية وانتمائه لكن هذا المشروع حقق نتائج كبيرة وهامة.

واعتقد أن المشروع الوطني الفلسطيني مرتبط بعمق بالمشروع النهضوي العربي يتقدم بتقدمه ويتراجع بتراجعه والشعب الفلسطيني لا يستطيع لوحده أن يواجه معسكر الأعداء المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني والرجعيات العربية وإمكانياتها الهائلة لذلك فهم يريدون أن ينفردوا بهذا الشعب ويقولوا له أن لا يوجد أمامك خيار ومن الطبيعي إذا لم يجد له جدوى وأمل وقوة تدعمه وتسانده ستخلق حينئذ عنده حالة من الإحباط واليأس.

أبو عمار وسلطته فعلا فعلتهما والمعارضة الفلسطينية مازالت تبحث في (جنس الملائكة!) ولم تتفق على برنامج ولم تضع خطة عمل فالواقع الفلسطيني عندما يقارن بين ما يعطى له ولو كان قليلاً وبين حقه فهو يدرك أن ما هو مطروح عليه هو تدميره وتحطيمه.

فالمطلوب اليوم أن تتحمل القوى الوطنية المسؤولية كاملة أمام هذه الأحداث لتقنع المواطن الفلسطيني حتى يلتف حولها لكن الحقيقة مرة لأنه حتى الآن لم يتم تقديم أي تصور عملي يفعّل هذه المعارضة فالشعب لا يرى المعارضة إلا مشتتة ومبعثرة ولا تملك غير الكلام.

إن المخططات والمشاريع أكبر من الشعب الفلسطيني وإمكانياته هذا الشعب الذي يشكل رأس الحربة دائماً ومع ذلك فهو يواجه معسكرا عدوانيا ضخماً وهنا من المفيد أن أتحدث عن العمق العربي والإسلامي للمعارضة الفلسطينية.

واقول أن عرفات مدعوم أميركيا وصهيونيا ومن القوى والأنظمة الرجعية العربية وإمكانياتها المادية والإعلامية في خدمته بينما المعارضة الفلسطينية تكاد تكون محاصرة ولم تجد متنفس لها غير سورية وإيران لهذا فان الأمور معقدة وصعبة وقاسية خاصة بعد موافقة العديد من الانظمة العربية على اتفاق واي بلانتيشن.

وبالرغم من هذا لن نتراجع مهما حصل لاننا مؤمنون بعدالة قضيتنا وينبغي أن نواصل المسيرة الكفاحية مهما كانت الظروف.

إننا اليوم بحاجة للعمق العربي والإسلامي والمطلوب من القوى المناهضة الفلسطينية أن تبحث مع حلفائها تطوير عملية التنسيق وإيجاد صيغة للعمل المشترك حتى تكون مشروعاً نضالياً كاملاً متكاملاً لمواجهة المشروع المعادي ومخاطره وفي مقدمة حلفائنا سورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية.

النقطة الثانية: إذا لم نستطع أن نبلور مرجعية وطنية فلسطينية بديلة سيبقى عرفات يتحدث باسم الشعب الفلسطيني لذلك لابد من إيجاد البديل الفاعل لنقول لشعبنا أن عرفات لا يمثل أحداً. هذه هي القوى الوطنية المناضلة التي تمثل الشعب الفلسطيني من خلال جبهة وطنية عريضة لها علاقاتها وامتداداتها مع قوى سياسية عربية وبعض البلدان العربية والإسلامية بهذا يمكن أن يشعر المواطن الفلسطيني انه هناك بذرة يمكن أن تنمو لتكون بديلة لعرفات ونهجه.

إن عرفات ما زال يتحكم بشرعية منظمة التحرير الفلسطينية وينطق باسمها والمعارضة لم تنجح في تشكيل البديل الوطني الفاعل وفي هذا السياق إنني أوافق الرفيق أبو فاخر عندما قال أن (م ت ف) ليست ملكاً لعرفات لأنها ملك الشعب الفلسطيني ببرنامجها وميثاقها الوطني ونريد الحفاظ عليها ومن ثم نناضل لانتزاع الشرعية الرسمية.

في النقطة الأخيرة وبالرغم من كل شيء فقد لفت انتباهي في كلمة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي في صلاة الجمعة الذي قال فيها إن الشعب الفلسطيني اليوم أقوى مما كان عليه بكثير عام ١٩٤٨ إن هذا الكلام دقيق بالرغم من الصورة السوداوية الموجودة الآن.

المشروع الصهيوني يواجه مأزقاً عميقاً ويتمثل هذا المأزق في وجود حوالي ٤،٥ مليون فلسطيني داخل الأرض المحتلة منهم حوالي مليون في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وثلاثة ملايين ونصف في الضفة الغربية وغزة فكيفما حاولت إسرائيل أن تحسب الأمور على المدى المنظور المتوسط أو الاستراتيجي تشعر دائماً وأبداً أن مشروعها مهدد ويواجه مأزقا حقيقياً كما أنه يوجد في الأردن حوالي مليوني مواطن فلسطيني اكتسبوا الخبرة والوعي وهم مسلحون بالعلم والمعرفة لذلك فان العدو يدرك تماماً أن المستقبل لن يكون له لكن العدو بالرغم من ذلك قد نجح في إيجاد شريحة فلسطينية ارتبطت مصالحها بمصالحه وأصبحت اليوم تنفذ برامجه و مشاريعه.

* سؤال في ضوء حديثكم كيف تنظرون إلى المستقبل؟

** **د. الطاهر:**

إنني أعتقد أن المستقبل سيكون لشعبنا، والمشروع الصهيوني في مأزق ولكنه مطلوب منا أن ننظم طاقاتنا وإمكانياتنا وجهودنا لتحقيق الانتصار فالشعب اللبناني اسقط اتفاق ١٧ أيار بالرغم من حجم القوى المعادية وإمكانياتها المساندة له لكن الشعب الفلسطيني بدعم ومساندة سورية وكل الرفاق العرب والمسلمين اسقط هذا الاتفاق ونحن اليوم نملك الركيزة النضالية التي تتمثل بالقطر العربي السوري الصامد هذه الركيزة التي نستند إليها لنرسم عملية المواجهة الوطنية الفلسطينية بأبعادها العربية والإسلامية لذلك نحن نمتلك طاقات كبيرة المهم أن تجمع هذه الطاقات وحشدها في مواجهة الأعداء.

* سؤال إلى سماحة العلامة عبد الله نظام، كيف ينظر الشرع الإسلامي إلى اتفاق (واي بلانتيشن)؟

** **السيد نظام:**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

قبل البدء بحديثي عن الجانب الشرعي لاتفاقيات واي بلانتيشن لا بد من الحديث حول نقطتين أساسيتين:

أولاهما: أن البحث الشرعي إنما يعيد من يفيد من يؤمن بالشرعية ويلتزم بأحكامها ولا يفيد من يبيع الأرض والعباد ويبتغي الفساد ويناصر ويمالئ العدوان لان كل مسلم بل جميع الناس في هذا العالم وبحسب جميع الشرائع السماوية بل وحتى الوضعية كلهم يقولون أن قبول الذل والهوان والتفريط بحقوق الشعوب وبالأوطان وان يصبح الإنسان خادماً للأعداء ينفذ ما يريدون هو أمر مهين غير مقبول وجريمة لا تغتفر بحق جميع المقدسات والذين يرتكبونه لا يهمهم موقف الشريعة، فالشريعة إنما تفيد وتهدي من يريد لنفسه الهداية والتقيد بأحكامها وهو ما يشير إليه تعالى في كتابه العزيز في أول سورة البقرة ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾. وثانيتهما: أن الحديث عن السلام ليس غريباً عن الشريعة الإسلامية ولكنه لا بد من القول أن السلام في الإسلام لا يعني أبداً التنازل عن الحقوق والسماح للغاصبين بأن يكسبوا اعترافاً بشرعية وضعهم الغاصب إن السلام في الإسلام كمظلة للحياة العامة يعني عدم الاعتداء على أحد وأن يعيش الجميع بحرية وأمان لا اغتصاب لأرض أحد ولا لأمواله ولا عدوان على شيء من معنوياته وحقوقه.

وللسلام في الإسلام معنى في قبال الحرب كقوله تعالى ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها..﴾.

وهذا معناه عدم القتال والهدنة مع القوم الذين يحاربون المسلمين والهدنة لها أحكامها فهي بالمصطلح الحديث عمل تكتيكي يهدف إلى إعادة تقوية المسلمين أو فسح المجال أمام أعدائهم ليراجعوا مواقفهم حيال المسلمين لعلهم يقلعوا عن عدوانهم وحربهم وهي في جميع الأحوال تعني إيقاف الحرب لمدة محددة وفق ضوابط معينة وليس فيها تنازل عن الحقوق الأساسية ولا إعطاء شرعية للعدوان.

وصلح الحديبية الذي فعله رسول الله (ص) مع أهل مكة خير شاهد على ذلك إذ كان عملا تكتيكياً من قبله (ص) كان له مدة محددة تفرغ بعدها لنشر الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية غير القرشية حتى آمن معظمها بالإسلام، وخضعت لرسول الله (ص) فقويت شوكة المسلمين وزاد عددهم ازديادا عظيما فلما نكث القرشيون بعهودهم ونقضوا هدنتهم مع رسول الله (ص) توجه إليهم بجيش لا قبل لهم به وفتح مكة دون قتال وذاب الجميع بالإسلام ولم يكن في بنود ذلك الصلح أي تنازل عن أرض أو حق لرسول الله (ص) في الدعوة إلى إسلام فما أبعده عما يجري في هذه الأيام من الصلح مع العدو الصهيوني بدءاً من كامب ديفيد إلى واي بلانتيشن حيث ضاعت بموجب تلك الاتفاقيات حقوق الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وما احتل بعدها من بقية أراضي فلسطين وأراضي الدول العربية الأخرى في عام ١٩٦٧ ولا أدري كيف يسمح بعض المتقولين لأنفسهم أن يجعلوه شاهدا على شرعية ما فعلته الأيدي المضيعة لحقوق الشعوب.

وأما الحديث عن اتفاقيات واي بلانتيشن من وجهة شرعية فإنه لابد وان يتناول عدة محاور وكلها تستند إلى وقائع ذلك الاتفاق وما سبقه من اتفاقيات وما طرح فيها من مبادئ أساسية تمثل قواعد ومنطلقات أساسية للسلام المزعوم، وما ينتج عنها من نتائج وما تحققه من أهداف وغايات للاستعمار الأمريكي والصهيوني في ظل النظام العالمي الجديد.

لقد نصت بنود اتفاق واي بلانتيشن وكذلك أوسلو وما سبقهما من اتفاقيات على التنازل عن الأرض وبصورة صريحة كل ارض فلسطين التي احتلت في عام ١٩٤٨ وأقيمت عليها دولة إسرائيل لان كل الاتفاقيات السابقة تنص على حق إسرائيل في الوجود والعيش ضمن حدود آمنة وهذا يعني التنازل عن أرض فلسطين التي احتلت في عام ١٩٤٨ والاعتراف بالكيان الإسرائيلي الغاصب بل والتنازل عن أجزاء مما احتل في عام ١٩٦٧ بحجة الضرورات الأمنية لذلك الكيان.

كما نصت البنود الأمنية الواردة في اتفاق واي بلانتيشن على جعل السلطة الفلسطينية أداة في خدمة العدو الإسرائيلي لقمع انتفاضة أصحاب الحق الشرعيين من الفلسطينيين وسجنهم بل حتى تسليمهم لإسرائيل. فالسلطة الفلسطينية بموجب تلك الاتفاقيات مسؤولة عن اتخاذ

الإجراءات اللازمة لإيقاف العمليات الجهادية التي يقوم بها أصحاب الأرض الشرعيون بما في ذلك اعتقال المجاهدين والتعاون مع الاستخبارات الإسرائيلية من اجل ذلك وضرب القواعد التحتية للفصائل الفلسطينية المجاهدة كحماس والجهاد وغيرهما، وكذلك تلتزم السلطة الفلسطينية بتخفيض عدد أفراد الشرطة الفلسطينية وتسليم إسرائيل لوائح بأسمائهم ومراتبهم وهذا له دلالته على أن لإسرائيل الحق بالتدخل بالموافقة على وجود الأفراد والمراتب في هذا السلك الأمني الفلسطيني مما يجعله في الحقيقة تابعا للإرادة الإسرائيلية تعزل من تشاء وتنصب من تشاء وباختصار جعل اليد الإسرائيلية هي العليا وبالتالي فسح المجال لها للتحكم بالمسائل الأمنية للفلسطينيين.

كما نصت بنود الاتفاق والاتفاقيات التي سبقته على إلغاء جميع البنود التي تعارض قيام إسرائيل من الميثاق الوطني الفلسطيني وهذا يعني محو هوية الشعب الفلسطيني إذ ليست القضية قضية شطب البنود التي تنص على مقاومة الاحتلال وحرب إسرائيل بل القضية ستبدأ من تعريف الشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية والشيء الخطير في الأمر أن كل هذا سوف يحصل في ظل ضمانات دولية وشهادة من دول العالم والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة لإعطاء ما يتم الاتفاق عليه شرعية دولية لا"يتمكن معها أي أحد من التنصل منه في ظل أي ظرف من الظروف.

ولابد أن نذكر في هذا المقام أن الاتفاقيات قد أعطت للفلسطينيين إلى الآن ما يقرب من ١٨٪ من أراضي الضفة والقطاع وأبقت ٨٢٪ تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي والأراضي التي أخذها الفلسطينيون هي مجموعة من المدن المبعثرة في الضفة سلخت عنها معظم الأراضي القابلة للزرع ومصادر المياه مما يعني استحالة إيجاد حياة مستقرة ومقبولة فيها في المستقبل بل ستبقى تحت رحمة إسرائيل لانعدام فرص العمل الكافية فيها، ولن يجد سكانها بدا من التعامل مع العدو الإسرائيلي وتشكيل اليد العاملة الرخيصة لصناعاته خصوصا التي لها خطرها على حياة الإنسان والتي لا يرغب الإسرائيليون بالقيام بها والمسؤولون الإسرائيليون يعلنون انهم لن يتفاوضوا في المرحلة النهائية من المفاوضات وهي المرحلة القادمة على أكثر من واحد بالمائة مما تبقى من الأرض وقد أطلقوا يد الاستيطان في كل مكان من الضفة والقطاع بقصد تغيير الواقع الديموغرافي للأرض.

ومن المعلوم أن فلسطين أرض إسلامية مفتوحة عنوة يملكها جميع المسلمين من وجهة النظر الشرعية، ولا يحق لأحد التنازل عنها ولا حتى الفلسطينيين أنفسهم فضلا عن فئة صغيرة منهم تمالئ الاحتلال وكذلك لا يسمح الإسلام بتسليط الكفار والمعتدين على المسلمين وجعل يدهم العليا ولا بسفك دماء الأبرياء وإلحاق الأذى بهم دون حق خدمة للعدوان ودفعا للشعوب عن حقها في الدفاع عن أرضها ومقدساتها. هذا كله من بعض بنود الاتفاقيات.

وأما من جهة ما طرحته من مبادئ ومنطلقات أساسية فلابد من الالتفات إلى انه قد طرح في اتفاقيات واي بلانتيشن مبدأن خطيران أولهما:

إن السيادة في الضفة الغربية إنما هي على الشعب لا على الأرض وهذا معناه أن السلطة الفلسطينية لن تكون لها سيادة على الأرض في نهاية المطاف وسيادتها إنما هي على الشعب فقط وهذا يؤكد دورها كخادم لمصالح الصهيونية ويحرم الشعب الفلسطيني من حقه في تكوين دولته وسيادته على أرضه، ولا أدري كيف ستكون السيادة على الشعب دون الأرض إلا إذا تحول الفلسطينيون من شعب له كيانه وحقوقه الكاملة على أرضه إلى مجموعة من الغجر ليس لهم وطن ولا أرض يهيمون على وجوههم في كل مكان فأي إذلال وتضييع للحقوق أكثر من هذا لقد مسخت في ظل هذه المقولة الدولة الفلسطينية الموعودة إلى مجرد ترتيبات في الإدارة المحلية فأي تفريط وهوان أعظم من هذا التفريط والهوان.

وفي الإسلام لا يوجد فاصل بين الإنسان والأرض فخطاب الاستخلاف لآدم بجعله خليفة لله في أرضه ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..﴾ فكل إنسان له سيادته على أرضه.

وثانيهما: طرح مبدأ السلام مقابل الأمن وجعله بديلاً عن مبدأ الأرض مقابل السلام.

فإن المبدأ الجديد- السلام مقابل الأمن- فيه إشعار بإمكان التنازل عن كل الأرض سواء ما احتل منها في عام ١٩٤٨و ما احتل بعد ذلك في عام ١٩٦٧ لان مبدأ السلام مقابل الأرض مع انه ليس ناظراً بطبيعة الحال إلا إلى الأراضي التي احتلتها إسرائيل في عام ١٩٦٧ فإن المبدأ الجديد يعني التنازل حتى عن هذه الأراضي، وفيه إذلال لجميع الشعوب العربية والإسلامية لأنه يصور إسرائيل بصورة المارد الجبار الذي يجب أن يتنازل له الجميع عن حقوقهم ويعطونه كل ما يريد لاتقاء سطوته فهو القادر على منح الأمن والسلام للجميع وقبول مثل هذه المبادئ له خطره من جهة المستقبل لأنها ستمثل في نظر إسرائيل وبعض عملائها أساساً للتفاوض لتصفية كل قضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني وقاعدة للعدوان على الدول الصامدة في وجه العدوان الإسرائيلي كالجمهورية العربية السورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ومثل هذه المبادئ ليس من حاجة لبحثها من وجهة نظر الإسلام لأنها ظاهرة الفساد ومن الواضح انه إنما قد أملتها يد العدوان الإسرائيلية الأمريكية في واي بلانتيشن. كما وإنني أرى أن هذه الاتفاقيات لها أهداف ونتائج في غاية السوء منها:

١- القضاء على هوية الشعب الفلسطيني وتصفية وجوده من خلال حذف أهم بنود الميثاق الوطني الفلسطيني وتصفية قضية فلسطين.

٢- إشعال فتيل الحرب الأهلية بين الفلسطينيين لان المعارضين لهذه الاتفاقيات سوف يرغمون على موافقتها حتى لا تنجح في تشكيل واقع دائم مستقر ينهي قضية

فلسطين. ولا يفيد في هذا العمل إلا مقاومة الاحتلال وجهاده ولا يمكن الاكتفاء أمام هذه الأخطار بمجرد الاعتراضات الكلامية وهذا ما سيعرض المجاهدين لقمع السلطة الفلسطينية التي تعهدت بردعهم وإيقاف عملهم ولابد بالتالي من مقاومة هذا القمع إذا ما تمادى في غيه في نهاية المطاف وإذا ما استمرت تلك السلطة في تنفيذ تلك الاتفاقيات.

وهذا يعني تصفية الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية بأيدي الفلسطينيين أنفسهم لا بأيدي الإسرائيليين لأن الفلسطيني أقدر على قمع أخيه وأبصر بمواقعه ونقاط ضعفه وقوته ثم أن هذا العمل لا يسيء إلى صورته في نظر الإعلام الأمريكي والأوروبي لأنها سيئة بالأساس بفعل الدعاية الإسرائيلية.

أما تصوير الإعلام العالمي للجنود الإسرائيليين وهم يكسرون سواعد أطفال الحجارة وأرجلهم فهو يسيء إلى صورة الإسرائيلي الذي صور مسالما وحضارياً في نظر الإعلامين الأمريكي والأوروبي.

كما أن تصفية المقاومة الفلسطينية بأيدي الفلسطينيين يمزق الصف الفلسطيني وهو ما تريده إسرائيل لتتمكن من فرض سيطرتها بشكل أسهل وأعمق.

٣- محاولة القضاء على الإسلام كايديولوجيا للوصول إلى روابط دولية جديدة كالشرق أوسطية والتي تعني التخلص من الروابط القائمة بين دول المنطقة على أساس الإسلام والعروبة والتي لا تسمح بطبيعتها باستيعاب إسرائيل في ضمنها لتحل محلها روابط جديدة تسمح بذلك وتمسخ في ذات الوقت الشخصية الثقافية للمنطقة ليحل محلها كيان ثقافي جديد يلغى فيه كل ما يرجع إلى تراثها الحضاري لتفقد تلك الشعوب ذاتها وتصبح مجرد قطع تدور مع عجلة الغرب وآلته الصناعية والحضارية.

وما استهداف الإسلام بهذا العدوان إلا لانه يمثل الاساس الواقعي لمنطلقات الجهاد ضد المحتلين ولكونه يمثل هوية الأمة وأساس كيانها الحضاري ليفسح المجال بعد ذلك للنظام العالمي الجديد ليسيطر على المنطقة بأسرها بمنظومته الثقافية والاقتصادية حيث ستعمل المنظومة الثقافية الجديدة على إيجاد صياغة فكرية جديدة لشعوب المنطقة تحولها إلى شعوب ذات أنماط حياة استهلاكية ولهوية وكيانات اجتماعية يملؤها الفساد والفحشاء لقطع الطريق عليها أمام محاولة إعادة كيانها الذاتي وتقويته وبعثه حيا من جديد ولإلحاقها والى النهاية بذيل الحضارة.

فأي سعي خبيث لاجتثاث الناس من تراثهم وحضارتهم أخبث من هذا السعي فنسأل الله تعالى أن يقينا هذه الشرور وأن يدفع عنا كيد أعدائنا بحوله وقوته.

"إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويداً".

المحور السابع

الإرهاب الدولي
وأساليب المواجهة

الإرهاب هذه الكلمة استعملت كسيف ذي حدين إذ أرادت أمريكا وإسرائيل أستغلالها للقضاء على حركات التحرر في فلسطين وغيرها من البلاد العربية والإسلامية فاختلطت المفاهيم وأصبح المناضلون المجاهدون إرهابيين والمستعمرون طيبين مضادين للإرهاب فهذا جورج بوش الابن ينظر في عيني شارون فيرى فيه رجل سلام!!... وصاروا يطلبون من الدول العربية والإسلامية تغيير مناهج التربية الدينية والتاريخ والجغرافيا والاجتماع وعدم قراءة الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد... نعم لقد وصل بنا الأمر إلى هذه الدرجة..

وسنناقش هنا ملف الإرهاب مع عديد من الأساتذة والمفكرين المعروفين.

نحن ومجابهة الإرهاب

الدكتور حسن الترابي(*)

أوروبا الغربية جربت في حملتها الاستعمارية الأولى التي ادعت أنها حروب صليبية ان تغزو العالم الإسلامي فعجزت ولكنها عادت بعدما تجردت من دينها وأحاطت بغالب أرض الإسلام وداره. لكن المسلمين نهضوا بدوافع الاستقلال والجهاد حتى تحرروا وخرجت وهي واهمة أنها قد مكنت عليهم حكومات تواليها ونكبت الإسلام.

بيد أن الصحوة الإسلامية الآن أحيت في نفوسها ذكريات الماضي. من جانب اخر فإن أميركا التي تتمكن فيها الضغوط الصهيونية في سياساتها الخارجية- لأن السياسة الخارجية ليست نتاجا للديمقراطية في أميركا بل الديمقراطية تقتصر على القضايا الداخلية- أقول أن أميركا لما انهار الاتحاد السوفيتي خشيت أن تزهد فيها أوربا وتستغني عنها بعد انحسار خطر المعسكر الشرقي.

ولذلك بدأت تعبئ فيهم الحذر من خطر "الأصولية الإسلامية" التي قد تتوالى مع "الكونفوشية الصينية" والجهتان حاولتا أن تمكنا نظما موالية لها على سطح الحياة الإسلامية تكبت كل ظاهرة إسلامية.

إنني لا أستطيع أن أنادي غالب الحكومات الإسلامية لتقدر هذا الخطر الاستراتيجي وتتخذ خطة تصد بها الابتلاء، لانها أولا تحكم باهواء السلطة وثانيا هي لا تعنى كثيرا بالنظر في مستقبل هذا الزمان وهي ابعد إلى الدين من الحياة العامة، فليس فيها من دوافع تدين تحرص بها على حماية هويتها الإسلامية من ذلك الخطر.

ولأن غالبها رهن كذلك بالموالاة للغرب. فبغير ذلك قد يسقط بضغوط الشعوب.

فالدعوة ينبغي أن يخاطب بها جمهور المسلمين الذي بدأ يتصاعد الآن في كل العالم الإسلامي، انه في وجه هذا الابتلاء المضروب عليه في بلاده، لابد أن ينهض الإسلام وهذه سنة نهضة الإسلام الأولى. لم تنهض في حرية، وما من نبي إلا دعا قومه إلى قدر من الحرية. أن يعملوا على مكانتهم فهو عامل وأن ينتظروا فهو منتظر. وأن يصبروا لمن تكون عاقبة التاريخ.

ولكن غالب الأقوام كما يحكيهم القران أبوا إلا أن ينقلبوا عليه فيخرجوه ويضربوه حتى يعود إلى ملتهم والقرآن يقص علينا تلك القصص لأنها عبرة التاريخ الديني وهي عبرة التاريخ العالمي أيضاً. أيما ظاهرة حضارية جديدة دينية كانت أو لا دينية، تحاصرها قوى القديم من حولها وتخشى أن تزلزل عليها مصادرها وميزان أهوائها من حولها.

ولكن هذا التصدي، تصدي الشر لأهل الخير، والباطل لأهل الحق يستفزهم ويزيدهم ايمانا ويفجر فيهم طاقات تصدي القديم ضد الحضارات الجديدة، وتعبئتها لمناهضته.

(*) السودان– مفكر إسلامي.

ولذلك فإنه مهما غلبت على الساحة الإسلامية الآن من الضغوط على الحركات الإسلامية وعلى كل مظاهر الإسلام، فإنني مطمئن إلى أن الله غالب على أمره. ومطمئن كذلك ومن قراءتي للتاريخ أيضاً أن هذه الشعوب ستنهض بالإسلام ويمكن أن تعبر عن نفسها صعداً إلى الحكم فإن لم يمثلها أطاحت به بعيداً.

ولذلك ينبغي لكل الإعلام الإسلامي صوتاً كان أو حرفاً، أن يعبئ هذا الرأي العالم الإسلامي.

*** في ضوء كلامكم هذا ألا تعتقدون بوجود حد أدنى من إمكانية مصالحة بين الشعوب والحكومات لبلورة الجبهة المتراصة أمام الضغط الاستكباري القائم؟**

المسلمون ما اشتدت عليهم وطأة الضغط الغربي إلا بضعف فيهم {وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} وفرقوا دينهم واصبحوا شيعاً وطوائف ومذاهب. بعضهم أخذوا باطناً وبعضهم أخذوا ظاهراً وأصبحوا أقطاراً.

على الصعيد الأفقي فإن الأمة الإسلامية تقطعت. وعلى الصعيد الراسي كذلك أصبح جانبها الأعلى ليس إلا زبداً، والماء الطاهر في الأرض.

الإسلام يدعونا إلى أن نوفر كل طاقاتنا، حتى إذا اختلف الرعاة والرعية على قضية، ينبغي أن يتشاوروا ويتناصحوا.

أن يأتي أيما تغيير أو تجديد رفقاً ولو جاء بطيئاً، خير من ان تكون كل الطاقات متخاصمة، متناسخة، متساقطة معاً.

لكن نحن في حرب رأسية بين الرعية والراعي في كثير من البلاد الإسلامية. وفي حرب أفقية بين القطر والقطر المجاور. وهذه مظاهر بعد عن الله الواحد. فلأننا ابتعدنا عن الله الواحد فقدنا وحدتنا الرأسية والأفقية.

*** في ظل هذا إذاً ينبغي أن يصار إلى عملية محكمة لهداية وترشيد الصحوة الإسلامية بعدما مرت بحالات من الإفراط والتفريط..**

نعم، لكن الصحوة الإسلامية تعرضت أحياناً لضغوط وكان يمكن لها أن تعبر مثلاً حتى تبسط ساحتها وعندئذ هي لن تجد مجال الحرية إلا أن تجاهد وتقلب عالي الأمور سافلها.

ولكنها أحياناً تقتحم ساحات المجاهدات وليس لها من قوة ولا من نظام.

الحركات الإسلامية أحياناً تقتصر على الدعوة إلى مبدأ خيار الإسلام في وجه الخيارات الأخرى. ولكن كان عليها أن تنزل على الناس هذا المبدأ بتفاصيل تنزيله على الحياة، برامج لأن الناس لابد أن تدعوهم إلى الدين من خلال أمراضهم الاجتماعية وحاجاتهم الاقتصادية والعلمية ونحو ذلك.

والحمد لله أن الساحة الإسلامية فيها بلدان مسلمان يرسمان طريق الحركة بالثورة

من الشعب إلى قيام الدولة الإسلامية(*)، وبالنهضة كذلك من الحركات الإسلامية الواسعة إلى التمكن من النظام الإسلامي.

إنَ على الحركات أن تعيّن أولوياتها. فإذا كانت توفر لها حريات ولو محدودة خير لها من لا شيء، وإن كانت مضطرة للثورة فلابد حينئذ من أن تتعبأ لها وتعد لها ساحات الثورات في العالم. ولتعلم أن الخطر ليس هو الذي تجابهه ولكن من ورائه يظاهره كذلك خطر غربي يؤمن بالثورات إذا كانت أهدافها غربية ولكن يسميها "إرهاباً" إذا كانت إسلامية.

*** لكي نفصل في مفهوم ومصطلح الإرهاب بمعناه الواقعي البعيد عن التحريف، نرجو منكم تعريفاً لرؤيتنا نحن المسلمين لهذا المفهوم؟**

إن اشتقاقات الرهبة في القرآن جاءت في سياقات أخرى. إننا نرهب الله سبحانه وتعالى، ونرغب في رحمته وجزائه. والله سبحانه وتعالى أمرنا كذلك أن نعد للناس قوة نرهب بها عدو الله وعدونا. ولكن كلمة القرآن بغالبها سلبت منه وشحنت بمعان لا قرآنية أصلا. والطيب منها قد يملأ خبثاً. أميركا هي التي تخرج كلمة "الإرهاب" وبمعاييرها تفرض دلالات هذا المصطلح الذي تطلقه، إذا كان الغرب يؤمن بأن المحروم من الحريات الدستورية له الحق بأن يثور وأن يقاوم لكن إذا كان مسلماً فهو إرهابي. وهكذا أصبح يطبق علينا بمعيار مزدوج فالدولة مهما قمعت ومهما بسطت من بطشها على الناس وأرهبتهم إذا كانت تواليهم (الغرب) فإنها لا تسمى إرهابية وإذا كانت لا تواليهم تسمى إرهابية.

فالمصطلح أصبح نسبياً وسلاحاً من أسلحة الدعايات التي يتخاصم بها الناس ولأن غالب الرأي العام تحتكره الآن قوى ضد الإسلام فتستعمل كلمة "الإرهاب" هذه سلاحا بوجه الحركة الإسلامية.

صحيح انه لا يجوز للمسلم أن يعتدي إلا على من اعتدى عليه ولا يبدأ بالعدوان مسلم أصلاً هذه واحدة. ثانياً: لا يجوز له أبدا حتى إذا اعتدى عليه الآخر إلا بمقدار عدوانه ويتقي الله إلا أن يأخذه الغضب فيجنح إلى المبالغة.

تلك السنة هي بين المسلم الداعي للإسلام في بلد ضد نظام يأبى الإسلام ويكرهه وبين بلد مسلم ضد دولة أخرى كذلك تريد أن تحارب الإسلام أو تعارضه هذه هي سنن الإسلام.

*** هل تعتقدون أن الحركات والقوى الإسلامية العاملة في الساحة قد ارتقت إلى مستوى يمكنها من نبذ التنافر فيما بينها وصولاً إلى التكاتف الحقيقي؟**

(*) أراد الدكتور الترابي بالبلدين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والسودان، وقد قال كلمته هذه في عام ١٩٩٦م. وقبل أن يقع الاختلاف بينه وبين الرئيس عمر البشير.

الحركات الإسلامية أحيانا لم تجدد نهجها على قدر الابتلاءات المتجددة وقد تختلف مع ظاهرة إسلامية في فرعية معينة وتقيم الدنيا وتقعدها على تلك الفرعية وتنسى أن الحرب قائمة الآن ضد أصول الإسلام وقواعده كلها.

كنت أرجو ألا تكون الحركات الإسلامية التي نهضت اليوم رهناً للماضي أصلاً وإذا كان المسلمون يوماً ما اختلفوا وتفرقوا طوائف مختلفة فتلك أمة قد ظلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا لا نسأل عما فعلوا ولا يسألون عما فعلنا.

أنا لست بطائفي ولا أسمي نفسي كذلك، سنن الذين سلفوا من الصالحين اهتدي بها. وسنن الذين أفسدوا من السلف أتقيها أنا من شيعة الصالحين جميعاً ولست من شيعة الفاسدين إنني أستعمل هذه الكلمات كما يستعملها القرآن. أما أن تحيلها إلى شعار لشق صف المسلمين إلى يوم القيامة بأن قضية مضت اختلف عليها المجتمع الإسلامي فتلك علة أصابت أهل الكتاب وقد نهانا الله أن نكون كاهل الكتاب.

وتقول اليهود ليست النصارى على شيء وتقول النصارى ليست اليهود على شيء وكلهم يتلون كتاباً واحداً، لذا فإن الاتحاد التام هو المطلوب في عهد هذه الفرقة.

ثانياً: أنا لست بقطري. المسلم إذا ما وجد نفسه في أيما بلد إسلامي، بل وأينما كان والأرض كلها لله، لأن الله يوم القيامة لا يحاسبه ببلده بل بكسبه. فأينما كان يمكن أن يذهب هنالك ويقاتل هنالك ويستشهد هنالك أو يجاهد ويبني هنالك إذا تيسر له ذلك.

ولكن كثيراً من الحركات الإسلامية ما تزال تنفعل بعصبياتها الوطنية وبعصبياتها التاريخية. وكثير منها ينشغل بالقضايا الفرعية حتى يصبحوا كأهل الكتاب الذين أُمروا أن يذبحوا بقرة ما. لكنهم ترددوا هل ذلك هزأ أم جد. وأي لون هي. وأي بقرة هي؟

فالتفاصيل كانت أهم عندهم من أن يمضوا في تنفيذ الأمر.

*** أخيراً ما هي رؤيتكم لأساليب مكافحة الإرهاب الدولي؟**

العالم الآن اصبح كله موصولاً كالقرية الواحدة لان وسائل الاتصال والخبر والانتقال أصبح يعول بعضها على بعض في الصحة والاقتصاد وفي الأمن. والله سبحانه تعالى أمرنا أن تكون قيمنا كذلك لا نعرف وطناً. ندعو الذي يلينا إلى الإسلام ونقاتل الذي يلينا إن كان يعدو علينا. والمشرق والمغرب لله رب العالمين. فمعاييرنا عالمية من أول الدين قديماً. والواقع الآن أصبح كله عالمياً واصبح ميسوراً في ان نسلك سبل القيم العالمية.

فلذلك كان ينبغي على أي حركة حتى لو اضطرت في قرية أو في بلد مسلم، أن تنظر إلى العالم وأن تعلم بأنها إذا جدت سيطير خبرها إلى أطراف الأرض، وبأن المكر العالمي كله سيتحالف عليها ولذلك لابد أن تصل حبلها بحبل كل تيارات الإسلام وحركات الإسلام في الأرض ونكون نحن أمة واحدة في وجه أهل الشر الذين يتحالفون أمة واحدة كذلك.

بالقوة نمنع الإرهاب

الدكتور أحمد الريسوني(*)

حرب المفاهيم والمصطلحات:

يقول العلامة الاندلسي ابن حزم رحمه الله: (والاصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد اختلاط الأسماء ووقوع اسم واحد على معاني كثيرة: فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراده المخبر، فيقع البلاء والإشكال...).

وكل هذا البلاء والعماء والفساد والإشكال. يقع بسبب الغموض والالتباس في المصطلحات، والحال أن المتخاطبين بها حريصون بصدق وحسن نية على الإفهام والتفاهم وتبليغ الحقائق وتجليتها، على ما هي عليه.

فكيف يكون الحال حين ينضاف إلى ما سبق، سوء القصد وإرادة التلبيس والتضليل، كما هو الحال في استعمال مصطلح الإرهاب، وغيره من المصطلحات المستعملة اليوم في الحرب الإعلامية والثقافية، المواكبة للحروب السياسية والعسكرية؟!.

وكيف يكون الحال حين يكون صانع المصطلح ومستعمله ومروجه يملك تفوقا كاسحا ساحقا في القدرة على الترويج والتبليغ والسبق إلى غزو الأسماع والأبصار والاذهان؟!.

هذا هو حالنا مع مصطلح الإرهاب، الذي أصبح استعماله والاتهام به، من أكبر وسائل الإرهاب، للأفراد والمنظمات وللشعوب والحكومات. وقديما قال بعض حكمائنا (الناس من خوف الذل في ذل) بمعنى أن الناس كثيراً ما يتجنبون قول الحق، والوقوف مع الحق، والتمسك بالحق خشية أن يتعرضوا للإذلال والهوان حتى وهم ممسكون عن مناصرة الحق ومناهضة الباطل. وهم يصبحون في ذل، لأنهم- من جهة- تحاشوا التعرض للإيذاء والإذلال الذي قد يصيبهم من حين لآخر، فأصبحوا في ذاتهم خائفين أذلاء على الدوام، من غير أن يمسّهم أحد. ولأنهم- من جهة أخرى- قد فسحوا المجال لأصحاب الباطل لكي يضيقوا عليهم أكثر فأكثر حتى يصبح الإنسان متهماً حتى في صمته ومسالمته للباطل، باعتبار أن ذلك غير كاف لإثبات البراءة ودفع الشبهة، حتى يقال لأحدهم: نظراتك مريبة، وملامحك تدل على جريمتك!!.

مثل هذا يقع اليوم مع قضية "الإرهاب".

(*) مفكر إسلامي وأستاذ جامعي في المغرب.

فأصبح الناس مطالبين ليس فقط ان يمسكوا عن أي عمل لا يروق الأقوياء، لأنه قد يصنف في خانة الإرهاب، بل أن يبادروا إلى إدانة الحق والصواب وتجريمه، وإلى تقديم ما يثبت التقدير والتأييد وعدم المعارضة للسادة الأقوياء المهيمنين.. فأصبحوا "من خوف الاتهام بالإرهاب في إرهاب" أي تحت وطأة الخوف من تهمة الإرهاب، أو تهمة تأييد الإرهاب، أو تهمة التعاطف مع الإرهاب، أو تهمة عدم محاربة الإرهاب. وهذا منتهى درجات الإرهاب. وتحت وطأته تسابق أصحابنا المعلومون إلى "شرم الشيخ"، مما يذكرنا بقول الله تبارك وتعالى ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾.

وللتذكير، فإن هذه الآية بعد قوله سبحانه ﴿"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

غير أن هذا الواقع المشحون بالتلبيس والضغط والترهيب لا يمنع من محاولة تبين الخيط الأبيض في هذا السواد الحالك. بل إن هذه المحاولة تزداد وجوبا وتحتماً في مثل هذا الظرف، حتى ولو جاءت، أو ظلت، متأخرة. والتأخر في الوصول خير من عدم الوصول كما يقال.

فلننظر في هذا الموضوع نظرة علمية، بنزاهة وتحرر وإنصاف. دونما خضوع أو تأثر لا بالضغوط القائمة، ولا بالمفاهيم السائدة، ولا حتى بردود الفعل الواردة.

وجوب إرهاب المعتدين:

الذين لا يرهبون جانب الله جل وعلا، ولا يخافون مقامه، لا يبقى بينهم وبين الطغيان والعدوان حائل ولا مانع، ولاسيما إذا كانت لهم قوة وشوكة. هؤلاء هم الذين ملأوا تاريخ البشرية بالظلم والعدوان، والجبروت والطغيان، هم الذين "طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد". وهم الذين "إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة". ولكن هؤلاء الذين لا يخشون ربهم ولا يبالون بأمره ولا بنهيه، ولا يؤمنون بوعده ولا وعيده، هؤلاء ينبغي أن يخاطبوا بما يفهمونه، وان يعاملوا بما يرونه ويلمسونه، لعلهم يرهبون ويرتدعون، ويكفون عن الناس شرهم وأذاهم، ولذلك أمر الله المسلمين ان يكونوا على أهبة الاستعداد في مواجهة أي عدوان، وأن يأخذوا بأسباب القوة الظاهرة، حتى يراها عدوهم فيقف عند حده. وإذا سمينا الأمور بأسمائها، فهذا نوع من الإرهاب، لكنه إرهاب موجه لوقف العدوان والحد من الطغيان. ثم إنه إرهاب وقائي، حيث ليس فيه قتل ولا قتال، بل هو مجرد إعداد واستعداد، تنبيها للعدو المتربص المتحفز، وفي هذا يقول المولى جل شأنه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

قال الإمام ابن عاشور: "والإرهاب جعل الغير راهبا، أي خائفاً، فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه ولم يجرؤ أعداؤهم أن يغزوهم".

وهذا التدبير الذي شرعه الإسلام، وأمر به القرآن، لا يقتضي حرباً ولا قتلاً، بل هو غالبا ما يكون مانعاً من الحرب والقتال، وواقياً للأرواح والأموال، ولا تقتصر فائدته على المسلمين وحدهم، بل فائدته تعود عليهم وعلى أعدائهم أيضا. ولذلك وجب على المسلمين أن يكونوا مرهوبي الجانب أمام أعدائهم الذين لا يرهبون الله تعالى، ولا يرقبون في الضعفاء ضمير ولا ذمة. ولكنهم يرهبون القوة ويحترمون الأقوياء، كما قال تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾.

والخلاصة أن هناك نوعين من الإرهاب، شرحهما الإسلام ونص عليهما القرآن:

١- الإرهاب بمعنى جعل الناس يخافون ربهم ويعظمون مقامه، ويرهبون عقابه. وأكثر ما يعبر عن هذا المعنى عند علمائنا بالترهيب، الذي يقارن بالترغيب. وبهذا المعنى ألف الحافظ عبد العظيم المنذري كتابه الشهير (الترغيب والترهيب).

٢- الإرهاب بمعنى جعل أعداء المسلمين يهابون جانبهم فلا يعتدون عليهم ولا يبادرونهم بالحرب، وذلك لما يرونه من قوتهم وقدرتهم واستعدادهم.

وواضح انه ليس في اي منهما مساس بأحد، لا بقليل ولا بكثير، لا بحق ولا بباطل، فالإرهاب الأول للهداية، والإرهاب الثاني للوقاية.

فليس في الإسلام- وليس من الإسلام- مجال لقتل الأبرياء ولا لإيذائهم ولا للإضرار بهم بأي شكل من الأشكال. وليس في الإسلام إقحام من لا دخل لهم في حرب جارية ولا دور لهم في عدوان قائم. وليس من الإسلام أخذ أحد بجريرة غيره، ولو كان أباه أو أخاه أو رئيس دولته مادام لم يتحمل نصيباً في تلك الجريرة أو تلك الجريمة. ومن الأصول المحكمات في الإسلام "ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى".

وانطلاقا من هذه المبادئ، فإن المساس بكل شخص لم يشارك في اعتداء أو احتلال أو اغتصاب، ولا هو أعلن تأييد ذلك وسانده، يعتبر ظلما وإجراما وإرهابا مدانا، حتى ولو تم باسم الدفاع عن النفس، أو باسم الجهاد، أو بأي اسم اخر.

ومن هذا المنطلق نفسه يجب تجريم من يعاقب أقارب الجاني أو يطرد المشتبه فيهم من بلدهم، او يحاصر المدن والقرى، أو قطرا بكامله، لمجرد ان له ثأرا حتى ولو كان محقا فيه مع بعض أبناء العائلة أو البلدة أو أحد مسئوليها. فكل هذا عدوان وإرهاب مرفوض سواء مارسه المسلمون أو مارسه غيرهم. وسواء مورس على المسلمين أو مورس على غيرهم.

- **حق الدفاع عن النفس والمعاملة بالمثل:**

ومن المبادئ المقررة في الإسلام، والمسلّمة أيضاً في كافة الشرائع والقوانين والمواثيق الدولية، مبدأ حق الدفاع عن النفس، ومبدأ حق المعاملة بالمثل. وهما متلازمان ومتداخلان، يكمل أحدهما الآخر.

١- **حق الدفاع عن النفس**: ومفاده أن من كان عرضة للاعتداء المودي بحياته أو سلامة بدنه، أو المنتهك لعرضه أو ممتلكاته، أو تعرض لذلك من يلزمه الدفاع عنه وحمايته، فهو إما أن يتمكن من تجنب ذلك العدوان والسلامة منه، فذلك هو المتعين. فإن كان لا سبيل له إلى ذلك بنفسه، ولكن بإمكانه اللجوء إلى من يدفع عنه وينصفه ويحفظ عليه نفسه وحقوقه، فذلك هو اللازم أيضاً، سواء كان حاكما أو قاضيا، أو كان كما في النزاعات الدولية هيئة معترفاً بها وبنزاهتها وعدالتها وقدرتها على إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

أما عند عدم وجود هاتين الحالتين، أو عند تعذر اللجوء إلى أحد هذين المسلكين، أو عند عدم جدواهما، فإنه يكون من حق المعتدى عليه، المهدد- أو المصاب فعلاً- في نفسه أو حقوقه الضرورية، أن يدفع عن نفسه بما يستطيع.

قال الله عز وجل ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾.

وقال أيضاً ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل﴾.

وفي الحديث الشريف عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد".

والنصوص القرانية والحديثية في هذا الباب معروفة. تفيد كلها إفادة قطعية، مشروعية الدفاع عن النفس عندما لا يجد المعتدى عليهم- أفرادا أو جماعات ملجأ أو سبيلا لدفع العدوان غير الدفاع بأنفسهم عن أنفسهم وذويهم وأوطانهم وكل من يجب الدفاع عنه.

٢- **مبدأ المعاملة بالمثل**: وهو أيضا مبدأ معمول به في جميع الشرائع وفي جميع العصور. ومعمول به في حالات السلم والحرب، وعلى صعيد الافراد والجماعات والامم. وهو لون من ألوان المساواة والعدالة. وهو مبدأ قرره القران الكريم في غير ما اية منه.

وقال الله جل شأنه ﴿وأخرجوهم من حيث اخرجوكم.. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه.. الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

وقال أيضاً ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم﴾.

وواضح أن الآيات تشير إلى أولوية العفو والإصلاح والتصالح. وهذا طبعا حين يكون فيه وضع حد للخصومات والنزاعات والعداوات والاعتداءات.

أما إذا كان من شأن العفو والغفران تشجيع المعتدين على معاودة بغيهم. فالردع والمعاقبة أولى. وهو ما أورده القرآن الكريم في مساق الثناء والإقرار والتنويه ﴿.. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾.

قضية الإرهاب عند السياسيين اليوم:

بعد أن عرضت المبادئ والملامح العامة التي تنبني على أساسها الرؤية الإسلامية لقضية الإرهاب، أنتقل إلى تناول ملامح الإرهاب.... المعاصر والتعامل المعاصر مع هذه القضية.

وأسجل في البداية أن مصطلح الإرهاب يستعمل اليوم لدى السياسيين والإعلاميين، بكثير من التفاوت والخلط والتلبيس، ومع ذلك يمكن تلمس معنى مشتركا يقصد في غالب الحالات الموصوفة بالإرهاب. وهو أن الإرهاب يقصد به: "أعمال العنف التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات بشكل مبيّت، ضد خصومهم السياسيين".

وتشمل أعمال العنف كل الأضرار المادية التي يتم إلحاقها بالأشخاص، من قتل فما دونه، كما تشمل كل أعمال التخريب التي يتم إلحاقها بالمنشآت العمرانية والصناعية وغيرها من المصالح المعتبرة عند الأفراد والشعوب والجماعات والحكومات.

وأما اقتصار هذه الأعمال على الأفراد والجماعات دون الدول والحكومات، فإن هذا هو الاستعمال الغالب اليوم لدى السياسيين، بحيث يتم التغاضي عما تقوم به معظم الحكومات والدول، ويقع التعامل معه بشكل مغاير، ولو أن بعض الأصوات الضعيفة تحاول من حين لآخر أن تدخل ضمن الأعمال الإرهابية ما تقوم به الدول أيضا، وقد جرى الحديث مرارا عن "إرهاب الدولة"، ولكن ذوي الهيمنة السياسية والإعلامية يصرفون الأنظار عن ذلك، ويركزون خاصة على الأفراد والجماعات والمنظمات!.

وأما اشتراط أن تكون الأعمال مبيتة، فلكي تخرج من العمل الإرهابي بعض الصدامات وردود الفعل التي تقع بشكل عفوي وفجائي دون تحضير ولا تدبير ولا قصد، كأن تنتج أعمال شغب وعنف عن مظاهرة سلمية، أو يتحول نقاش سلمي إلى عراك وضرب.

وأما الاقتصار على دائرة الخصومة السياسية، فلأولى استبعاد الجرائم العادية التي تقع في المجتمعات من قتل وضرب وسرقة واغتصاب.. وتكون دوافعها نزوات ونزاعات وحاجات شخصية. فهذه أيضاً لا توصف عادة بالإرهابية. فإذا استثنينا هذه الحالات بقي في دائرة الخصومة السياسية كل أشكال الصراع والتدافع لأهداف سياسية، أو تتعلق بالسياسة تأثيرا وتأثراً، سواء لدى الطرفين أو لدى أحدهما فقط.

ملاحظات وضوابط:

لقد أصبحت تهمة الإرهاب بهذا المعنى الاخير، سلاحا خطيرا يسلط على كثير من الشعوب والجماعات والمنظمات، وأحياناً حتى على الدول والحكومات، وأصبح ترويج هذه التهمة وإلصاقها بجهة من الجهات كافياً لإدانتها وتجريمها وشن الحرب عليها، بل يمكن القول أن تهمة الإرهاب قد أصبحت من أخطر وسائل الإرهاب!.

غير أن أخطر ما في استعمال مصطلح الإرهاب اليوم هو التسوية والخلط المتعمد بين الظالمين والمظلومين بين المعتدين والمقهورين وقد يتجاوز الامر مجرد الخلط والتسوية إلى قلب الحقائق، بإضفاء صفة المشروعية على الظالم المعتدي، وإلصاق تهمة الإرهاب بالمظلوم والمعتدى عليه.

إن النظر السليم والحكم الصحيح على الأعمال التي توصف اليوم بالإرهاب، لابد فيهما من التمييز والتفريق، ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، فهذا من البديهيات الالفبائية التي يقتضيها العدل والإنصاف. أما الخلط والتعميم والتسوية بين المختلفات، فليس سوى أسلوب من أساليب المغالطة والتضليل والخداع.

لابد في هذا الموضوع من التمييز مثلا بين الحالات الآتية:

- **الحالة الأولى:** كون الفاعل ظالماً والمفعول ضده مظلوما لا ذنب له.
- **الحالة الثانية:** كون الفاعل مظلوماً والمفعول ضده هو ظالمه المصر على ظلمه.
- **الحالة الثالثة:** كونهما معا معتدين ظالمين.
- **الحالة الرابعة:** حالة من ترك الوسائل السلمية وسلك من أول الامر أعمال العنف والإرهاب لنيل حقه، أو لم يستنفذ كل الفرص السلمية المتاحة له.
- **الحالة الخامسة:** من سلك كل السبل السلمية واستنفذ كل فرص المطالبة والإقناع لنيل حقه ورفع الظلم والعدوان عن نفسه، فلم تجده شيئا، ولم يأبه له خصمه، بل أمعن في ظلمه وهضم حقه.
- **الحالة السادسة:** حالة من يبادئ خصمه بالعنف والإرهاب.
- **الحالة السابعة:** من يلجأ إلى العنف دفاعا عن النفس أو معاملة بالمثل، حيث جاءت البداية من خصمه.

- **الحالة الثامنة**: حالة من كان حقه مقررا ومسلماً ومعترفاً به.

- **الحالة التاسعة**: من كان حقه مجرد ادعاء ومطلب، لم تثبت أحقيته ولم يُعترف بمشروعيته.

فهذه الحالات كلها موجودة الآن فيمن يتهمون بالإرهاب ويدانون به ويجرمون، وليس فيما عرفته البشرية وامنت به من تعاليم دينية أو قيم أخلاقية، أو قواعد قانونية، أو أعراف قضائية.. ليس فيها ما يسيغ التسوية بين كل هذه الحالات وإدانتها وتجريمها جميعاً، واعتبارها شيئاً واحداً، والحكم عليها بحكم واحد. ولكن الأغلبية الساحقة، نعم الساحقة من السياسيين وأتباعهم من الإعلاميين وغيرهم يفعلون هذا تلبيساً على الشعوب وتضليلاً لها. ويفعلونه على سبيل الإرهاب والإذلال لذوي الحقوق المشروعة حتى لا ينهضوا لنيل حقوقهم ورفع الظلم عن أنفسهم. ويفعلونه على سبيل التشويه والتنفير من كل فكرة أو حركة ينشد أصحابها الحق والعدل والكرامة.

وإذا كان المنطق يقتضي أن ندين كل إرهابي ظالم، وأن ندين كل مسارع إلى تفجير أعمال العنف والقتل حتى ولو كان ذلك في طلب الحق مادام لم يستنفد جميع الوسائل السلمية في طلب حقه، فإن هذا المنطق نفسه يقتضي تأييد من قام يدافع عن نفسه وعن حقه بعد أن صبر واحتمل، وبعد أن استنفد كل السبل والوسائل السلمية.

وإذا كنا ندين البادئ بالعنف والإرهاب، فلاشك أن من يفعل ذلك رداً ودفاعاً عن النفس يختلف عنه. وحتى حينما ندين من يرد العنف بمثله، فيجب على الأقل أن ندين أكثر البادئ بالعدوان.

وإذا كنا نقف موقف التحفظ أو التردد أو حتى الإدانة تجاه من يدافع عن حق مختلف في أحقيته، أو مازال بحاجة إلى إثبات واعتراف، فليس من العدل في شيء أن نستنكر على من يسعى إلى حق لا غبار عليه، ولا نزاع في مشروعيته، وهكذا..

والأدهى والأمر هو أن يدان المظلوم المعتدى عليه ويسمى إرهابيا، ويسكت تماماً عن ظالمه، وعن الظلم الذي ألحقه به، بل قد يحظى ظالمه بالتأييد والدعم والمساندة.

وإذا كنا لا ننتظر من صانعي السياسة الدولية وعبيدهم أن يحتكموا إلى المنطق ويرجعوا إلى الإنصاف، فإن أهل العلم والفكر، وأهل المبادئ من السياسيين والإعلاميين، مدعوون وجوباً إلى أن يميّزوا وينصفوا، وأن يحاربوا التلبيس والتضليل والخلط.

تهمة الإرهاب وسياسة الكيل بمكيالين:

لقد أصبح معروفا وواضحا أن صانعي السياسة الدولية وقادتها- من الأميركيين وحلفائهم وأعوانهم- يتعاملون مع قضايا العالم الإسلامي بمعايير ومنطلقات تختلف اختلافا

كبيراً عن تعاملهم مع قضاياهم وقضايا الأمم والشعوب الأخرى، فكل ما هو ضد الإسلام والمسلمين يجد كامل الحزم والتنفيذ والتأييد والتمويل والتسليح والتعبئة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية.. وكل ما فيه خير ومصلحة وحق للمسلمين يواجه بالرفض والمحاربة والتشويه والحصار، أو على الأقل بالإهمال والإقصاء والعرقلة.

وهكذا فحتى تهمة الإرهاب دخلتها سياسة الكيل بالمكيالين، فحينما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين، فإن تهمة الإرهاب جاهزة في كل لحظة، لا تحتاج إلى بحث ولا دليل، ولا تحقيق. كما أن حملات التشويه والإدانة تكون جاهزة لا تميز ولا تفرق بين ظالم ومظلوم. كما أن مخططات المواجهة والحصار والتصفية لا تحتمل تأخيرا ولا مهلة ولا تفاهما. بل في كثير من الحالات يكون "المتهم" محددا سلفاً قبل أن تقع الوقائع التي تقرر إلصاقها به بمجرد وقوعها بل ما أكثر الوقائع والجرائم التي تدبر وترتكب وتفتعل خصيصاً لتلفيقها إلى الجهات الإسلامية.

أما عندما يتعلق الأمر بغير المسلمين أو حين يكون المسلمون هم ضحايا الإرهاب، فكل ما سبق ينعكس تماماً.

وبهذه الثنائية في التعامل تصبح الأعمال التي يقوم بها الشعب الفلسطيني لحماية وجوده وتحرير أرضه، أعمالاً إرهابية، بينما هي عند كافة الأمم أعمال بطولية مقدسة، وبهذه الثنائية تصبح السودان- مثلاً- مصدِّرة للإرهاب والإرهابيين ولو لم يثبت ضدها أي شيء ولا مرة واحدة، ومن أي نوع ولأي سبب، بينما إسرائيل والمنظمات اليهودية تغتال وتختطف وتدمر داخل العواصم الغربية والعربية وغيرها، ولم تتهم بالإرهاب في يوم من الأيام.

وبهذه الثنائية تعتبر إيران دولة داعمة للإرهاب لكونها- ربما- تساعد بعض اللبنانيين على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لأراضيهم، وهو عمل مشروع معترف به لدى كل الأمم وفي كل العصور، بينما الدول التي تدعم الصرب وتمكنهم من إبادة المسلمين وتهجيرهم من بلدهم في البوسنة والهرسك، لم توصف قط بالإرهاب ولا بمساندة الإرهاب، لأنها يوغسلافيا وروسيا واليونان ونحوها، وليست باكستان أو أفغانستان، هذا فضلاً عما يقع في بعض بلدان المسلمين حيث يقتل الأبرياء في الشوارع والبيوت والمساجد ولا يسمى ذلك إلا محاربة للإرهاب، لأن الأنظمة التي تمارسه صديقة وموالية.

ومن غرائب الأمثلة في هذا الباب المفاجئ عن الإحراق الذي تعرض له أكثر من ثلاثين كنيسة من الكنائس التي يرتادها السود في الولايات المتحدة الاميركية، واضطر الرئيس الأميركي أن يتدخل بنفسه بعدة "خطب ومواعظ"، وسافر إلى الولايات الجنوبية التي شهدت هذه الحرائق لتهدئة هذه الموجة العنصرية الشديدة. ومع ذلك استمرت الحرائق وأشكال أخرى من الاعتداءات الموجهة ضد الأميركيين السود.

حدثت هذه الحرائق على مدى شهور من سنة ١٩٩٦ ومع ذلك لم يعلن عنها- مجرد الإعلان- إلا بعد أن تجاوزت الكنائس المحروقة الثلاثين دون أن يصحب هذا الإعلان ضجيج ولا استنكار ولا تنديد او انعقاد لمجلس الأمن أو للجنة حقوق الإنسان، ولا أصدرت المنظمات ولا الدول المتخصصة في إدانة الإرهاب بياناً ولا تحذيراً.

هذا مع العلم أن هذه الحرائق التي لاشك أسفرت عن خسائر باهظة وإصابات عديدة، هي أعمال عدوانية إرهابية بأبشع ما في الكلمة من معنى. وهي عنصرية مقيتة، من المفروض أن العالم كله يمجها ويحاربها؟!.

ولو أن كنيسة واحدة أحرقت في مصر مثلاً، لاهتز العالم في دقائق ولتحرك "أنصار السلام والتسامح" في غضون ساعات.. أما لو أحرقت عشر كنائس أو عشرون لضرب الحصار قبل أن ينعقد مجلس الامن ولتم انزال قوات الحلفاء بين عشية وضحاها..

أما إحراق أكثر من ثلاثين كنيسة، فلا بأس به إذا تعلق الامر بكنائس السود وكان المجرمون الإرهابيون من المسيحيين واليهود البيض، وكان مسرح الأحداث هو الولايات المتحدة الأميركية!!.

ومن الفوائد التي يحسن ذكرها في هذا السياق، أن أول تشريع اجتماعي جاء به الإسلام هو تحريم سياسة الكيل بمكيالين، فإن أول ما نزل في العهد المدني من عصر الرسالة المحمدية هو سورة المطففين التي مطلعها: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾. (قال ابن عباس: هي أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ساعة نزل بالمدينة، وكان هذا فيهم، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا. فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا.

وعن أبي هريرة قال: "نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة، واسمه عمرو، كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويعطي الآخر".

وإذا كان الامر كذلك بالنسبة للدول فإنه ينطبق أيضاً في علاقة الحكومات مع الحركات الإسلامية حيث لا يوصف اعتداء الحكومات العلمانية على اختيار الشعوب المسلمة كحالة الجزائر، أو مصادرة حقها في التعبير عن اختياراتها بواسطة الهيئات السياسية والنقابية مع فتح المجال أمام كل التيارات والاختيارات اللادينية إلا نوعاً من محاربة الإرهاب، وحينما تدافع هذه الشعوب عن نفسها بعد أن أغلقت أمامها كل السبل فلا يسمى ذلك إلا عين الإرهاب!.

واجب الإعلام تفادياً لتهمة الإرهاب

الدكتور خلف الجراد(*)

ما علاقة مفكري عصر النهضة بالغرب وهل أوضحوا لهم حقيقة الإسلام وبعده عن الإرهاب؟

قد لا نكون مبالغين أو سلبيين إذا ما أكدنا على حقيقة مريرة هي أن الفكر العربي لم يبادر بصورة عامّة نحو دراسة الثوابت أو الاسس التي تعزّز هويته وملامحه الخاصة، وإنما كان ومازال منفعلاً بالنظريات والإيديولوجيات والتيارات الفكرية والسياسية والفلسفية الوافدة، وبالتحوّلات الاستراتيجية والممارسات الغربية في المنطقة العربية وعلى الساحة الدولية. ونكاد نقول إنه فكر بلا ثوابت تعزّز وجوده المستقل، حيث تنحصر إسهاماته بالاستجابة الآنية للتحديات الخارجية المختلفة.

فإذا عدنا إلى ما يُسمى، "النهضة الفكرية العربية" الحديثة، نجد أنها مرتبطة- أو هكذا درست بغزو نابليون لمصر في عام ١٧٩٨- أي باجتياح المنطقة العربية بالجيوش الاستعمارية والمستشرقين والأفكار والتوجّهات المعادية للعرب والإسلام، التي كانت متخفية بشعارات وأردية متنوعة.

وقد مهدت لهذا الغزو المباشر سلسلة أو شبكة من المعاهد والإرساليات، التي اجتاحت المنطقة العربية بدءاً من القرن السابع عشر، مركزة أنشطتها في بلاد الشام تحت غطاء تجديد الرهبانيات والأعمال الكهنوتية، ولكن ضمن إطار زعزعة أركان الإمبراطورية العثمانية.

وتوالت بعد ذلك الاحتلالات الغربية للولايات والأمصار العربية (من الجزائر إلى جنوب اليمن) بصورة مباشرة أو غير مباشرة. والمفارقة أن القرن التاسع عشر الذي شهد غزوا عسكريا واسعاً للبلاد العربية، مترافقاً مع غزو ثقافي غربي كبير، يعده المؤرخون والدارسون والباحثون العرب قمة النهضة الفكرية العربية الحديثة في الاجتماع والعلم والأدب والسياسة والفنون.

وقد صدرت عشرات المؤلفات العربية التي تشيد بـ"فضائل" الحملة الفرنسية على مصر ودورها في النهضة الحديثة، سواء في مجال الطباعة والصحافة أو من خلال انشاء الدواوين، الهادفة إلى "تعويد أعيان مصر على نظام المجالس الشورية وأساليب الحكم"، أو إقامة المسارح وقصور الثقافة وغيرها.

إضافة إلى التركيز على الدور الريادي والحاسم للبعثات التي أوفدها محمد علي باشا إلى

(*) مفكر و إعلامي من سورية.

الغرب "لأخذ الحضارة من منابعها"، ويأتي على رأس هذه البعثات العلمية- الاطلاعية رفاعة الطهطاوي والشيخ علي مبارك.

ثم ما قام به دعاة الإصلاح والتجديد الإسلامي بزعامة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهما ممّن عاشوا في أوروبا وتابعوا عن قرب مجمل التيارات الفكرية والسياسية والتنويرية، وأصدروا من هناك الصحف والمجلات واتصلوا بالمستشرقين والشخصيات الفاعلة في الحياة الاجتماعية الغربية.

ورغم أنّ الأفغاني- مثلاً- اصطدم مباشرة بالداروينيين والملحدين والمتعصبين ضد الإسلام وتعاليمه، وكتب المؤلفات ومئات المقالات التي تردّ عليهم وتفنّد مزاعمهم وأباطيلهم، رافضاً تقليد الغرب دون تمحيص وإمعان بقوله: "علمتنا التجارب، ونطقت مواضي الحوادث بأنّ المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لولوج الأعداء، وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس... ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين...".

إلاّ أنّ الباحثين المعاصرين تجاهلوا تقريبا هذا الموقف، مركّزين على إعجاب الأفغاني بحركة الأنوار الأوروبية وتأثره بفلاسفتها المعروفين. ومن الغريب أن المجادلات الحادة بين الأفغاني وأرنست رينان في أثناء إقامته بباريس لم يتم التطرق إليها إلا بصورة جانبية ودون تفصيلات. مع أنها من أغنى وأخصب الردود العلمية في التصدي للمدرسة الاستشراقية وللنظرة العنصرية- الاستعلائية، التي تزعم أن الجنس العربي بطبيعته أبعد العقول عن الفلسفة والتفكير المتوازن.

ولكن مواقف الأفغاني ومحمد عبده تؤخذ في منحى آخر بوصفها ردود فعل نتيجة لاحتكاكهما المباشر بالحضارة الغربية، وليس كإبداع ذاتي، ناتج عن بحث قضايا المجتمع العربي ومشكلاته والأسئلة التي يتوجب إيجاد إجابات واقعية وحلول عملية لها. ولا يغيب عن البال هنا تلك النخبة المثقفة التي تتلمذت على يديهما أو تأثرت بهما من الأجيال اللاحقة، مثل: محمد فريد وجدي وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد والشيخ طاهر الجزائري والشيخ حسن الجسر ومحمد كرد علي وجمال الدين القاسمي وعبد الحميد الزهراوي والترمانيني ومحمد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان وخير الدين التونسي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

وبالعودة إلى مصنفات هؤلاء المفكرين "النهضويين" سنلمس الاتجاه الانتقائي أو التلفيقي، القائم على مزج عناصر مستمدة من مدارس فكرية وفلسفية مختلفة في نظام واحد.

حتى أنّ ألبرت حوراني (في كتابه "الفكر العربي في عصر النهضة": ١٧٩٨- ١٩٣٩) رأى أن الانتقائية لديهم (ولاسيما لدى محمد عبده) تتضمن نزعة واضحة إلى التهرّب من الأسئلة الصعبة.

حيث إنه كان يتصرف كما لو كان ينتقي من بين مجموعة الأفكار الإسلامية تلك التي تخدم على أحسن وجه غايتين: الأولى الحفاظ على وحدة الأمة وسلامتها الاجتماعية،

والثانية، الإجابة على بعض الأسئلة التي أثارها وقتئذ الجدل الديني في أوروبا. فكانت قضاياه الفكرية قضايا الفكر الإسلامي، لكنها كانت أيضاً قضايا أوروبا القرن التاسع عشر (ص١٧٧).

*** يقال أن هذا الفكر قد أحدث إشكالية من نوع، في العلاقة بين الإسلام، على اعتبار أن النظرة الغربية للعرب لا تخرج عن أنهم مسلمون بالدرجة الأولى- والغرب في أواخر القرن الماضي؟ أم أن هناك عوامل أخرى إضافية في تشويه هذه العلاقة؟**

طوال القرن العشرين كان الإنتاج الفكري العربي إما أنه ترجمة (حرفية أو انتقائية) للتيارات الفلسفية والسياسية والأيديولوجية والأدبية الغربية الكبرى كالوضعية والوجودية والاشتراكية والليبرالية والواقعية والحداثوية والبنيوية... الخ، وإما أنه محاولات خجولة للتكيف معها، أو مجادلتها من منطلقات دينية أو قومية.

أما هزيمة ١٩٦٧ فقد شكلت هزة عنيفة في مسيرة الفكر والثقافة العربية، وأدت إلى اضطراب خطير في عناصر التحدي، استمر إلى حرب تشرين ١٩٧٣، التي أعادت للمثقفين العرب جزءاً من الثقة بالذات وبإمكانية الانتصار على الكيان الصهيوني. لكن انهيار الاتحاد السوفييتي ومعه الكتلة الاشتراكية وتزعزع جزء من العناصر المكونة للمنظومة الفكرية للماركسية ومعها الاتجاه الثوري في العالم، لعب دوراً شديد التأثير في انكسار المدّ اليساري مع ما تعرّض له الفكر القومي من نكسات متتالية... فاختلطت الهموم، وتداخلت الأسئلة، وركب الكثيرون موجة التيار الإسلامي أو الإسلاموي المتصاعد، بحثاً عن الخلاص أو "تطهرا" من الانتماءات السياسية والإيديولوجية والفكرية السابقة، أو ربما لاكتساب الشعبية الضرورية... وبقي الفكر العربي أسيرَ ردود الفعل والتحدّيات الخارجية، واللهاث وراء الأحداث اليومية المتلاحقة.

وبقيت النخبة المثقفة تدور في حلقة الاغتراب، والانخلاع، والبحث عن لقمة العيش ومحاولات التخلّص من "عقد" الانتماءات السابقة أو التماهي الزائف مع الاتجاهات الشعبوية التي تفتقر إلى الوضوح والواقعية والتنظيم والمنهجية الصحيحة.

فالعواصم العربية تشهد في الآونة الأخيرة «حملة» مهرجانية من الندوات والملتقيات الفكرية وورشات الحوار متماثلة العناوين والمضامين والأسماء والتوصيات والنتائج. بعد "إشكاليات العولمة"، التي شغلت الباحثين والكتاب والإعلاميين العرب طوال العقد الأخير ومازالت.

*** وماذا عن هذه العلاقة في العقد الأخير؟**

جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأميركية لتفجر قضية "صدام الحضارات" ومحاور الحوار والتواصل بين الثقافات... وتعيد إلى الواجهة من جديد مسألة العلاقة (أو العلاقات) الإشكالية بين الإسلام والغرب... بين الأنا والآخر في المجالات والمستويات الإنسانية والحضارية المختلفة.

ونتيجة لانبعاث المفردات المتصلة بقضية "المواجهة والتحدّي" ومصطلحات التسفيه والتحقير والإلغاء، بدأ عدد من أنصار "الصدام" و "الصراع" القائلين بحتمية "الحرب المقدسة"... بإذكاء نار التعصب وتأجيج الفتنة ومحاولة إيصالها إلى الاشتباك المباشر على أساس ديني أو عرقي أو ثقافي- سياسي أو اقتصادي أو مجتمعي- حضاري... الخ. وللأمانة فقد أسهم المتطرفون في الإدارة الأميركية، المتحيّزون بصورة سافرة ضدَ العرب وقضاياهم العادلة، وعلى رأسها قضية الشعب الفلسطيني (الذي يتعرض للإبادة الجماعية على يد الجيش الصهيوني والكيان الحليف للولايات المتحدة) بتأجيج هذا الاتجاه التصادمي. ورسخوا موقفهم المعادي من خلال الحصار الظالم الذي فرض على الشعب العراقي مدة اثني عشر عاماً، إضافة لما قاموا به من احتلال ذلك البلد العربي وتغيير نظامه، والاستيلاء على ثرواته (النفطية بخاصة) وربما تقسيمه وتفكيكه، كخطوة أولى لما سيحصل لاحقا في بلدان عربية أخرى، واعتبار القدس عاصمة للكيان الصهيوني، خلافا لقرارات الشرعية الدولية وتاريخ المدينة العربية ومكانتها المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين... وقائمة طويلة من المواقف والإجراءات الظالمة والعدوانية، التي خلقت مناخا شديد التازم، وولّدت ردود فعل واسعة النطاق في العالمين العربي والإسلامي.

وهو ما أعاد الحياة إلى مفردات الحروب الصليبية، وتقسيم العالم إلى "فسطاطين". كما يردد ابن لادن ومؤيدوه والمتعاطفون معه، وأطروحات مكافئة في الجانب الآخر لهنتنجتون وبرنارد لويس وبيرلسكوني... التي بلغت ذروتها في تصريحات القس الأميركي جيري فالويل العنصرية ضد الإسلام ونبيّه (التي قوبلت باستنكار واسع وأدانها اتحاد الكنائس العالمي).

ومن المعروف أنَ مايسمى بالكنائس الصهيونية المسيحية، التي تنتشر في الولايات المتحدة الأميركية تشكل قاعدة للتطرّف والمغالاة الشديدة في التعصب للكيان الصهيوني، مستغلة اسم "الكتاب المقدس" و"النبوءات المقدسة" ووسائل الإعلام المتطورة، ولاسيما محطات التلفزة لجمع التبرعات للاستيطان وتشجيع "العودة إلى الأرض التوراتية" (والحديث في هذا المجال يطول).

وقد أشار المفكر الفلسطيني عزمي بشارة إلى تملّق "وعاظ الكنائس المتصهيّنة" العنصرية وكراهية العرب والإسلام والمسلمين السائدة في أميركا لجذب المشاهدين. وبمجرد تبنّيها في الوعظ تصبح أكثر خطورة لأنها تصبح جزءاً من عقيدة هذه الكنائس. ("السفير" ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٢). وتبعا لاجندة التيار الديني المتصهين داخل الإدارة الأميركية، فإنه لابد من "سيادة القيم الأميركية" وتغيير منظومة القيم الفكرية والثقافية والدينية في المجتمعات العربية والإسلامية، بحيث تتواءم مع المنظومة الثقافية الأميركية.

أما الخلفية الدينية- الثقافية والاجتماعية لهذه المنطلقات العقيدية والفكرية فقد أنتجت دعماً واسعا للأهداف الاستيطانية والعنصرية الصهيونية القائمة على سياسة المجازر الجماعية والتدمير وحرق الأخضر واليابس، إلى درجة أن الإدارة الأميركية بمؤسساتها

وأفرادها أصبحت واقعة تحت تأثير ممثلي الفكر اليميني المتصهين، الأمر الذي انعكس على مواقفها السياسية وقراراتها الاستراتيجية والعملية الخاصة بالمنطقة العربية.

والحقيقة أن الحضارة العربية- الإسلامية عندما كانت في أوج عالميتها وانتشارها وازدهارها لم تعرف التعصّب أو الشعوبية أو المعسكرات و"الفساطيط". بل إنها مثلت التعايش والمثاقفة والاندماج بين الأمم والشعوب في أبهى صورها وإنسانيتها وعطائها.

وفي هذا السياق يؤكد الدكتور رضوان السيد "أنّ المشكلة تكمن ليس في المجال التاريخي أو مجال الهوية والدين، بل في "أزمة التواصل" سواء فيما بيننا أو مع العالم. وهي تكشف عن غياب التربة الملائمة للحوار الثقافي والتواصل الحضاري من جهة وعن سقوط للثنائية الفصامية من جهة أخرى".

وإذا كانت الأزمة أزمة ثقافية في الظاهر، إلا أنها صارت كذلك للهروب والعجز عن التعامل معها في السياسة والاقتصاد والاجتماع. وبالتالي فإنّ الاختلاف يجب ألا يتحوّل إلى حرب تصادمية أو انسحاب من الحضارة أو انتحار ذاتي.

إنّ ذلك لا يعني أبداً تجاهل الصراع الحاصل بين الثقافات والقيم المختلفة، ولا يعني أن العرب غير مستهدفين، أو أنّ الاستشراق ومدارسه والإعلام الغربي غير متحيز ضد قضايانا، وأن تشويها كبيراً لحق بصورة العرب والمسلمين نتيجة للمعطيات والقوالب النمطية والحملات الظالمة عليهم.

لكن ذلك كله يضع المثقفين والإعلاميين العرب والمسلمين أمام مسؤولياتهم، المتمثلة بالقدرة على التواصل والانتشار والانفتاح على الحوار، وعدم الانكفاء على الذات، أو الانسياق وراء الدعوات المتطرفة في هذا الجانب أو ذاك، بحيث نتمكن من تغيير صورة العرب والإسلام نحو الأفضل والأحسن بالأسلحة والوسائل ذاتها... أسلحة الثقافة والإعلام وتلاحم العمل مع الحوار والتواصل. والانطلاق من استراتيجية ثقافية- إعلامية في إطار رؤية واقعية لنهضة حضارية شاملة، تؤكد على القيم الأصيلة في حضارتنا والعناصر الإنسانية البارزة في هذه الحضارة كالحرية والعدالة والتسامح والانفتاح.

إنّ القوى المعادية للإسلام وحضارته يهمّها أنْ يسود الخطاب المتطرّف ساحاتنا الثقافية والإعلامية، وأن تغيب عناصر العقلانية والاستنارة والانفتاح الحضاري... فذلك من شأنه ترسيخ الصورة المشوّهة للعرب والمسلمين، التي نشكو من هيمنتها في الغرب.

أما البديل فإنه يتمثل بالحضور والمشاركة الفعالة في المحافل الثقافية والإعلامية والسياسية والاقتصادية العالمية المختلفة، دون شعور بالهامشية أو الدونية أو الخوف... وعدم ترك أعدائنا يسرحون ويمرحون ويزيّفون الوقائع وفق أهدافهم العنصرية ومآربهم العدوانية الخبيثة.

*** نأتي الآن إلى السؤال الذي هو أساس موضوعنا، لماذا وصل الأمر بالغرب إلى أن يتهم المسلمون بالإرهاب؟ لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ في أمريكا؟**

الحقيقة القاسية أنّ هجمات الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١) منحت للأميركيين الصهاينة والمتصهينين فرصةً ذهبيةً للتركيز على ربط الإسلام والمسلمين والعرب ب"الإرهاب"، ضمن إطار "حملة" إعلامية، ثقافية، فكرية- أكاديمية وسياسية ودينية واجتماعية، تضمّ طيفاً واسعاً من المستشرقين والباحثين والإعلاميين ومبشري التلفزيون الأصوليين (أمثال: جيري فولويل وجيمي سواغرت وبات روبرتسون وغيرهم). اشتعل أوارها بعد تفجير "أوكلاهوما" (عام ١٩٩٥)، حيث سارعت وسائل الإعلام الأميركية (مع استثناءات قليلة) والقوى المتصهينة لربطها فوراً ب"الإرهاب الإسلامي" دون دليل أو بيّنة. وعندما ألقي القبض على المجرم الحقيقي (تيموثي ماكفي) وهو مواطن أميركي أنغلو-ساكسوني ينتمي لإحدى المنظمات اليمينية المتطرفة، لم تكلّف وسائل الإعلام تلك نفسها بالاعتذار من الجاليتين العربية والإسلامية؛ ولم يقدّم منْ وصفوا حينئذ ب"خبراء الإرهاب" نقداً ذاتياً لتسرّعهم بإدانة العرب والمسلمين و"الشرق أوسطيين" بعملية التفجير تلك. وفي مقدمتهم المعلّق في "نيويورك تايمز" أ.ب.روزنتول "خبير شبكة سي.بي.إس CBS في شؤون الشرق الأوسط" وستيفن أمرسون وأستاذ جامعي من أصل عربي هو فؤاد عجمي.

ونشير هنا إلى الفيلم المسمّى "الجهاد في أميركا" الذي أعدّه اليهودي الصهيوني المتعصب ستيفن أمرسون بالتعاون مع شريك لا يقلّ عنه صهيونية وعنصريّةً، هو الأستاذ الجامعي والباحث المعروف دانيال بايبس وأستاذان جامعيان (يؤسف أنهما من أصل عربي!!). كما يندرج في هذا السّياق الكتاب "التعريفي بالإسلام"، الذي أصدره شخص أطلق عليه لقب "البروفيسور" خالد دوران (مجهول الهويّة ويشكّ باسمه وانتمائه العربي أو الإسلامي)، ليس من دار نشر جامعية أو مؤسسة ثقافية معروفة، وإنما من طرف إحدى كبريات المنظمات الصهيونية وأقواها "اللجنة الأميركية اليهودية".

وفي ضوء الحملة الهستيرية هذه يرى الباحث في الشؤون الإسلامية والعربية ريتشارد بوليات: أنّ الأميركيين أصبحوا في العقدين الأخيرين مستعدين جداً لتقبّل الأطروحة القائلة إن أعمال العنف التي يرتكبها بعض المسلمين "تمثل ثقافة متعصّبة وإرهابية، من غير الممكن التسامح أو التفاهم معها". وحذّر في المقدمة التي وضعها لكتاب عنوانه "تحت الحصار: الإسلام والديمقراطية" من أنه "سوف نصل (كأميركيين) في وقت ما إلى لحظة لا يحتاج فيها الناس إلى أدلّة لتصديق أنّ أي خطر إرهابي هو من متطرفين دينيين مسلمين".

* **ما هو الرأي المعتاد، المدافع عن عدالة الإسلام وسلمية الإسلام ومشاعر المسلمين للناس كافة؟**

لا شك أن هناك فئة من الأكاديميين والباحثين الأميركيين النزيهين، الذين يحاولون معاكسة التيّار العام من خلال شرح حقيقة الإسلام، ووجوب التفريق بين جوهر التسامح والدعوة الإسلامية للإخاء واحترام الأديان والأنبياء من جهة، وبين الجماعات المتطرِّفة التي تقرأ الإسلام بمنهج متخلّف ورؤية قاصرة- ساذجة من جهة أخرى.. تقوم على رفض "الآخر" وعدم الاعتراف بالاختلاف، واللجوء إلى العنف لإثبات الوجود أو إكراه المجتمعات على تقبّل مفاهيم وسلوكات مُغالية، تعتمد أسلوب "التكفير" ومنع الحوار المتبادل والعقلانية والتفكير (د.نصر حامد أبو زيد، التفكير في زمن التكفير، دار سينا للنشر، ١٩٩٥).

وقد تعرّض البروفيسور جون أسبوزيتو، أستاذ الدراسات الإسلامية ومؤسّس مركز التفاهم الإسلامي- المسيحي في جامعة جورجتاون، ومؤلف العديد من الكتب الموضوعية عن الإسلام، لانتقادات حادّة وهجمة عنيفة من أنصار الصهيونية ومعسكر الحرب على العرب والمسلمين.. وعلى رأسهم مارتن كرايمر، الصهيوني المتعصّب، الذي يدرّس في الجامعات الأميركية والإسرائيلية، ويرأس تحرير "فصلية الشرق الأوسط". فعندما سُئل كرايمر عمّا يُسمى "الأصولية الإسلامية" كان جوابه: "ما أقوله هو أن هذه (الأصولية الإسلامية) حركة شمولية، وأنّ كل شخص متورّط بالدفاع عنها هو مشكلة بحدّ ذاتها".

أما شريكه وصديقه دانيال بايبس فكان أكثر صراحةً ووقاحةً، حيث قال: "إنّ كلَ مسلم أصولي، مهما بدا مسالماً في تصرّفه، هو جزء من حركة قاتلة". بل ذهب في تطرفه إلى حد اعتبار المنتمين إلى الفكر السلفي و"الجهاد الإسلامي" و"كلَ الذين لا يقبلون التعايش مع الحضارة الغربية و"إسرائيل" قتلةً محتملين.. لأنهم مثل النازيين والستالينيين الذين قد يعيشون حياتهم الخاصة دون عنف، لكن دعمهم لقوة بربرية يعني أنهم هم أيضاً بربريون ويجب معاملتهم على هذا الأساس".

ويضمّ هذا المعسكر العنصري، القائم على الكراهية والحقد عدداً من "المتغرّبين" أو "المتأمركين"، المنسلخين عن أصولهم الإسلامية أو العربيّة، من أمثال أمير طاهري، الكاتب والصحافي الإيراني الذي يرأس تحرير مجلّة "السياسة الدولية" الصادرة في باريس (بالفرنسية). والكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي والكاتبة البنغالية تسليمه نسرين، التي اشتهرت بسبب هجومها على قيم الإسلام ومبادئه وأحكامه. ويصف أمير طاهري العالم الإسلامي اليوم بأنه "مليءٌ بالتعصّب الأعمى، والغلوّ في التطرّف، والنفاق، والجهل الصرف.. وهي كلّها تخلق الأساس لإنتاج المجرمين والإرهابيين مثل بن لادن".

ولاشك في أن أمام الجاليات العربية والإسلامية طريقا طويلة وصعبة قبل التمكّن من تغيير اتجاهات الرأي العام الغربي عامة والأميركي خاصة، وأنّ هذا الهدف الكبير لن يتحقق إلا بعد تراكم جهود مضنية وتضحيات حقيقية يأتي في مقدّمتها الفعل والتفاعل في جوانب الحياة الغربية بقوة وتضامن وعقلانية وتخطيط شامل للحاضر والمستقبل؛ والاقتراب من منظمات المجتمع المدني والاندماج في أنشطتها، والتعرّف إلى الشخصيات الفكرية والأدبية والعلمية والفنية المؤثرة وبناء علاقات ناجحة معها تحقق مصلحة الطرفين.. والإفادة القصوى من كلّ حيّز ممكن في وسائل الإعلام الأميركية المرئية والمكتوبة والمسموعة؛ إضافة إلى ضرورة "السخاء" في هذه المجالات الحيوية والاستراتيجية.

وقد بدأت تظهر في الآونة الأخيرة دراسات ومقالات ومؤلفات أميركية تركّز على ضرورة البحث عن عناصر ومرتكزات سياسية أكثر موضوعية وواقعية تجاه الإسلام والمسلمين. ومن المؤسف أنه في ظلّ الوضع العالمي الحالي المتوتر والمبهم تضيع الأصوات العاقلة، الداعية إلى الحوار المتبادل والتعايش والعمل المشترك لصالح التقدم الإنساني. لكنّ ذلك كلّه لم يحل دون محاولة عدد من المتخصصين أو المستشرقين الجدد أو الخبراء إيجاد نوع من التوازن والاعتدال والإنصاف في الرؤية الغربية للإسلام والمسلمين.

وقد صدر مؤخرا كتابٌ على غاية الأهمية في هذا المجال بعنوان "مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أميركية" (أعده للنشر الدكتور أحمد يوسف وصدر عن "المركز الثقافي العربي" بالدار البيضاء ٢٠٠١).

حيث تضمّن دراسات أكاديمية لعدد من الباحثين البارزين: تشارلز بيتروورث، جراهام فوللر، مايكل كولنز دون، ستيفن بليتير، روبرت نيومان، لويس كانتوري، جويس ديفس، أنتوني سيليفان، جون اسبوزيتو... وارثر لوري وغيرهم.

اللافت للانتباه أنّ معظم الباحثين المشاركين في المؤلف المذكور انتقد السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والحركات الإسلامية. فالكاتب آرثر لوري- مثلا- يؤكد أن الولايات المتحدة الأميركية دعمت "المجاهدين" الافغان بنحو ثلاثة مليارات دولار عبر أجهزة المخابرات بهدف هزيمة الاتحاد السوفييتي وإخراجه من افغانستان، وكان "المجاهدون" الأفغان خلال فترة الحرب أبطالا "مجاهدين" في نظر الامريكيين وفي الإعلام الأمريكي.

أما عن طبيعة الحملة المعادية للإسلام داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فيقول عنها لوري: "إنّ طبيعة الحملة ضدّ الإسلام في الولايات المتحدة تدلّ على أن النظرة التي تتبناها إسرائيل أصبحت هي النظرة التي يتم تبنيها بشكل كبير في أمريكا من قبل الموالين لإسرائيل والداعمين لوجودها.وقد ظهر جليا أنّ الحملة ضد الإسلام موجّهة إلى الرأي العام وإلى صنّاع القرار السياسي على حدّ سواء".

بدوره يفند جراهام فوللر أطروحة صموئيل هنتنجتون المشهورة عن "صدام الحضارات"، رافضاً حتمية حدوث صراع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية في المستقبل. وفي الوقت ذاته طالب الولايات المتحدة بإعادة النظر في طريقة تفكيرها وفي أهدافها ومنطلقاتها الاستراتيجية.

وتحت عنوان: "أين تقف الحركات الإسلامية اليوم؟" يشير الدكتور مايكل كولنز دون إلى محاولاته وزملائه من المتخصصين إقناع صانعي القرار ووسائل الإعلام في الغرب خطأ النظر إلى جميع الحركات الإسلامية بمنظار واحد. لأنَ الدول التي ظهرت فيها هذه الحركات تختلف عن بعضها البعض، والمجتمعات التي تعمل فيها هذه الحركات الإسلامية مختلفة أيضا، وبالتالي يكون من المنطقي أن ننظر إلى هذه الحركات على أنها مختلفة في أهدافها، وفي توجهاتها، وفي استراتيجياتها وأساليب عملها... وإن أيَ محاولة لتقييم الحركات الإسلامية المعاصرة، ومن ثم استشراف مستقبلها يجب ألا يغيب عنها حقيقة مهمة. وهي أنه على امتداد التاريخ الإسلامي كان هناك دوما حركات إصلاح وتجديد تستهدف العودة بالمجتمع المسلم إلى الأصول في الممارسة الدينية والممارسة الدنيوية بما فيها الممارسة السياسية.

أما ستيفن بيليتير فإنه يعتقد أنَ "النصائح" التي يقدَمها الخبراء للإدارات الحكومية في الغرب حول ما يسمى ب "الأصولية" في العالم الإسلامي يجب أن ينظر إليها بكثير من الشك، لأنَ معظم المعلومات التي يقدَمها الخبراء في هذا الشان لا يمكن الجزم بصحتها. ومن جانب اخر فهو يؤكد أنَ ظهور المقاومة المسلَحة في الأراضي العربية المحتلة في النصف الثاني من الثمانينيات، يعود بصفة أساسية إلى العنف والإرهاب اللذين مارستهما "الحركات اليهودية الأصولية" بدعم وتشجيع وتسليح من الحكومة الإسرائيلية.

وتأكد ذلك من خلال إقامة المستوطنات اليهودية على الأراضي الفلسطينية خلافا للقرارات والأعراف الدولية. والأمر ذاته ينطبق على نشأة "حزب الله" إثر الغزو الإسرائيلي للبنان والعمليات الجهادية في الجنوب اللبناني، التي حوَلت وجود القوات الإسرائيلية إلى كارثة إسرائيلية وكابوس يومي رهيب.

ومن وجهة نظر دبلوماسية يرفض الدكتور روبرت نيومان الفكرة القائلة إنَ الإسلام هو العدوَ الجديد للغرب، "وإن قيام دولة إسلامية يعني قيام إمبراطورية الشيطان". فإسرائيل وأصدقاؤها في الكونجرس الأمريكي يتولون قيادة حركة العداء الغربي والأمريكي غير المسوَغ للإسلام. والحقيقة أنَ الذي يروَج لعداء الإسلام للغرب هو "إسرائيل" وبعض أعضاء الكونجرس الذين يلتزمون برؤيتها ومواقفها... و"الذين يأتمرون بأمرها".

وبعد تحليل مطوّل لسياسات الولايات المتحدة تجاه إيران والجزائر ينصح نيومان واضعي أسس السياسة الأمريكية الخارجية بضرورة "مراجعة الازدواجية في مواقفها الخارجية المتناقضة... التي تمارسها في تعاملاتها مع دول إسلامية مثل إيران والعراق".

وتعترف جويس ديفز بأنّ صنّاع القرار وغالبية كبيرة من المواطنين الأمريكيين العاديين لديهم صورة مشوّهة عن الإسلام والعالم الإسلامي. "وليس من السهل تغيير هذه الصورة السلبية لأنّ الناس عندما يتبنّون أفكاراً معينة عن أي قضية أو جماعة حتى لو كانت غير مرتبطة بالإسلام... يكون من الصعب إقناعهم بإخراج هذه الأفكار من عقولهم".

من جهته يؤكّد الدكتور أنتوني سوليفان أنّ هناك أرضية مشتركة ومصالح مشتركة بين المسيحيين والمسلمين، رغم أنّ المفكرين العرب والمسلمين لم يتمكنوا بعد من إيجاد منظومة حوارية واضحة مع عدد من الخبراء والأكاديميين والدبلوماسيين الأمريكيين المهمين، في وقت قد يكون لديهم مايقدمونه في الحوار المطلوب بين الإسلام والغرب.

إنّ من المؤسف (يقول جون اسبوزيتو) أنّ وسائل الإعلام ساهمت بصورة خطيرة في تسطيح الفكر الغربي والأمريكي عن الإسلام والمسلمين. وقد فشلت النظريات السياسية التي يتبناها الإعلام الغربي في تفسير كثير من الظواهر التي تجري في البلدان الإسلامية... و"أنّ صورة الإسلام السياسي في الغرب وفي الولايات المتحدة قد تشكلت من خلال العناوين المثيرة التي دأبت وسائل الإعلام على نشرها.

* كيف يمكن إعلامياً استثمار هذه الإيجابيات؟

صحيح أنّ هذه الأصوات تظلّ أقليّة، لكنّها تشكل نقلة في مجال إعادة النظر بالمواقف الرسمية والأكاديمية والشعبية من الإسلام ومن حتمية "الصدام الحضاري"، انطلاقاً من الاعتراف بأنّ "الإسلام لا يشكّل خطراً أو تهديداً للغرب" و"إذا كان من المنطقي ان تتعامل الدول والشعوب مع أعمال العنف التي تقع ضد المدنيين الأبرياء على أنها أعمال إجرامية، فإنه لا يجوز ربط هذه الأعمال بدين معيّن".

إنّ الباحثين المتخصصين والصحافيين والمحللين في وسائل إعلام الدول العربية والإسلامية مدعوّون للتواصل البناء مع زملائهم الغربيين الرافضين للتعميمات الزائفة والصور النمطية المشوّهة التي يطلقها أنصار "إسرائيل" حول الإسلام و"خطره" على الحضارة الغربية.

مؤكدين أنه رغم الحمى الإعلامية لتشويه صورة الإسلام لدى الرأي العام الغربي، فإن الساحة هناك ليست خالية من مستويات فكرية وسياسية وأكاديمية تحاول فهم الإسلام ودراسة جذوره ومنطلقاته، والوسائل التي يمكن من خلالها تفهم العلاقة الموضوعية بينه

وبين الغرب... مع الرد على جملة الاتهامات الظالمة، التي تقف وراءها جهات صهيونية معروفة وكتابات أو تصريحات جاهلة، تدعي النطق باسم الإسلام ومبادئه وقيمه... عبر شعارات وتهديدات حمقاء لا يدفع سوى الإسلام والمسلمون ثمنها... حصاراً وتشويهاً وعسفاً واضطهاداً.

الإرهاب في أكثر من اتجاه

الدكتور عبد المحسن يوسف جمال(*)

الإرهاب كمصطلح لغوي جاء في القران الكريم بقوله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾. فالإرهاب هو التخويف وهو من مستلزمات المجتمع الإسلامي الذي يحاول- بقدر الإمكان- أن يكون متماسكاً في الدرجة الأولى ويسعى لنشر عقيدته وأن يتخذ أسلوب التصدي لكل من يريد الاعتداء عليه أو على الدولة الإسلامية من القوى الأخرى المسيطرة على العالم. ولاشك أن القوة هي حاجة ضرورية أحيانا لمساندة الفكر والأيديولوجية وبالتالي فإن الله سبحانه وتعالى طلب من المسلمين أن يكونوا على استعداد تام في جميع الأصعدة سواء الاستعداد الفكري القائم على البحث والتنقيب أو الاستعداد العسكري اللازم في عملية التصدي لكل من يحاول ضرب الإسلام. فمصطلح الإرهاب الوارد في القرآن الكريم هو بمعنى استعداد القوة الإسلامية لدحر أي عدوان على المجتمع الإسلامي أو على الدولة الإسلامية.

اما ما نسمعه من تداول محرف لهذا المصطلح من قبل بعض القوى الاستكبارية والدول الكبرى وخاصة القوى الغربية فإنه تعبير عن منطق يعتمد الزيف والتمويه في عكس الحقائق. فقد بات شائعاً أن كل من يتصدى للذود عن أرضه ويجاهد لكشف وإظهار زيف المزاعم الغربية والأميركية بأنها دولة عدالة ودولة تدافع عن حقوق الإنسان، صار يعرف إرهابيا. وينطبق هذا الحال أيضاً على كل من يتخذ موقفا صارماً من إسرائيل أو يقاوم الاعتداء الصهيوني على البلاد العربية والإسلامية.

بإيجاز فإنني أرفض التداول الحديث لكلمة الإرهاب حسب الرؤية الغربية التي تعتبره خروجاً عن القانون. ويحق لنا نحن أيضاً أن نقول بأن أي خروج عن القانون الذي نؤمن به هو غير صحيح. إن موافقة بريطانيا على إقامة دولة قومية لليهود في فلسطين في إطار وعد بلفور، هي أكثر من اعتداء إرهابي لأنها المنطلق غير السليم الذي أباح للصهاينة ارتكاب أبشع الجرائم والجنايات وهم مدعومون بغطاء من الشرعية الدولية. لقد كان هذا الإجراء اعتداء على الحق الفلسطيني واستخفافا بأبسط المعايير الإنسانية المتعارفة في عصرنا الراهن.

(*) عضو مجلس الأمة في الكويت.

من جهة أخرى فإن وجود قوة مسيطرة لا تعتمد الفكر منهجا لتثبيت أرائها وتصوراتها وإنما تستعيض عن ذلك بأسباب القدرة والهيمنة والتحكم مثلما تصنع أميركا اليوم في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي والتي أخذت تنفرد بالقوة الدولية ومن ثم تحاول فرض أيديولوجيتها وتفكيرها وأسلوب تعاملها وسياستها وفقاً للمنظور الذي تراه، هو تحدٍ صارخ لقدرات الشعوب والدول الأخرى. لكنه لا يعني نهاية المطاف واستتباب الأمور لتلك القوة أو لذلك القطب، لأن الشعوب والدول التي لا تقوى على المقاومة وجهاً لوجه أو جيشاً بجيش فإنها ستلجأ بشكل طبيعي لاعتماد أساليب أخرى في المواجهة ومنها حرب العصابات أو المقاومة الفردية أو المقاومة الجماعية. نستنتج من ذلك أن العدوان على الحقوق الوطنية والدينية العقائدية، يستتبع كل ما من شأنه حصول رد الفعل المطلوب نتيجة لهذه الحالة.

ولا تنحصر هذه الحالة على منطقتنا فحسب بل هي تطال دولا أخرى مثل نيكاراغوا والفيليبين والبلقان وسواها. لقد بدأ الإرهاب في أستراليا مثلاً عندما بدأ المهاجرون (الغزاة) الإنكليز حرباً شعواء على سكان الأرض الأصليين الذين لم يجدوا مناصا سوى الدفاع عن أنفسهم ووجوداتهم وترابهم وهذا الأمر يخوله القانون الدولي لكل من يعتدى عليه في أرضه. وهو ما ينطلق منه فهمنا الإسلامي أيضا في اعتبار الدفاع عن الأرض والتراب والأهل والمال والعرف، واجباً شرعياً وان من قتل على هذا الطريق يعد شهيدا. وهو مفهوم راق من المفاهيم التي تبناها القانون الدولي مؤخراً.

ثمة أكثر من نوع للإرهاب ومنه هيمنة أقلية دولية على القرارات المصيرية للعالم في إطار هيئة الأمم المتحدة حيث يحق لخمس دول أن تمارس حق الفيتو وبالتالي لو أجمع دول العالم بأسره على قرار ضد رغبة دولة واحدة كبرى فانه يضرب بذلك القرار عرض الحائط. إن هذا بعقيدتي نوع من الإرهاب الفكري والثقافي الذي يصادر حريات الآخرين انطلاقاً من منظومة قانونية دولية جائرة لم تحظ بتأييد الإنسانية جمعاء، وهي تمارس ضغطها بدعم من قوة عسكرية تستطيع بها فرض رأيها وإملاء قراراتها على الآخرين. إن محاصرة بعض الدول الإسلامية مثل ليبيا والسودان دليل واضح على جور القانون الدولي السائد لأن هاتين الدولتين لا تستطيعان مقاومة قرار الأمم المتحدة ولأنهما لا تملكان الأكثرية ولا حق النقض مثلما تملكها عدة معدودة من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن. إزاء ذلك كتب على هذين البلدين وسواهما أن يعيشا الإرهاب السياسي والاقتصادي في ظل القواعد السياسية غير المتكافئة.

إنني وانطلاقاً مما مضى أرى ترتيب الأولويات لدى تحديد أساليب مكافحة الإرهاب الدولي كما يلي:

١- تقديم تعريف للإرهاب بعيدا عن الانحياز والتحريف.

٢- التمييز بين الإرهاب وبين حق الدفاع عن الوطن الذي تكفله وتحميه القوانين الدولية.

٣- التفريق بين الإرهاب الفردي وإرهاب الدولة فهناك بعض الدول تقوم بالإرهاب لأن قوتها العسكرية أقوى من قوة جيرانها وهي عندما لا تستطيع إرغام جيرانها على القبول بمواقفها وآرائها تعمد إلى الاعتداء عليها تحقيقاً لمآربها.

٤- عرض حقيقة أهداف وتطلعات القوى المقاومة والمدافعة عن حقوقها أمام الضمائر الحرة في العالم وتفويت الفرصة على الدوائر المشبوهة من قيام أية عمليات تزييف وتحريف لنضالات الشعوب.

٥- وضع الدول الكبرى كأميركا وفرنسا وبريطانيا وسواهما أمام مسؤولياتها وهي دول تحكم من خلال ديمقراطيات غربية، وحثها على تفويض الشعوب في الدول الأخرى على ممارسة التعددية السياسية وحكم الأغلبية.

فإذا كانت هذه الدول صادقة مع نفسها وشعوبها في ذلك فلماذا تبخل على الأمم الأخرى في استخدام هذا المفهوم.

إن المطلوب نهائياً أن تكون هناك مصداقية في تعامل المجتمع الدولي مع قضايا الشعوب بعيدا عن الازدواجية أو الكيل بمكيالين، وأن يصار ايضاً إلى دعم المواقف والإرادة الشعبية والاستجابة لها سواء من قبل القوى الكبرى أو الحكومات المحلية وتخويل الشعب حق تقرير المصير بغية إرساء مظاهر وممارسات السلم والاستقرار في ربوع العالم برمته.

الإرهاب تعريفاً وتحليلاً

الأستاذ عبد الرحمن النعيمي(*)

يبدو أن العديد من المفاهيم، لا تخلو من معان مختلفة ومدلولات متباينة، وتفسر على ضوء الطبقة أو الفئة أو الدولة أو الأفراد المعنيين. وبالتالي فما قد يكون سليماً لطبقة ما أو دولة ما لا يبدو لطبقة أخرى سليماً أو صحيحاً، وقد يبدو مشيناً لدى طبقة من الطبقات ما هو جيد ومطلوب لدى طبقات أو فئات اجتماعية أخرى.

لذا يصعب إيجاد تعريف موحد لعدد من الكلمات أو التعابير أو المفاهيم لدى طبقات متناحرة أو دول متناحرة أو شعوب لها مصالح متعارضة، وتسعى إلى تحقيق تلك المصالح بالشكل الذي قد يضر بمصالح شعوب أو طبقات أو دول أخرى.

ولعل كلمة الإرهاب التي برزت في السنوات الأخيرة بحدة، واختلف الناس عليها، واختلفت الدول والشعوب على تعريفها أو تقييم عمل من الأعمال العنيفة المصاحبة والمرتبطة بها، نظرا لاختلاف المصالح والمواقع لأولئك المعنيين بالأمر أو تلك الدوائر التي تريد سحب الطاولة إلى دائرتها، من هذه المفاهيم المثيرة للجدل، والتي لا يمكن الاتفاق على تعريف موحد لها بين أطراف متصارعة.

والطبقة السائدة أو الدولة في مجتمع ما أو الدول السائدة في عصر ما، تسعى جاهدة إلى تعميم مفاهيمها بحيث تقنع أو تجبر الآخرين، أفراداً ودولا ومنظمات على تبني ما تريده تلك الطبقة أو الدولة أو الدول من معنى، وذلك جزء من تعميم الثقافة أو الفكر للطبقة السائدة أو الدولة السائدة أو الدول السائدة في بلد معين أو عصر معين.

والإرهاب كلمة شاملة لا تقتصر على العنف المسلح وإنما تشمل الكثير من الميادين، فنقول أحياناً الإرهاب الفكري والإرهاب الفردي وإرهاب الدولة والإرهاب الجنسي (بين الجنسين).. الخ مما يدلل على سطوة ما من قبل جماعة ما على جماعات أخرى بقوة السلاح أو المفاهيم لإجبارهم على تنفيذ عمل من الأعمال التي تنسجم وتفيد المجموعة أو الطبقة أو الدولة المسيطرة.

وبالتالي فإن الإرهاب هو العمل المادي العنيف أو الفكري الضاغط (الذي يحمل عنفاً معنوياً) يدفع فرداً ما أو طبقة أو مجتمعاً ما إلى القيام بعمل لتحقيق هدف محدد لمصلحة ذلك الفرد أو الطبقة أو المجتمع، وسيجد هذا العنف مبرراته لدى المعنيين بالأمر، وسيجد الشجب من الطرف الآخر المستهدف بالعنف المادي أو المعنوي لأنه سيضر بمصالحه.

(*) من شخصيات الوسط الفكري والسياسي في البحرين.

ويلجأ الفرد أو الطبقة أو الدولة إلى العنف عندما تكون حدة الصراعات كبيرة ومن الصعب إقناع الطرف الآخر بالتخلي أو تنفيذ ما يريد الطرف الآخر إلا بالقوة، كأن يتخلى الإنسان عن بيته أو حقوقه الأساسية أو سيادة الدولة أو مصالحها الاقتصادية لصالح آخرين أفراداً أو طبقات أو دول.

وبالتالي يمكن التعميم بأن العنف هو مستوى معين من الصراع في المجتمع الطبقي أو الإنساني. قد تزداد حدته إلى درجة الاقتتال والحرب الأهلية أو الدولية أو تصفية الأفراد جسديا أو تخف إلى درجة النقاشات الهادئة لتسوية الأمور المتنازع عليها، ويمكننا الاستشهاد بالحديث الشريف "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

إذا انطلقنا إلى الوضع السياسي السائد في عالمنا المعاصر، فإننا نجد بأن الدول الكبرى أرادت بسط سيطرتها على الشعوب الاخرى مستخدمة مبررات كثيرة: تمدين الشعوب، تحقيق النهوض الصناعي والاجتماعي، الدفاع عن حقوق الإنسان، استتباب الأمن في منطقة من المناطق لضمان السلام العالمي، وهي مفاهيم مضللة تخفي في طياتها الهدف الأساسي وهو تحقيق سيطرة تلك الدول على الشعوب الأخرى وفرض إرادة الدولة الكبرى على بقية العالم، والحصول على الثروات التي تملكها الشعوب الضعيفة وتسخيرها لمصلحة الدول الكبرى التي تملك الإمكانيات والقدرات على الصعيد العالمي.

وهكذا نلاحظ أن الغرب الرأسمالي منذ انهيار النظام الإقطاعي فيه، قد سعى جاهداً للسيطرة على بقية العالم، فشن الحروب العدوانية ضد المشرق العربي والإسلامي تحت ذريعة الدفاع عن المقدسات المسيحية، وكان هدفه الأساسي الاستيلاء على الممرات الاستراتيجية البرية والبحرية، للحصول على ثروات الشرق. وهذا الغرب الإمبريالي الذي استخدم الدين المسيحي ذريعة لتبرير عنفه وإرهابه وحروبه التي تواصلت منذ قرون، يلجأ إلى اليهودية ويحشد الشتات اليهودي ويستخدم الأوهام والخرافات التوراتية ليزرع في المنطقة العربية كيانا يعتبر الدفاع عنه ضرورة حياتية غربية، ولا يخفي هذا الغرب الإمبريالي أنه سيدافع عن إسرائيل والنفط على قدم المساواة، وفي حقيقة الأمر فإنه زرع إسرائيل للاستيلاء على النفط.

هذا الغرب الإمبريالي، من أوروبا إلى الولايات المتحدة لا يجد أن طرد شعب بأكمله وجلب شتات من مختلف بلدان العالم إلى فلسطين بحجة انهم يهود (يدمر واقعهم المادي ليخلق لهم واقعا ماديا وروحياً جديداً على حساب الواقع المادي والروحي لشعوب أخرى) عملاً إرهابيا بحق العرب واليهود المنتزعين بقوة الأيديولوجيا من بلدانهم الأصلية، ولا يجد أن استمرار فرض هذا الواقع الجديد بقوة السلاح، بما في ذلك شن الحروب المتواصلة على البلدان المجاورة والاستيلاء

على المزيد من الأراضي من قبل هذا الكيان التوسعي أو الحرب اليومية على الشعب الفلسطيني نفسه منذ مطلع هذا القرن وإلى الوقت الحاضر، عملاً إرهابيا. ولا يجد هذا الغرب أن قيام هذا الكيان بصناعة الأسلحة الذرية لاستخدامها ضد شعوب المنطقة وفرض أية اتفاقيات لتدمير هذه الأسلحة عملاً إرهابياً في الوقت الذي يتابع تفاصيل التسلح الفردي أو الجماعي لمنظمات أو دول المنطقة، ويعتبر الكثير من سياساتها عملاً إرهابيا يجب معاقبتها عليه.

في الوضع الذي نعيشه، تريد الولايات المتحدة الأميركية أن تفرض علينا مفاهيمها السياسية والفكرية، تريد أن تعمم علينا قيمها، أفكارها، عاداتها بحيث نكون تابعين وخدما لها في السياسة والاقتصاد وصوراً كاريكاتورية عن سلوك مجتمعها، بحيث يبدو الفرد العربي أو المسلم مقلداً مضحكاً للباس والرقص والغناء والكلام للفرد الأميركي، ويتخلى عن كل قيم وسلوك ولغة وعادات مجتمعه، باعتبارها متخلفة لا ترقى إلى حضارة الغرب الرأسمالي!! في الوقت الذي تكون دوله مسيطراً عليها من قبل الشركات والبنوك والاحتكارات الرأسمالية العالمية.

إن مناقشة التفاصيل في سلوك الغرب الإمبريالي حيال عالمنا العربي والشعوب الإسلامية، مفيد للغاية، وهو طويل وعدواني ويتسم بالعنف والإرهاب في كافة جوانبه، ولكن المفيد أكثر هو إدراك المنهج والتمسك به للاسترشاد بالبوصلة الصحيحة التي تبعدنا عن العواطف الجياشة وتقربنا إلى العقل والمصلحة الحقيقية لأمتنا وشعوبنا الإسلامية، وتجعلنا قادرين باستمرار على التمييز بين الحنطة والزيوان، وبالتالي لا نكون كارهين للغرب الإمبريالي في كل شيء بل نعتبر مصالحنا المادية والروحية هي أساس حكمنا على الأشياء.

في الشأن الفلسطيني أو الصراع العربي الصهيوني أو بالأصح الصراع العربي- الغربي الإمبريالي، هناك طرفان في المعادلة: شعوب المنطقة من جهة والغرب الإمبريالي وأدواته من جهة ثانية.

شعوب المنطقة تريد التحرر والسيطرة على مقدرات أمورها بحيث تسخر إمكانيات بلدانها لمصلحتها ومصلحة الجنس البشري وتكون حرة في اختيار النظام السياسي والاقتصادي الذي تراه مناسباً لها، وتكون حرة في إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية بين بعضها البعض وبينها وبين الآخرين على قدم المساواة مع الدول الأخرى.

والغرب الإمبريالي الذي يريد السيطرة على نفط العرب والعجم والاستيلاء على أرضهم وثرواتهم وتحويل المنطقة برمتها إلى مستعمرات ومحميات وقواعد عسكرية للدفاع عن ما يسميه مصالح استراتيجية للغرب في بلادنا في الوقت الذي لم يتحدث عربي أو إيراني أو تركي عن مصالح استراتيجية عربية أو إيرانية أو تركية في اميركا أو أوروبا!!.

والغرب الإمبريالي لا يكتفي بما وصلت إليه الأمور في منطقتنا من هيمنة واسعة النطاق للولايات المتحدة بعد حرب الخليج الثانية (التي كانت عملاً عدوانيا عراقيا ولكنه عملا

تحريرياً من قبل واشنطن بما في ذلك تدمير العراق وحصار شعبه لإخراج العراق من المعادلة السياسية والعسكرية في المنطقة ونهب مدخرات الامة ورهن نفطها ومالها ومستقبلها السياسي لسنوات طويلة) بل يريد تحقيق المزيد من الوقائع المدمرة للواقع العربي عبر ترتيب الوضع الإسرائيلي في الخارطة العربية بحيث يدخل في النسيج السياسي والاقتصادي والاجتماعي من موقع المتقدم والمسيطر سياسياً وعسكريا وأمنيا ومن يخالف هذه المقولات فانه الإرهابي ومن يخالف هذه الترتيبات يجب حشد كل الإمكانيات الدولية من مجلس الأمن الدولي إلى أجهزة الأمن العربية ضده.

إن الولايات المتحدة ترى بان كل منظمة تعتبر الكيان الصهيوني عدواً يجب تدميره ككيان استيطاني توسعي وعنصري دخيل وإقامة دولة فلسطينية يتساوى فيها الجميع أمام القانون بعيداً عن الأوهام التوراتية والخرافات العاجزة عن الصمود إلا بقوة الإرهاب الأميركي هي منظمات إرهابية.

والولايات المتحدة والدول العربية التي تريد ارضائها إذا لم نقل تدور في فلكها تعتبر كل المنظمات الرافضة للواقع العربي والمناضلة بمختلف الوسائل لإقامة مجتمع متحرر من الطبقة التابعة للغرب الامبريالي منظمات إرهابية وتحشر في هذا الوضع كافة المنظمات التي ترى التدمير غاية ووسيلة في حد ذاتها (وهي منظمات أفرزها الواقع المأساوي لشعوب المنطقة وتدفعها إلى الأعمال الإرهابية سياسات الأنظمة الموالية للغرب او المعادية لشعوبها أو بعض المنظمات المحكومة أيضاً بالأوهام والأساطير وتعتبر نفسها ذات رسالة ربانية يجب تحقيقها على حساب بقية المجتمع ولا يمكن إلا الإشارة في هذا المجال إلى المنظمات اليهودية التي تعتبر اليهود شعب الله المختار وبالتالي يحق لها تصفية بقية البشر أو تسخيرهم لمصلحة هذا الشعب المختار من قبل واشنطن).

وبالتالي فإن الولايات المتحدة تحدد الإرهاب على أنه كل عمل عنيف يستخدمه الأفراد أو المنظمات أو الدول المعادية أو غير الصديقة للولايات المتحدة سواء لعرقلة المشاريع الأميركية أو لتحقيق الأهداف والبرامج المتصادمة مع المشاريع الأميركية أو البرامج في منطقتنا أو على الصعيد العالمي.

ومن جانبنا فإن من الطبيعي أن نرفض هذا المفهوم والتعريف الأميركي ونرفض التحالف الشرير الذي أرادته واشنطن لفرض مفاهيمها وإرادتها على شعوب المنطقة ونعتقد بأن من واجبنا الدفاع عن مصالح أمتنا وتحرير الأراضي المحتلة وخلق واقع عربي وإقليمي يكون قادراً على الوقوف في وجه العدوان والإرهاب الأميركي المادي والمعنوي في الوقت ذاته.

وبطبيعة الحال فإنها معركة طويلة لا يقتصر نطاقها على المشرق العربي أو الوطن العربي والإسلامي وإنما على الصعيد الدولي وترتبط بالتالي قضايانا مع قضايا شعوب العالم

بدءاً من كوبا وأميركا اللاتينية إلى الصين وكوريا وما بين المشرق والمغرب من عوالم. وعلينا باستمرار أن ندرك بأن واشنطن تدافع عن مصالح احتكاراتها وان الوضع الراهن بعد انهيار المنطقة الاشتراكية قد وضع الغلبة- إلى حين- لصالح الولايات المتحدة ولكنه واقع يتبدل بسرعة كبيرة وعلينا أن نراقب هذه التبدلات وأن نسهم عبر عرقلة مشاريع واشنطن العدوانية في منطقتنا وخلق وقائع جديدة لصالحنا على الأرض في إنقاذ العالم من خطر سيادة قطب واحد على مقاليد الأمور في العالم.

صانعو الإرهاب

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي(*)

ليس من شك أن (الإرهاب) اليوم هو مشكلة العالم ولكن من الذي يمارس (الإرهاب) اليوم.

في عقيدتي هذه هي جوهر المشكلة التي كان على صانعي سلام شرم الشيخ إعلان الـ(٢٩) رئيس الذين حضروا شرم الشيخ بدعوة من الرئيس المصري حسني مبارك لعلاج مشكلة الإرهاب أن يبدءوا من هذه النقطة بالذات. من هو الإرهابي؟ ومن هو البادئ بالإرهاب؟

إسرائيل أم المقاومة الفلسطينية؟ إسرائيل التي تحتل جنوب لبنان أم شباب جنوب لبنان من المقاومة المسلحة الذي تحتل إسرائيل بيوتهم؟ لقد كان مؤتمر (صانعي السلام!!) في شرم الشيخ محكمة دولية حضرها طرف واحد فقط وتولى هذا الطرف الحاضر بنفسه القضاء في هذه المسألة ومن الواضح أن هذا القضاء لن يكون عادلاً وكان الأحرى بـ(صانعي السلام!!) أن يحضروا مع الطرف الآخر في (شرم الشيخ) ويسمعوا رأي هذا الطرف المغيب عن المؤتمر ويتركوا الحكم للرأي العام والضمير الإنساني.

إن إسرائيل وأميركا تباشران (الإرهاب) المنظم وبدعم من الشرعية الدولية وعلى صعيد رسمي ودولي والغرب يؤيد هذا الإرهاب ويدعمه وينفذ هذا الإرهاب على نطاق أوسع وبإمكانات دولية متطورة.

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الإرهاب ردود فعل من ناحية الذين تصب إسرائيل وأميركا عليهم هذا الإرهاب ومن الطبيعي أن يكون (رد الفعل) من نفس (الفعل) إرهاباً ولكن شتان بين (الفعل) و(رد الفعل) إن البادي أظلم أولاً وإسرائيل وأميركا هم البادئتان ولا ينبغي أن يتوقع الظالم أن لا تعود إليه الإساءة التي صدرت منه.

ولكن الفرق بين هذه الإساءة وتلك أن الإساءة الأولى (ظلم) والإساءة الثانية (عدل) وليس من عدل كمن ظلم وليس هذا فقط فإن إسرائيل أخرجت الرجال والنساء والولدان من بيوتهم ومدنهم وشتتت العوائل وأسكنتهم المخيمات في مشارق الأرض ومغاربها وسلبت الناس بيوتهم وأحيائهم وأوطانهم وعاقبتهم وزجت بهم في السجون بإمكانات متطورة وبغطاء سياسي وإعلامي واسع في ظل الشرعية الدولية وأولئك الشباب من فلسطين يعاقبون الظالم على ظلمه بإمكانات بدائية ضعيفة.

(*) أمين عام المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)- في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

والغرب وعملاؤهم من الشرق عندما يدعمون هذا الظلم ويسندونه ويبررونه ويدينون هؤلاء الفتية الذين يثأرون لحقوقهم بأدنى ما يمكن من الثأر.

إن (صانعي السلام!!) اجتمعوا من ٢٩ قطراً في العالم بينها (أميركا) و(روسيا) وبلاد عربية إسلامية ليباركوا للظالم ظلمه وليهددوا المظلوم كما قتلوا أبناءه وبناته وصادروا حقه ويكمموا صرخته.

إن مثل هذا المؤتمر لن يفلح أبداً ومن السذاجة أن نتصور أن (صانعي السلام) الذين يحوطون أنفسهم بطوق حديدي من الحماية خوفاً على أنفسهم يغلبون أولئك الفتية الذين يضعون أرواحهم على أكفهم ليثأروا من أعدائهم.

ولو أن (صانعي السلام) عادوا إلى عقولهم ولست أقول إلى ضمائرهم لأنني أعلم أن معين الضمير قد جف في نفوسهم منذ عهد طويل ولكن لو عادوا إلى عقولهم التي تخطط لمصالحهم لعرفوا أن (السلام) في المنطقة لن يتحقق إلا بالكف عن (الحرب) وان الإرهاب لن يتوقف إلا بالكف عن الإرهاب ولن يطعموا طعم الأمن والسلام إلا إذا أشعروا الناس بالأمن والسلام ومن المستحيل في حساب سنن الله تعالى أن يسلبوا أمنهم واستقرارهم وحياتهم ثم يطلبوا الأمن والاستقرار.

ان السلام بالسلام والأمن بالأمن والجروح قصاص.

إن المنطق الذي يتعامل به الاستكبار العالمي والمستضعفين والمحرومين ليس فقط منطق منزوع القيم والأخلاق بل منزوع العقل أيضاً.

لقد مكن الغرب (صدام حسين) في ثماني سنوات من الحرب الإيرانية- العراقية من أكثر الأسلحة تعقيداً وتطوراً وملكوه الأسلحة الكيماوية والجرثومية وما هو شر من ذلك ووقفوا موقف المتفرج من المذابح والمآسي التي ارتكبها صدام.. حتى إذا تجاوز صدام الخطوط الحمراء ودخل الكويت بنفس الأسلحة عاقبوا الشعب العراقي وليس صدام بالحصار والجوع وأرغموا النظام على تخريب الأسلحة التي اشتريت بأموال الشعب على أن يتعهد الشعب نفسه بتسديد نفقات التخريب.

لقد مكنوا صدام من رقاب الشعب ثم انتقموا من الشعب وعاقبوا الشعب الضحية على جرائم صدام. إن هذا المنطق لا يمكن أن يقاوم ولا يمكن أن يحكم.. ولا يمكن أن يدوم.

إن مؤتمرات شرم الشيخ تأتي في هذا المسلسل من احتقار الرأي العام واستهانة بالضمير الإنساني وتحدي القيم والأخلاق والعقل وهو بذلك منطق محكوم سلفاً وإن تمكن صانعو السلام!! أن يفرضوا هذا المنطق على شعوبهم لبضع سنين.

مفاهيم الإرهاب

الدكتور ناصر صرخوه(*)

الإرهاب بمفهومه العام والمعاصر هو عملية قد تقوم به دولة أو تقوم به عدة دول وقد تشارك مع هذه الدولة مجموعة دول تشترك مجتمعة بارتكاب عمليات إرهابية معينة.

وللأسف الشديد فإن هذا العمل يمارس اليوم بشكل منظم يحظى بغطاء من الشرعية سواء من خلال ضغط الدول التي لديها القرار وتستطيع أيضاً استخراج قرار ما من خلال ممارساتها المهيمنة كما هو الحال في مجلس الامن الدولي أو الأمم المتحدة أو من خلال المؤتمرات المتعددة التي تنعقد بين فترة وأخرى.

بالإضافة إلى ما سبق تكون عملية الإرهاب صادرة في بعض الأحيان من قبل الحكومات ضد شعوبها.

إن اية ممارسة من هذا النوع ضد شعوب او افراد تعتبر إرهاب دولة.

واعتقادي أن مرد الإرهاب يعود إلى وجود اختلافات في وجهات النظر من المنطلقات الاستراتيجية وتعد قضية الإرهاب التي يمارسها الكيان الصهيوني مثالاً واضحاً وصارخا لإرهاب "الدولة" المنظم الذي تجند له الطاقات سياسيا وعسكرياً ويعطى في كثير من الأحيان غطاء من الشرعية في حين أن هذا الكيان الذي يمارس الإرهاب هو دولة محتلة وباغية ولا شرعية وغاصبة لجزء من الارض العربية الإسلامية رغم أنها للأسف الشديد تحظى باعتراف دولي وإقرار بوجودها وهذا أمر لا يجب أن يجعلنا ننسى بان فلسطين هي جزء سليب من الوطن الإسلامي أو أن نقطع الأمل بعدم عودة أهلها الشرعيين والطبيعيين. وهو مالا يعني طبعاً بانه عندما تكون هناك دولة إسلامية تحكم هذه المنطقة فانه سيترتب على ذلك ممارسة الإرهاب ضد بقية الطوائف سواء كانوا يهوداً أم مسيحيين ولدينا شواهد تاريخية تؤكد حماية وصيانة حقوق أهل الكتاب من اليهود والنصارى في مجتمعاتنا ومازال يعيش بعضهم بين ظهرانينا بعزة واحترام ولهم مواقع ومراكز مهمة في مسوؤليات المؤسسات الحكومية والبرلمانات التابعة للدول الإسلامية التابعين لها.

إن العالم بأسره يعلم بأن الإرهاب الذي تعرض له اليهود لم يأت منا وإنما وحسب أقوالهم ووثائقهم جاء من الدول الأوروبية ولم يذكر التاريخ أننا ظلمناهم في يوم من الأيام،

(*) الكويت عضو مجلس الأمة رئيس لجنة شؤون التعليم والثقافة فيه سابقا.

ولو قدر أن تعود الأرض إلى أصحابها الحقيقيين لما تردد أحد في القطع بانتفاء أية ممارسة لا إنسانية ضدهم لأن ديننا يحرم علينا الأفعال اللاإنسانية.

إن الكيان الصهيوني نموذج حي وبارز للإرهاب كما أن وجودهم ومعتقداتهم تحتم عليهم "الصهاينة" ممارسة الإرهاب ضد من هو ليس يهوديا وتدعمهم في ذلك مع الأسف الشديد دول بما لا ينتهي من الدعم. فهم يحتلون أرضا تقوم شعوبها بالدفاع عن حقها فيها في حين أن الطرف المقابل يقوم بعكس الحقائق واعتبار من يدافع عن حقه إرهابيا، وان هذا الكيان الصهيوني كيان ينبغي أن ينال الدعم التام والمساعدة المتواصلة. وليس من شك بأن الولايات المتحدة الأميركية تقوم بهذا الدور إضافة إلى بعض الدول الغربية وهذا شيء مؤسف للغاية وبخاصة عندما تبرر هذه الأطراف مواقفها القائمة بدعوى إرساء السلام والاستقرار في المنطقة وهو ما ليس مقبولاً منطقياً. بل يحاولون أن يدعموا ذلك ببعض القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الذي يعرف العالم برمته الجهات المسيطرة عليه والتي تمتلك حق "الفيتو".

إننا مع الشرعية الدولية عندما تكون عادلة أسوة بالموقف الذي اتخذ في الكويت والذي ناصر المظلوم في هذه الحالة. ونتمنى بأن تكون مواقف هذه الدول من خلال المنظمات العالمية المؤثرة. دائماً بهذا الشكل وفي وقت تشهد دول العالم تطورات وتحولات إيجابية على مستوى انحسار عوامل إرهاب الدولة ضد الشعوب وأبناء الوطن، فاننا نرى الكثير من البلدان المستضعفة مازالت خاضعة لمثل هذه الظاهرة وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

إن كل إنسان يشعر بالاستضعاف وينشد حريته هو من ضحايا الإرهاب. ويشاركه كل من يحمل هذا الهم ويعيش هذا القلق. انا وانت أيضا نعيش حالة من الإرهاب لأننا اناس لنا أحاسيس ومشاعر تتأثر مما يتالم منه الإنسان الآخر سواء كان على نفس ديني أو من اتباع دين اخر. إن هذا هو الإرهاب الذي يتضرر منه الإنسان المبدئي الحر المؤمن بالقيم السامية والمتحسس لآلام الآخرين.

إننا- مثلاً- نشعر بالإرهاب الذي كان يعيشه الشعب العراقي جراء نظامه ونتحسس مدى الظلم الجاثم على صدره الآن وقبل ذلك لاننا رأينا بأعيننا هذا الظلم لفترة زمنية ونحن أيضا ننظر بقلق متزايد للإرهاب الذي يمارس ضد الشعوب الأخرى التي لا تستطيع التعبير عن نفسها. وبدقة يمكن القول بأن الذي يتضرر من هذا الإرهاب هو الإنسان الواقع تحت الإرهاب مباشرة والفرد الذي يعيش القيم الإنسانية بأبعادها الوجدانية والعاطفية المحبة للخير والوئام بين بني البشر كافة.

المهمة شاقة بيد أن تنفيذها مطلب ملح:

لكي يصار إلى اعتماد أساليب عملية ومؤثرة لمكافحة الإرهاب المنظم لابد من الاعتراف بأن هذه المهمة تعتبر شاقة جداً وليس بوسع أحد توقع حلها بشكل كامل، لأن مثل هذا التوجه نابع عن طبيعة الإنسان ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾. إن صفتي الفجور والتقوى موجودتان في النفس البشرية كما أن قوى الشر كما هي قوى الخير موجودة على مر التاريخ منذ أن خلق الله البشرية وحتى يومنا هذا. نحن نسعى لسيادة قوى الخير في العالم بيد أننا في مقابل قوى الشر لا نملك سوى التخفيف من أذاها وممارساتها الخاطئة عبر تكاتف الشعوب المعرضة للظلم ومن خلال التضحية والإيثار ومواساة المقهورين. إن الإنسان الذي يعيش الإرهاب، يمر في حالة من القلق والاضطراب وعدم الاستقرار تستدعي استفزاز المشاعر والضمائر الحية باتجاه الإنسان الآخر الذي يمارس الإرهاب ضده. وعدا هذا فإن ذلك سيكون مدعاة لتوسع واستشراء هذه الحالة بين بني جلدته وقومه وشعبه. أما نوع التضحية المقدمة على هذا الطريق فإنه يجب أن يتناسب مع نوع الإرهاب الممارس. إذ ربما تتطلب التضحية أحياناً أن يقدم الإنسان حياته لترسيخ مبدأ يقود إلى أحياء الآخرين وعندئذ سنجد هذا الإرهابي عاجزا أمام مثل هذه المجابهة كما يحصل عندما تعاني الشعوب من وطأة الضغوط التي تفرضها عليها حكوماتها الجائرة ولكنها وبمواصلة نضالها وصمودها وتقديم التضحيات الجسام، تحقق غاياتها المنشودة وحقوقها العادلة.

من جانب آخر فإن على الأحرار والشرفاء المنتشرين في أنحاء العالم أن يكرسوا أوقاتهم وجهودهم في استشعار معاناة الآخرين وعرضها ولفت انتباه واهتمام الرأي العام العالمي إليها لإبقاء القضية حية وذات وقع كبير لدى أصحاب المعتقدات الحرة. من هنا ينبغي أن يصار إلى قيام مزيد من المنظمات الإنسانية وتفعيل القائمة منها وتنشيطها باتجاه دعم حقوق الإنسان وإيصال صرخات وأنات المستضعفين والمضطهدين إلى مسامع العالم.

ولاشك أن امتلاك مواقع إعلامية أو مؤسساتية عالمية سيكون أكثر تأثيراً في طرح المعاناة الإنسانية في المحافل الدولية خلال المؤتمرات واللقاءات والمجالس وفي كافة المنابر الحساسة الأخرى.

إضافة إلى ما مضى فإننا مدعوون إلى عقد مؤتمرات اختصاصية وتشكيل منظمات إنسانية ذات أطروحات قابلة للتنفيذ وربما تضع في سلم نشاطاتها أحياناً عقد مصالحة أو تفاهم بين الشعوب والحكام الذين لم يمارسوا إرهاباً بلغ حد القتل وسفك الدماء أو التنكيل بإنسانية الإنسان.

بطبيعة الحال فإن دعوة كهذه يجب أن تكون موجهة للحكومات لفتح الحوار مع الناس باعتبارها تمتلك القرارات والأذرع التنفيذية اللازمة للتفاهم. وقطعاً إذا تحقق هذا الأمر فإنه سيؤدي إلى تجنيب الشعوب الممارسات الإرهابية الحكومية. ولابد من التأكيد على ان توجيه مثل هذه الدعوة لا يصدق مع بعض الدول. لأنها في غير محلها إذا كانت الحكومات فيها قد أوغلت في الجريمة والإرهاب وشرب دماء أبناء شعوبها ولذلك فإن الحل لمثل هذه النماذج هو تغيير تلك الحكومات من القمة إلى القاعدة واجتثاث جذورها بالكامل.

إننا نحتاج إلى مواقف إسلامية شعبية ورسمية موحدة تجاه إرهاب الدولة التي تمارسه بعض بلدان عالمنا الإسلامي ونبذ التردد والتذبذب في تقويم الممارسات الظالمة سواء على شعوبنا في هذه المنطقة أو على أبناء ديننا في أنحاء العالم.

نحن مطالبون إلى إبراز هذه القضايا وطرحها في أية مناسبة أو فرصة سانحة بل ومدعوون إلى خلق مناسبات لطرحها وعرضها على حقيقتها والتعاون مع الإنسانيين في كل العالم، إن ثمة أناساً في المجتمعات الغربية يؤمنون بحقوق الإنسان ويرفضون ويعارضون الإرهاب والاضطهاد، لذا فإن التعامل مع هؤلاء يجب أن يستمر، إضافة إلى ضرورة خلق الأجواء لإبراز مثل هذه المشاكل والظلامات موثقة بالدلائل والإثباتات القاطعة.

إرهاب المسلمين بسبب ثرواتهم

الدكتور حافظ الجمالي(*)

أظن أنه ما من عربي يصل إلى عمر الرشد، ألا ويعرف أنه جزء من أمة كبيرة تدين بالإسلام وتبدأ من إندونيسيا، حتى اخر المغرب (مراكش) وتمتد قليلاً إلى الجنوب القريب من المغرب، وان هذه الأمة لا يقل عدد أفرادها عن مليار نسمة.

واظن أيضاً أن هذا العربي نفسه يعرف انه بحكم كونه مسلماً، لا يصبح عدواً طبيعيا لمعتنقي الأديان الأخرى، سماوية كانت، أم أرضية. لا لأنه أساء أو يمكن أن يسيء إلى أحد، ولكن لأنه من دين غير دين الآخرين. ومع أن كل إنسان يختلف عن كل إنسان آخر، داخل الأمة الواحدة، والدولة الواحدة وان الفرق بين الإنسانين، يمكن أن يكون مثل الفرق بين الكافر والمؤمن، وبين الشقي والتقي، وبين الصالح والطالح. والمجرم والبريء، والقاتل والقتيل، فإن له، بحكم كونه مواطنا، حق الاختلاف عن الاخرين، اختلافا كاملاً.

أما المسلمون، فما من أحد يغفر لهم أنهم مسلمون، على الرغم من أن، "الإلحاد" أو "الكفر" أو عدم الإيمان بالله، سمة شائعة في هذا العصر، ولاسيما في البلاد المتقدمة، فيغفر لكل إنسان من أي بلد كان أن يكون ملحدا، وشيوعيا، وفوضويا، وكل ما يريد أن يكونه ماعدا ان يكون مسلما كما لو أن دين الإسلام دين الحرب، والإرهاب وزرع الألغام وقتل النفوس البريئة، والعدوان على كل بريء، وكما لو أن الآخرين لم يخترعوا هم أنفسهم، كل صور السلاح التي عرفها الناس، في هذه الأيام، وقبلها بزمان غير يسير. ولقد وصلوا في تطوير أسلحتهم، إلى ما يمكن معه القضاء على البشرية جمعاء، بكل ما لدى هذه البشرية من مدن، وحضارات، ورجال ونساء وأطفال، وإلى ما يمكن ان يقضي على كل البشر في الأرض كلها، من غير التعرض للبيوت والأبنية، والشوارع، بحيث يطمئن الناس، وهم يموتون إلى أن بيوتهم تبقى سليمة وليس عليهم إلا أن يستيقظوا من الموت ليعودوا إليها سالمين، وخلال الحربين العالميتين اللتين قامتا عام (١٩١٤- ١٩١٨) و(١٩٣٩- ١٩٤٥). قتل أكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الناس، وهدمت مدن كثيرة بكاملها، وهي كلها غير مسلحة. وما من أحد مع ذلك، يسمى "إرهاباً" غير الذي لم ينتصر في الحرب، ويعرف كل الناس انه لم تنشأ بسبب المسلمين حروب، على طول التاريخ، تساوي في عنفها وأذاها وقتلاها وجرحاها. ما يوازي شهرا واحدا من إحدى الحربين العالميتين الاخريتين.

(*) سورية وزير تربية أسبق.

غير أن الاستعمار يغريه دوماً أن يطمع في ثروات ضعيفة جداً تظهر في بعض الأراضي التي يسكنها المسلمون. ولهذا السبب وحده، يسحق المسلمون بكل صور السحق، لأنهم يملكون الثروة النفطية. فإذا هم زادوا سعر النفط قليلاً كانوا مسرفين، يعتدون على راحة العالم وهنائه. وإذا عاشوا هادئين، لا يشغب أحد منهم على أحد، شقي الاستعمار بهذا الهدوء، وغرر ببعض القوم، لكي يبغي على بعضه الآخر. وإذا ثارت الحرب بين فئتين وأرادت الانتهاء، كان ذلك جرماً كبيراً، وذنباً عظيماً. ومع أن لديهم كل الوسائل لمنع هذه الحرب، وإيقافها بمجرد منع استيراد الأسلحة، فإنهم يتركون هذه الحرب تمتد ما شئت من السنين. وإذا وقفت الحرب أخيراً، عندئذ يبحثون عن حرب أخرى، لكي لا يبقى لأي مسلم في الأرض أية ثروة، غير الفقر والجوع، والضعف. وما تمرد جنوب السودان الزنجي، على شماله المسلم، ولا ما يحدث في الصومال، ولا ما حدث في أفغانستان، إلا بعض الأمثلة البسيطة والآنية على بغي ما نسميه الغرب، على ما نسميه الشرق.

وعندما تجتمع بعض الأرصدة المالية، الضخمة نسبياً، أي ما يعادل مثلاً ثمن الدخل القومي لفرنسا، أو لإيطاليا، فإن الاستعمار لا يهدأ حتى يجد باباً، لإنفاقها في الخراب والتدمير (كحربي الخليج مثلاً). أو لاستئنافها، أو لإعادة استئنافها، أو استعداداً له.

وعندئذ نرى وزراء الاستعمار وشركاته الكبرى تتوافد إلى كل مكان، عارضين بيع ١٠٠ طائرة من نوع الطائرات المقاتلة، ١٠٠ أخرى من الطائرات القاذفة، ومائة ثالثة من الأسلحة المدمرة الأخرى، ومائة رابعة لمقاومة كل هذه الأسلحة، وفي بداية كل سنة، وكلما تجمع وفر معين من الأموال لدى الدول النفطية، عاد الوزراء والشركات من جديد، لعرض الأسلحة المتطورة، وفرضها على الدول المسلمة من جديد.

تلك هي الحال في كثير من الدول العربية الإسلامية السودان، والصومال، والجزائر والمغرب والبوليساريو، وأفغانستان والعراق وتلك هي صور الشقاء التي ينبغي على المسلمين أن يتحملوها، في كل مكان من أراضيهم، فإذا وجدت دولة لا علاقة لها بهذا كله، أغريت بضرورة الدفاع عن نفسها، واشترت السلاح، واعدت نفسها لحرب يفرضها الاستعمار إما للدفاع عن نفسها وإما للمشاركة فيها، وإما للأمرين معاً.

ومع ذلك تبقى مشكلة إسرائيل، مشكلة أولى. وعندما يسمع الناس أخبار العالم كله، يسمعون دائماً، معها، فقرة خاصة، بهجوم السلاح الجوي على المفاعل النووي لدولة مسلمة، وتهديمه كلياً، أو على جنوب لبنان، وقصفه بكل أنواع القنابل وإحداث أكبر الأذى في الممتلكات والأرواح أو الاستعداد لضرب إيران، جواً والقضاء على مفاعلها النووي، وضرب بعض منشآتها الحيوية، وقتل بضع مئات من أهليها.

وأمام هذا كله، ماذا يستطيع المسلمون أن يفعلوا، ماداموا فقراء، ضعفاء، مستعمرين إما بصورة فعلية، وإما بالهيمنة على الإرادة الحكومية، فإذا وجد بين المواطنين من يتصدى لرد بعض العدوان، أو للانتقام الأبسط ما يكون من أعدائه الذين يؤذونه كل يوم، بأغلى ما عنده، بانفجار ما، في مكان، يكون له بعض الضحايا، فعندئذ تكون الطامة الكبرى، إن المسلمين دوما، (أصوليون، عدوانيون، إرهابيون، قتلة، سفاكون).. وكلما أثخنت في قتلهم، اقتربت من الجنة. ولا حساب عليهم. أما من يقتل منهم في الأعوام كلها عشرون أو أربعون إسرائيليا، فذلك هو العدوان الأكبر والأعظم إن الأشياء فقدت أسماءها. ولا عدوان إلا من كان الأضعف هو المعتدي، ولا سلام، إلا مع عدوان القوي على الضعيف. عندئذ يكون العدوان سلاماً، وحقاً عاماً، ورداً للجهلة إلى العقل.

لم يفهم المسلمون بعد أن عليهم توحيد سياساتهم الخارجية، وضم صفوفهم بعضها إلى بعض، والارتقاء بأنفسهم إلى مستوى "الدولة الحكيمة" الديمقراطية، التي تعترف داخلها، بحقوق الإنسان، وبالانتخاب أساساً للحكم.. والسلطة معاً. وما منا من قلب موارده النفطية إلى طاقة حضارية تخرج بنا عن مستوى قروننا الوسطى. ومع هذا التأثر، والقفزة ومع صدأ الحكم الفردي، وجعل الديمقراطية، مسرحية هازلة، والإقامة الدائمة في التخلف، والضعف، والتجاهل الكامل لحقوق الإنسان.

ونريد ولا نزال نريد أن يكون لنا دولة تحترم، وإنسان متحضر، وقفز من البداوة إلى الحضارة الحديثة. ترى أليست هذه عملية سحرية؟.

إطلاق طاقات الأمة

الدكتور محمد الهاشمي الحامدي(*)

ليس هناك في العالم الإسلامي من يقبل الإرهاب سلوكاً مشروعا لتحقيق غايات سياسية، لأن من معاني الإرهاب الأساسية ترويع الأبرياء وقتلهم دون جريرة، وارتكاب جرائم بشعة بحق أناس عاديين لا ناقة لهم ولا جمل فيما يشيعه الإرهابيون عن قضاياهم ومطالبهم، وبهذا المعنى، يجب ألا يكون عند المسلمين أي تردد في إدانة الإرهاب والدعوة لمقاومته وإلحاق الهزيمة به.

وعلى عكس الدعايات التي تصور العالم الإسلامي مصدراً للإرهاب، فإن الدول الإسلامية هي في الغالب من أبرز ضحايا الإرهاب، إذ يستهدف أمنها وأمن مواطنيها من طرف هيئات إرهابية منظمة تريد إضعاف العالم الإسلامي وصرفه عن مشاغله الحقيقية، مثل الأعمار والتنمية، واستبدالها بمشاغل الأمن ومطاردة الإرهابيين. وأبرز وجوه هذا الإرهاب المنظم هو إرهاب الدولة الذي ترعاه الدولة الإسرائيلية وتستهدف به أمن الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين، ووصل مداه إلى تونس وإيران وعواصم إسلامية ودولية أخرى. ولأن المشروع السياسي الإسرائيلي يقوم أساساً على احتلال أراضي الفلسطينيين والدول العربية المجاورة، وهذا من أعظم أشكال الإرهاب، فإن حمايته لا تتأتى إلا باستخدام مزيد من العنف المنظم في وجه أصحاب الحق والأرض الأصليين. وقد دفع العرب تكاليف باهظة لهذا العنف والعمل الإرهابي المعلن، كان أحدها مثلاً العدوان الإسرائيلي الغاشم على لبنان والذي ارتكبت فيه مجزرة قانا وهجر فيه نصف مليون مدني من منازلهم ودمرت فيه البنية التحتية لجنوب لبنان.

ومع أن الأسرة الدولية أبدت دائما قدرا من الإدانة لمثل هذا السلوك، فإن إسرائيل استطاعت أن تجرد هذه الإدانة من أي أثر فعلي لها، وذلك بسبب الدعم الكبير الذي لقيته من الإدارات الأميركية المتعاقبة. وربما كان النجاح الأكبر لإسرائيل هو تحويل الضحية إلى مجرم في نظر الرأي العام العالمي وتحويل الجلاد إلى ضحية، إذ أصبحت أكثر العواصم الغربية النافذة تعتبر مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لأراضي الغير بالقوة عملاً إرهابيا، وهكذا أصبح العرب مصدر الإرهاب وإسرائيل ضحيته.

(*) باحث إسلامي تونسي مقيم في لندن.

من جهة أخرى، يكمن المصدر الثاني للإرهاب في العالم العربي والإسلامي من انسداد آفاق العمل السياسي الحر داخل كثير من هذه الدول، مما يدفع المحرومين من حقوقهم السياسية أو الاقتصادية إلى اللجوء إلى العنف في مواجهة الحكومات القائمة، مرة تحت غطاء الشعارات اليسارية وأخرى تحت غطاء الشعارات الإسلامية، وللأسف الشديد، نجد القوى الغربية حاضرة في هذه المعادلة أيضاً، إذ أنها تؤيد عادة المجموعات الحاكمة رغم علمها البين بفسادها واستبدادها. ولا يقف هذا التأييد عند حد الدعم السياسي فقط، وإنما يتسع ليشمل امداد تلك المجموعات بوسائل القهر الجماعي للسكان، والتستر على الجرائم التي ترتكبها تلك الحكومات.

ومع أن حبرا كثيرا سال ويسيل بشأن ما يسمى التطرف الديني وعلاقته بالإرهاب، فإن من الواضح لكل باحث متجرد إن الأمر لا علاقة له بالمعتقدات الدينية أو غير الدينية، وإنما بالكبت الهائل الذي تعانيه شعوب إسلامية كثيرة من مصادرة حقوقها السياسية والاقتصادية المشروعة، المعترف بها في كل شرائع الأرض والسماء.

وباختصار، إذا أردنا محاربة الإرهاب واستئصال جذوره في بلداننا وفي العالم كله، فإن علينا اولا وقبل كل شيء أن نزيل الأسباب التي يمكن له أن يستخدمها لتبرير افعاله، أي أننا يجب الا نسمح للقوي باستخدام قوته في إرهاب الآخرين حتى لو تستر بأجهزة الدولة وأعلامها ورموزها السيادية، وفي الحقيقة، إن إرهاب الدولة هذا هو الأخطر والأعنف والأكثر شراسة من أي إرهاب اخر.

أساليب الإرهاب

العلامة السيد افتخار النقوي(*)

إن الإرهاب الدولي يحاول دوما وأبدا إخفاء الحقائق وتضليل الرأي العام وهو يجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً. وهذه من إحدى طرقهم الملتوية للسيطرة على الشعوب والبلدان الرافضة لسياسات الاستعمار والصهيونية. إنه لا يخفى على أحد، الأساليب التي يستخدمها الاستكبار العالمي للهيمنة على الدول والأمم التحررية، لكننا سنسعى هنا إلى تسليط الضوء على شواهد وأرقام موثقة تجعل الجماهير الإسلامية والقوى والضمائر الحرة، أقرب من الحقيقة الساطعة التي يسعى الإرهابيون الدوليون إلى حجبها أو التمويه والتعتيم عليها بمختلف وسائل ووسائط المكر والخداع والالتفاف. إن الإرهاب الدولي موجود في أنحاء العالم، كما أن آثاره معروفة ومتشابهة تقريباً ذلك أن الإرهابيين يرون أن كل طريق يؤدي بهم إلى تحقيق مآربهم وأغراضهم هو طريق مشروع ونستطيع القول أن الإرهاب الدولي يعتمد لتنفيذ مخططاته طرقاً وممارسات أمست متعارفة لدى الناس بإمكاننا تلخيصها بما يلي:

١- قتل وإبادة شعوب بأكملها. وينفذ هذا العمل طبعا بصورة سريعة ويصار إلى دثره بغطاء من الغموض وأجواء من الشك والريبة.

٢- نشر العملاء والمرتزقة في المناطق المرصودة.

٣- تكريس حكومات وأنظمة عميلة في معظم البلدان العربية والإسلامية حتى إذا ما عارضت شعوبها بقاء مصالح المستعمرين، يتم قمعها ودحرها بل وإبادتها وهذا هو الإرهاب بعينه.

٤- رصد ومطاردة واغتيال الأحرار الذين نذروا أنفسهم لفضح مؤامرات المستعمرين، وبث الوعي واليقظة لدى الشعوب في الجوانب السياسية والثقافية والفكرية. إن شواهدنا على ذلك كثيرة لكننا نحصرها في التصفيات الجسدية التي تعرض لها الشهداء، والسيد محمد باقر الصدر والسيد مهدي الحكيم والسيد عارف الحسيني والسيد عباس الموسوي (رضوان الله عليهم أجمعين)، إن هؤلاء عملوا على بعث روح الاستنفار والحركة بين عقول ومشاعر أبناء الأمة الإسلامية تمَّ قتلهم مظلومين من قبل الإرهابيين الحقيقيين.

(*) أمين عام الحركة الاسلامية الجعفرية في باكستان.

٥- استخدام العامل الاقتصادي: نلاحظ في القارة الهندية أن الاستعماريين (الإنكليز في بدء دخولهم هناك، أسسوا شركة تجارية ومن ثم استعمروا شبه القارة الهندية بأكملها. هم أرادوا تنفيذ هذه الخطة أيضاً في إيران ولعلك أعرف بقصة التنباك وفتوى السيد ميرزا حسن الشيرازي بتحريم شرائه أو تداوله.

٦- أما إذا أراد شعب أن يتحرر من القيود الاستكبارية، أو أن يضرب بإملاءات القوى الكبرى عرض الحائط، فإنه يتعرض لوابل من ممارسات الضغط والمحاصرة والاحتواء مثلما حل خلال الحرب التي فرضها نظام صدام على الجمهورية الإسلامية الفتية في إيران أو حرب الهند على الباكستان أو حرب الصهاينة على العرب أو الغزو الشيوعي السوفيتي لافغانستان. ان هذه أمثلة سافرة على أشكال الإرهاب العالمي الذي تمارسه القوى الشيطانية في عصرنا الحاضر.

٧- الغزو الثقافي هو أيضاً ضرب من الإرهاب تستهدف القوى الاستعمارية به مسخ الشعوب وإلغاء هويتها وتجريدها من ثقافتها الأصيلة وبذلك تجد نفسها مستلبة من معاني الاستقلال والحرية لتكون بعدها مؤهلة ومهيأة لأية هجمة ثقافية غريبة.

٨- ولاشك أن من مقدمات هذا الغزو أن يسبقه حالات من تفشي الأمية والفقر لدى الشعوب الفقيرة في العالم الثالث كما هو الحال في أنحاء متعددة من شبه القارة الهندية والبلدان الإفريقية مما يؤول إلى نشوب نزاعات ومواجهات تستند في ظاهرها إلى خلافات عرقية أو طائفية أو دينية أو اقتصادية لكنها في حقيقتها من نتائج ضيق الأفق التعليمي والثقافي أو من أسباب السياسات الاستغلالية التي ولدتها الدول الاستكبارية وادت إلى ظهور مظاهر مروعة للمجاعة والقحط، تخدم في مسيرتها القادمة أهداف ومطامع القوى الكبرى.

٩- عندما يشعر المستعمرون أنهم قد ضعفوا في مكان ما أو ان عملاءهم فشلوا في كبح جماح الشعوب، انهم يعمدون إلى فرض الاحكام العرفية ومصادرة الحريات والحجر على الفكر والصحافة الحرة.

١٠- وعندما تكون الشعوب في أمن وثبات وحياة وادعة في بلادها، يعمل أئمة الإرهاب الدولي على زعزعة هذه الحالات عبر إثارة الحروب الداخلية والأهلية مثلما حصل في لبنان ويحصل الآن في أفغانستان وبعض الدول الإفريقية.

١١- وحينما تكون البلاد ذات مساحة شاسعة تصار إلى تقسيمها كما وقع في باكستان في الماضي القريب حيث أمسى هناك باكستان الشرقية وباكستان الغربية (بنغلاديش). إن ثمة دولاً أخرى تنتظرها مثل هذه المؤامرة الوسخة إذا لم تلتفت شعوبها لما يحاك ضدها في هذا الإطار.

١٢- إن العالم بأسره يدرك أن زرع الكيان الصهيوني بالمنطقة هو المصداق الأبرز لدعم وتكريس الإرهاب فيها. انهم خلقوا بؤرة توتر مستديمة بين ظهراني الشعوب العربية المسلمة بهدف شلهم عن تنفيذ أية خطوة تقودهم إلى القوة والتلاحم وبالتالي تكون "إسرائيل" السائدة بعدما أدت دور "الفزاعة" بنجاح متقن.

١٣- ولهذا عندما يمارس الشعب اللبناني المقاوم حقه في الدفاع عن أرضه ومقارعة المحتلين يوصم بالإرهاب ويذبح بأبشع الصور دون أن يجرؤ أحد- وحتى الأقربون- على وضع "إسرائيل" عند حدها أو تأديبها "لئلا يوضع في قائمة الدول الداعمة ل"الإرهاب"!

١٤- ولاشك أن الإرهاب الإعلامي أو الدعائي هو من أبرز أسلحة الإمبريالية والغرب للهيمنة على مقدرات المستضعفين. ولا يخفى على أحد الازدواجية التي تمارسها الدوائر الإعلامية الغربية في التعامل مع أحداث منطقتنا خاصة مع القضية الأفغانية قبل طرد المحتلين الشيوعيين وبعده حيث لعبت الأجهزة الخابراتية المأجورة دوراً مؤثراً في إدامة التقاتل والنزاع بين الأحزاب والفصائل الجهادية في أفغانستان على خلفية البعد الذي ذكرناه في الفقرة الثامنة أيضا.

في نهاية هذا المطاف لابد من التأكيد على التكاتف والتضامن والاتحاد حلاً لتجاوز كل اختلاف من شأنه إضعاف الأمة الإسلامية جمعاء.

نحن مدعوون إلى تعزيز كل ما يحصن شعوبنا من المخاطر والتهديدات. وفي هذا الاتجاه فإن دعم التواصل والارتباط بين فئاتها وأبنائها، يعد من مقومات صيانتها ووقايتها.

على أن وجود قيادة موحدة ترشد المسيرة الجماهيرية، هو من أهم وأبرز مستلزمات مرحلتنا الراهنة في عملية مواجهة المد الإرهابي الاستكباري لأن الإرهاب ليس متمثلاً في قتل الأفراد والجماعات وحسب وإنما هو كل ما من شأنه خذلان الشعوب وإخضاعها وتمزيقها طرائق قددا.

وان تعزيز التلاحم والتآلف والاخوة وكذلك نشر الثقافة الأصيلة بين عموم المحرومين والمستضعفين، كل ذلك يجعل من أي مخطط إرهابي غربي حبراً على ورق. وان عملية ترشيد الجهود البشرية.في هذا الاتجاه هي من أهم مسؤوليات ومهام القيادات الإسلامية المجاهدة.

الأمم المتحدة والإرهاب

العلامة الشيخ أحمد كفتارو(*)

كيف يتهم الإسلام بالعنف والتطرف، والقران الكريم يخاطب الإنسان في كل مكان، بغض النظر عن لونه وعرقه ودينه قائلاً ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

إن الخالق جلّت قدرته أراد لنا كبشر على هذا الكوكب أن نتعارف، لا أن نعيش حياة الغابة، والتعارف لا يكون إلا عندما يوجد الإنسان لأخيه الإنسان سبيلاً يمهد التعارف، ولا يكون هذا بدون احترام الناس للحقوق المشروعة للآخرين.

من حق الإنسان أن يعيش فوق أرضه آمنا مطمئناً، بعيداً كل البعد عن الخوف والتهديد، وإذا كانت دول العالم تدعو اليوم إلى ضرورة نزع أسلحة الدمار الشامل، وعلى رأسها السلاح النووي، فإن المسلمين يعيشون الآن وفي محاذاتهم من يملك مئات الرؤوس النووية التي ما صنعت إلا لفرض أمر واقع.

إن المسلمين في فلسطين وفي سورية وفي لبنان وفي الوطن العربي بأسره، يمارس عليهم اليوم أشد أنواع الإرهاب المتمثل بالتهديد المبطن، من خلال امتلاك أحد أطراف المعادلة لأسلحة الدمار الشامل.

والعرب قد احتلت أجزاء من بلادهم وهجِّروا من أوطانهم ومنعوا حتى من تأمين لقمة العيش، من خلال طوق أمني، حول الضفة والقطاع وجنوب لبنان قبل التحرير، والذي تحول بدوره إلى سجن كبير، وكأنما أريد لهذا الشعب أن يموت ببطء، تحت سمع العالم ونظره.. أطفال يموتون جوعاً ومرضاً، وبيوت تهدم، وأراض تقضم، وسجون اثر سجون، ومع هذا نتهم نحن العرب والمسلمون بالإرهاب والتعنت!!

ولا ندري من يمارس الإرهاب، وكيف يفكر إنسان هذا القرن؟!

لماذا لا توضع النقاط على الحروف؟

ولماذا تعاقب الشعوب؟ ولماذا يترك الظالم ويحاكم المظلوم؟

من استعمر ديار العرب والإسلام، من مزق وحدة الشعوب، من حرم الإنسان من حريته التي اقرتها شرعة حقوق الإنسان، من ذبح آلاف الفلسطينيين وأخرجهم من ديارهم

(*) مفتي الديار السورية

وأوطانهم؟ ما الذنب الذي ارتكبه المسلمون في البوسنة والهرسك حتى يتم قتلهم وذبحهم على هذا الشكل المروع؟.

لماذا تحاصر شعوب الدول الإسلامية؟ لماذا يشنون عليها الحروب الاقتصادية والإعلامية؟.

لقد كنا نود بعد انتهاء الحرب الباردة مع الوضع الدولي الجديد، أن نرى ونجد العدل والسلام والحب والوئام، ولكن الصورة هي الصورة في معاناة الشعوب، وفي تجذير شرعة الغاب.

ترى ماذا صنعنا لعالم اليوم؟ هل جريمة المسلمين انهم كانوا وراء نهضة أوروبا الحديثة؟ وهل دعوة القران الكريم إلى اتباعه عندما قال ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ فيها لون من ألوان الإرهاب والاستعباد؟.

إن أعداداً كثيرة من أبناء أوروبا وأميركا يدخلون الإسلام طواعية، وهم أساتذة وفلاسفة وأطباء ومهندسون ومثقفون، ترى هل اعتنق هؤلاء الإسلام خوفاً؟ أم أنهم أيقنوا أن الإسلام فيه السلم والسلام والأمن والأمان.

لقد صار سلاحاً وصم الشعوب الحرة بالإرهاب سلاحاً يستخدم ضد كل من لا يخضع للظلم.

إن الدول الكبرى، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية مدعوة إلى مراجعة الحسابات، فإن أرادت حقاً السلام في المنطقة فلتضع حداً لبعض المتهورين من ساستها لأن المظلوم والمقهور والمحاصر والجائع سيلجأ إن عاجلاً أم آجلاً إلى كل طريق ممكن، كي يخرج من الظلم والقهر والعبودية.

من هنا فإنني أرى ضرورة التأكيد على ما يلي وصولاً إلى عودة الحقوق لأصحابها، وتحرير الأوطان من كل أشكال العدوان والاحتلال:

- رص صفوف أبناء الأمة الإسلامية ومساندة الأشقاء الذين يتعرضون للعدوان والظلم وعدم تركهم يواجهون مصائرهم لوحدهم.

- أطالب الدول العربية والإسلامية الصامتة بالتحرك لدفع مجلس الأمن المتخاذل والذي يكيل بمكيالين، لاتخاذ قرارات عادلة لصالح من تعرض للعدوان والظلم والاحتلال من أبناء أمتنا وعالمنا الإسلامي.

- أدعو دول العالم للضغط في هيئة الأمم المتحدة لإلغاء ديكتاتورية الفيتو الذي تمارسه القوى الكبرى ضد مصالح الشعوب المستضعفة.

المحور الثامن

مستقبل الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

"الأمة الإسلامية حسب تعريف الإمام الخامنئي (دام ظله)هي الثمرة الأولى لنهج الإسلام السياسي- الإنساني.. هذه الأمة انطلقت من مدينة النبي (ص) وشقت طريقها بصورة إعجازية مدهشة نحو تكونها الكمي والنوعي".

وما دمنا قد افتتحنا هذا المبحث بهذه المقدمة الكريمة فإنه من الضرورة ونحن نتحدث عن (أولويات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين)، أن نؤكد على أنه في عملية النهوض والتقدم وفي قضية مواجهة التحديات الاستكبارية والصهيونية الغاشمة، لا يمكن تجاهل دور الأمة في بلورة أو حسم مثل هذه التوجهات، لاسيما وان الحضارة الإسلامية الشامخة كانت قد وفرت للأمة في مرحلة سابقة شروط الازدهار والتفوق على جميع المستويات المادية والمعنوية. وبغض النظر عن التعريف السياسي المختلف للأمة في عصرنا الراهن والذي سيلمس القارئ بعض نماذجه في هذه الحوارات التي يشارك بها شخصيات مهمة دينية وسياسية وفكرية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فإن الاستراتيجية الهيمنوية القائمة على مخطط تمزيق الشعوب العربية والإسلامية وزرع الفتنة والبلبلة بين دولها- كما حصل أخيراً في العراق، تدعو بإلحاح إلى إعادة النظر في مقومات وعوامل حشد الأمة ضد عدوها التاريخي.

ولئن رسمنا لأنفسنا في هذا العنوان هدفا عظيما ورئيسيا هو العمل على إشعار المسلمين بأنهم دائماً وأبداً منتمون إلى (الأمة). فلأن هذا، حقيقة ساطعة سطرها الوحي الإلهي في القرآن الكريم بقوله عز وجل (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) كما أننا نريد ونرجو أن يدرك بنو أمة محمد (ص)، ويؤمنوا بأن رابطة الإسلام هي الأشد حصانة والأمضى والأصبر على الصمود والمنازلة والتحدي لأنها القوة القادرة على إزالة اعظم الصعوبات والعقبات وإحباط أعقد المخططات الشيطانية في الحاضر والمستقبل. إذن ونحن في القرن الحادي والعشرين، ومع ما تحمله أمتنا من اعباء ورواسب وإرهاصات الماضي البعيد والقريب، يضاف إليها ما تواجهه اليوم من تحركات وتفاعلات الراهن المعاصر، فإن الواجب يدعونا إلى بلورة تصورات مفيدة ومتعددة حول تحفيز وإعداد العامل الحاسم (أي الأمة) في هذا التحول الزمني بشكل يتناسب وحجم التحديات القادمة. وقبل الدخول في موضوع مستقبل هذه الأمة كان لابد من الحديث عن صحوتها ونهضتها.

ولئن حاورنا مختلف الاختصاصات والاتجاهات الفكرية حول هذا المحور، فإن بعض الإجابات التي تضمنت وجهة نظر خاصة في معنى (الأمة الإسلامية)، لا يقلل من الحقيقة التي يعكسها موقف الشعوب الإسلامية الواحد حيال القضايا المصيرية والحساسة. ولا جرم أن الحديث عن مستقبل الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين يقتضي الحديث عن ضرورة صحوة ونهضة هذه الأمة اولاً واخراً.

التلازم بين تيار الصحوة والحركة الإسلامية

الدكتور كمال الهلباوي(*)

هذا العنوان يطرح عدة نقاط هي:

١- الصحوة الإسلامية انطلاقة تاريخية فريدة.

٢- الجهود والمآسي التي قاستها طلائع الأمة من رجالات الإصلاح والتجديد.

٣- الصحوة بحاجة إلى عناية ومراقبة مثلى.

٤- الصحوة بحاجة إلى توفير متطلبات النمو والتكافل والوقاية.

٥- الصحوة وقعت ضحية للإهمال والتهاون واللغط الفكري.

٦- الصحوة تجهل ما تريد وما تستهدف.

٧- الصحوة تشكل خطراً هائلاً وهاجساً مرعباً يهدد الاستكبار العالمي ومصالحه.

٨- الاستكبار العالمي يحشد كل الوسائل الممكنة لخنق الحالة الإسلامية الغنية.

٩- الفصام النكد بين أهل الصحوة وبين المؤسسات الحاكمة المسلمة، وبين دعاة التجديد والتحجر وبين رواد وقادة التحرك والعمل الإسلامي.

١٠- المستقبل الحضاري "للصحوة الإسلامية" وكيفية تشكيله.

أقول وبالله التوفيق:

نحن نتفق أولاً على النتيجة التي توصل إليها الأستاذ حميد حلمي زادة من أن الجميع- علماء وساسة ومفكرين- مدعوون إلى التفكير الصائب والسليم، لاحتواء أية مخاطر، وتجاوز أية أزمات محتملة، على صعيد مستقبل العالم الإسلامي، وتشكيل إدارة واعية عصرية لترشيد الصحوة الإسلامية، والأخذ بيد أبنائها إلى بر الأمان.

ولعلي أقصر حديثي في هذا الإطار على النقاط الأربع الآتية:

١- استراتيجيات الحركة الإسلامية.

٢- العوامل التي تحكم العلاقة بين الاستكبار العالمي والصحوة الإسلامية.

٣- المستقبل الحضاري للصحوة الإسلامية ومنهجية تشكيله.

(*) مفكر إسلامي مصري- عضو مركز الدراسات السياسية العالمية في لندن.

٤- دروس وعبر من أزمات الأمة المعاصرة.

وذلك في محاولة متواضعة للإسهام في تجلية بعض أهم جوانب هذه النقاط، أملاً في أن يستكمل الملف جميع النقاط المهمة المطروحة في ورقة العمل، حتى تتضح حقيقة الصحوة المباركة، وسبل إدارتها وترشيدها، والتوفيق بيد الله تعالى وحده أولاً وأخيراً.

استراتيجية الحركة الإسلامية:

أولاً- استراتيجيات الحركة الإسلامية:

تشكل الصحوة الإسلامية التي تشهدها الأمة اليوم، تياراً شديداً، يسري في أوصال الأمة، فيحييها بالأمل، ويبشرها بمستقبل زاهر، ويهيئ لها الأرضية المناسبة، والبيئة المفتقدة لعدة قرون. وهذه الصحوة كانت ولا تزال بحاجة إلى من يوفر لها متطلبات النمو المتدرج الهادئ في شتى الميادين الروحية الإيمانية والفكرية العملية والعلمية الدقيقة والسلوكية الصحيحة، وهي أيضاً بحاجة إلى من يبني لها القدرات والإمكانات في إطار التطور والتغير السريع الذي شهده ويشهده العالم وخصوصاً في السنوات الأخيرة ألا وهي الرؤية الصحيحة للانطلاق الفاعل بعيداً عن الفوضوية والغوغائية والهوجانية التي تهدد أحياناً بعض قطاعاتها وتهدد أهدافها وغاياتها ووسائلها، كما إن هذه الصحوة بحاجة إلى رعاية ووقاية دائمتين من رجالات الإصلاح والتجديد، وخصوصاً من الحركة الإسلامية التي تشكل التيار الإسلامي المنتظم المنضبط بضوابط الحركة وأعرافها ونواميسها، ومناهج وبرامج الإعداد والتربية فيها.

وإذا كانت الصحوة هي التيار الذي يسري في أوصال الأمة فيحييها بالأمل، فإن الحركة الإسلامية هي ذلك التيار الذي يسري في أوصال الأمة، فيبني فيها القدرات والإمكانات بناء صحيحاً، وهي الضابط الذي يضبط تصرفات الأمة وسلوكها، والمغذي الرئيس للتيار الإسلامي أي (الصحوة) بالفكر والفقه، وبالسلوك والأخلاق، وبالثقافة والعلم، والتخطيط والإدارة، وبالعمل الفردي (أي حفز المواهب والقدرات والإمكانات الفردية)، والعمل المؤسسي الجماعي، الذي يستهدف الأمة حول قياداتها الواعية المدركة.

وإذا كانت التهم التي تطال الصحوة الإسلامية، تشمل من بين ما تشمله: عدم وجود استراتيجية ولا خطة واضحة للعمل، فإن الصحوة الإسلامية حالة تغيير تشهدها الأمة، ومن ورائها تفكير عميق، وبرامج تنفيذ دقيق وتضحيات هائلة متصلة تكبدها وحملها رجالات الإصلاح والتجديد، وتبلورت في شكل استراتيجيات وسياسات واضحة لا تخطئها العين. إذ يرصد العالم كله، وخصوصاً اليوم كثيراً من إمكاناته الفكرية والإعلامية والسياسية والاقتصادية لمواجهة هذه الاستراتيجيات، وإفشال تلك السياسات، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وتتلخص أهم هذه الاستراتيجيات والسياسات في المحاور الآتية:

١- القيام بحق الدعوة ونشرها في المجتمع حتى يتحقق للإسلام عالميته وربانيته.

٢- الاعتماد على الذات بعد الله تعالى وتنمية الإنسان المستقبلي وبناء الفرد المسلم الواعي.

٣- دعم الحريات وحقوق الإنسان والنهج التعددي السياسي الذي يضمن القيم الاجتماعية والسياسية العادلة.

٤- تأهيل الشعوب للتغيير الصالح في ضوء الإسلام وأصوله وقواعده وأحكامه.

٥- الانتشار في المجتمع وتفعيل الصحوة الإسلامية.

٦- تبني القضايا الإسلامية وقضايا الأقليات وطرح الحلول المناسبة لمشكلات الأمة.

٧- رفض الهيمنة الغربية والعلمانية والتطبيع مع الصهيونية.

٨- التعاون والتنسيق مع القوى السياسية والحركات الوطنية الجادة بعيداً عن روح التعصب والحزبية.

٩- النفاذ من الحصار وإدراك التغيرات والمتناقضات.

١٠- مواجهة الباطل في ضوء قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١- الحفاظ على المكاسب التي تحققت.

١٢- إشاعة روح الجهاد بمعناه الشامل دون قصره على القتال فحسب مع مراعاة روحه وآدابه الإسلامية.

١٣- تنشيط العمل الإغاثي والخيري.

١٤- الثقة في الله وعدم اليأس مهما تفشى الباطل.

ان كلاً من هذه الاستراتيجيات السياسية التي تبلورت كخطوط رئيسية في مسيرة الحركة الإسلامية يحتاج إلى تفصيل دقيق ليس هنا مكانه كما إن كلاً منها يحتاج إلى خطط تفصيلية للتنفيذ والمتابعة للتقويم.

وإذا كان واقع الحركة الإسلامية يشهد تقهقرا أو تراجعاً في بعض الأحايين نتيجة الضغوط المتزايدة التي تعيشها الأمة كلها اليوم أو يشهد عزوفاً عن تطبيق هذه السياسات والاستراتيجيات ككل متكامل فإن ذلك- يعود في ظني- للظروف الخانقة التي تعيش فيها الحركة والصحوة ولا يرجع إلى نقص في القدرات التخطيطية أو عملية رسم السياسات والاستراتيجيات في حد ذاتها.

إن كلاً من هذه المحاور يحتاج إلى شرح جميل وإبراز لإيجابياته وسلبياته من خلال تراكم التجارب الطويلة المريرة والجميلة في الحركة الإسلامية.

ثانياً- العوامل التي تحكم العلاقة بين الاستكبار العالمي والصحوة الإسلامية:

"الاستكبار العالمي" مصطلح شاع استخدامه في عقد الثمانينات بشكل خاص مصاحباً لفترة انطلاقة الثورة الإسلامية في إيران وقد استبشر المسلمون بها خيراً وخصوصاً في رفع الظلم العالمي القديم والجديد على حد سواء في الإصْرار على ظلم الآخرين ومواصلة الضغوط على الغير ووضع العقبات والتحديات التي تتجدد بصفاء تكاد تكون دائمة في وجه الانتفاضات الشعبية- الوطنية والإسلامية- التي يظن الغرب خطأ إنها تؤثر على مصالحه وأهدافه وغاياته في مناطق الاستعمار القديم نتيجة نظرة الغرب الأحادية لمصالحه فحسب حتى في بلاد الآخرين.

وقد سبق تعريف "الصحوة الإسلامية" في الجزء "الأولً" من هذا المقال.

ولابد من وجود علاقة ما بين القوى المستقبلية المؤثرة في الساحات العالمية في إطار السلام والاستقرار أو الحرب والصراع.

ومن أهم العوامل التي تحكم العلاقة بين الاستكبار العالمي والصحوة الإسلامية:

١- المصالح: لقد درجت مناهج التفكير الغربية الاستراتيجية وخصوصاً مع تقدم الصناعة والتقنية على استبقاء مصالح حيوية للغرب في بلاد العالم الثالث ومنها الدول الإسلامية حتى بعد انقضاء مرحلة الاستعمار العسكري والسياسي وتتمثل هذه المصالح في:

أ- مصالح اقتصادية: مثل النفط والمواد الخام.

ب- مصالح تجارية: مثل فتح الأسواق أمام المنتجات الغربية والتجارة بشروطها المجحفة.

ج- مصالح استراتيجية: مثل السيطرة على المواقع الاستراتيجية.

د- مصالح سياسية: من قبيل دعم الأحزاب العلمانية المرتبطة بالغرب، ودعم الإسلام السياسي على الطريقة الأميركية.

وتتلخص المصالح والغايات الأميركية في التسعينات باعتبارها قمة الاستكبار العالمي في أربع مجالات رئيسية حسب ما جاء في استراتيجية الامن القومي الأميركية التي قدمها الرئيس الأميركي السابق بوش قبل هزيمته السياسية أمام الرئيس الأميركي (بيل كلينتون) في ١٩٩٢ وهذه المجالات هي:

أ- الحفاظ على الولايات المتحدة كأمة جرة ومستقلة مع سيادة قيمها الجوهرية وآمال مؤسساتها وشعبها.

ب- اقتصاد أميركي صحيح متنام لتحقيق الرفاهية الفردية، وتوفير الموارد من أجل التقدم القومي محلياً وعالمياً.

ج- علاقات سياسية صحية وتعاونية مع الحلفاء والدول الصديقة.

د- عالم آمن ومستقر تسوده الحرية السياسية والاقتصادية وحقوق الإنسان وتزدهر فيه المؤسسات الديمقراطية.

وطبعاً نرى أن هذه المصالح والأهداف والغايات تتخطى حدود أميركا في العالم الخارجي، الذي يعتقد- وهذا حقه- إن لكل شعب حق حرية تقرير مصير بلاده، وأن له مصالحه أيضاً، التي لا يمكن للعالم أن يعيش عيشة هادئة إلا في ظلالها.

إن القرآن الكريم يحدد لنا قيماً مهمة جداً منها التعارف ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ ولكن الإستكبار العالمي يقلب هذا التعارف إلى استغلال، وهو ما ترفضه الصحوة الإسلامية شكلاً ومضموناً كما يرفضه أي شعب حر سواء كان مسلماً أو غير مسلم، ومن ثم لابد أن ينشأ الصراع لتعارض القيم والغايات والأهداف.

وهذا الصراع اليوم للأسف الشديد- أساس العلاقة القائمة بين الغرب وبين الإسلام والمسلمين أساساً من طرف الغرب حيث يتهم الغرب الإسلام والمسلمين بالتطرف والإرهاب والأصولية حتى في جرائم مثل "أوكلاهما" التي أثبتت مع غيرها الأحداث عراقة الإرهاب في الغرب، وفداحة تقدم العلم مع نقص ميزان العدل كما في اليابان، وكما يحدث في كشمير والبوسنة والشيشان حيث يغض الغرب الطرف عن العدوان لأنه واقع على المسلمين.

سمة الحضارة الغربية:

كما أن الحضارة الغربية القائمة قد حددت معالم أخرى جوهرية تتنافى مع معالم الحضارة الإسلامية ومنها:

- إقصاء الدين عن الحياة، وان قيل انه فصل بين الدين والدولة، مهما كانت مبررات فساد الكنيسة في الغرب، ففساد استخدام الشيء لا يقصي الشيء نفسه ولا يبرر عدم استخدامه.

- قصر الحضارة على المادة، وإهمال الروح والنفس، مما نتج عنه مشكلات معقدة لم تستطع حضارة المادة علاجها، والجرائم البشعة بأنواعها خير دليل على ذلك، هذا فضلاً عن أن الحضارة الغربية الحديثة وقعت في تناقضات شتى، فهي تزعم شيئاً وتفعل شيئاً آخر، وتغيرت أمامها وبسببها قيم العدالة والمساواة والأمانة.. الخ.

المستقبل الحضاري للصحوة الإسلامية ومنهجية تشكيله:

ينبغي أن نقر أولاً بأن هناك تحديات كثيرة أمام الصحوة الإسلامية من أهمها:

١- الديكتاتورية السائدة في البلاد الإسلامية تلك التي تجد دعماً لها في النظام العالمي نظير مصالح الغرب في بلادنا.

٢- ضعف الاستجابة للمتغيرات التي تقع في الأمة أو العالم.

٣- ضعف تشكيل المستقبل، كما يشكله غيرنا، ولعل بلاد المسلمين قد درجت لعقود طويلة على الاستيراد حتى لهذا المستقبل.

٤- الخروج من مأزق التخلف والتبعية.

٥- الأخذ بالعلوم الحديثة، فالإسلام يرى أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ولكن واقع الشعوب غير ذلك.

٦- الاتجاه نحو الإنتاج وتشكيل المستقبل بالفهم الشامل الخالص، ثم بالعمل الجاد على أساس من العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة.

٧- شيوع القيم الأخلاقية والمجتمعية ومنها الحرية والمودة والإخاء، والارتفاع فوق القوميات والجنسيات والعرقيات والطائفيات والأنانيات والمذهبيات والطبقيات والعنصريات والاستكبار.

٨- ترتيب أولويات الأمة بشكل تسهم فيه بكل قدراتها وطاقاتها وإمكاناتها والنعم التي أنعم الله بها عليها.

ولعل الصحوة الإسلامية- بقيادة الحركة الإسلامية العالمية- تستطيع تشكيل المستقبل اللائق بها بالتدرج المطلوب انطلاقاً من:

بناء الفرد، فالأسرة، فالمجتمع، فالحكومة الإسلامية، فالأمة الإسلامية، فالخلافة، فأستاذية العالم القائمة على العدل والإنصاف وشيوع القيم الحضارية لا على الظلم والاستغلال كما هو يدين النظام العالمي القائم.

وفي هذا الصدد فإن الحكم على المستقبل الحضاري يتضح من خلال أدواته واهمها الإنسان، الذي يعكس أخطار واتجاهات حضارة ما، فضلاً عن قوتها أو ضعفها. وإذا كانت نسبة الجريمة والمخدرات قد ارتفعت في الغرب رغم انفاق البلايين من الدولارات، وعقد مئات المؤتمرات والاجتماعات لعلاجها، فإن الحركة الإسلامية لم تنفق دولارا واحدا على مثل هذا الأمر. واستطاعت بفضل الله تعالى أن ترتفع بأعضائها أينما كانوا حتى أن نسبته في الحركة صفر تماما، وهذا معيار لكيفية فساد حضارة المستقبل المادية، ومثال واحد بارز على حسن منهجية وصحة انطلاق الحضارة الإسلامية، وإمكانية تشكيلها وفائدتها للمجتمع الإنساني بشكل عام نتيجة ربانية القيم التي تحملها.

– الدروس المستفادة من أزمات الأمة:

نستطيع أن نستخلص بشكل سريع من الواقع العالمي والواقع الإسلامي عدة دروس وعبر من أزمات الامة العديدة وقضاياها المعقدة. ومن اهم هذه الدروس والعبر:

١- إن الأزمات ميكروسكوبات توضح الخلل المطلوب علاجه وتؤكد ضرورة التفكير في العلاج حتى لا تكشف الأزمات العورات أكثر من ذلك.

٢- إن السلطة غير المؤهلة للحكم بالشورى والعدل والإيمان بحقوق الإنسان والحريات، تزيد الأزمات تعقيداً ويستفيد منها الأعداء وتكثر بسببها التحديات.

٣- إن الإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة يدفعان الأمة للإنتاج والخروج من التخلف بخلاف علم الكلام الذي يشغل الأمة بقضايا جانبية ويدعو إلى استكمال الشكل الخادع بدون الجوهر والمحتوى الصحيح.

٤- إن الصهيونية هي المستفيد الأول من كثرة الأزمات والخلل والقضايا.

٥- إن استخدام الدين لأغراض سياسية لا يحل الأزمات ولا ينهيها.

٦- إن مساعدات العدو تصب في النهاية لصالحه وفي تزكية تلك المصالح.

٧- لا يمكن حل أي من الأزمات، حتى التي تبدو محلية، بعيداً عن المنظور العالمي أو الإقليمي على الأقل، والقضايا القائمة في آسيا وأوروبا وإفريقيا خير دليل على ذلك.

٨- عدم التوازن بين الآمال والطموحات وبين القدرات والإمكانات، يدفع الأمة للحياة في حلم طويل لا يعلم نهايته إلا الله تعالى.

٩- ضرورة القضاء على أوجه الخلل والأزمات وإقامة دولة الإسلام أو الخلافة عمل حضاري شامل، يعتمد على القيم وعلى قاعدة صلبة من الأخلاق والعمل.

١٠- إن تاريخ الفشل كما يراه كثير من المصلحين، يكمن في التأخير أو الإهمال في مسألة الخلل والاستعداد وفهم الصراع والتوجه نحو الإصلاح.

١١- إن العمل في دائرة القضاء على الخلل بدون فهم شامل أو تخطيط استراتيجي، هو من قبيل السباحة في المحيطات والبحار دون تدريب مسبق، أو من قبيل استنبات البذور في الهواء، أو الحرث في الماء.

١٢- إن التعامل مع الحضارات كلاً أو جزءاً والتفاعل معها، والأخذ عنها باعتبار التعلم والتلمذة، لا باعتبار الاستهلاك والاستيراد من أسس التقدم.

١٣- إن للمستقبل وجوهاً عدة، وهو ليس حكراً على دول الشمال ولكنه طيع لمن يعمل له وفق الأسس الصحيحة.

١٤- إن تاريخ التغيير والإصلاح طويل مملوء بالصعوبات والتحديات، التي تزداد بالتخلف تخلفاً، ولكنها تنقشع أمام الثبات والإخلاص والتضحية والفهم الصحيح.

١٥- إن الصراع عملية مستمرة ومدمرة ومتطورة. ويقف وراءها النظام العالمي، ولا تعني نهاية قضية أو أزمة ما نهاية الصراع أو توقفه.

هذه بعض الخطوط العريضة حول سبل ترشيد الصحوة الإسلامية وإدارتها، وهذه المحاور توضح أهمية العمل الجاد المطلوب نحو هذه الصحوة، وتلقي ضوءاً على التحديات القائمة في وجه الحركة والصحوة.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

ترتيب الأولويات

الاستراتيجية والسياسية

الدكتور عارف دليلة(*)

الأمة (وأستخدم هذا المصطلح لأعني به الشعوب العربية، والإسلامية عموماً) لم تتقن بعد ترتيب أولوياتها. والخلط في الأولويات، بحيث يأتي ما هو ثانوي وأقل أهمية قبل ما هو جوهري وأكثر أهمية يعكس غياب المنطق والعقلانية، ويؤدي إلى هدر وتدمير طاقات هائلة فيما يضر الأمة، وبعيداً عما ينفعها وعما هي في أشد الحاجة إليه. إن ترتيب الأولويات هو ألف باء التفكير الاستراتيجي والعمل السياسي.

أما شحذ العقول، للتفكير في هذا السؤال العميق والخطير، فهو أكثر ما نحتاج إليه رداً على استشراء الخمول الجسدي والاستقالة العقلية، اللذين يعتبران أخطر أمراض التخلف التي تعانيها الأمة، بينما العالم من حولها يضج بحركة التقدم والإنتاج والإبداع والتجديد.

يحتاج البحث في الأولويات، بادئ ذي بدء، إلى تحديد الشروط الموضوعية الأهم التي تفرض نفسها على التطور الاجتماعي في زمان ومكان محددين. فليس هناك أولويات ثابتة بغض النظر عن الزمان والمكان.

والسؤال الرئيس الذي يبرز هنا: ما هي أهم وأخطر السمات الجوهرية للعصر الذي نعيش فيه؟

إذا اعتمدنا تأثير هذه السمات على حياة الأمة معياراً لترتيب أولوياتها، فإنني أتوقف عند سمتين: أعتبرهما الأخطر والأكثر تأثيراً الأولى هي "العولمة الجديدة"، والثانية هي "ثورة المعلوماتية".

فإذا كانت النزعة إلى احتواء ودمج وتوحيد العالم جغرافياً وبشرياً نزعة قديمة ومستمرة على مدى التاريخ تجد تعبيرها في الأديان الكبرى، كما تجد تجسيدها في الإمبراطوريات العظمى، إلا أن نزعة العولمة هذه كانت فيما سبق من التاريخ تسمح بالانتشار الأفقي الذي يستطيع فيه كل طرف أو شعب التطور والازدهار بمقدار ما يعمل ويجتهد ويحسن ترتيب نظامه الاجتماعي. أما "العولمة الجديدة"، فعلى العكس، ليس من طبيعتها ولا

(*) أستاذ جامعي، عميد كلية الاقتصاد بجامعة دمشق سابقاً – سورية.

مـن أهدافها انتشار التقدم وتوزيـع التمـتع بثمراته أفقيا، بل تركيز التقدم والتمتع بثمراته عموديا، بحيث يكون لصالح القلة القليلة على حساب الأغلبية الساحقة من البشر، اجتماعيا، وعلى النطاق العالمي. إن التركيز والاحتكار، كسمة جوهرية مميزة للعولمة الجديدة، تشترط استخدام كل الوسائل المتاحة لمنع الانتشار الافقي للتقدم، بدءا بالقوى العسكرية وانتهاء بـ"ثورة المعلوماتية".

لقد أحدثت ثورة المعلومات تغييرا نوعيا جذريا في الوسائل والأدوات التي يستخدمها النظام الإمبريالي المهيمن عالميا في تحقيق غاياته في تركيز القوة والثورة عموديا. يكمن هذا التغيير النوعي في أن الطابع العدواني الهجومي للعولمة الجديدة أصبح قادراً على تحقيق ذاته بوسائل "سلمية" ظاهريا، بحيث تتضاءل حاجته الى تحريك الجيوش والأساطيل وإطلاق المدافع والصواريخ لغرض الهيمنة وتكثيف النهب والاستغلال في الوقت الذي يزداد فيه النهب والاستغلال كثافة وفعالية. فثورة المعلوماتية التي تعمق تقسيم العالم إلى منتجين ومستهلكين، تجعل المجرم أقدر على ارتكاب جريمته باستخدام الوسائل غير المنظورة، مثلما يفعل الحواة. فالحاوي يخطط ليخطف عقلك أولا ثم ليخطف ما في جيبك أو يديك وأنت غافل عما يفعله بك، أو متعاون معه في فعلته.

إن المثال الأحدث على تركيز القوة والثروة عالميا باستخدام أساليب الحواة هو ما حدث في جنوب شرقي اسيا على مدى الاسابيع الماضية. فبعد ان استطاعت هذه الدول أن تنفرز من بين مجموعة دول العالم الثالث "النامية" لتسمى "الدول المصنعة حديثا"، وبعد ان بلغت احتياطياتها مبلغا يساوي احتياطيات الدول الصناعية الغنية (٥٠٠ مليار دولار تقريبا لكل من المجموعتين) مع ضآلة نسبة الناتج القومي للمجموعة الأولى إلى الناتج القومي للمجموعة الثانية، وكذلك نسبة الدخل الفردي ومستوى الرفاه والتصنيع والتقدم العلمي التكنولوجي، وقد اصبح يطلق على هذه الدول الآسيوية وصف "النمور" وأصبحت فوائض تعاملها مع الدول الغربية، والولايات المتحدة خصوصا، الهم الاكبر لاقتصاديي وساسة تلك الدول، عند ذلك ان الأوان لكي يمارس الحاوي لعبته، ولكن بأساليب وأدوات جديدة كليا، ليضع حدا لهذا الانتشار الافقي للثورة والقوة، والذي يخالف القوانين الموضوعية لنظامه الإمبريالي الاحتكاري.

لقد اصابت مجموعتان من الدول النامية الثراء المفاجئ: مجموعة الدول المصدرة للنفط (وعلى رأسها الدول العربية النفطية)، ومجموعة دول جنوب شرقي اسيا (الدول المصنعة حديثا). وفي الحالتين كان مصدر الثروة عاملا خارجيا، وهو رفع الاحتكارات النفطية الدولية لأسعار النفط، وتدفق رأس المال من الدول الإمبريالية إلى جنوب شرق اسيا، هربا من ارتفاع التكاليف والضرائب في بلدانه الام، وبفعل قانون انخفاض معدل الربح في الاقتصاد

الرأسمالي المتطور، وطمعا في الأجور المنخفضة والحوافز الضريبية في الدول الآسيوية. وفي الحالتين أيضا كانت "الفوائض" التي تشكلت نتيجة وقوع المال في يد عدد قليل من أصحاب السلطة والنفوذ وحرمان أغلبية الشعب من حقها فيها، كانت تتجسد في شكل دولاري هائم في الأسواق المالية الدولية والمحلية، مما جعلها سهلة الاصطياد.

ومن أجل ذلك استخدمت ثورة المعلوماتية بفعالية هائلة، حيث أصبحت تدار أمواج المال المتلاطمة في سماء العالم مركزيا، من قبل من يمسك بخيط اللعبة كلها، وهي الولايات المتحدة، صاحبة الدولار الأميركي. وكما جرى ابتلاع تريليونات الدولارات النفطية، (ونسبة كبيرة منها مأخوذة من الدول الفقيرة لتزداد فقرا) في الاقتصادات الرأسمالية الاحتكارية (مع تفاخر أصحابها بقدراتهم العبقرية في إعادة تدويرها في قلب الاقتصاد الإمبريالي)، كذلك، وبطريقة سحرية، جرى خطف كل احتياطيات دول جنوب شرقي آسيا، لتعود إلى طابور الدول النامية المدينة، تستجدي عطف الحواة لإمدادها بالقروض، دون أي أمل في إمكانية استعادة قوتها السابقة في المستقبل المنظور.

من المقدمة أعلاه نستنتج أن العالم المعاصر مدار مركزيا وبإحكام، وأن الإدارة المركزية المحكمة هذه تستخدم منجزات ثورة المعلوماتية التي ترصد ما على الأرض وما في جوفها. وإن الأمة التي لا تستطيع الارتقاء إلى امتلاك عناصر القوة المعرفية الجديدة لن تستطيع الاحتفاظ بمواقعها على الخارطة العالمية. وإن ثرواتها المجسدة بنقود الآخرين هي عبء عليها وقوة مضادة لها في يد أعدائها.

من هنا ننطلق في تحديد الأولويات الثلاث الأكثر إلحاحا، برأينا، والتي يجب على الأمة الاضطلاع بها عاجلا، لتجاوز حالة التبعية والتخلف الراهنة.

المهمة الأولى: الإصلاح الاقتصادي السياسي، والخصه بتنمية قدرات الأمة وترقية حقوق المواطنين فيها. إن النظام الاقتصادي السياسي هو الوعاء الذي يحتوي طاقات الأمة، فيحكم عليها إما بالنمو والتفتح والازدهار، فيكون نظاما تقدميا، أو بالركود والتفسخ والانهيار، فيكون نظاما رجعيا.

وإذا كان عدد كبير من الدول العربية، والإسلامية عموما، ابتلي بظهور طاقات لا علاقة للشعب بظهورها (النفط)، مما جعل الدولة (البيروقراطية المهيمنة) في غنى عن إقامة علاقة جدلية مع شعبها، لأن حياتها لا تتوقف عليه بل حياته هي التي أصبحت تتوقف عليها، وحياة الاثنين تتوقف على القوى الخارجية المهيمنة، إلا أن هذا الاستثناء غير السعيد لا يلغي القانون العام لتقدم الأمم، وهو أن التقدم يتوقف على ويرتبط طردا بمقدار ارتقاء حقوق المواطنين الاقتصادية والسياسية والذي يتوقف عليه تحول المواطنين من كم سلبي إلى نوع فاعل إيجابي خلاق.

إن هذا العامل هو الذي يفسر كيف استطاعت أمم قليلة العدد تعيش على أرض قليلة المساحة والثروات، أن تغرق العالم بمنتجاتها، بينما أمم أخرى كثيرة العدد، تعيش على ملايين الكيلومترات المربعة من الأرض الغنية بجميع الثروات الظاهرية والباطنية ومن بينها دول وجدت بين أيديها من المال ما لم تكن تحلم به، لكنها لا تستطيع أن ترتوي ولا أن تشبع، ولا تحسن صنع شيء تباهي به الأمم غير الاستهلاك الشره لكل ما تنتجه الأمم الأخرى.

إننا نتحدث كثيرا عن العلم والثقافة، لكننا نادراً ما نذكر واحداً من أهم العلوم التي قادت التقدم في العصر الحديث، وهو علم الاقتصاد السياسي، العلم الذي يكتشف القوانين الموضوعية التي تحكم تطور المجتمع وتفسر تقدمه أو تخلفه المادي، وتبين كيفية تنمية قدرات الأمة الاقتصادية.

لقد استطاع الغرب بفضل هذا العلم التحول من التطور الأعمى إلى التطور الموجه، فتمكن من تعبئة قواه لتجنب الكوارث الاقتصادية الاجتماعية المدمرة، بينما ما زلنا نجهل أسباب تخلفنا الاقتصادي الداخلية، وآليات ووسائل النهب الخارجي الذي يمارس علينا، وبالاحرى، كيفية العمل على وقفها وإلغائها. ومازالت القوى المهيمنة على مقدرات الأمة تعمل كوكيل للخارج في الداخل، وليس كوكيل للداخل في التعامل مع الخارج. وبالتالي، فهي ذات مصلحة خاصة في تكثيف النهب الخارجي لقدرات الأمة ومنع سيطرة الأمة على هذه القدرات، لان ذلك هو مصدر قوتها وحياتها واستمرار بقائها. فشرعيتها ما زالت ذات مصدر خارجي. وهذه هي المشكلة الأخطر في حياة الأمة، والتي تؤدي إلى الصراعات الداخلية: بين دولة ودولة، أو داخل كل دولة.

ولا حل لهذه المشكلة إلا بسلطات نابعة من الشعب، تكتسب شرعيتها من حسن أدائها للوظائف العامة في خدمة مصالح الأمة، وتفقد هذه الشرعية عندما تفشل في تحقيق هذه المصالح.

إن الأمة في أمس الحاجة إلى ظهور النموذج القدوة، الذي يصبح مثلاً حياً يهتدى به، والأمة تنجذب إلى أي بارقة أمل في هذا النموذج أو ذاك فتندفع وراءه بكل حماس بمقدار سوقها وحاجتها للخروج من الذل والبؤس والتجزئة، لكنها حتى الان تصاب بالإحباط والخيبة من النماذج القائمة، فتنفضُ عنها بانتظار أمل جديد. إن القيود الخارجية والداخلية الهائلة تمنعها من حرية الحركة لتصنع بالتجربة والخطأ نموذجها المناسب، لذلك فهي معرضة دائماً للخديعة والخذلان.
إننا في أمس الحاجة إلى تحليل أسباب الركود الخانق والآفاق المسدودة أمام شعوبنا، ودراسة اليات النهب والاستنزاف الخارجية والداخلية التي تنهب قدراتنا فتزيد فقرنا المادي والمعرفي والروحي، وذلك لوقف عمل هذه الآليات وإحلال اليات معاكسة محلها.

إن القوى الخارجية تعمل بكل قواها لتثبيت أسباب وعوامل الركود والتخلف والتبعية في بلداننا، ومن أهمها تثبيت البيروقراطيات العقيمة والفاسدة التي تخدم مصالح خارجية على حساب مصالح شعوبها.

إن نقطة الانطلاق في إنهاض الشعوب لحمل المسؤولية هو توعيتها على حقوقها وفرصها الضائعة المهدورة، وعلى الإمكانات المتاحة لها لو استطاعت وقف الاستلاب المكثف الخارجي والداخلي الذي تتعرض له، وهذا بدوره رهن بنشوء سلطة ذات كفاءة وإخلاص نابعة من الشعب بصورة حرة غير مزيفة تستمد شرعيتها من العمل على الارتقاء بمواطنيها من عالم الضرورة إلى عالم الحرية، بما يسمح بتفتح طاقات المواطنين وتعميق ارتباطهم بالوطن وببعضهم بعضاً، وتحفيزهم على التنافس الإيجابي الخلاق على الخير والعطاء في إطار أخلاقي من التكافؤ والتضامن الاجتماعي.

وهنا نصل إلى المهمة الثانية. فإذا كان الوعي على ضرورة الإصلاح الاقتصادي السياسي الذي يقطع الطريق على الاستلاب: استلاب الأمة من قبل الخارج واستلاب المواطن في الداخل هو الشرط الأول لنجاح تنمية قدرات الأمة وترقيتها، فإن البيئة أو التربة لا تنبت لوحدها زرعاً بل هي مجرد الحاضنة التي تنتظر الجنين أو البذرة لتحمل وتلد وتنبت وتثمر. وألخص هذه المهمة الثانية بإصلاح الإنسان، أي بناء الشخصية الصالحة والمواطن القادر على حمل مسؤولية النهوض والارتقاء.

لقد اعتورت شخصية المواطن على مدى قرون من الجهل والتخلف الكثير من النواقص والعيوب. يأتي على رأس هذه النواقص والعيوب غياب العقل العلمي المنطقي، هذا في عالم أصبح فيه العلم والمنطق سيد الأحكام في كل المجالات. وفي عصر شعاره العقلانية الصارمة، فإن الإنسان في أمتنا ما زال خاضعا لحكم الأهواء والامزجة والشهوات والخرافات والاوهام.

إن نظام التعليم السائد المتخلف لم يستطع أن ينجز هذه المهمة الرئيسة، وهي تربية الشخصية المتفتحة الناضجة المحملة بالوعي العلمي القادرة على التعامل مع معطيات الحياة المعاصرة بجرأة وإقدام، وان النظام السياسي لم يساعد النظام التعليمي في القيام بهذه المهمة، بل أصبح المسؤول عن قصوره في إنجازها، لانه لم يستهدف بالاساس تحويل المواطنين من كم سلبي إلى نوع إيجابي فاعل، لان ذلك يحول الجماهير من موضوع تمارس عليه السياسة إلى ذات فاعلة سياسيا، تفكر وتعي وتحاسب وتغير. لقد تضافر النظام السياسي والنظام التعليمي في تشكيل مواطن مفرغ من الإرادة، يفتقر إلى حرية التفكير والعمل، اتكالي، ينتظر من الدولة، أو من الخارج، الكلمة الفصل في شؤونه العامة أو الخاصة.

وإذا كان يمكن تصنيع أي شيء بناء على قالب جاهز أو مثال مسبق، فإن الإنسان يعصى على ذلك.

ولقد فشلت جميع الأنظمة والتجارب التي نظرت إلى الإنسان كمادة خام جاهزة لإعادة التشكيل وفق نموذج مسبق.. إن الإنسان لا يتشكل الا من خلال الممارسة والتجربة المجتمعية. أي أنه الكائن الوحيد الذي يصنع نفسه بنفسه كطاقات وقدرات، كما يقول الفيلسوف (كانت). إن وظيفة الدولة والمجتمع والمؤسسات هي إيجاد البيئة الصالحة للإنبات، والتي يصنع بها الإنسان نفسه بنفسه. إن منع المواطن من حرية التفكير والعمل، وحرمانه من إمكانيات التجربة والممارسة، يحول دون ظهور المواطن القادر على حمل المسؤولية ويبقي الأمة طيعة مستسلمة لما يخططه لها أعداؤها.

إن قولبة جميع المواطنين على نماذج موحدة من القول والفعل إهدار لخصوبة التنوع الهائلة التي حباها الله في العباد، وإنكار للعظمة والحكمة الكامنة في هذا التنوع.

إن النظام الذي يغلق أبواب الفرص والتجارب والخيارات أمام المواطنين، ويجعل الإمكانات حكراً على الخاصة الذين يحجبونها عن العامة، ويورثونها لذريتهم دون الناس. هو نظام قاتل للتقدم، ومؤبد للتخلف ومتجاهل لقيمة الزمن. في هذا العصر، حيث اليوم الواحد يعادل السنوات الطوال فيما سبق من عصور.

إن مقولة "الزمن لا يرحم" لم يكن لها في أي عصر مثل المصداقية التي لها هذه الأيام. والويل كل الويل للأمة التي ما زالت تحكمها العبارة الرائجة: "وماذا يعني عشر سنوات، أو ثلاثون عاماً في عمر الشعوب"! فبينما استطاع الآخرون خلال ثلاثين عاما غزو الفضاء والوصول إلى أبعد كواكب المنظومة الشمسية، فإن وجوه الكثيرين من الوزراء أو المدراء في الدول الإسلامية لم تتغير ولم تتبدل، رغم الاقتران السببي والطردي بين هذا الثبات وبين الثبات في درجة التخلف ومستوى نوعية الحياة.

وإذا كانت الثنائية تفترض التناقض والجدل في كل زوايا الكون والحياة، وهو مصدر الحركة والتطور والتقدم، فان سبب التخلف هو الثبات والركود وعدم الاعتراف بالتنوع والتعدد ومنع الجدل في الآراء والمواقف، وتقييد حدود التجربة والعمل، وغير ذلك مما يقمع طاقات الإنسان ويفقر شخصيته وإمكاناته.

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على ضخامة القيود المادية والمعنوية، الاقتصادية والسياسية، التي يعاني منها الإنسان في المجتمعات الإسلامية، والتي يتوقف على التحرر منها انطلاق طاقات الإنسان ليفتح بها رحاب الكون والحياة الواسعة غير المحددة.

إن المستهدف الأكبر في أمتنا من قبل الغزو الخارجي هو العقل. إن عقل الإنسان في مجتمعاتنا ممزق بين مخلفات الانحطاط، منذ أن توقف التقدم الحضاري في مجتمعاتنا وخطف الغرب الإنجازات الحضارية الإسلامية الهائلة، وبين نفايات الغرب المعاصر التي تلقى علينا والمختارة بعناية، والموجهة بوسائل هائلة القوة والتأثير، بحيث يصعب على الإنسان الصمود في مواجهتها إذا لم يكن هناك خطط شاملة بديلة تستطيع أن تملأ شخصية إنساننا والحياة العامة والخاصة لمواطنينا بكل ما هو إيجابي علمياً وأخلاقياً، وهذا ما يتطلب زج وإشراك المواطنين في المشاركة المباشرة في إدارة شؤونهم العامة والخاصة.

إن ثورة المعرفة والمعلوماتية يجب أن لا تبقى سلاحاً موجهاً ضدنا، وإنما يجب التخطيط لامتلاك ناصيتها وتسخيرها في مصالحنا، لكن تحقيق ذلك رهن بإعادة بناء شاملة لنظم التربية والتعليم والبحث العلمي، علماً بأن أمتنا تمتلك رصيداً هائلاً من حملة العلم ولا يحتاج الأمر لأكثر من توفير الشروط لاستقطابهم وتعبئتهم بشكل منظم في خدمة شعوبهم بدلا من تهجيرهم قسراً لخدمة الغير. أما المهمة الثالثة، كما أراها فهي تحقيق أكبر قدر ممكن من الوحدة أو التناسق أو الانسجام في المنظومة الكلية التي تتألف منها الأمة، بدءاً من الجماعة والدولة وحتى مستوى العالمين العربي والإسلامي عموماً. لقد بدأ انهيار الشرق بتمزق الدولة الإسلامية الكبرى إلى دويلات، نتيجة تمزق المجتمع إلى قبائل وطوائف، تدمرها الحروب والتناقضات الداخلية. وكان ذلك العامل المحرض لأطماع الاستعمار الخارجي، وما يزال الشرط الرئيس لاستمرار هيمنة القوى الخارجية على مقدرات الشعوب العربية والإسلامية عموماً وما تزال نجاحات الإمبريالية تفصح عن نفسها يومياً في إشعال الحروب والخلافات بين الدول الإسلامية وداخل كل منها. لكن المسؤول الأول عن هذه النجاحات هو بقاء ظروف الحياة والعلاقات الاجتماعية والدولية في العالم العربي والإسلامي عموماً، تربة مهيأة لتقبل السياسات الاستعمارية والصهيونية الداعية إلى الصراع والاحتراب، إن قطع الطريق على هذه السياسات المعادية رهن بإنجاح المهمتين الأولى والثانية، أي رهن بسياسات اقتصادية واجتماعية تنبع من مصالح الأوطان والمواطنين الداخلية. إلا أن هاتين المهمتين تفتقران إلى فرص النجاح إذا لم تتمكن الدول العربية والإسلامية عموماً من تحقيق الانسجام والتكامل والتضامن والتنسيق والوحدة، في الشؤون الاقتصادية والسياسية والأمنية والعلمية التكنولوجية وغيرها، بما يحقق المصالح المشتركة الجماعية والتحرر من سيطرة القوى الخارجية على البلدان العربية، والإسلامية عموماً.

لقد آن الأوان لترجيح مصالح الأمة الاقتصادية والسياسية المشتركة على الارتباطات المصلحية الانفرادية لهذه الدولة أو تلك، أو لهذه الفئة أو تلك بالقوى الخارجية. إن اعتناء كل

نظام بتوطيد أسس الاعتماد على الذات في الداخل وببناء الثقة المتبادلة مع شعبه ومع الدول والشعوب الأخرى يحفظ قدرات الأمة بين أيديها وتحت سيطرتها ويحررها من الخوف عليها وهي في أيدي الآخرين تتعرض كل يوم لتهديد جديد.

لقد فشلت الدول العربية، والإسلامية عموماً، على مدى نصف قرن في تحقيق أي تعاون مثمر نتيجة التدخل الاستعماري الصهيوني المكثف في علاقاتها البينية وشؤونها الداخلية وعدم إخلاص بيروقراطيتها لقضايا شعوبها ومصالحها. لكن القدرات والوسائل الهائلة التي تركزت في يد القوى الكبرى اليوم لم تترك خيارا اخر أمام من يريد البقاء سوى التكتل والاندماج والوحدة في كيانات كبرى.

لقد أضحى ارتقاء العالم الإسلامي الضمانة لترقية النظام العالمي والعلاقات الدولية من المستوى اللا أخلاقي السائد إلى المستوى الإنساني الرفيع، وهذه الترقية هي الضمانة الوحيدة لمستقبل الجنس البشري على هذه الأرض.

فهل تدرك الأمة مسئوليتها تجاه ذاتها وتجاه الجنس البشري؟

لقد أنقذت العالم مرة، فهل تنقذ نفسها اليوم؟

يجب أن نكون مسلمين أولاً

الدكتور عزت السيد أحمد(*)

إن أهم ما ينبغي أخذه بعين الحسبان هو النظر إلى المناخ المعرفي والعقائدي المحيط بالأمة، ومعرفة كيفية التعامل معه، والمرحلة التي نعيش في ظلالها الآن مرحلة نوعية متميزة هي ما يسمى عصر العولمة.. والعولمة بمجملها وتفصيلها، وإن كانت تشرئب إلى تعزيز سيادة الأقوى الذي هو الغرب أو الشمال، وتكريس هشاشة فعل الضعفاء وهم الشرق والجنوب، فإنها تنطوي على إمكانات خصبة يمكن ركوب تيارها واستغلالها والاستعانة بها على قضاء حوائج الأمة الإسلامية بحسن التخطيط ودقة التدبير.

بعد امتلاك هذين المفتاحين، بل حتى قبل امتلاكهما، أستطيع القول إن أهم ما تفتقر إليه الأمة الإسلامية الآن هو أن تكون مسلمة سلوكا وفعلاً لا قولا وشكلاً، وهذا وحده ما لا تريده العقائديات الغربية، المنغلقة والمنفتحة ذلك أن الإسلام يطلب منا أن نكون أقوياء متحدين متنورين منفتحين على الاخر، وان لا نلدغ من جحر مرتين.. ويلف ذلك كله النزعة الإنسانية بأسمى معانيها.

إن كواليس صنع القرار الغربية تعرف ذلك وتدرك أبعاده جيدا ولكنها تصر على تزييف الوعي الشعبي الغربي والشرقي بقلب الحقائق وتكريسها في أذهان الجماهير، وذلك فإن فصل الأولويات او الأوليات عن بعضها أمر غير وارد ولا مقبول؛ يجب أن تسير المساعي كلها متداخلة متكاملة يرفد بعضها بعضا، على أن الغاية المرجوة الواحدة تنبثق من السؤال المطروح وهي إثبات وجود الأمة الإسلامية. ولكي يتحقق ذلك لهذه الأمة لابد لها من امتلاك أهم عناصر الوجود وهو القوة؛ القوة بمختلف أبعادها ومضامينها: الاقتصادية والسياسية والإعلامية والعسكرية والعلمية والفكرية والنفسية.. وهي كلٌ غير منفصم ولا مستقل بعضه عن بعض أبدا وهذا من المسلمات التي لا تحتمل البرهان لانطوائها على برهانها في ذاتها. فبهذه القوة نخرج من ربقة الهيمنة والتبعية، ونعبّر عن إرادتنا بحرية ونقدم للآخرين صورتنا الحقيقية، وندلي بدلونا في صنع الحضارة الإنسانية.

لاشك في أن الأمة الإسلامية تمتلك كل مقومات القوة، ولكن الذي يدعو إلى الأسى والأسف حقا أن مقومات القوة هذه؛ المادية والمعنوية، مستنفدة جلها لصالح الغرب وضد الأمة

(*) أستاذ بجامعة تشرين وباحث في الدراسات الفلسفية – سورية.

الإسلامية، فأمة الإسلام، من مشرق الأرض إلى مغربها تأكل مما لا تزرع وتلبس مما لا تصنع وتريد محاربة العدو بسلاح تستورده منه. وتضيف إلى ذلك تشويه صورة الإسلام في أعين الغرب والمنتمين إلى الإسلام أنفسهم بالسلوكيات الارتجالية الخاطئة والتطرفات الممولة والمدعومة من مراكز الاستخبارات الغربية.

وهنا لابد من التنويه بمسألة على غاية الخطورة والأهمية وهي أن الصراع بين الشرق والغرب ليس صراعاً دينياً كما يصوَّر لنا، ففي الإسلام والمسيحية من حقائق التسامح والتآخي ما لا يحتاج إلى دليل وإنما هذا الصراع في الأصل صراع مصالح سابق على الأديان ألبسه الغرب لباساً دينياً، واستغلت ذلك الصهيونية لتعمق الشرخ بين الإسلام والمسيحية. وفي حدود علمي وتربيتي أن المسلمين لا ينظرون نظرة عداء إلى المسيحية والمسيحيين، وهذا ما يشهد به كثير من المفكرين الغربيين. ويلزم عن ذلك ثلاثة أمور:

أولها: وجوب تعميق المصالح والصلات المشتركة بين الدول الإسلامية وتجذيرها. وثانيها: طي ملفات الخلافات الداخلية والخارجية في الدول الإسلامية وبينها، وثالثها: إيصال صورة الإسلام الحقيقية إلى مختلف بقاع العالم. وبهذا أظن أن المهمة الملقاة على عاتق العالم الإسلامي لولوج القرن الحادي والعشرين قد باتت واضحة وإن لم نفصل الأوليات أو نرتبها.

إن المرحلة القادمة حاسمة فاصلة، والظروف المتاحة الآن على رداءتها، لن تكون أحسن أبدا بعد سنوات قليلة، فإن لم نحسن التخطيط والتدبير والعمل فأغلب الظن أننا سنظل دورة حضارية كاملة على الأقل مستلقين على هامش الحضارة والفعل التاريخي. وهذه مسؤولية وأمانة معلقة بذمم ذوي العروش السياسية قبل غيرهم قولا واحدا فليتركوا للأجيال اللاحقة من فعالهم ما يستحقون عليه الشكر.

تقدم الأمة في تقدم الوعي

المفكر الدكتور عبد الكريم اليافي(*)

ان كلمة "الامة الإسلامية". هي كلمة وضعت هنا في موقعها المناسب. ذلك أن للأمة في اللغة عدة معان تذكرها المعجمات، أهمها ان الأمة جماعات لها جامع من دين أو زمان أو مكان أو غير ذلك.

وفي "لسان العرب": "كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته" وقيل: أمة محمد صلى الله عليه وسلم كل من بعث إليهم ممن امن به أو كفر. ويسمى هؤلاء أمة الدعوة، كما تطلق على المؤمنين بالرسول الكريم. وهؤلاء هم امة الإجابة. وتطلق الأمة أيضاً على من هم على الحق.

هذا وقد قوبلت الأمة باللفظ الأجنبي الإنكليزي والفرنسي nation ومعناه عندهم جماعة من الناس تربطهم صفات مشتركة وعادات متشابهة.

وقد حاول المفكرون وعلماء الاجتماع تعريف الأمة فصعب عليهم الاتفاق على تعريف علمي دقيق بسبب تفاوت نظرهم واختلاف اعتباراتهم وتباين عباراتهم. وانتهت غالبيتهم إلى أن الأمة مجتمع بشري ذو نظام وتقاليد تحقق وحدته وأن قوام الأمة الاشتراك في ماض زاخر وتراث حافل بالانتصارات والمكاسب والآلام والاشتراك أيضاً في إرادة صادقة للحفاظ على ذلك التراث، وفي رغبات وامال يسعى الأفراد إلى تحقيقها.

وبهذا الاعتبار ينطبق هذا المعنى أشد الانطباق على المسلمين ولاسيما أن أوطانهم متجاورة ومتقاربة تشغل جزءا مهماً من الأرض المعمورة واقعاً في أوساطها، أو أنهم بنوا حضارة زينت جبين الدهر في الماضي.

وفي وصف الأمة بالمسلمة إشارة إلى الروابط الكثيرة المشتركة بينهم في الإيمان والعادات والمجد الغابر والحاضر العاثر، واللّماع بالآمال المتلاحمة في التعاون والتضامن والتناصر تجاه البغي والاستعلاء والاستكبار. كل هذه الأمور يوقظها ذلك الوصف المناسب الذي يقع موقعه في الوقت الحاضر.

ربما يجدر تصنيف الأولويات في أولويات روحية وأولويات مادية وإن كان من المعلوم أن هنالك تأثيراً متبادلاً بين ما هو مادي وما هو روحي. ولذلك نختار أولاً البحث في الأولويات الروحية، ثم ننتقل إلى الأولويات المادية، مع أن بعضها يستجر بعضاً ويؤثر فيه.

(*) من أبرز الشخصيات العلمية والأكاديمية في سورية.

تأتي أول الأمر أولوية الحب:

والحب لفظ عام نريد به كل أنواع المحبة: محبة العلم، ومحبة الفن، ومحبة السلوك الإنساني الممتاز، ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، ولاسيما حب المسلم لأخيه المسلم وتضامنه معه وعونه له والدفاع عنه.

ونرى في القرن المقبل أن تنفتح شعوب الأمة الإسلامية بعضها على بعض ويجري بينها نسغ المحبة والتعاون، كما تنفتح على شعوب العالم أجمع استجابة للآية الكريمة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾. أي من ادم وحواء، أو خلقنا كل واحد منكم من اب وام فانتم سواء في الخلق فلا وجه للتفاخر والتفاضل والاستعلاء، كما لا وجه للتفرقة العنصرية والعدوان.

نقابل انفتاح الأمة الإسلامية بالانغلاق لدى الشعوب الأخرى غير الإسلامية تلقاء الشعوب المسلمة وافترائهم عليهم بالأوهام والأقاويل وتخرصهم عليهم الأكاذيب وافتئاتهم الباطل دون أن يدركوا هذا الانفتاح الكبير الذي يدعو إليه الدين الحنيف من تعارف صادق وإخاء إنساني ومحبة للعدالة وعدم التفرقة بين عرق واخر وشعب وشعب ما عدا التمايز في تحقيق القيم الإنسانية العليا من علم وفن وسمو أخلاقي وعلاقات حميدة تقصد إلى التفاهم والتعارف والتعاون واحترام حقوق الآخرين.

الأولوية الثانية هي الثقة بالنفس:

ذلك أن كل امرئ تلقى ثقافة إسلامية صحيحة يشعر بامتياز قلبه وفكره كأنه يملك بإيمانه جوهرة روحية لا مثيل لها، فيستشعر الكرامة والعزة، ويبتعد عن سفاسف الأمور ومخازيها ويحترم الإنسانية في كل إنسان أيا كان، فلا يشتمه ولا يؤذيه بل يجد فيه أخاً ومعيناً تجاه نوائب الدهر والآفات الخارجية. وذلك استجابة لقول أحد العارفين القدماء:

الطرق إلى الله بعدد نفوس بني ادم". ويدرك معنى الحديث الشريف: "الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله".

الأولوية الثالثة هي الأخوة في الإسلام:

أ- تمهيداً للأخوة الإنسانية- أشرنا انفا إلى تساوي الناس من حيث أن كل نفس انسانية ما هي إلا طريق إلى الحق، ولذلك صحت الأخوة بين النفوس لانها كلها طرق صاعدة نحو السمو، والإيمان بمصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وهو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو المطلع على القلوب، والناس افرادا وجماعات مسؤولون أمام عظمته وجلاله.

ب- إن تلك الاولويات الروحية التي ذكرناها وهي المحبة والثقة بالنفس والأخوة الإسلامية تستتبع اولويات مادية ثلاث.

لاشك ان الامة الإسلامية في العصر الحاضر قد غفلت بعض الشيء عن كنوز ماضيها، وهي محتاجة أشد الحاجة إلى نظرة واقعية تدرك بها شؤونها المختلفة وما يعوزها من قوة وعتاد ومن تقنية حديثة متقدمة. فإن الحب العميق الذي يملأ قلوب أفرادها يجعلهم بإشراف حكوماتهم وخفرها متاهبين للسعي وراء مكاسب الحضارة الحديثة من صناعات مادية جديدة يقيمون اصولها في بلادهم ويشاركون في إنتاجها وتطورها وتقدمها خدمة لمجتمعاتهم ودفاعاً عنها وخدمة للإنسانية جمعاء لا سعياً وراء بغي أو استعلاء واعتداء على حقوق الآخرين.

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي ينظر إلى ما ينقص الأمة من حاجات ويعد طلبها ويؤمنها للبلاد فرض عين يكفي أن يقوم بعض الافراد به لينقلب إلى فرض كفاية.

ثم أن الاولوية الروحية الثانية وهي الثقة بالنفس تجعل المرء مدركاً لطاقاته الروحية وقادراً على تحصيل ما يلزم الأمة من تقنية "تكنولوجيا" تعوزها، او أدوية هي بحاجة إليها أو مواد تستخرجها أو تصطنعها اصطناعاً. والثقة بالنفس أولى درجات النجاح في ذلك.

الأولوية الثالثة وهي الأخوة الإسلامية تحفز إلى التعاون في مختلف الميادين الزراعية والصناعية والخدمية بشتى انواعها، وتسهيل اللقاءات دون حواجز حدودية، وإقامة سوق اقتصادية مشتركة، تنام وتكامل في شتى المناحي المعاشية، وما ينشأ عن ذلك من ضم الصفوف والتضامن والتكافل.

ج- الخلاصة إن تطور الإنسانية إذا سلك طريقه الصحيح السوي يؤدي إلى نشوء قوة ديمغرافية ذات مكانة في التقدم الإنساني تقع بين مختلف القارات والأمم وتكون أمة وسطاً تأمر بالعدل وتنهي عن المنكر وتقيم ميزان العدالة بين الناس، أمة شاهدة على الناس جميعاً، وذلك تحقيقا مرة ثانية للآية الكريمة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾.

هذه كلها مطامح غافية في القلوب تكفي إثارتها وتعهدها ليتقدم المرء وتتقدم الأمة في سبيل الوعي نحو مدارج السمو والأخوة الإنسانية والمجتمعات الفاضلة التي ما زالت ملامحها تلوح وتتجلى في أحلام النوع البشري وتراود أفكار المصلحين والمخلصين.

الإصلاح مفتاح البناء

الأستاذ حامد تركي(*)

بداية أقول أن الأمة الإسلامية هي من الكثرة والعظمة لا تقل عن ربع سكان العالم، غير أنها بالنظر لضعفها وتشتت صفوفها تعيش على هامش الحياة. حيث أصبحت ذيلاً يدور في فلك الأمم المتحضرة أو المتنفذة الأخرى. وذلك بالرغم من تنوع خصائصها وضخامة ثرواتها وسعة أوطانها، فهي تعيش في الجملة عالة على الغرب، ولا يكاد العالم الغربي يحس بأهمية وجودها، الذي استأثر بالسيطرة على قدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وان ما كانت عليه الامة الإسلامية ذات يوم من امجاد واسعة أطبقت على الآفاق لا يقنع ذلك اليوم العالم المعاصر للالتفات إلى أهميتها والتسليم بحقوقها ودورها الريادي.

ومن هنا لكي تصبح هذه الأمة رقماً محسوساً وفاعلاً، في القرن الحادي والعشرين، وبالتالي التمهيد لإعادة أمجادها وبناء شخصيتها المرموقة، لابد أن تبدأ من إصلاح نفسها وتغيير واقعها.. ذلك و﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.. ونعني بذلك لابد أن تعود هذه الامة إلى مصدر قوتها، وضرورة عودتها إلى دينها الإسلامي والتشبث بأهدابه بالشكل الصحيح والجاد.. اي لابد من أن تصطلح هذه الأمة مع خالقها وترضى بهديه لقيادة شؤونها وحل مشكلاتها. قال تعالى ﴿يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وإنه إليه تحشرون﴾.

إذن لابد أن يكون المنطلق لنهضة الأمة الإسلامية العودة إلى دينها، وأن حضارتها السابقة. بكل ابعادها الفكرية والعمرانية. إنما انطلقت من صحة وقوة وواقعية دينها الإسلامي. ولا أدل على ذلك من ان الإسلام قد وحد شعوباً وأمماً متباينة اللغات والثقافات وأوجد منها كياناً متجانساً- شعوراً وعطاء- قد حقق السيادة والحضارة العالمية في زمن قياسي، اعترف لها بذلك خصومها قبل أنصارها. وهناك أمر اخر في غاية الأهمية، وهو ان واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن يسوده التدابر والتناحر والجفاء المستحكم بين الحكومات المسلمة في البلدان المختلفة من جهة وبينها وبين شعوبها أو القوى السياسية في بلدانها من جهة أخرى. وكذلك يوجد هذا التناحر والتنابذ بين الجماعات والمذاهب والاتجاهات الإسلامية في البلد الواحد أو بين البلدان المختلفة!.

(*) باحث إسلامي – اريتيريا.

وهذا الواقع المأساوي قد أضعف كثيراً من قوة وهيبة المسلمين مما أطمع فيهم أعداؤهم. وللخروج من هذه المأزق، لابد من أن تصطلح الحكومات والأنظمة الإسلامية بعضها مع البعض الآخر وتجعل الوئام والتعاون والتضامن فيما بينها يسود علاقاتها بدلاً من التدابر والتناحر والاقتتال الذي عمق العداوات بين أقطارها، مما أغرقها في متاهات أقعدتها عن اللحاق بالأمم المتقدمة.

وكذلك لابد أن تصطلح هذه الحكومات مع شعوبها والقوى السياسية الموجودة أو المناهضة لسياساتها، لأن من شأن ذلك أن يوجد الأرضية المشتركة لقيام التفاهم والتعاون البناء لصنع الثقة والاستقرار والنهضة العامة.

ومن ناحية أخرى، لابد من مراجعة مسارات الصحوة الإسلامية ومراكز الوعي الإسلامي بكافة شرائحها واتجاهاتها في البلدان المختلفة، فهي الأخرى قد أضافت معاناة جديدة إلى شعوبها من حيث تدري أو لا تدري! وعلى وجه الخصوص نتوجه إلى كافة الجماعات والمنظمات والأحزاب الإسلامية في أرجاء المعمورة، لكي تكون أكثر جدية وواقعية وحذرا في رحلة عملها لاستعادة مجد الإسلام وإحيائه في حياة الشعوب ونهضتها. ومن هنا فعلينا جميعا الابتعاد عن العشوائية والتهور وضحالة فهم الواقع المعاصر، بكل إشكالاته المعقدة محلياً وإقليمياً ودولياً، فإننا لا نزال نعتقد المرونة والقدرة على تنويع عملنا بحسب التطورات المحيطة بنا. ولاشك أن مستويات العمل الإسلامي من دعوية وتعبوية أو سياسية أو جهادية، كم تكون في حاجة ماسة إلى هذه المرونة والواقعية والتنويع في الأداء والآليات حتى تتغلب على العوائق المختلفة.

قوة المواجهة في وحدة الجهود

الاستاذ توفيق المديني(*)

في عصر التكتلات الاقتصادية العملاقة، يصعب على الأمة الإسلامية أن تحمي مصالحها، وتدافع عن وجودها وكيانها، وتحافظ على مواردها وتتصرف فيها بما يحقق مصالحها العليا، من دون تحقيق قدر عال من التضامن الإسلامي الفعال.

فالعالم الإسلامي يملك وطنا تصل مساحته إلى خمسة وثلاثين مليونا من الكيلومترات المربعة، في موقع حاكم لحركة العالم وعلاقاته البرية والبحرية والجوية، وتحتوي أرضه من المعادن والثروات ما يجعله الأول في النفط، والمنغنيز، والكروم، والقصدير، والبوكسليت. والثاني في النحاس والفوسفات والثالث في الحديد، والخامس في الرصاص، والسابع في الفحم، والذي يملك بلد واحد من بلاده الأرض الصالحة للزراعة، ما يمكنه أن يكون سلة غذاء جنوب الكرة الأرضية كلها.

وكانت الشعوب الإسلامية ولا تزال تلح في المطالبة بتوحيد جهود المسلمين لمواصلة التحديات المشتركة، وللاستفادة من الثروات والإمكانات الهائلة التي تزخر بها ديار الإسلام، وتنميتها لمصلحة الجميع.

ومن أبرز التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية هي على النحو التالي:

أولاً- الصراع العربي- الصهيوني:

يظل تحرير فلسطين، كل فلسطين وعاصمتها القدس الشريف هو الهدف الاستراتيجي النهائي للعالم الإسلامي كله، وهو هدف مشروع. ومن هذا المنطلق لا يجوز للأمة الإسلامية أن تكبل إرادتها في التحرير بواسطة الاتفاقات والقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الذي تتحكم فيه دول الاستكبار العالمي وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية عدوة الإسلام الأولى.

ولاشك أن التحرير لا يتحقق إلا ببناء قدرة ذاتية إسلامية قادرة على الردع، وعلى انتزاع الحق، ويقتضي ذلك حشد كل طاقات وقدرات الامة الاسلامية الروحية والمادية، على أرضية العلم والإيمان، وللتخلص من أشكال السيطرة والتبعية والتجزئة والاستلاب.

فرفض نهج التسوية الاستسلامية التي تريد الولايات المتحدة الاميركية فرضها في منطقة الشرق الأوسط، يقتضي من الامة الإسلامية مواجهة السياسات الأميركية الرامية، إلى

(*) باحث سياسي- تونس.

فرض قوانينها وتقييماتها على المنظمات والدول التي لا تخضع لمشيئتها، وتلك التي ترفض الانصياع للإرادة الصهيونية.

ثانيا- العلاقات العربية- الإسلامية:

إن علاقة الأمة العربية بالأمة الإسلامية هي علاقة ذات خصوصية تاريخية لكن في الهيمنة الإمبريالية الأميركية على العالمين العربي والإسلامي واستمرار العدو الصهيوني في عملية تهويد القدس وكل فلسطين فإن إرساء قاعدة تحالف متينة بين الأمة العربية والأمة الإسلامية، تجعل من الحوار المثمر والعمل المشترك طريقاً إلى التحالف الاستراتيجي في إطار الدائرة الحضارية الواحدة، وضد التحالف الاستراتيجي الأميركي- الصهيوني المتربص بالعرب والمسلمين معا.

فالعلاقات العربية- الإسلامية تمر حاليا بمرحلة حرجة بفعل عوامل عدة بسبب ارتباط الأنظمة العربية والإسلامية بالمراكز الإمبريالية، والحال هذه، فإن انتهاج سياسة تحررية واستقلالية من جانب الأمة الإسلامية، من شأنه أن يقود إلى تحقيق تواصل عربي- اسلامي قائم على المصالح المشتركة للطرفين، وعلى الأبعاد الحضارية والثقافية والدينية المتداخلة، وذلك وفق آليات متعددة أهمها تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية والتواصل الشعبي وتفعيل الدور الإسلامي- العربي في تقديم إطار فهم أعمق للقضايا العربية.

ثالثا- الشورى والديمقراطية:

في ظل الانتهاكات الاعتباطية لحقوق الإنسان في العالم الإسلامي، فان الالتزام بالشورى مبدأ أساسي لإدارة الحكم، وبالديمقراطية الية للتنفيذ، لم يعد ضروريا لتأمين مشاركة المواطن المسلم في شؤون الأمة الإسلامية فقط، ولا لصون حقوق الإنسان الأساسية فحسب، ولا حتى لمجرد الارتباط الوثيق بين الديمقراطية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، بل أيضا لأن هذا الالتزام الصادق والأمين يمكن الأمة الإسلامية من التغلب على العنف السياسي الدائر في غير قطر عربي واسلامي (الجزائر- مصر- الباكستان- اندونيسيا) وهذا لن يتم الا عبر تأكيد ضرورة التعددية السياسية، وحق القوى الإسلامية والقومية في إنشاء احزاب سياسية.

- التربية المستقبلية المتوازنة المتكاملة

الدكتور محمود أحمد السيد(*)

الأولويات الثلاث من وجهة نظري هي:

١- التربية المستقبلية في بناء الإنسان.

٢- التخطيط التنموي الشامل ووضع الأمور في مواضعها لمواجهة التحديات وفي مقدمتها التحدي الصهيوني.

٣- الإعلام وتعريف الآخر بالإسلام المستنير.

أما فيما يتعلق بالأولوية الأولى فأرى:

إن دراسة المستقبل أساسية لفهم الحاضر، ولابد من إحداث تغيير جذري في أهداف التعليم ومضامينه لتعليم الإنسان كيف يفكر وليس فيما يفكر، ويتعلم كيف يتعامل مع التغير السريع وما يصاحبه من غموض وعدم وضوح.

ومن الواضح أن العقل البشري العنصر الحاكم في الثورة الصناعية الثالثة "ثورة الإلكترون والمعلومات والانترنيت" بعد أن كان البخار ورأس المال حاكمتين للثورة الصناعية الأولى، وبعد أن كانت الطاقة والإدارة الحديثة حاكمتين للثورة الصناعية الثانية.

ومفتاح الحضارة المعاصرة هو التعدد والتنوع والمرونة والقدرة على التركيب، وهي حضارة تحتاج إلى عقلية جديدة تستطيع التعامل معها، وتحتاج إلى تربية مستقبلية جديدة تضع الإنسان في المكانة الجدير بها، وتجعل ثروة العقول لا تضاهيها أي ثروة في الوجود.

ومن هنا كانت الأولوية الأولى لإعداد دول العالم الإسلامي لمواجهة القرن الحادي والعشرين هي تربية الإنسان تربية مستقبلية جديدة وبناءه بنياناً جديداً يختلف عن بنائه الحالي، وإلى هذا دعا الإمام علي عليه السلام عندما قال: "لا تكرهوا أولادكم على اتباع آرائكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".

إن التربية المستقبلية المنشودة هي تربية الإنسان تربية متوازنة ومتكاملة ومتطورة من جميع الوجوه جسماً وروحاً وأداء. تربية انفتاحية لا انغلاقية، وتربية تعاونية لا فردية، وتربية عقلانية ناقدة لا تربية النقل والتسليم. وتربية توقعية لا عشوائية، وتربية حوارية لا تلقينية، وإبداعية لا تربية الذاكرة.. وديمقراطية لا تسلطية.

(*) وزير التربية في سورية- وأستاذ جامعي.

إنها تربية تعتز بالتراث الإسلامي الموحد المبدع الخلاق لا المفرق الجامد المتحجر. تعتز بالماضي الحي الذي يوظف لخدمة المجتمعات الإسلامية وحل قضاياها المعاصرة، ويساعدها على توجهها المستقبلي، تربية لا تسلم بموروثات الماضي كافة، وإنما تجمع بين الأصيل في التراث والإيجابي في الحضارات الأخرى في ضوء العقلنة والتفتح، تربية تتوجه إلى جميع أفراد المجتمع صغاراً أو كباراً لمواصلة التعلم مدى الحياة ولاستئصال شأفة الأمية الحضارية المتفشية في أغلب ربوع العالم الإسلامي. تربية تتوخى القوة المادية والمعنوية في عصر لا يعترف إلا بالأقوياء. والقوة المنشودة في المجتمعات الإسلامية هي القوة التي تفجر الطاقات المادية والمعنوية، وتعيد الحق إلى أصحابه، ولا تروم العدوان. وإنما ترد الظلم عن المسلمين المستضعفين، وتنصر القضايا العادلة في كل مكان.

وغني عن البيان أن ثمة مشكلات كثيرة يعاني منها النظام التربوي في العالم الإسلامي، ولا سبيل إلى مواجهة هذه المشكلات إلا بالبحث العلمي. والتربية المستقبلية المنشودة هي التي تسخو على البحث العلمي. وحبذا لو وجد صندوق إسلامي لدعم البحث العلمي في المجالات كافة وفي مقدمتها المجال التربوي.

إن الزمان الآتي زاخر بالمتغيرات، حافل بالتبدلات المفاجئة السريعة، وما على الدول الإسلامية إلا أن تركز في تربيتها الاستشرافية المستقبلية على أن أفضل استثمار إنما هو لبناء البشر ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ صدق الله العلي العظيم.

وأما فيما يتعلق بالأولوية الثانية فأرى:

إن التنمية الشاملة مطلب ملح في المجتمعات الإسلامية إذ ما يزال العالم الإسلامي يعتمد في اقتصاده على العالم أكثر مما يعتمد على نفسه. وثمة علاقات اقتصادية غير متكافئة مع العالم الخارجي، فضلاً عن محدودية التكامل بين الدول الإسلامية من الناحية الاقتصادية واستمرارية التفاوت في الثروة والدخل، وزيادة الاختلال بين التعليم والعمل، وثمة ارتفاع في المديونية وعدم الاستثمار الفعال في مشروعات إنتاجية تجعل العالم الإسلامي يعتمد على نفسه مما يرسخ التخلف، ويزيد من التبعية وسيطرة النزعات الاستهلاكية، الأمر الذي حول المسلم إلى مستهلك لا منتج فعال.

وثمة تحديات كثيرة يواجهها العالم الإسلامي تتمثل في الهيمنة الأجنبية والاستلاب الثقافي واستنزاف الثروات والاستغلال وسيطرة منطق القوة وشريعة الغاب غير عابئة بحقوق الإنسان. وفي مقدمة هذه التحديات التحدي الصهيوني الذي يروم إضعاف المسلمين وإذلالهم وتدنيس مقدساتهم والسيطرة على الأراضي العربية الإسلامية عن طريق العدوان المستمر والحيلولة دون وحدة المسلمين، والعمل الدؤوب على تشرذمهم وتفرقهم.

من هنا كان لابد من التخطيط التنموي الشامل. وعلى الدول الإسلامية في ظل النظام العالمي الجديد أن تعيد النظر في أولويات التنمية والاستثمار فيها، وتتخلص مما تعاني منه من مظاهر التفسخ الاجتماعي والحروب الأهلية والقبلية والخلافات العرقية، وتوجه مواردها البشرية والمادية إلى أنشطة التنمية الحقيقية. على أن تكون هذه التنمية شاملة مختلف قطاعات المجتمع، وأن تحظى المرأة في العالم الإسلامي بالاهتمام إعداداً وتعليماً وتوعية لتسهم في عملية التنمية.

وعلى الدول الإسلامية في مسيرتها التنموية أن تتحلى ببساطة المظاهر وعظمة الضمائر، إذ ما ابتلي مجتمع من المجتمعات بسوء التخطيط وضياع الأولويات وعدم وضع الأمور في مواضعها إلا كان التخلف مسيطرا عليه. وبقدر ما يخطط لأمور حياته ويحسب لكل شيء حسابه. ويضع السيناريوهات المستقبلية بايجابياتها وسلبياتها غير تارك أموره للعشوائية والارتجال، ينهض ويرتقي.

وأما الأولوية الثالثة المتعلقة بالإعلام وتعريف الآخر بالإسلام المستنير:

فأرى أن ثمة تعتيماً على الفكر الإسلامي المستنير. ذلك أن الإسلام لا يعرف الإرهاب والتعصب والتقوقع والجمود والتحجر. وإنما التسامح فهو رسالة إنسانية سمحة وهو دين الانفتاح والتطور. والمسلمون مقصرون في تبيان واقع رسالتهم وماهيتها، ومبتلون بداء التناقض بين القول والعمل، والدعوة والسلوك والأداء، مما يجعل الآخر ينظر إلى الإسلام من خلال سلوك بعض أفراده الذين لا يتحلون بالخلق المسلم، فيأخذون عن الإسلام صورة مشوهة.

ومن هنا كان لابد من الاهتمام بتقديم النماذج الإيجابية المشرقة والمشرفة عن الإسلام وتبصير الآخر بإنسانية الإسلام وسمو مراميه، ونبل مقاصده وأهدافه، وإزالة الغشاوة عن أعين الحاقدين بطريق الحوار الواعي والأناة والروية والممارسة المسؤولة قولا وعملاً. وإقامة الندوات التثقيفية عبر القنوات الفضائية عن الإسلام المستنير، وطباعة المطويات والنشرات وتوزيعها في مختلف أنحاء العالم عن عدالة الإسلام ومبادئه السمحة وإنسانيته، وعن إسهام العلماء المسلمين في مختلف جوانب المعرفة في مسيرة الحضارة الإنسانية.

وإتقان اللغات الأجنبية مطلب ملح في حياتنا المعاصرة لمخاطبة عقول الآخرين بلغاتهم، كما أن إتقان اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مطلب هو الآخر للحفاظ على الهوية الإسلامية والتآلف بين أرجاء العالم الإسلامي وفهم تراثه الغني الذي خلفه العلماء المسلمون الأوائل باللغة العربية.

توحيد القوى واستنهاض المسلمين

الأستاذ نصر شمالي(*)

إذا كنا نريد تصور الأولويات الأساسية الضرورية لإعداد الأمة فلا فرق بين أن يتناول تصورنا السنة القادمة أو العقد القادم، أو القرن القادم، أكثر أو أقل، لأن التواريخ مجرد مصطلحات، وليس ثمة فارق، حاد وفاصل، بين السنين. لقد كان النفط الذي ظهر في إيران والعراق في أواخر القرن الماضي هو الحدث الذي أسس لثورة الديزل، أو الماكينات، التي انطلقت في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وترتب عليها نهوض هذا النظام الدولي الجائر الذي يقوم كل شيء وكل فعل فيه على النفط ومشتقاته. وبدلاً من توظيف هذه المادة النبيلة لخير الإنسان وظفت لارتكاب أبشع الجرائم ضد الإنسان وضد الطبيعة.

إن للأمة الإسلامية مهمة عظمى تلزمها عقيدتها بتحمل أعبائها، أنها مهمة تحقيق الانسجام والتناغم البديع، الإيجابي، إلى أقصى حد ممكن، في هذا الكون الذي لا تشكل حياة الإنسان الفرد فيه أكثر من جزء من ومضة، أو نبضة، ولا تشكل حياة المجتمعات البشرية فيه أكثر من ذرة رمل في صحراء شاسعة. ولكن حقارة الحياة الدنيا هي بالضبط ما يجعلها ثمينة، وما يقتضي أن لا تضيع منها ثانية واحدة عبثاً، وما يلزمنا بالتصدي للحمقى والمجرمين الذين يحاولون تبديدها. إن التواضع والتكامل، والانسجام والتناغم، هي بعض المعاني التي يتضمنها عنوان التوحيد الإسلامي. إن التوحيد يحض على جعل التمايزات والاختلافات إيجابية لا سلبية، تيسر انسياب الحياة وتزيد في صفائها ونقائها، لا تعوق حركتها وتعكر صفوها. وهكذا، فنحن لا نستطيع القبول بنظام يتعارض مع مبدأ التوحيد الذي رفع ألويته أجدادنا منذ إبراهيم الخليل (ع)، بل من قبله، والذي انتصرت له الدعوة الإسلامية انتصاراً مؤزراً، بانطلاقتها في القرن السابع الميلادي، معطية إياه لأول مرة أبعاده الأممية والكونية، التي شملت جميع القوام بمختلف عقائدها، والكون بمختلف عناصره.

خلاصة القول إن الأمة الإسلامية، مدعوة للانطلاق من مشروع يتجاوز الأزمنة والأمكنة، يلطف ويهذب فضول الإنسان، ويخفف، إن لم يبدد، هواجسه وقلقه، وهلعه وجزعه ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً﴾. ولقد رحبت الأمم في معظمها بالفتوحات الإسلامية المظفرة لأنها انطلقت من هذه المعاني، فكانت للجميع حاجة

(*) باحث سياسي- سورية.

عميقة في انتصارها، ولم يقاومها إلا الظالمون الجبابرة، الأباطرة والأكاسرة والفراعنة، وأوساطهم الاجتماعية الفاسدة، الذين كانوا يعذبون ويذلون الأكثرية الساحقة من البشر.

إضافة إلى الأولوية الأولى، ذات المهمة المفتوحة الدائمة، التوحيدية الروحية، الأخلاقية التربوية، الدنيوية الأخروية، التي تجعل من الإنسان الفرد في حد ذاته عالماً يتكامل ويتناغم مع العالم، لا يتلاشى فيه ولا ينفصل عنه، فإن الأولوية الثانية هي لاستنهاض الشعوب الإسلامية وتوحيد قواها المعنوية والمادية على أسس واضحة لابسط فرد، ومرتكزة إلى العقيدة السمحاء التي تلزمها باداء وظائف إنسانية إيجابية.

لقد ان أوان بروز ونهوض كتلة إسلامية مرهوبة الجانب ومحترمة الكلمة في هذا النظام العالمي الاحتكاري الظالم. كتلة تجعل من المسلمين، الذين يفوق عددهم المليار نسمة، رقماً مؤثراً وفعالاً، لا رقماً خلبياً ووهميا مهملا. لقد أشار مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في طهران إلى عدم استحالة ظهور مثل هذا التوجه. إن صعوبات ضخمة جدا تعترضه، لكنه ليس مستحيلاً. فبالصبر والإيمان، والإرادة والإصرار والدأب، يمكن تذليل الصعوبات مهما عظمت، وبخاصة بعد أن انكشفت جميع الأوهام التي جعلت معظم الحكومات الإسلامية تسلم قيادها، وشؤون بلادها، للمرابين عبدة الدولار، الذين يقودون هذا النظام العالمي الفاسد.

لقد رأينا التجربة المريرة، المروعة، لبلدان جنوبي شرقي اسيا، ومعظمها إسلامية. فبعد أن منوها بالتقدم والرفاه، وجعلوها تدير ظهورها، عمليا وليس شكلياً، لعقيدتها وتراثها وأخلاقياتها، فاجؤوها بالغدر عندما اقتضت مصلحة المرابين ذلك. فقلبوا أحوالها في ليلة واحدة من دول تتوهم الغنى إلى دول فقيرة فقرا مدقعا، وإذا باندونيسيا، التي يعيش فيها مائتا مليون مسلم، تتحول في طرفة عين إلى شعب بائس مثل شعب العراق، يفتقر أطفالها إلى الدواء والغذاء، وهم فعلوا ذلك بها وبأخواتها من دون أسلحة حربية، فكأنما هي قصفت مثل العراق وأكثر.

إن على الدول الإسلامية أن تتخلص من عبودية الدولار وشياطينه، وأن توفر الأسس الصلبة لعلاقات اقتصادية حرة، فيما بينها أولاً، ثم مع دول العالم الأخرى فيما بعد، فلن تقوم للشعوب الإسلامية قائمة ما بقيت تحت سيطرة الدولار وشياطينه من المرابين الأوباش.

إن على الدول الإسلامية البدء فورا بإقامة علاقات عادلة بسيطة ومفهومة، فيما بينها، ولا ضير إطلاقاً في تنشيط التبادل السلعي العيني إلى أقصى الحدود، على الرغم من انه لا يلبي بعض احتياجاتها الأساسية من الأدوات الحديثة التي يحتكرها المرابون في الشمال.

إن ظهور كتلة إسلامية دولية، تمتلك قدرا كافيا من التماسك الداخلي، المعنوي والمادي، هو الأولوية التي يجب تحقيقها اليوم قبل الغد، وان الظروف الدولية الراهنة، التي تتميز بفضائح النظام الدولي، وبفقدانه لكل مصداقية، وبانكشاف الاعيبه ومؤامراته كما لم

يحدث من قبل أبدا، تساعد على بداية جادة وواقعية من أجل تحقيق هذا الهدف، الذي يجب أن يتميز عن تجربة كتلة عدم الانحياز في الخمسينات بالذكاء بدلاً من السذاجة، وبالعمل وليس بالشعارات، وبالانشغال بتوفير البنى التحتية وليس بالاستعراضات والتظاهرات. ففي الخمسينات والستينات كانت الصعوبات أقل، لكن المفاهيم كانت أكثر غموضاً وتعقيدا. واليوم، في التسعينات، فإن الصعوبات أكبر بما لا يقاس، لكن المفاهيم صارت واضحة وضوح الشمس، وهذا ما يجعل من مهمة نهوض كتلة إسلامية دولية، جدية وعملية وليست شكلية واستعراضية، ممكنة أكثر بفضل الوضوح، حيث الوضوح هو الأساس الذي لا يمكن أن تنهض أية مهمة من دونه مهما كانت بسيطة.

أما الأولوية الثالثة فهي أن تكون للكتلة الإسلامية الدولية، إذا ما قدر لها أن تنهض، مهمة دولية وعالمية. فهي يجب أن تتلافى بأقصى سرعة ممكنة النواقص الفادحة في بناها الداخلية، وفي إمكاناتها وأدواتها الضرورية، مما يجعل حضورها مؤثرا، وفاعلاً، وكلمتها محترمة ومسموعة، وبعد ذلك تتحول إلى المهمة العظمى والأولوية الأولى، فتعمل على تغيير العلاقات الدولية الظالمة، القائمة على التمييز والاحتكار، بعلاقات قوامها العدل والتكافؤ، وعدم التمييز على أساس العرق واللون والعقيدة، وتصفية نزعة الاحتكار من جذورها.

إن حق النقض (الفيتو) في مجلس الامن، الذي يقتصر على دول خمسة، هو وصمة عار على جبين هذا العصر الأوروبي الأميركي، حيث هو عنوان عقيدته التلمودية العبودية، ولابد من وضع حد لهذا التواطؤ، وهذه الشراكة غير المرئية بين مجموعة قليلة جداً من أمم الأرض. وان هذا يتحقق بنهوض كتل حرة خارج دائرة الأمم المتحدة التي يسيطر عليها المرابون عبدة الدولار. غير أن ذلك لا يعني مقاطعة الأمم المتحدة، أو الدعوة لتصفيتها، وإنما يعني النضال بإصرار من أجل تغيير تشكيلاتها، وآليات عملها، ووظائفها، وتحويلها حقا وفعلاً، لا قولاً وشكلاً، إلى هيئة أمم متحدة.

وعندما يتأمل المرء في مثل هذه الاولويات في الوقت الراهن، فإنه يجد لطهران دوراً أساسياً فيها. حيث هي بفضل مناعتها الداخلية التي تجعل اختراقها بالغ الصعوبة، وبفضل سمعتها ومكانتها الخارجية التي تؤمن قدرا كافيا من الاحترام، تستطيع أن تبادر لتحمل مسؤولياتها بكثير من الثقة بالنفس والقدرة على المواظبة والاستمرار. ولابد من القول بكل إخلاص أن انكفاء الجمهورية الإسلامية الايرانية على ذاتها، وانشغالها واستغراقها بقضايا داخلية محضة، مهما بدت جدية وضرورية، على حساب الثوابت والمهام العظمى الإسلامية والإنسانية، لابد من القول أن مثل هذا الانكفاء الذي يغلب الثانوي على الرئيسي، سوف يترتب عليه، لا سمح الله، ضياع فرصة تاريخية ثمينة، أوجدها انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، ضياعها من يد الشعب الإيراني ومن أيدي الشعوب الأخرى، التي تتطلع جميعها إلى الخلاص والحرية.

في بداية الثورة، عام ١٩٧٩، كان الإمام الخميني (طيب الله ثراه) يقول ما معناه أن محمد رضا يريد أن يجعل من إيران جنة الرضوان، ونحن لا نريد منه هذه الجنة، ونفضل عليها الكفاف. ولا يمكن أن تخفى على أحد المعاني العميقة والدلالات البعيدة لمثل هذا القول. انه يلخص الانحياز الذي لا يتزعزع إلى الحق والحلال ضد الباطل والحرام، إنه الانحياز المرتكز إلى جوهر العقيدة، والمتجاوز لحدود الأزمنة والأمكنة.

وحدة الأمة في الحق

الشيخ الدكتور محمد عبد اللطيف صالح فرفور(*)

تواجه الأمة اليوم تحديات صعبة في زمن صعب، وهي على أعتاب القرن الحادي والعشرين الميلادي تودع قرناً وتستقبل قرنا على رأس الألف الثاني للميلاد، في حالة لا تحسد عليها. قد تكالبت عليها الأمم تكالب الأكلة إلى قصعتها، وما هم بقلة، ولكن غثاء كغثاء السيل، من حيث عرفت الشعوب والأمم الأخرى الطريق إلى تسخير الكون والسيادة على مقدراته، ووقف المسلمون أمام هذا التقدم المادي المخيف للمدنية الحديثة في ذهول عميق لم يصحوا منه بعد.

فلابد من إعادة النظر إذاً في قضية الحضارة وقد كانت حكراً على المسلمين من قبل، فلما غط الشرق الإسلامي في سباته العميق استلب منه الغرب هذه العلوم وأنماط الحياة، وأضافوا إلى ذلك خبراتهم ومهاراتهم، وصاغوا من ذلك كله مدنيتهم الحديثة وفرضوها بالقوة على الشعوب المغلوبة ولاسيما الإسلامية منها، فوقع المسلمون تحت النفوذ الغربي الحديث المسمى بالاستعمار، أو الاستكبار. والمؤدى واحد، وهو الوان شتى، اشده خطرا واقله قبحا الاستعمار الفكري والثقافي والاقتصادي وكلها استعمار ولكنه أكثر جدة وحداثة بل ومعاصرة.

وإذا كان للغرب أن يغزو المسلمين لانه صار الغالب، فللمسلمين أن يحصنوا أنفسهم ضد هذا الغزو الحديث والمعاصر. فإن مثل هذا الغزو لا يضر الا لدى وجود الاستعداد له في المسلمين، كالفيروس والجرثوم لا يضر جسدا ما إلا إذا لاقى استعداداً في الجسد لدخوله وفتكه فيه.

وتخلف المسلمين عن ركب المدنيات المعاصرة واضح جداً وبات من المسلمات وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مشكلات يعاني منها الجسد الإسلامي وأمراض خبيثة تمكنت منه لابد من استئصالها، وليس هذا بمستحيل، فقد وصل المسلمون إلى ما هو أشد من الذي نحن فيه اليوم في فترة غزو المغول والحملات الصليبية التي ثبت أنها كانت متعاونة عضوياً مع المغول؛ وسرياً أيضا، وأنقذ الأمة الإسلامية كلها ملك مسلم اسمه نور الدين محمود زنكي الذي وحد المسلمين وقادهم إلى حرب الصليبيين ولكن الله كتب شرف فتح القدس لخليفته من بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(*) رئيس جامعة العلوم الإسلامية بدمشق.

وما صلاح الدين إلا حسنة من حسنات نور الدين وكلاهما من الملوك الصالحين المجاهدين وبطانتهم من العلماء العاملين.

وسار الإسلام من بعد في اتجاه الانتصارات المتتالية حتى خرج الصليبيون جميعاً من بلاد الشام ثم من مصر في معركة المنصورة على أيدي سلاطين المالك وعلماء عصرهم.

فما هي إذاً الوصفة التي عمل بمقتضاها هؤلاء الملوك المجاهدون لشعوبهم حتى تجاوزت هذه المحن القاسية؟! مع فارق العصر؟

هذه هي المشكلة التي نعاني منها اليوم، ولا نعاني من مثلها أبداً.

إن الوصفة تتلخص في كلمة واحدة، (الرجوع إلى ما كان عليه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه). قال تعالى في التنزيل:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. (سورة الفتح: الآية ٢٩).

وإذا كانت هذه الصفة الشافية بإذن الله تشتمل على أدوية وعقاقير عدة قد وصفها الله جل شأنه لهذه الأمة في هذه الآية الكريمة من كتاب الله، فإن في هذه العقاقير أولويات لها حق التقدم والصدارة أتحدث عن ثلاث منها هي فيما يبدو لي أحق من غيرها بالتقديم وبالاهتمام وهن بالترتيب التالي:

١- إذكاء جذوة الإيمان الحق والالتزام في الأفراد والجماعات عن طريق القدوة الصالحة في كل من الحاكم والعالم والمسؤول والأب والأم وكما جاء في الحديث النبوي الشريف "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". فالحديث عن الإسلام شيء، والاصطباغ بهذا الدين القيم شيء آخر لأنه هو المقصود من التدين الصحيح.

٢- العلم النافع، فالعلم علمان كما جاء في الحديث الشريف، علم في القلب وذلك العلم النافع، وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم.

والعلم كذلك صنفان: علوم الدين وهي ووسائلها أساس وقاعدة متينة لا يقام البناء من دونها، وعلوم الدنيا وهي كذلك لابد منها، فيجب أن يبنى إلى جانب كل جامع معمل، وإلى جانب كل مئذنة مدخنة، حتى نكون أقوياء لأن الناس اليوم لا يرهبون إلا القوي من الرجال، والقوة اليوم هي العلوم المادية البحتة، فلا نترك الدنيا للكفار وقد سخرها الله لنا بل لنا الدنيا والآخرة معاً.

٣- الوعي وقوة الإدراك للمخاطر المحدقة بأمتنا، فنوحد الكلمة ونتجاوز الخلاف، ويقبل بعضنا بعضاً على ما نحن عليه بحيث نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

ولا والله ما ظهر الباطل إلا بغفلة من الحق، وما تكالبت علينا الأمم إلا بتفرقنا عن حقنا واجتماعهم على باطلهم، فلا يكفي للمسلمين أن يكونوا على حق، بل لابد مع الحق من وحدة الأمة على كلمة سواء، فقد يغلب أهل الباطل المجتمعون أهل الحق المتفرقين، والشواهد على ذلك كثيرة من التاريخ.

أما بعد، فهذا غيض من فيض، وقل من كثر مما يجب أن أقوله في هذه الأولويات الثلاث الأساسية في نظري لإعداد الأمة الإسلامية للقرن الحادي والعشرين ليكون قرن المستقبل الزاهر للإسلام يوم يعيد المسلمون النظر في تدينهم التقليدي ليحرقوا قلوبهم الملتاعة بلوعة الحب الإلهي ويعود إليهم حال سيدنا ومولانا محمد رسول الله والذين معه لما كانوا يقومون إلى الصلاة فيسمع لصدورهم أزيز كأزيز المرجل بكاء وخشية من الله رب العالمين.

ويوم يكونون رهبانا في الليل فرسانا في النهار يعملون لدنياهم كما يعملون آخرتهم فلا تنفع الدنيا بدون صلاح الآخرة كما انه لن تستقيم الآخرة بدون صلاح الدنيا. ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾. (القصص الآية: ٧٧)

ويوم يعي المسلمون ذاتهم وعدوهم وموقعهم من هذه الحياة المعاصرة فإنهم يتحدون بلا شك ولا ريب لأنهم بدون وحدة سيزولون من على ظهر هذا الكوكب كأمة، ولكن الإسلام لن يزول بل يشرف الله به أقواماً آخرين ليسوا مثلنا ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾. صدق الله العظيم. (المائدة الآية ٥٤).

أقول: يوم تتحقق هذه الأولويات الثلاث كما ذكرت، فإن النصر قادم بإذن الله وستتولى هذه الأمة مرة ثانية قيادة العالم إلى المجتمع الحضاري الحق، وسنكون حينئذ أقوياء بالله ورحمة وبركة على الناس جميعا كما كان نبينا محمد صلوات الله عليه رحمة للعالمين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو السميع العليم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التضامن الحقيقي

الأستاذ أحمد عبد الكريم(*)

إن النظرة العاجلة على خريطة العالم الجغرافية - الاستراتيجية، تؤكد أن العالم الإسلامي المنتشر فوق قارات ثلاث، ويزيد سكانه عن ربع سكان الكرة الأرضية، تحول في الفترة التي ساد فيها الانفراج الدولي في منتصف الثمانينات وخاصة بعد نهاية الحرب الباردة وزوال الاتحاد السوفيتي، إلى أخطر بؤرة توتر في العالم، يمكن أن تتفجر بين عشية وضحاها وتتحول إلى بركان هائج تصعب السيطرة عليه فيدمر المنطقة ويهد الأمن والسلام العالميين.

فمنذ حرب الخليج الأولى والثانية، وبعد زوال أسطورة "إسرائيل" في حرب ١٩٧٣، أخذت الولايات المتحدة الأميركية تعمل بمفردها أكثر الأحيان وبالتعاون الحذر مع حلفائها الأطلسيين، لحماية ما تعتبره من مصالحها الحيوية في قلب العالمين العربي والإسلامي، لأنها لم تعد تثق بقدرة "إسرائيل" وحدها على القيام بهذه المهمة. ولهذا رأيناها تستغل بعض الظروف والأزمات المحلية وتصطنع ظروفاً وأزمات أخرى، وتحشد في الشرق الأوسط أضخم وأحدث قوات مسلحة عرفتها البشرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونشرتها فوق مياه الخليج (الفارسي) واراضي بلدان مجلس التعاون الخليجي، وبعض النقاط الاستراتيجية في المحيط الهندي، والبحر العربي، والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط والاراضي التركية.

وهكذا وبضربة واحدة تمركزت في قلب العالم الإسلامي ووضعت يدها على أهم مصادر البترول، وفرضت احتواء مزدوجا على العالمين العربي والإسلامي، وأصبحت معظم بلدان المنطقة، وحتى الدول الصناعية الكبرى- حتى حلفاءها- شبه رهائن تحت رحمتها.

وفي الوقت الذي توهم فيه العرب خلال مؤتمر مدريد أن الأزمة التي استنزفت الكثير من مواردهم وإمكاناتهم طوال نصف قرن، قد اتجهت جديا إلى التسوية الحقيقية العادلة والشاملة برعاية الولايات المتحدة الأميركية والزعيمة الكونية، ومشاركة رمزية خجولة من روسيا، إذا بالصراع العربي- الإسرائيلي يأخذ أبعادا جديدة ويتفاقم رغم عقد بعض معاهدات الصلح المنفردة، وانفتاح دول عربية وإسلامية على "اسرائيل". فقد تبين أن وراء التسوية التي تسعى اليها "إسرائيل" وتدعمها الولايات المتحدة، مخطط شيطاني، يرمي إلى هيمنة "إسرائيل" على المنطقة وتغيير هويتها وفرض وصاية دائمة على العالم الإسلامي لمنع تطوره وإبقائه في حالة التبعية وتهميشه في السنوات الباقية من القرن الحالي وأطول مدة من القرن القادم.

(*) وزير وسفير أسبق – أمين عام لجنة دعم الانتفاضة في سورية.

لم تتوقف الأمور عند هذا الحد، فقد أدخلت تركيا باللعبة- المخطط- فعقدت حلفاً عسكرياً استراتيجياً مع "إسرائيل"، أعاد للذاكرة دورها في الخمسينات أيام الحلف المركزي المشؤوم، وأخذت تتصرف بفظاظة وإثارة وتنسق سياسياً وعسكرياً ضد سورية والعراق وايران، مستهترة بالأعراف والقوانين الدولية وقواعد حسن الجوار، متجاهلة حتى تاريخها وهويتها الإسلامية والجغرافية، واضعة نفسها ومصيرها في خدمة المخطط الصهيوني المعادي للمسلمين والعرب وجميع الشعوب النامية.

هكذا كانت حصيلة السياسة الأميركية في المنطقة وإسقاطات النظام العالمي الجديد، فقد حشدت الأساطيل الجوية والبحرية وقوات التدخل السريع في قلب العالم الإسلامي وهي للتهديد باستخدام الضربات الوقائية والاستمرار في حقن "إسرائيل" بأحدث وأخطر أنواع الاسلحة لتكون متفوقة على العالم العربي بأسره بل وان تكون قادرة على ضرب أي بلد إسلامي يرفض هذه السياسة أو يحاول تحديث نفسه ومجاراة العصر. (بما في ذلك تركيا نفسها).

وفي اعتقادنا أن الظروف الدقيقة الراهنة، تقضي بأن تكون مسألة نزع فتيل الأزمة الراهنة في مقدمة الأولويات، لأنها الخطوة الحاسمة التي يمكن الانطلاق منها إلى معالجة الشؤون الأخرى الهامة. وهذا يعني ضرورة البدء ب:

١- تنقية الأجواء الإيرانية- العربية، لأنها كانت في العقود الأخيرة سبباً لنشوب حرب دموية، ولازالت تعكر الجو، وتعطي المبرر لوجود القوات الأجنبية في الخليج وفي النقاط الاستراتيجية المختلفة كما ذكرنا وتساعد على تفجر الوضع، إن هذا يعني تصفية آثار الحرب العراقية الإيرانية وحل النزاع بين إيران ودول مجلس التعاون وتطبيع العلاقات بين إيران ومصر وإزالة الشكوك التي تتردد حول علاقة إيران بالأعمال الإرهابية على الساحة العربية والإسلامية.

٢- وفي نفس المستوى من الأفضلية المبادرة إلى تنقية الجو العربي- العربي والعمل على تصفية الآثار السلبية المدمرة التي ترتبت على حرب الخليج الثانية ومضاعفاتها العربية والدولية، وخلق الظروف التي تسمح بالمصالحة العربية واستئناف نشاط القمة العربية، الذي لابد فيه للحوار مع العالم الإسلامي وبقية دول العالم.

٣- تقنين وتكريس التضامن الإسلامي الحقيقي الذي يشكل القاعدة الأساسية لاحتواء الخطر الداهم المتمثل بالجيوش الأجنبية والسياسة العدوانية التوسعية للصهيونية، والتحالف التركي الإسرائيلي والتعاون مع المجتمع الدولي لصيانة الأمن والسلام.

٤- الانتقال إلى معالجة المسائل الأخرى حسب تسلسل خطورتها وأهميتها وعلى سبيل المثال لا الحصر رفع المقاطعات والحصار على الدول الإسلامية والعربية والمساهمة في وضع حد للحروب الأهلية وعمليات التخريب والإرهاب في بعض الدول الإسلامية والعربية.

٥- التركيز على إخراج القرارات المتعلقة بالتعاون الاقتصادي بين الدول وتوفير الجهود والإمكانيات لإنجاز سوق إسلامية مشتركة ووضع برامج تنموية فعالة.

٦- معالجة مشاكل حقوق الإنسان والإثبات للعالم عملياً أن الإسلام ليس المسؤول عن انتشار الأنظمة الاستبدادية والعنف، ولا يتناقض مع الديمقراطية والحريات السياسية ولا يضمر النوايا السيئة لأي دين أو حضارة أخرى كما جاء ذلك في بيان مؤتمر قمة طهران الإسلامية.

٧- وأخيراً وليس آخراً إذا كان الإسلام مستعداً للحوار مع الآخرين فيجدر به قبل كل شيء أن يتحاور مع نفسه وأن يستوعب كل ما أنجزته الحضارات والثقافات والعلوم من إيجابيات وأن يدخل العصر الذي يعيشه فيه وأن يبتعد عن التزمت والنظرة الفوقية التي لا مبرر لها، فهو أمة مثل بقية أمم الأرض وأن الوقت حان ليتطلع إلى نفسه بنفس المرآة التي تنظر بها لنفسها بقية الحضارات.

والله من وراء القصد.

مصالحة شاملة بين الأنظمة

الأستاذ أبو زيد المقرئ الإدريسي(*)

أرى- والله أعلم- إن الأولويات الثلاث المستعجلة والمصيرية للأمة الإسلامية أو العربية جزء منها) في أفق غايته ٢٠٠٠ تتحدد على ثلاثة مقومات أيضا:

١- على المستوى الرسمي الصرف: المطلوب مصالحة عاجلة شاملة خالصة بين الأنظمة لحل الإشكالات الحدودية والسياسية والاقتصادية بينها خصوصاً (الجيران). ينبغي حل المشاكل العالقة بين المغرب والجزائر، بين العراق والكويت وإيران، بين السعودية واليمن.. الخ. ينبغي تصفية الأجواء ورد الأسرى وضبط الحدود بالخرائط. وتحديد جدول واضح للتعويضات والديون. ينبغي التخلي عن الصراع الأيديولوجي وإقرار كل نظام لشرعية النظام الآخر مهما اختلفت طبيعتهما أو مشروعيتهما أو أيديولوجيتهما، بغض النظر عن اعتقاد كل واحد في الآخر. ولتكن قدوتهم في ذلك أوروبا التي تمضي بخطى حثيثة نحو وحدة شاملة في زمن لن تعيش فيه إلا التكتلات العملاقة.

هذه خطوة ضرورية عاجلة وممكنة تهيئ لخطوة أخرى ممكنة أيضا هي تفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي، وذلك بدفع مستوى التبادل الاقتصادي والتعاون الصناعي انطلاقاً من نواة "سوق الثمانية" الذي انجزه اربكان جزاه الله خيرا، وتحديد سقف أدنى للتحرك الإسلامي في قضية فلسطين تجاه مؤامرة السلام ومهزلة التطبيع وتحرير بعض القيود على حركة البضائع والأشخاص والمؤسسات بين بلدان العالم الإسلامي. باختصار ينبغي إنجاز "التطبيع" الذي تضغط به أميركا عليهم لتحقيقه مع (إسرائيل) أولا مع بعضهم البعض وانذاك تقل حاجتهم للغرب وخضوعهم لاميركا ومهادنتهم لليهود.

٢- على المستوى الرسمي- الشعبي: المطلوب ايضا مصالحة عاجلة شاملة خالصة بين الأنظمة وقوى المعارضة السياسية والإسلامية من احزاب وحركات على أرضية التصور الرائع الذي بسطه الشيخ محمد مهدي شمس الدين بلبنان في كتابه "التطبيع بين خيارات الامة وضرورات الأنظمة" والذي وضع زبدته في النداء الذي نشرته الصحافة بدعوته للمصالحة يستلزم ذلك تخلي الأحزاب السياسية كلية عن عقلية التامر والانقلاب عن طريق الاستعانة بقوى أجنبية، وتخلي بعض الحركات الإسلامية عن العنف باسم الجهاد- مما يفيد الاعداء فقط- قدوتهم في ذلك الرسول (ص) في مرحلة الدعوة حيث التحم بالصبر والمسالمة وهي هدنة

(*) باحث إسلامي وعضو مجلس النواب المغربي.

ضرورية ملحة لإبطال المخطط الإسرائيلي لإشعال الفتنة والتمكين لنفسها من خلاله. يستتبع ذلك مرحلة بحس وطني قائم على إنكار الذات، وبالمقابل يحسنون تفهم الموقف الرسمي الخاضع لأميركا والذي يشجع من طرف خفي الموقف الشعبي المتناقض معه ظاهرياً.

لتقليل الصدام بين الحكام والمعارضين الشعبيين، لوقف مآسي الانتهاك لحقوق الإنسان في العالم الإسلامي، وحل فتيل الفتنة.

٣- على المستوى الشعبي الصرف: المطلوب أيضا مصالحة عاجلة شاملة بين القوى السياسية أحزاباً وجماعات ضاغطة، وبين الحركات الإسلامية، وبين العشائر والقبائل والعرقيات والأقليات الدينية والمذهبية، وذلك بتأصيل أخلاق الحوار والشورى والديمقراطية والاحتكام إلى صناديق الاقتراع، وتوقيع ميثاق شرف يكون كلمة سواء بين الفرقاء يتعاهدون فيه على نبذ العنف المادي واللفظي والفكري فيما بينهم، طبيعية هي تقليل الحس الأمني (تخفيف الاعتماد على الأسلحة والقمع) وتوسيع هامش الديمقراطية ولو قليلاً لاستيعاب التناقضات السياسية والاجتماعية بدل قمعها حتى تنفجر. ويتم بذلك إبقاء نوع من التفاهم حاصله إطلاق يد القوى الشعبية لمواجهة التطبيع الشعبي ومنعه- لأنه المقصد النهائي للأعداء- مقابل غض الطرف نسبيا عن التطبيع الرسمي باعتباره أمراً واقعا- آنياً- في أفق انفراج تثمره هذه المصالحة يقوي مقدرة هذه الأنظمة على الصمود قليلاً في وجه الضغوط الخارجية. وأول ثمار هذا الاختيار هو توفير حد أدنى من الاستقرار يجلب الاستثمارات المحلية والأجنبية. ويفجر طاقة الإبداع والعطاء لدى الشعوب لان الشعور بالكرامة والاستقرار- ولو قليلاً- هو الطريق الوحيد الذي يوقف نزيف الإهدار المالي والفكري- والنفسي الذي يسببه الاقتتال الداخلي- شبه حرب أهلية بين الحكام والقوى الشعبية.

قدوتنا في ذلك السياسة اليابانية الحكيمة منذ هزيمة ١٩٤٥ حيث الجماهير ترفض الهيمنة الأميركية وذلك بمقاطعة البضائع المستوردة والتصرف والإقرار بالتعددية وحق الجميع في الوجود الثقافي والاجتماعي، واحترام الدساتير والقوانين المنظمة لحقوق وواجبات المواطنة. وذلك على أرضية ما أنجزه الحوار القومي- الإسلامي في كل من لبنان والسودان وليبيا (على المستوى الأيديولوجي) وأرضية ما أنجزه مؤتمر التقريب بين المذاهب في إيران (على المستوى المذهبي) طيلة السنوات الماضية. يهيئ هذا لمرحلة لاحقة مستعجلة أيضاً هي تكوين جبهة مؤقتة تضم كل القوى الشعبية على قاسم مشترك يمثل الحد الأدنى المتفق عليه في برنامج الإنقاذ، محو الأمية- الدفاع عن الثوابت للحفاظ على الهوية (ضد العولمة) بناء استراتيجية مقاومة التطبيع الشعبي، ودعم كل أشكال الممانعة للتطبيع الرسمي.. الخ.

السعي لبناء مؤسسة سياسية شعبية لمعالجة مشكلة الأكراد بالمشرق مثلما معالجة القضية الأمازيغية بالمغرب، والسعي على جعل الديمقراطية تربية تثمر سلوكا لا شعاراً للاستهلاك.

وفي تصوري المتواضع أن هذا برنامجاً أدنى يخفف من لجوئنا جميعا إلى القوى الأجنبية.

الإعداد الفكري والعلمي

الأستاذ برهان بخاري(*)

مع أنني سأحاول الالتزام بالإجابة بحدود الصيغة المحددة للسؤال، إلا أن ثمة العديد من الأسئلة التي تولدها وتطرحها صيغة السؤال نفسه، ولابد بالتالي من المبادرة إلى الإجابة عن أهم هذه الأسئلة أولاً، كيما تتسم الإجابة بالمنطق والموضوعية وكيما تحمل الاقتراحات المحتملة صيغاً عملية قدر الإمكان.

وبداية أقول أن مصطلح (الأمة الإسلامية) يثير وحده عدداً من الأسئلة الشائكة، فالأمة الإسلامية لا وجود لها ضمن المنظور السياسي الواقعي، ولا يمكن مقارنتها بالتالي بالأمة البريطانية أو بالأمة الفرنسية، أو حتى بالأمة الأميركية، التي تتشكل من عدد من العروق والأديان والمذاهب، فالموقف التركي الشاذ مثلاً- المنافي لمنطق أبسط الأشياء- كاف وحده لكشف الواقع السياسي السديمي لمفهوم الأمة السياسي، فأي قرار تتخذه الإدارة الأميركية مثلا لا يمكن أن تعارضه أية ولاية من ولاياتها مهما كان جائراً، وعليه بما أنه لا وجود لمصطلح (الأمة المسيحية) كذلك لا وجود لمفهوم (الأمة الإسلامية)، وربما أن الحالة الشاذة الوحيدة في هذا الإطار هي محاولة الصهاينة خلق مفهوم (الأمة اليهودية)، الذي ستثبت الأيام هشاشته ومخالفته لمنطق الأشياء.

ولو أخذنا مفهوم الأمة العربية- الذي هو أقرب إلى الواقع بكثير من مفهوم الأمة الإسلامية- لوجدنا أنه يعاني من بعض التشوشات جراء التجزئة القطرية، التي أصابت المفاهيم النظرية نفسها ببعض الأضرار عند بعض المجتمعات العربية، نتيجة لقيام بعض التنظيرات الفجة أو المدسوسة، التي تنطلق بالأساس من هذا الواقع التجزيئي المريض بغرض تكريسه، مخالفة المنطق التاريخي السائد، القائم على خلق مختلف أنواع التجمعات والتكتلات، القومية والجغرافية والاقتصادية والسياسية.

إن إجراء مناورات أميركية- إسرائيلية، بمشاركة تركيا كبلد إسلامي والأردن كبلد عربي، يعكس الأضرار البالغة التي أصابت مفهومي الأمة العربية والأمة الإسلامية، نتيجة استمرار التجزئة السياسية.

(*) باحث وصحفي سوري.

وعليه يمكن اعتبار المقصود من مفهوم الأمة الإسلامية بالإطار العريض هو تلك المجتمعات التي يحمل أفرادها صفة الإسلام عن طريق الولادة، بصرف النظر عن مذاهبهم أو درجة تدينهم، لذا فإن المصطلح البديل ل- "الأمة الإسلامية" في نظري هو "العالم الإسلامي".

والحقيقة إن المفهوم العام لمصطلح الأمة الإسلامية يعاني هو نفسه من تناقضات حادة على صعيد الواقع، فمع أن تعداد المسلمين يتجاوز المليار ببضع مئات من الملايين، إلا أن طوائف بأكملها موضوعة عملياً خارج قوس من منطلقات مذهبية، ومرفوضة مسبقاً من منطلقات مذهبية، ومرفوضة مسبقا من قبل مجموعة من التجمعات الإسلامية، سواء على الصعيد القطري، أو على إطار مفهوم الأمة، كما هو الحال في مؤتمرات الوحدة الإسلامية.

وعليه لا يمكن المضي باستخدام مصطلح (الأمة الإسلامية)، دون البحث عن ركيزة أساسية وقاسم مشترك يجمع شتات هذه المجتمعات، ولا أعتقد أن ثمة ركيزة أمتن وأقوى من "إسلام ما قبل المذاهب"، لأن وضع المذهب قبل الدين لا يعني ولا يمكن أن يعني فقهاً إسلاميا موحداً، ولا نمطاً ثابتاً في تأدية العبادات، لكنه يعني الشعور المشترك بالمثل العليا الأخلاقية والحضارية، التي تعطي الإسلام هويته تجاه بقية المثل والحضارات، وهكذا يأتي إسلام ما قبل المذاهب في رأيي في رأس الأولويات لإعداد العالم الإسلامي لدخول القرن القادم.

واضح من العنوان الذي وضعته لمقالي أنني أميل إلى استخدام مصطلح الألف الثالث بدلاً من استخدام مصطلح القرن الواحد والعشرين، لأن هذا المصطلح يضع المسلمين في حالة مواجهة حضارية حقيقية طويلة الأمد، لأنه ما من عقل قادر على تصور المتغيرات الهائلة التي ستمر بها البشرية في الألف الثالث في ضوء التسارع الذي لم يعد يعرف الحدود، وعلى المستويين المعرفي والتكنولوجي بخاصة.

وفي مقال لي تحت عنوان "روزنامة الزمن وروزنامة الحضارة" بينت الفرق الخطير بين مفهوم الزمن ومفهوم الحضارة، وأظهرت أيضاً أن الشرائح البشرية تعيش في قرون مختلفة من حيث المفهوم الحضاري، رغم أنها تعيش في يوم واحد من حيث مفهوم الزمن، وعليه لابد أن تتعرف هذه الشرائح المختلفة على الزمن الحضاري الحقيقي الذي تعيش فيه قبل أن تفكر بعلاقتها بالقرن الواحد والعشرين، وانه لأمر منطقي أن يفكر الذي ما زال يعيش في القرن الأول من الناحية الحضارية بالتأهب لدخول القرن الثاني، وهذا ينطبق طبعاً على المجموعات والشرائح لا على الأفراد، الذين قد يحرق بعضهم جميع المراحل دفعة واحدة.

وعليه لابد من بلورة مفهوم خاص للقرن الواحد والعشرين من ضمن منظورنا كمسلمين، وأن نستمر في تعميق الفرق بين الحضارة والمدنية، ففي الوقت الذي نحن بأمس الحاجة فيه إلى تطوير أساليب الإنتاج واليات الاقتصاد ووسائل التلقي والاتصال والمعرفة، التي

هي أمور لها علاقة بالمدنية، فانه لابد من محاولة المحافظة على الهوية والخصوصية ضمن إطاراتها العميقة، من خلال علاقتها بالحضارة.

إن التطور الذي يشهده الغرب هو مدني في أغلبه، فالحضارة لا يمكن أن تخلق النازية والفاشية والأمريكية، لأن الحضارة هي مجموعة من القيم والأفكار والتقاليد، وكلما ازدادت أهمية الإنسان وحريته في التفكير والتعبير عن رأيه في ضمن منظور الارتقاء المستمر بالمجتمعات البشرية كان أقرب للحضارة، لذا فانني أشك شخصياً بوجود حضارة أميركية حالية رغم كل مظاهر القوة التي تظهر فيها الولايات المتحدة الأميركية، طالما أن أميركا تحاول فرض إرادتها عن طريق إذلال الشعوب وإفقارها وقهرها، وطالما أن مجتمعاتها تعاني من مختلف أنواع الطحن الاقتصادي والظلم الاجتماعي، ومن غياب إنسانية الإنسان.

ان مجتمعات العالم الإسلامي يجب أن تسعى لسد الثغرة المدنية والتكنولوجية، لكن عليها أن تسعى بآن واحد للحفاظ على القيم الأخلاقية والحضارية التي جاء بها الإسلام، ومهما بدت "إسرائيل" متفوقة على الجانب المدني والتكنولوجي لكننا نربأ بالمجتمعات الإسلامية أن تتلوث وتقلد مفاهيم المجتمعات الإسرائيلية، بأن تسعى إلى تطوير مفاهيمها الحضارية على الشكل الشوفيني الذي تطورت فيه اليهودية في "إسرائيل".

إن أكبر عائق يواجه مسألة سد الفجوة المدنية والتكنولوجية التي ستتضخم بحلول القرن القادم هو محاولة زج الإسلام على يد مجموعة من المتنطعين والناطقين غير الرسميين في مواقع يظهر معها الإسلام وكأنه ضد التطور العلمي، عن طريق مجموعة من فتاوى التحريم التي ما أنزل الله بها من سلطان، أو إقحام القرآن الكريم في مسائل علمية لا علاقة له بها أصلاً. عن طريق شطحات في التأويل، ولا يمكن وضع حد لهذا الأمر إلا بوضع حد لهذا التسيب، وتلك الفوضى التي سمحت لمن هب ودب بالتنظير والوعظ والإفتاء.

واضح انه لا يمكن ترتيب عدد معين من الأولويات التي يحتاجها العالم الإسلامي في القرن ٢١، فرأي الإسلام بالتعامل مع البنوك هو أمر بالغ الأهمية، ولابد بالتالي من إعداد دراسات مستفيضة حول المفهوم المعاصر للربا تعقبها فتوى مركزية تريح جماهير المسلمين وتنأى بها عن أجواء الحيرة والبلبلة.

ولابد من التصدي لمعالجة مسألة المرأة بشكل جوهري، خاصة وأنها باتت تشكل أكثر من نصف المجتمع نتيجة للحروب والفتن المتوالية، وان بقاءها معزولة ضمن مجتمعاتها سيزيد حتماً من تخلفها ومن فتك مختلف أنواع الخرافات بها، ولن تكون مؤهلة بالتالي لتربية أجيال قوية محصنة، ولابد من النظر أيضاً في مسألة الحجاب باعتباره وسيلة للحشمة، وانه إذا فقدت الحشمة تكون قد فقدت وظيفتها الأساسية، والتأكيد على إن عدم إسفار المرأة عن وجهها يعني حرمانها من الاحتكاك العميق بالمجتمع والمساهمة بصنعه وتطويره.

بما أن المجتمعات الإسلامية ما زالت بحاجة ماسة إلى مراحل طويلة من التنوير فلابد من مراقبة هذا الطوفان الهائل من الوعظ الذي يستند جزء لا يستهان به إلى الخرافات، ويخاطب العاطفة بدلاً من مخاطبة العقل، ويتجه إلى التركيز على الخلاص الفردي على حساب خلاص المجتمعات.

لقد أسس الإسلام لبناء الدولة وتطوير المجتمعات، يشهد على ذلك انتصاره على أقوى إمبراطوريتين خلال بضعة عقود من بزوغ فجره، لذا لابد من مراقبة الوعاظ الذين ينأون في وعظهم عن معالجة القضايا الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية اليومية بحديثهم حول أمور لا تغني ولا تسمن من جوع، وغني عن الذكر أن إعداد الشخصية الإسلامية أخلاقياً وفكرياً وعلمياً وحضارياً ومعرفياً هو من الأولويات الأساسية للعالم الإسلامي في القرن الحالي، ولابد من أن يسلك الوعظ سبلاً أخلاقية وإنسانية ومنطقية وعملية بأن يكون الواعظ نفسه قدوة، وأن يكون متواضعاً ورفيقاً ومحباً على قول الشاعر:

ترفق إن وعظت أخاك واعلم ... بأن الله خير منك وعظاً

ملاحق:

مؤتمر شرم الشيخ(*)

قرارات المؤتمر:

١- قرر اجتماع شرم الشيخ دعم الاتفاقات بين إسرائيل وسلطة الحكم الذاتي، واستمرار المفاوضات بينهما، وتدعيمها اقتصاديا وسياسياً، وتعزيز الوضع الأمني للطرفين مع إيلاء اهتمام خاص للاحتياجات الاقتصادية القائمة للفلسطينيين.

٢- دعم استمرار عملية المفاوضات من أجل تحقيق تسوية كاملة.

٣- دعم وتنسيق الجهود من أجل وقف أعمال الإرهاب على المستويات، الثنائية والإقليمية والدولية، وبذل أقصى الجهود لتحديد مصادر من دعاهم بالجماعات الإرهابية والتعاون في وقف تمويلها.

٤- تعزيز الأمن والاستقرار ومنع أعداء السلام من تحقيق هدفهم الأول، وهو تدمير الفرصة الحقيقية للسلام في الشرق الأوسط، وأدان بشدة ما أسماه بأعمال الإرهاب بجميع صوره وأشكاله ومهما كانت دوافعه، بما فيها الهجمات الأخيرة في إسرائيل.

٥- الدعم الكامل لعملية السلام في الشرق الأوسط وعزمه على استمرار هذه العملية من أجل تحقيق سلام عادل ودائم في المنطقة.

٦- قرر الاجتماع تشكيل مجموعات مفتوحة لجميع المشاركين لإعداد توصيات حول أفضل الأساليب لتنفيذ فقرات هذا البيان وتقديم تقرير عنها للمشاركين خلال ثلاثين يوماً في اجتماع ينعقد في واشنطن.

(*) عقد المؤتمر في شرم الشيخ في مصر عام ١٩٩٦.

النص الكامل لخارطة الطرق الأمريكية

ثلاث مراحل تخضع لتقديرات اللجنة الرباعية

مؤتمران دوليان لرسم الحدود المؤقتة للدولة الفلسطينية :

٢٠٠٢/١١/٦

النص الكامل لخارطة الطرق الأمريكية التي سلمتها الإدارة الأمريكية الأسبوع الماضي إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون، وأرسلت مساعد وزير خارجيتها وليام بيرنز في جولة في المنطقة لعرضها على المسؤولين العرب.

في الآتي أسس خطة تستند إلى الأداء، تحت إشراف الرباعية الدولية، وبمراحل واضحة اختيارات تنفيذ ستقود إلى تسوية شاملة ونهائية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني حتى عام ٢٠٠٥ كما عرضت في خطاب الرئيس بوش في ٤٢ حزيران وتبنتها روسيا، الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة في تصريحي الرباعية في ١٦ تموز و١٧ أيلول. وهذه التسوية التي سيتم التوصل إليها في مفاوضات بين الطرفين، ستقود إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية تعيش إلى جانب إسرائيل وجيرانها الآخرين بسلام وأمن، وتنهي التسوية الاحتلال الذي بدأ عام ١٩٦٧ على أساس رسالة الدعوة لمؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام وقرارات مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢- ٣٨٣- ١٣٩٧ والاتفاقات السابقة التي توصل لها الطرفان والمبادرة العربية التي عرضها ولي العهد السعودي عبد الله وصودق عليها في القمة العربية في بيروت.

المرحلة الأولى : (أ) من تشرين الأول ٢٠٠٢ إلى أيار ٢٠٠٣ انتخابات :

الفترة الأولى من المرحلة (أ) تشرين أول إلى كانون أول ٢٠٠٢:

١- تبلور الرباعية الدولية خارطة طرق مفصلة، بالتشاور مع الطرفين على أن يصادق عليها في لقاء الرباعية والدول المانحة للفلسطينيين في كانون أول AHLC.

٢- تعيين حكومة فلسطينية جديدة، وإنشاء منصب رئيس حكومة صاحب صلاحيات وإدخال كل التغيرات القانونية المطلوبة Empowered.

٣- ويقوم المجلس التشريعي الفلسطيني بتعيين لجنة لصياغة دستور الدولة الفلسطينية.

٤- وتقوم السلطة الفلسطينية بتعيين لجنة انتخابات مستقلة، ويعد المجلس التشريعي قانوناً محدثاً للانتخابات.

٥- يمنح مؤتمر الدول المانحة رزمة مساعدات جوهرية.

٦- تنشر القيادة الفلسطينية إعلاناً تعترف فيه بصورة لا تحتمل اللبس بحق إسرائيل في الوجود بسلام وأمن.

٧- وتدعو إلى الوقف الفوري للانتفاضة المسلحة وجميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين في كل مكان، وتكف جميع المؤسسات الفلسطينية عن التحريض ضد إسرائيل.

وبالتنسيق مع الرباعية تعيد الولايات المتحدة من جديد بناء وتدريب وخلق خطة للتعاون الأمني بمشاركة لجنة إشراف خارجية "الولايات المتحدة — مصر — الأردن".

٨- تتوحد قوات الأمن الفلسطينية في ثلاث أجهزة تحت إمرة وزير داخلية صاحب صلاحيات.

٩- تبدأ قوات الأمن الفلسطينية المعاد بناؤها وتدريبها من جديد، والجهات الموازية في الجيش الإسرائيلي.

١٠- تتيح حكومة إسرائيل حرية الحركة للفلسطينيين من أجل عقد جلسات المجلس التشريعي والتدريبات تحت إشراف دولي لقوات الأمن ومن أجل قضايا أخرى تخص السلطة الفلسطينية من دون قيود.

١١- تقوم إسرائيل بتنفيذ تقرير "برتيني" لتحسين الظروف الإنسانية خاصة لجهة إزالة الأطواق وحظر التجول وتسهيل الحركة بين المناطق الفلسطينية.

١٢- تكف إسرائيل عن العمليات التي تمس بالثقة، خاصة مهاجمة المناطق المدنية المصادرة وتدمير البيوت وأملاك الفلسطينيين، والإبعاد، سواء أ كانت هذه خطوات عقابية أو من أجل تسهيل إقامة إنشاءات إسرائيلية.

١٣- وتستأنف الحكومة الإسرائيلية فوراً تسليم الدفعات الشهرية من أموال الضرائب وفقاً لآلية إشراف وشفافية يتفق عليها، وتسلم إسرائيل لوزارة المالية الفلسطينية كل الأموال المستحقة حتى نهاية كانون أول عام ٢٠٠٢ وفقاً لجدول زمني يتقرر لاحقاً.

١٤- تعمل الدول العربية بحزم لوقف التمويل الشخصي والعام للمنظمات المتطرفة وتقوم بتسليم الدعم المالي الفلسطينيين عن طرق وزارة المالية الفلسطينية.

١٥- تقوم الحكومة الإسرائيلية بتفكيك المواقع الاستيطانية التي أقيمت منذ إنشاء الحكومة الحالية وبخلاف خطوطها الأساسية.guidelines

الفترة الثانية من المرحلة (أ) من كانون الثاني- أيار ٢٠٠٣:

١- يتواصل الإصلاح السياسي لتعزيز المجلس التشريعي ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء الفلسطيني.

٢- تقوم اللجنة المستقلة بنشر مسودة الدستور الفلسطيني، على أساس ديمقراطي برلماني متين وذلك من أجل استقبال الملاحظات والردود.

٣- نقل الصلاحيات للسلطات المحلية على أساس قانون بلدي جديد.

٤- إقامة جهاز إشراف تابع للرباعية الدولية.

٥- يلبي الفلسطينيون مطالب بعثة المهمات الدولية في الميادين القضائية، الإدارية والاقتصادية، كما ويقرر من قبل مجموعة العمل.

٦- وبقدر ما يتقدم التعاون الأمني ينسحب الجيش الإسرائيلي تدريجياً من المناطق التي احتلت منذ ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ ويكتمل الانسحاب قبل إجراء الانتخابات الفلسطينية وتنتشر قوات الأمن الفلسطينية في المناطق التي يخليها الجيش الإسرائيلي.

٧- تسمح إسرائيل لبعثة المهمات الدولية بالمساعدة في التحضير للانتخابات الفلسطينية تسجيل الناخب وحركة المرشحين وموظفي الانتخابات.

٨- وتعيد الحكومة الإسرائيلية فتح مكتب التجارة الفلسطيني في شرقي القدس وكذلك الحال مع مؤسسات اقتصادية فلسطينية هناك.

٩- تكمل لجنة الدستور الفلسطينية مسودة الدستور لعرضه للمصادقة أمام المجلس التشريعي بعد الانتخابات.

١٠- يكمل الإسرائيليون والفلسطينيون اتفاقاً جديداً وفق خطة تينت، خاصة لجهة إقامة آلية أمنية فعالة ووقف الإرهاب، العنف والتحريض وينفذ ذلك جهاز أمني فلسطيني فعال بعد ترميمه.

١١- تجمد الحكومة الإسرائيلية الأعمال الاستيطانية وفقا لتقرير ميتشل خاصة النمو الطبيعي للمستوطنات.

١٢- يجري الفلسطينيون انتخابات حرة منفتحة ونزيهة للمجلس التشريعي.

١٣- الدعم الإقليمي مع إتمام الانسحاب إلى الخطوط ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ تعيد مصر والأردن سفيريهما إلى إسرائيل.

المرحلة الثانية (ب) كانون أول ٢٠٠٣ :

"المرحلة الانتقالية" Transition:

يتم التقدم نحو المرحلة "ب" بحسب تقدير الرباعية، و بالاستعانة بجهاز الرقابة الدائم المتواجد على الأرض، إذا كانت الظروف مناسبة للتقدم، وبالنظر لأداء الطرفين وتحت إشراف الرباعية وتبدأ المرحلة "ب" بعد الانتخابات الفلسطينية وتنتهي مع الإنشاء المحتمل لدولة فلسطينية في حدود مؤقتة حتى نهاية عام ٢٠٠٣.

١- والمؤتمر الدولي الذي ستعقده الرباعية بموافقة الطرفين فور الإتمام الناجح للانتخابات الفلسطينية، معد لدعم الفلسطينيين اقتصاداً وللبدء بمفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين حول احتمال إقامة دولة فلسطينية في حدود مؤقتة.

٢- ويكون هذا المؤتمر شمولي الطابع، يهدف إلى التوصل إلى سلام شامل في الشرق الاوسط "خاصة بين إسرائيل وسوريا ولبنان" ويستند إلى الاسس المعروضة في مقدمة هذه الوثيقة.

٣- استئناف العلاقات بين العرب وإسرائيل التي كانت قبل الانتفاضة "مثل المثليات التجارية".

٤- استئناف المحادثات المتعددة الأطراف (قضايا المياه- البيئة- التطور الاقتصادي- اللاجئين ومراقبة التسلح الإقليمي).

٥- يصادق المجلس التشريعي المنتخب على دستور دولة فلسطينية ديمقراطية ومستقلة.

٦- يستمر التعاون الأمني والمصادرة الكاملة للأسلحة غير الشرعية وتجريد المنظمات الفلسطينية من أسلحتها وفقاً للاتفاق الامني.

٧- تجري المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية لإقامة دولة في حدود مؤقتة ويجري تنفيذ الاتفاقات السابقة بهدف ضمان الحد الادنى من التواصل الجغرافي لها.

٨- انتهاء الترتيبات الانتقالية وإنشاء دولة بحدود مؤقتة حتى نهاية عام ٢٠٠٣ وزيادة الدور الدولي في الإشراف على هذا الانتقال.

٩- عمل آخر حول المستوطنات يتوافق مع إقامة دولة بحدود مؤقتة.

المرحلة الثالثة (ج) ٢٠٠٤-٢٠٠٥ دولة :

يتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة وفق تقديرات الرباعية، و بالنظر لأداء الطرفين وتحت إشراف الرباعية.

١- عقد مؤتمر دولي ثان: تعقد الرباعية، بموافقة الطرفين، في مطلع عام ٢٠٠٤ مؤتمراً دولياً يتبنى الاتفاق على إقامة دولة في حدود مؤقتة وتبدأ المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين حول الاتفاق الدائم والنهائي الذي سينجز عام ٢٠٠٥ ويتعلق خصوصاً بالحدود، القدس، المستوطنات، ومن أجل تأييد التقدم نحو تسوية شاملة في الشرق الأوسط بين إسرائيل وكل من لبنان وسوريا على أن ينجز ذلك بأسرع وقت ممكن.

٢- استمرار التقدم الكامل والفعال للإصلاحات التي ستعرضها بعثة المهام الدولية من أجل الإعداد للتسوية النهائية.

٣- استمرار التعاون الأمني المقبول والفعال وفق الاتفاق الأمني الجديد وبحسب الاتفاقات السابقة.

٤- تقيم الدول العربية علاقات اعتيادية مع إسرائيل، و الأمن لجميع دول المنطقة، وفقاً للمبادرة العربية الصادرة عن قمة بيروت.

الفهرس

- **الإهداء** ٧

- **الكاتب والكتاب** ٩

- **تقديم : للدكتور سعيد يعقوب** ١١

- **كلمة المؤلف** ٢٣

- **المحور الأول : رؤية الإمام الخميني لمفهوم إزالة إسرائيل من الوجود** ٢٩

- -إعلان يوم القدس العالمي ٦٨

الإمام الخميني رائد في مكافحة العدو الصهيوني: العماد مصطفى طلاس ٦٩

-الدكتور حسين شرف الدين: في اليهودية المتصهينة ٧٣

- **المحور الثاني : الأمن الإسلامي - المرتكزات وآليات التعزيز** ٨٥

- خطوات استراتيجية وصولاً للأمن الإسلامي: آية الله محمد حسين فضل الله . ٩٠

- مفاهيم الأمن الإسلامي: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري ٩٨

- التأكيد على شمولية الأمن: آية الله محمد علي التسخيري ١٠٠

- من أجل جبهة إسلامية موحدة: د. أسعد صقر ١٠٢

- الأمن الإسلامي ومواجهة التحالف الأمريكي: الأستاذ إدريس هاني ١٠٦

- الأمن الإسلامي مقوماته وضروراته في الوقت الحاضر: السيد عبد الله نظام . ١١٣

- مقاربة قرآنية في الأمن الإسلامي: الشيخ نبيل الحلباوي ١١٩

- ملاحظات حول الأمن الإسلامي: الدكتور طيب تيزيني ١٢٤

الأمن الإسلامي والنظام العالمي الجديد: الأستاذ عز الدين سليم ١٢٦

- فلسطين والمسلمين: الأستاذ بسام الشكعة ١٣٠

- لمواجهة الحملة الصهيونية الصليبية: مجدي أحمد حسين ١٣٢

- الوعي الإسلامي أولاً: د. أحمد راسم النفيس ١٣٧

- تعزيز مبدأ الشمولية: د. سهيل زكار ١٣٩
- الأمن مع مراعاة التنوع في الدول الإسلامية: الأستاذ خالد الفاهوم ١٤١
- من أجل مفهوم ثقافي للأمن: العلامة كامل الهاشمي ١٤٣
- حضارتنا وأمننا: الأستاذ صالح الورداني ١٤٥
- الأمن والأمان: العلامة السيد محمد الموسوي ١٤٧
- الأسس الاستراتيجية للأمن الإسلامي: د. صبحي الجابي ١٥١
- الأمن الإسلامي في ظل الأحادية القطبية: الدكتور حامد البياتي ١٥٥
- المسلمون قدوة في مفهوم الأمن: د. منصور الجمري ١٥٧
- **المحور الثالث: الأمن الإسلامي في منظور إيران الثورة والدولة** ١٥٩
- الأمة الإسلامية ومستقبلها في فكر الإمام الخامنئي ١٦٣
- الحوار الحضاري من أجل الأمن: السيد الرئيس محمد خاتمي ١٧٢
المحور الرابع: مشروع مجلس التعاون لأقطار العالم الإسلامي ١٧٥
- مداخلة: د. علي عقلة عرسان ١٧٩
- مداخلة: السيد عبد الله نظام ١٨١
- مداخلة: المستشار الدمرداش العقالي ١٨٢
- مداخلة: د. زهير غزاوي ١٨٤
- مداخلة: الأستاذ مجدي أحمد حسين ١٩٠
- مداخلة: رفعت أحمد السيد ١٩٤
- مداخلة: الأستاذ زياد نخالة ١٩٤
- **المحور الخامس: المشروع الإسلامي بين مقومات النهوض وتحديات المواجهة** .. ٢١١
- المشروع الإسلامي وأدوات دحر التآمر الاستكباري الصهيوني: آية الله محمد باقر الناصري ٢١٣
- آفاق واعدة على طريق نهضة الأمة: الأستاذ خالد مشعل ٢٢٠
- الدعوة الإسلامية طريقا للنهوض: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. ٢٢٩

- نحو مشروع إسلامي نهضوي متكامل: الشيخ عفيف النابلسي ٢٣٦
- التجربة التاريخية وترشيد المشروع الإسلامي: الأستاذ جودت سعيد ٢٤٢
- الهوية الإسلامية في مواجهة تحديات الواقع: الأستاذ عبد الرحمن غنيم ٢٥٠
- **المحور السادس : الاتفاقيات المستحيلة** ٢٥٣
- اتفاق واي بلانتيشن نموذجاً ٢٥٥
- مداخلة: الأستاذ خالد الفاهوم ٢٥٦
- مداخلة: د. علي عقلة عرسان ٢٥٩
- مداخلة: السيد حسين الموسوي ٢٦٣
- مداخلة: الأستاذ عباس البياتي ٢٦٥
- مداخلة: الأستاذ رمزي رباح ٢٦٩
- مداخلة: السيد أبو فاخر ٢٧٥
- مداخلة: الأستاذ خالد عبد المجيد ٢٧٧
- مداخلة: د. ماهر الطاهر ٢٨٠
- مداخلة: العلامة الشيخ عبد الله نظام ٢٨٣
- **المحور السابع : الإرهاب الدولي وأساليب المواجهة** ٢٨٩
- نحن ومجابهة الإرهاب: د. حسن الترابي ٢٩٢
- بالقوة نمنع الإرهاب: د. أحمد الريسوني ٢٩٦
- واجب الإعلام تفادياً لتهمة الإرهاب: الدكتور خلف الجراد ٣٠٥
- الإرهاب في أكثر من اتجاه: د. عبد المحسن يوسف جمال ٣١٦
- الإرهاب تعريفاً وتحليلاً: الأستاذ عبد الرحمن النعيمي ٣١٩
- صانعوا الإرهاب: الشيخ محمد مهدي الآصفي ٣٢٤
- مفاهيم الإرهاب: د. ناصر صرخوه ٣٢٦
- إرهاب المسلمين بسبب ثرواتهم: د. حافظ الجمالي ٣٣٠

- إطلاق طاقات الأمة: د. محمد الهاشمي الحامدي ٣٣٣
- أساليب الإرهاب: العلامة السيد افتخار النقوي ٣٣٥
- الأمم المتحدة والإرهاب: العلامة الشيخ أحمد كفتارو ٣٣٨
المحور الثامن: مستقبل الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين ٣٤١
- التلازم بين تيار الصحوة والحركة الإسلامية: د. كمال الهلباوي ٣٤٤
- ترتيب الأولويات الاستراتيجية والسياسية: د. عارف دليلة ٣٥٢
- يجب أن نكون مسلمين أولاً: د. عزت السيد أحمد ٣٦٠
- تقدم الأمة في تقدم الوعي: د. عبد الكريم اليافي ٣٦٢
- الإصلاح مفتاح البناء: الشيخ حامد تركي ٣٦٥
- قوة المواجهة في وحدة الجهود: الأستاذ توفيق المديني ٣٦٧
- التربية المستقبلية المتوازنة المتكاملة: د. محمود أحمد السيد ٣٦٩
- توحيد القوى واستنهاض المسلمين: الأستاذ نصر شمالي ٣٧٢
- وحدة الأمة في الحق: د. محمد عبد اللطيف صالح فرفور ٣٧٦
- التضامن الحقيقي: الأستاذ أحمد عبد الكريم ٣٧٩
- مصالحة شاملة بين الأنظمة: الأستاذ أبو زيد المقرئ الإدريسي ٣٨٢
- الإعداد الفكري والعلمي: الأستاذ برهان بخاري ٣٨٤
ملاحق: ١- مؤتمر شرم الشيخ ٣٨٩
٢- النص الكامل لخارطة الطرق الأمريكية ٣٩٠

صدر للمؤلف

١- ثورة الفقيه ودولتُه - قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني (قدس سره) دمشق - المطبعة التعاونية - طبعة أولى عام ٢٠٠٢، وطبعة ثانية عام ٢٠٠٣.

٢- حوارات الزمن الصعب - رؤى استراتيجية في الواقع الإسلامي وتحديات العصر - عن مؤسسة البلاغ - بيروت لبنان عام ٢٠٠٣.

٣- الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة - الإمام الخميني ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود - عن مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر - عام ٢٠٠٤.

*- ترجم المؤلف العديد من المقالات والدراسات السياسية والفكرية من الفارسية إلى العربية، وهو يحضّر لإعداد كتاب يشتمل على أهم مقولات الإمام الخامنئي (دام ظله) قائد الثورة الإسلامية في إيران بشأن القضايا السياسية والدينية والثقافية والفكرية في مختلف الأصعدة.